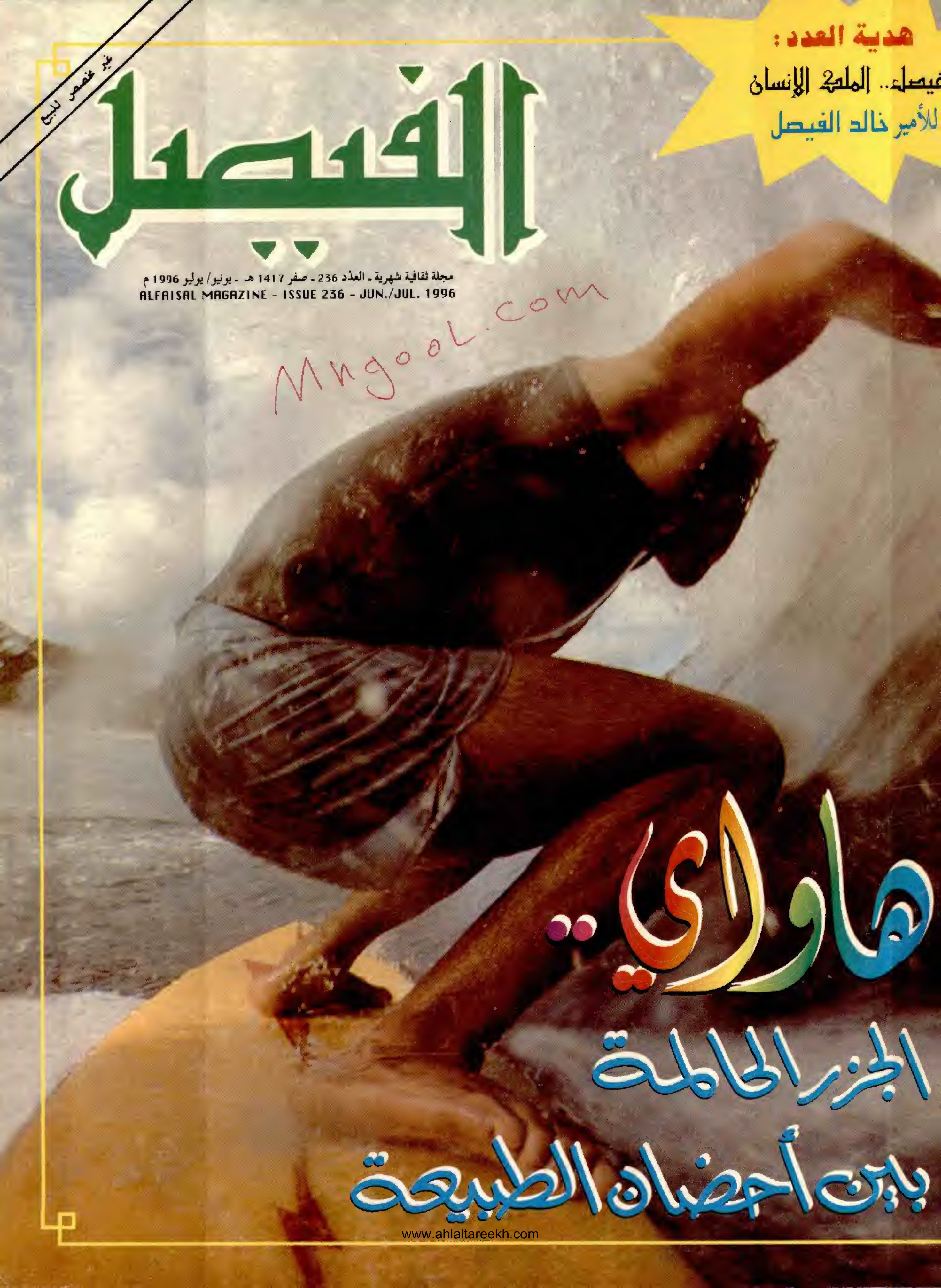


غير مخصص للبيع
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية ـ العدد 236 ـ صفر 1417 هـ ـ يونيو/ يوليو 1996 م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 236 - JUN./JUL. 1996
هدية العدد:
فيصل.. الملك الإنسان
للأمير خالد الفيصل
هاواي..
الجزر الحالمة
بين أحضان الطبيعة
Mngool.com
www.ahlaltareekh.com





لقط المنافع
أو التقاط المنافع

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي البغدادي

(508 هـ/ 1114م-597 هـ/1201م).

كتاب في الطب، قسمه إلى سبعين بابا تناول فيها أمورا منها: بيان أصل الطب، وبيان فضيلة علم الطب. ثم تحدث عن الأمر بالتداوي وبيان أن لكل داء دواء. بعد ذلك ذكر الخلاف الذي يدور حول التداوي: هل التداوي أفضل أم تركه؟ ثم ذكر خلق ابن آدم وعجائب تركيبه، والمحمود والمذموم من خلق الآدمي. بعد ذلك تحدث عن: الأمزجة، والمجالس، والرياح، والرياضة، والأدهان، والحمام، والملابس، والطيب، وأنواع الفواكه ومنافعها، والحبوب، والأخباز، والحيوانات وطباعها وأنواع لحومها. ثم تحدث عن توابل الطبخ، ثم السواك، والماء، والأشربة، وأنواع المربى وفائدة كل نوع. ثم تحدث بعد ذلك عن النوم واليقظة، والجماع، وتدبير الحوامل، والنفاس وتدبير المولود، واختتم هذا المجلد - وهو الأول - بباب في ذكر تدبير الصبيان.

أما بقية موضوعات الكتاب فقد تناولت مرحلة الشباب، ثم الكهولة، والأزمنة: الصيف، والشتاء، والربيع، والخريف، ثم موضوع السفر، وتعليم الأصلح في حفظ الصحة، وحفظ الجوارح، والمخالطة وما يسببه ذلك من أمراض، والأحوال المنذرة بالأمراض.

كُتب المخطوط في القرن التاسع الهجري تقديرًا.

وهو من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 5555.

إعداد: د. عابد سليمان المشوخي.

في العدد القادم:
- الرسم بالكلمات
- المعيار الإسلامي في النقد الأدب
- قيمة الكتاب وأثره في الحضارة



كتاب الفيصل الدوري متى يرى النور؟

طرح كثير من القراء اقتراحات من خلال «بريد الفيصل» بجمع الأبواب المتخصصة مثل: «دائرة المعارف»، و«الطريق إلى الله» ومقالات د. حسن ظاظا، و«قصة قصيدة»، وغيرها، وإصدارها في كتاب دوري. ولكن للأسف لم تلق هذه المقترحات التجاوب من قبل إدارة تحرير مجلة الفيصل. ربما هناك بعض الصعوبات، لكثرة الأبواب المتخصصة، ولذلك أطرح اقتراحًا بديلاً، لعله يكون عمليًا، وهو: تخصيص كتاب دوري يتضمن الملفات التي تصدرها «الفيصل»، مثل ملف «اللغة العربية»، وملف «التعليم»، وملف «العطور» وملف «مؤسسة الملك فيصل الخيرية»، وملف «الحوار»، والموضوعات الأخرى التي هي في الطريق.. أرجو درس هذا الاقتراح، الذي يفيد المغتربين من أمثالي، ممّن تفوتهم أعداد المجلة لسبب من الأسباب؛ وقد فاتني بالفعل العدد الذي تضمن ملف القدس.. وإني لآمل أن ترسلوه إليّ إذا أمكن.

مبارك محمد إبراهيم
1644 under cliff bronx 10453 - NewYork
الولايات المتحدة

دائمًا إلى الأمام

أعبر لكم، نيابة عن قراء «الفيصل» جميعًا، عن إعجابي بمحتوى هذه المجلة العريقة التي تفتح أبوابًا على المعرفة، وتمثل سندًا متينًا للثقافة العربية لما تشتمل عليه من زوايا وأبواب ومقالات من شأنها أن تشكل زادًا معرفيًا ثرًا لكل متعطش، ولكل قارئ عربي.

وهذا الشكر ليس من باب المجاملة، ولكن من باب أن تقول للمحسن أحسنت، وقد أحسنت «الفيصل» فعلاً، أصبحت تزداد مع الأيام تألقًا ونجاحًا، بدوري أشد على أياديكم، ودائمًا إلى الأمام.

سمير الجميلي
الحي الجديد عدد 116، جرزونه
7021، بنزرت
الجمهورية التونسية

أين مدن السودان؟!

أحرص كثيرًا على قراءة «الفيصل» لما تشتمل عليه من موضوعات متنوعة، وأكثر ما أحرص عليه الاستطلاعات المصورة عن مدن العالم. ومع أن «الفيصل» لها قراء كثيرون في السودان، إلا أنني لم أطالع استطلاعًا عن أي مدينة سودانية، برغم وجود مدن متعددة تحتاج إلى إبراز، لما تتمتع به من تنوع ثقافي وطبيعة جميلة، فالفيصل صوت لكل عالمنا العربي يحاول أن يصل إلى أكبر مساحة ممكنة من هذا العالم الشاسع، لذا فإننا ننتظر منه أن يؤدي هذا الدور في التعريف بالمدن العربية والإسلامية، ولاسيما المنسية منها. وأرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم بطلبي هذا. وتقبلوا تحياتي وأمنياتي.

أحمد ماهر علي أحمد
الرياض - ت 4421546

استطلاعات مصورة وكتاب سنوي

إن مجلة «الفيصل» هي من أشهر المجلات الثقافية السعودية، وقد ضربت بسهم وافر في المسيرة الثقافية لهذه البلاد بموضوعاتها المتخصصة والدسمة التي تطرقها، وبكتابها المتميزين. إنها روضة ثقافية متعدِّدة الثمار والأزهار، نقطف منها أزاهير متنوّعة تنضج في بداية كل شهر عربي. إنها تاج على جبين الثقافة في هذا البلد المعطاء في تحقيقاتها المتميزة وخصوصًا عن بلدان الوطن العربي العزيز من المحيط إلى الخليج.. إن كثيرًا من أبناء الوطن يجهلون تراث بلادهم ومدنها وآثارها مع أنها منبع الحضارة والثقافة، ويعلمون عن بلدان أوربا وأمريكا أكثر منها. وإني أقترح أن تقوم مجلتكم الرائدة التي هي حضن الثقافة بإجراء استطلاعات مصوَّرة عن آثارنا الباقية في هذه البلاد وغيرها كمدائن صالح، والربذة، والفاو، وعن المعالم الجغرافية المشهورة في التاريخ العربي كالرامتان في القصيم وجبل ثهلان، وغيرها، وفي العالم العربي كالأهرامات، والبتراء، وبابل، والقيروان، وآثار تدمر؛ لأن هذه المجلة مجلة نادرة في العالم العربي كلِّه. كما أؤيد فكرة إصدار كتاب سنوي يضم موضوعات متنوعة ومهمة مما ينشر في المجلة على مدار العام.

م. عبد العزيز بن محمد السحيباني
البدائع - القصيم
المملكة العربية السعودية

التحرير:

نحن نرحب باقتراحات الإخوة القراء، كما نشكر للقارئَيْن الكريمين، من السودان والسعودية، اهتمامهما، ونأمل أن يتجاوب معنا جميع الأخوة القراء؛ إما باقتراح أسماء المدن العربية والإسلامية والأجنبية التي يرونها جديرة بالتناول في الاستطلاعات المصورة، وإما بإرسال مشاركاتهم وكتاباتهم عنها إذا كانوا قادرين على ذلك، مع أهمية الصور الملونة المصاحبة للاستطلاع. وهذه دعوة لجميع القراء في أنحاء العالم، فالمجلة حريصة على تحقيق التواصل الفاعل معهم أينما كانوا لأنها منهم وإليهم.

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

العرب..

إطلالة



الذاكرة وسيلة مهمة لعمل العقل، بل من دونها لايمكن أن يعمل العقل، فهي بما تحتويه من معلومات تستفره لكي ينشط ويفكر حتى يصل إلى قرار إزاء الموقف الذي يواجهه، ومن ثم لايكون هناك عقل أو قرار أو حكمة من غير ذاكرة.

وهذه الذاكرة لاتعمل في فراغ، وإنما في إطار وسط ثقافي يؤثر في الإنسان ويشكل ذاكرته وعقله. وتتفاوت مستويات هذا التأثير وعمقه بين الأفراد، ويمتد تأثير الثقافة إلى الأمة، فيمنحها حيوية الحركة وديمومة التفاعل مع الحياة. ولا مراء في ذلك، فالأفراد هم اللبنات التي يتشكل منها بنيان الأمة. ويكون عطاء الأفراد بقدر ما يملكون من يقظة ذاكرة وحيوية عقل، ذلك العقل الذي تتشكل فيه ذاكرة الأمة لتصبح ضميره ووسيلته الفاعلة التي تحرك جمود التاريخ، وتحول دون أن تظل مسيرته راكدة الحركة، غير قابلة للتعديل.

فالمعلومات ـ إذًا ـ ضرورة ليقوم العقل بوظيفتي التفكير والتفسير، ومن غيرها تتعرض لخطر «التقولب» والجمود بكل ما يعنيه من انتقاص وإضرار بالسمات المميزة له، ومن ثم بأسلوب الحياة وطريقة السلوك والقيم المحددة لهذا السلوك، وغير ذلك، مما تتألف منه الذات التي يعتز بها أي مجتمع أو أمة.

والذاكرة بما تشتمل عليه من تراث ضخم وقيم خلقية؛ تصوغ عقل الأمة، وتؤهلها للعمل الجاد لبناء الذات الثقافية الخاصة بها، والمحافظة عليها. وينتج من ذلك إحساس بالخصوصية الثقافية والشخصية المتميزة، ولا يتأتى لهذا الإحساس أن يقوى وينمو في الدواخل إلا من خلال التربية والتعليم، اللذين بهما تتأهل للتصدي للتيار الثقافي المعادي الجارف الذي تتعدد أساليبه وفنونه، بهدف إلحاق الهزيمة الداخلية بها.

فأمة بلا ذاكرة، هي ـ لاشك ـ أمة بلا وعي، ونقصد به الوعي بالنفس، وبالآخرين. فحين تفقد الأمة ـ أي أمة ـ ذاكرتها تتحول إلى مخلوق سلبي لا إرادة له، لا يملك إلا أن يتفرج، من غير أن يكون له أي دور أو تأثير في مسار الأحداث.

والذاكرة ـ وفق هذا المفهوم ـ هي التاريخ في صورته المتحركة والمتفاعلة على أرض الواقع، والتي تختلف جذريًا عن المفهوم الجامد للتاريخ المثقل بالأسماء والسنين والأحداث التي تشبه جزرًا متباعدة لا ترابط بينها، والتي لا يؤدي حفظها واستظهارها إلا إلى مزيد من الجمود المعرفي والتبلد الفكري.

وقد تميز العرب في تاريخهم القديم بأنهم أمة مُؤرِّخة تحفل بأحداث التاريخ، وتمتلك ذاكرة قوية دلت عليها مآثرهم قبل أن يعرفوا التدوين؛ إذ تركوا تراثًا كبيرًا من الروايات التي وجدت طريقها إلى التدوين بعد معرفتهم الكتابة، فكان القصاص الذي يحفظ أيام العرب وأمجادها وحروبها، والراوية الذي يحفظ الشعر وينشره بين الناس، والنسابة العالم بأنساب القبائل وأصولها وسلالاتها ينزلون منزلة كبيرة في مجتمعهم. واضطرهم اللجوء إلى الحفظ والاستظهار ـ لعدم معرفتهم التدوين ـ إلى ضرورة تكثيف الفكرة والتعبير عنها بأقل قدر من الكلمات حتى يسهل حفظها وتداولها، مما كان له الأثر في فصاحتهم وقوة بيانهم، وقد أشار بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» إلى هذه الملكة التي تمتع بها العرب، بقوله «إن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت [أكثر] قدرة ـ لا تحد ـ على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث».

وأكد الإسلام أهمية الوعي التاريخي للأمة الإسلامية حتى تستطيع أن تؤدي الرسالة التي نيطت بحمل مسؤولية إبلاغها، ففصَّل لها القرآن الكريم أخبار الأمم السالفة للتفكر فيها وتدبرها، لتنطلق في ضوء استيعابها لتجارب الأولين إلى إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة التي شرفها الله سبحانه وتعالى بحملها، ومن ثم اهتم المسلمون بالتاريخ وتفسيره بوصفهم حملة رسالة عالمية.

وكان من نتيجة هذا الاهتمام بأخبار السابقين وإبقائها حية في الذاكرة أن برز مؤرخون من بين علماء المسلمين كان لهم الأثر الكبير في تطور علم التاريخ، ولعل ابن خلدون أحد هؤلاء العلماء الذين يدين لهم هذا العلم بفضل كبير، لما اتسمت به كتاباته من عمق وفهم لأبعاد حركة التاريخ وتأثيراتها، فهو القائل في مقدمته: «إن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليها الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، ... وفي باطنه نظر وتحقيق للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق».

ووفقًا لهذا المنظور، فإن التاريخ مصدر للحكمة، ومجال للممارسة الفكرية التي ترمي إلى استكشاف جوهر الأحداث، ولا تكتفي بظاهرها، كما أنه اختبار للقدرة على التفكير وتوظيف ملكات التحليل والاستقراء والاستنتاج بغية الوصول إلى الحقائق التي لاتشوبها الأوهام والأغراض، وينتج من ذلك كله ذاكرة حاوية للمعلومات ومفكرة في الوقت نفسه في أبعادها، ومدركة للعلاقات بين أجزائها، مما يتيح الأمة المالكة لها إمكانات هائلة في التجاوب مع مستجدات العصر، وتقلبات الأحوال من غير أن تنزلق إلى مهاوي التخبط والعشوائية.

والمتأمل في حال الأمة العربية اليوم يقف بوضوح على ما أصاب ذاكرتها من وهن وتخلف، حتى اختلطت عليها الأمور، وتداخلت صور الأحداث والأشخاص، وشاب رؤيتها للذات وللآخرين التناقض والغموض، ومن ثم باتت عاجزة عن تحديد أهدافها وغاياتها ووسائلها، وفاقدة للقدرة على المبادرة، مكتفية بردود الأفعال الانفعالية التي تقف عند الحدود الظاهرة للفعل، بمعنى أن ينصب الاهتمام على ما يطفو على السطح من أحداث ـ هذا إذا لم تقف موقف المتبلد ـ، مما يحول دون إدراك تلك الحوادث التي تعتمل تحت السطح، وتتسلل إلى الأعماق، لتصنع تاريخا قد يمتد أثره إلى أجيال قادمة، وبذلك أصبح الماضي في ذاكرتها الواهنة لايعدو وجوها ثابتة جامدة لا حياة فيها، وخطوطًا متقطعة لا صلة بينها، مما يهدد مرجعيتها القيمية لفقدانها الركائز التي تستند إليها في التمييز بين الأشياء وأنماط السلوك. وكان من الطبعي أن يضمحل الفكر ويضمر العقل فاقدًا كثيرًا من إمكانات قراءة الأحداث والوقائع واستخلاص نتائجها، لأنه لا يمكن تصور وجود عمق في الفكر وحيوية في نشاط العقل من غير ذاكرة حافظة نشطة تختزن ما يمر بها من أحداث، وتستفز العقل لفك رموزها وحل طلاسمها، وصولاً إلى الصورة الحقيقية لها.

والثابت أن التاريخ لايقوم إلا على الحقائق، وأن الذاكرة تفقد توهجها حين يفوتها تسجيل أحداث لها أثرها في توجيه حركة التاريخ ورسم مصائر الأمم، إلا أننا مع التسليم بهذه الحقيقة، نجد أن التاريخ العربي يفقد كثيرًا من حلقاته نتيجة للانتقائية التي يتم بها كتابته وإيصاله إلى الأجيال الصاعدة، حيث تُسقط أحداث وأشخاص عن عمد من الذاكرة في مرحلة من المراحل مع أنها تعود لتظهر على السطح مرة ثانية في مرحلة أخرى، كما قد تبدل الأحكام عليها باختلاف المراحل وتغير الظروف، حتى لتبدو ذاكرة العربي وكأنها لوحة الدرس التي يكتب عليها مدرس، فيظل ما كتبه حتى يأتي موعد الدرس التالي فيُمحى، وهكذا، لا يبقى على السبورة إلا ما ينتظر المحو.

ومن أوجه جمود الذاكرة العربية وضمورها الاعتقاد بأن التاريخ هو أمجاد الأمة وانتصاراتها، وأن من الأمانة أن تُمحى من الذاكرة كل انكساراتها وهزائمها، مع أن القرآن الكريم حين قص أحسن القصص، ونبأنا بأحوال الأمم الغابرة ركز على أسباب وهنها وزوالها، لتكون عظة ودرسًا نستفيد منه ونعتبر به.

وهذا التغييب للجوانب المعتمة من تاريخ الأمة يحول دون الإفادة من الأخطاء، وربما يوقع في تكرارها، فالتاريخ لا تكتمل دورته إلا باجتماع الجوانب المضيئة والمعتمة معًا، لأن ذلك يوضح الصورة بكل تفصيلاتها ويبرز الحقائق، ومن ثم تأتي الأحكام متسمة بالموضوعية، بحيث يمكن الاعتماد على النتائج في التجاوب مع الحاضر والتطلع نحو المستقبل.

ولم تنج المراحل الزاهرة في التاريخ الإسلامي بشخوصها وأحداثها من تغول الباحثين عن الأمجاد والساعين إلى إقناع الأمة بأفكارهم ومذاهبهم، إذ يتخذونها شاهدًا أمينًا على صدق ما يعتقدونه من مذاهب وآراء، قد تكون ـ في حقيقتها ـ واهية العلاقة بالفكر الإسلامي، إن لم تكن على النقيض منه تمامًا.

ومما لاشك فيه أن القرارات المصيرية للأمم تعتمد على ما تختزنه ذاكرتها من التجارب والخبرات والمعلومات حتى تأتي ملبية لتطلعاتها وطموحاتها، كما أنها تستعين بما في هذه الذاكرة من صنوف المعارف والأفكار لتكوين بنائها المعرفي، ولتحقيق الوحدة المعرفية التي تجعل رؤيتها تنبثق من مفاهيم وقيم محددة تتسم بالتناغم والانسجام والتكامل. ولذلك نرى أن وهن الذاكرة العربية ـ إن لم نقل عدمها ـ كان سببًا في تعثر الأمة واستمرار شتاتها حول كثير م

أمةٌ بلا ذاكرة

القضايا العربية التي كانت تقتضي قرارات واعية ومواقف موحدة وأنساقًا منظمة من الفعل والحركة، بما يمكّن من كسب التأييد لها، وإقناع العالم بها، ولاسيما أنها قضايا عادلة بأسانيد الواقع والتاريخ. ومما يؤسف له أن أسباب كل إخفاق تُردُّ في الغالب إلى عوامل خارجية، تُعد مشاجب جاهزة لتسويغ الإخفاق، ولتبرئة النفس والهروب من المسؤولية. ومع أنه يمكن القول بوجود هذه العوامل في بعض الأحيان، إلا أنه ليس من المعقول أن تكون السبب الوحيد في الأحايين كلها.

والأعجب أن تسكن في عتمة الذاكرة العربية مآس وأهوال تعرض لها الإنسان العربي في تاريخه المعاصر - لا أقول التاريخ القديم -، مع أنها مآس وأهوال لو تعرض لها أي شعب آخر يملك قوة الذاكرة وعنفوان العقل لجعل لكل منها نصبًا تذكاريًا لتظل حية في ضمير الأجيال بكل إيحاءاتها ودلالاتها. ويطفو على سطح ذاكرتي الآن - من هذه المآسي المروعة مذبحة دير ياسين، وحريق المسجد الأقصى، ومذبحة بحر البقر، واجتياح لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا، ومذبحة الحرم الإبراهيمي، ومذبحة قانا - التي لن تكون آخر المذابح -، إضافة إلى الاغتيالات والملاحقات، وما يتعرض له الشعب الفلسطيني من تشريد وتعذيب وتقتيل في كل يوم، ولست بحاجة إلى التذكير بالحروب الكبرى التي جرت على الأرض العربية دفاعًا عن الأرض والعرض، والتي خلفت ملايين الضحايا، ودمرت البنى التحتية لعدد من البلدان العربية.

وفي المقابل، نجد ما تحققه الصهيونية لنفسها من نجاح في بلوغ مآربها وأهدافها بتزييف الحقائق والتحايل على الضمير العالمي بشتى السبل والوسائل.

وقد كانت الدعاية المكثفة القائمة على أسس وطيدة من أهم أدوات الصهيونية لاختراق مراكز صنع القرار في الدول الكبرى، وكسب تعاطف الشعوب المختلفة، وكان أهم هذه الأسس وحدة المضمون الذي تحمله وسائل الدعاية المختلفة واختلاف الأسلوب بحيث يتلاءم مع المتلقين لرسالتها، مع استعدادها لشراء ذمم حملة الأقلام من الصحفيين والمفكرين، واستخدام الإرهاب الفكري مع المعارضين لأفكارها والفاضحين لأسرارها، وقبل ذلك كله، عمدت الصهيونية العالمية إلى أن توجد لليهود ذاكرة واحدة متسقة التكوين تعبر عن غايات مشتركة، لايختلفون حولها.

ويعتمد الخطاب الدعائي الصهيوني دائما على استثارة الأحاسيس والمشاعر واستدرار العطف أكثر من اعتماده على الحقائق ومخاطبة العقل، ويمثل ما أثارته الصهيونية حول غرف الغاز النازية من أكاذيب وافتراءات تجسيدا حيًا على نجاحها في مخاطبة العواطف الإنسانية، وترسيخ قضية اضطهاد اليهود في الأذهان حتى اقتنع بها الأصدقاء والأعداء على حد سواء. وهي لاتزال تستغل عقدة الذنب التي تولدت لدى العالم الغربي، باتهام كل من يعارض توجهاتها ويفند ادعاءاتها بمعاداة السامية.

وكان الممثل مارلون براندو أحد ضحاياها في الآونة الأخيرة؛ إذ تعرض لضغوط صهيونية شديدة، نتيجة لاتهامه اليهود بالسيطرة على صناعة السينما في هوليود، وتوجيهها لخدمة أغراضهم، وقد شاهدته على شاشة قناة CNN باكيًا مبديًا أسفه على ما بدر منه في حق اليهود. ولم يكن براندو أول الآسفين أو آخرهم، فقد سبقه الرئيس الكرواتي فرانيو توديما الذي اعتذر لمنظمة باي بريث الصهيونية الأمريكية عما أورده في كتابه «الواقع التاريخي لأراضي الخراب»، كما تعرض الأمين العام الأسبق لمنظمة الأمم المتحدة ورئيس النمسا كورت فالدهايم لمحاكمة تلفازية أمام قضاة من أمريكا وبريطانيا وكندا وألمانيا والسويد، لاتهامه بالمشاركة في تعذيب اليهود في معسكرات النازية، وبرغم إعلان براءته إلا أن الجماعات الصهيونية لاتزال تندد به، ولا يزال اسمه مقيدًا ضمن الممنوعين من دخول الولايات المتحدة الأمريكية؛ كما أن جماعة الضغط الصهيونية أجبرت الرئيس الروماني السابق شاوشيسكو على إعفاء اليهود من إجراءات الضغط الاقتصادي، والسماح لمن يريد منهم بالهجرة إلى إسرائيل، برغم الصرامة التي كان يتم بها منح تصريحات السفر إلى الخارج، وبرغم ما كان يكنه شاوشيسكو لليهود من كراهية.

وقد تعرض كل من شكك في حقيقة غرف الغاز النازية إلى أساليب شتى من الإرهاب الفكري، وكان الخوف من هذا الإرهاب سببًا في ظهور عشرات الكتب في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا من دون أسماء مؤلفيها عليها، مع أن أغلبها يتضمن تساؤلات واستفسارات مستندة إلى ظواهر تاريخية، من أجل بلوغ الحقيقة، من غير تجنٍ او مبالغة. وكانت «جمعية دراسة التاريخ» في لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا الأمريكية قد أعلنت عن تقديمها خمسين ألف دولار لأي شخص يثبت أن اليهود قُتلوا في غرف الغاز، فلم يتقدم أحد، ولكن اتهم اليهود رئيسها ويليس كارتو بمعاداة السامية. كما فُصل عدد من الأساتذة الفرنسيين الذين فندوا ادعاءات الصهيونية حول هذه القضية، ومنهم البروفسور رو أستاذ التاريخ الأوروبي في جامعة نانت، والبروفسور روبير فوريسون أستاذ التاريخ في جامعة ليون، كما طُرد الكاتب البريطاني ديفيد أرفينج من كندا استجابة لضغوط الجماعات الصهيونية. ولي هنا أن أتساءل: ترى إلام سيصير موقف جماعات حقوق الإنسان في الغرب لو قام بهذا العمل أحد غير اليهود؟

ولمزيد من تكثيف الشعور بعقدة الذنب لدى العالم الغربي، أُقيم نصب تذكاري لضحايا الهولوكست، يحرص الإسرائيليون أن يزوره أي رئيس أو مسؤول كبير. بل بلغت الجرأة بهم حدًا بعيدًا حين اعترضوا على إقامة بولندا سكنًا للراهبات بقرب سور معسكر أوشفيتس الذي يقال إنه أكبر معسكرات الاعتقال التي أقامها النازيون.

ويسجل اليهود كل حادثة تمر بهم، ويتسولون بها، بتسليط الأضواء عليها وتضخيمها، محاولين كسب التعاطف الدولي، ولإيجاد شعور زائف فيما بينهم بوحدة المصير والانتماء، وهم في الوقت نفسه يخشون تأثير الآخرين فيهم، لذلك ابتدعوا أعيادًا واحتفالات خاصة بهم، ترمي إلى زيادة تواصلهم مع تاريخهم، وتحقق ارتباط الأجيال الجديدة بهذا التاريخ، من غير أن يتأثروا بأعياد الآخرين وطقوسهم، ومن أجل ذلك حرصوا على أن تتزامن أعيادهم مع أعياد النصارى الذين هم أكثر اتصالاً بهم. فهناك عيد الحانوكه أو عيد التدشين أو الأنوار الذي يحتفل به في العشر الأواخر من ديسمبر كل عام إحياءً لذكرى طرد شمعون المكابي ويهودا المكابي لليونانيين، الذين كانوا قد انتصروا عليهم على يد قائدهم أنطيوخوس؛ وقد روعي أن يكون في المدة ذاتها التي يحتفل فيها النصارى بعيد الميلاد «الكريسماس»، كما أن احتفالهم بعبورهم مع سيدنا موسى عليه السلام البحر - وهو عيد الفصح - يصادف عيد القيامة، كما أن عيد إستير النبيَة - التي تحايلت على كسرى الفرس أرطاكسيرسيس حتى وقَّع على صك بقتل رئيس وزرائه وزوجته وأولاده العشرة وكل أعداء اليهود - يقام متزامنًا مع عيد الكرنفال النصراني، ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد أن يحمل الأطفال دمى على هيئة من يختارون من الذين يرونهم أعداء لهم فيحرقونها، إطفاءً لنار حقدهم عليهم، وهكذا يكبر الطفل وفي ذاكرته ذلك الحقد، لتمسك يده مدفعًا يطلقه، بدلاً من تلك الدمية التي كان يحرقها.

ومن آخر احتفالات اليهود، ذلك الاحتفال الذي يقيمونه حاليًا تحت شعار القدس 3000، والذي يستمر عامًا كاملاً، للادعاء بأن تواجدهم في القدس لم ينقطع منذ أن دخلها الملك داود منذ 3000 عام، وهم بهذا الاحتفال يحاولون أن يرسخوا في أذهان العالم مزاعمهم بالانتماء إلى فلسطين، انتماء يمتد في أعماق التاريخ، مع أن حكمهم لها لا يتجاوز 400 سنة على فترات متقطعة، في حين أنشأ العرب القدس وحكموها لأكثر من 4165 سنة (انظر كتيب القدس المرفق مع العدد 232 من المجلة).

ولايتوانى اليهود عن دراسة أحوال العرب وعلومهم وآدابهم، كما أخبرني أحد المتخصصين بالدراسات اليهودية، فإن لديهم مركزًا علميًا يعرف بمعمل الحضارات Civilization Laboratory، يهتم بدراسة حضارات الأمم وتحليلها؛ ويسعى لمعرفة الشعوب وحكوماتها وأنظمتها، وتياراتها وكل ما يتصل بها. وقد نشطت الدراسات المتعلقة بالأمة العربية كثيرًا، إذ يوجد الآن اهتمام كبير بدراسة الأدب العربي واللغة العربية وما يتصل بهما. بل يتعدى نشاطهم ذلك ليطول مراكز الدراسات العربية الإسلامية التابعة للجامعات الأوربية والأمريكية التي يوجهونها بما يخدم أهدافهم في تشويه صورة العرب والمسلمين وتاريخهم، وبما يؤكد ادعاءاتهم ومزاعمهم حول استمرار وجودهم في فلسطين عبر العصور.

ويتحدث الصهاينة بخبث عما أصاب الذاكرة العربية من وهن، واجترارها لأمجاد الماضي من غير عمل جدي لتغير الواقع، فهذا موشي دايان يقول: «يميل العرب إلى خداع أنفسهم وخداع غيرهم، وهم يقومون بذلك عن غير عمد، فهم يميلون دائما إلى التحدث عن أمجاد الأجداد، عن صلاح الدين، عن معارك حطين واليرموك، وبينما يفعلون ذلك، فإننا نبتسم لأنهم يرون أنفسهم في مرآة أمجاد الماضي، أما نحن فنراهم في مرآة الحاضر، ليتهم يسألون أنفسهم لماذا يتحدثون عن عظماء ماضيهم، ولا يجدون في حاضرهم أحدًا من العظماء يتحدثون عنه؟».

إن مجمل الرؤية للواقع العربي المعيش المستمدة من هذه الموازنة السريعة يوضح الحاجة الملحة إلى إنعاش وعي الإنسان العربي بجذوره التاريخية، وذلك في إطار خطة تربوية شاملة ذات أسس منهجية وعلمية يشارك فيها المثقفون والمفكرون والعلماء من التخصصات العلمية كافة بغية إعادة الثقة إلى الذات العربية، ودفع ما أصابها من تشوهات بفعل الدعايات المغرضة، ومن ثم تصفو ذاكرة الإنسان العربي من كل ما علق بها من شوائب، وتعود عاملة حافزة في عالم لا مكان فيه للمتائبين الذين يعتمدون في حياتهم على هامش اللاشعور، من غير أن يكونوا في حاجة إلى ذاكرة أو عقل.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



العدد 236 - السنة 20 - صفر 1417هـ - يونيو/ يوليو 1996م



نباتات تحذر من البراكين

البركان ظاهرة تثير الرعب في النفوس، ومع ذلك يتعايش معها الإنسان. وهو وإن كان لا يستطيع منع حدوثها؛ إلا أنه لا يتوقف عن محاولة ترويضها من طريق ابتكار وسائل التنبؤ بقرب وقوعها.
نجلاء حسن حامد أعدت موضوعًا مصورًا عن ظاهرة البراكين؛ عددت فيه فوائدها، والمخاطر التي تنجم عنها، كما سجلت أغرب البراكين، وأنشطها، وأكبرها، وأخطرها، وسلطت الضوء على دراسة العالم الفرنسي كلود ساستر للتنبؤ بقرب ثوران البركان من طريق مراقبة نباتات السفوح الجبلية.

طالع ص 83



القمر الصناعي.. كيف يعمل؟

يحتشد الفضاء الخارجي بأقمار صناعية، تتزايد باطراد، وتدور بمحاور مختلفة في أفلاك ومدارات محددة لها .
هذه الأقمار تقوم بمهمات متباينة، تبدأ من تسجيل التغيرات المناخية، إلى الاتصالات الهاتفية، والبث التلفازي، وحتى الأغراض التجسسية. ولكن كيف يعمل القمر الصناعي؟
م. سليمان القرطاس أجاب عن هذا السؤال بتسليط الضوء على نشاطات المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات)، والجيل الجديد من أقمارها. ومن خلال قراءة في مسيرة (عربسات) عرض نظام الاتصالات في الأقمار الصناعية عامة، وطاقة الإرسال حسب تطورها والاستخدامات التي صنعت من أجلها.

طالع ص 16



معالم الفجوة الغذائية في العالم

إن أقل ما توصف به الصورة التي يرسمها العلماء لمستقبل البشر على الأرض أنها قاتمة، وكئيبة، وخاصة فيما يتصل بمشكلات الغذاء، التي تتفاقم باستمرار، وتتخذ أبعادًا وصبغة سياسية. وتضع الأرقام والإحصاءات نقاطًا واضحة على حروف أزمة الغذاء التي يعاني منها العالم. فالتوقعات جميعها سلبية بالموازنة بين تنامي تعداد السكان (ثلاثة أطفال يولدون كل ثانية)، والانخفاض المهول في احتياطي الأراضي الصالحة للزراعة (هكتار واحد كل 14 ثانية)، والخلل الكبير في نسب استهلاك الغذاء (25٪ من سكان العالم يستهلكون 80٪ من الموارد الغذائية العالمية). هذه الإحصاءات وغيرها، مما يشكل معالم الفجوة الغذائية في العالم، حللها ياسر الفهد من خلال عرضه كتاب «نحن والعالم والغذاء» للمؤلفة الأمريكية نان انكلسباي.

طالع ص 97

أدب وفكر

استطلاع

تربية

مسرح

تراث وتاريخ

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

من كتاب العدد

د. ناصرالدين الأسد

من مواليد معان، الأردن 1923م.

- حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة 1955م.
- عمل وكيلاً للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية (1954- 1959م)، وعميدًا لكلية الآداب والتربية في الجامعة الليبية في بنغازي (1959- 1961م)، وأستاذا للغة العربية وعميدا لكلية الآداب بالجامعة الأردنية، ورئيسًا للجامعة (1962- 1968م)، ثم من (1978- 1980م)، كما كان مديرًا عامًا مساعدًا ومشرفًا على الشؤون الثقافية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة (1968- 1977م)، وسفيرًا للأردن في المملكة العربية السعودية (1977- 1978م)، ثم وزيرًا للتعليم العالي في الأردن (1985م - 1989م)، ورئيسًا لجامعة عمان الأهلية (1991- 1993م).
- يرأس حاليًا المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن، وهو عضو مجلس الأعيان بمجلس الأمة الأردني.
- حاصل على العديد من الأوسمة والشهادات والميداليات والجوائز، من أبرزها جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام 1402هـ.
- من مؤلفاته: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، مصحف الشروق المفسر الميسر (تحقيق)، ترجمة يقظة العرب لجورج أنطونيوس، تاريخ نجد لحسين بن غنام (تحقيق).

د. أحمد محمد كنعان

- من مواليد دمشق، سورية 1948م.
- إجازة في الطب، جامعة دمشق 1973م.
- يعمل منذ عام 1979م رئيسا لقسم الأمراض المعدية في المديرية العامة للشؤون الصحية بالمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ونادي المنطقة الشرقية الأدبي.
- له مقالات أدبية وقصص قصيرة وبحوث علمية منشورة في الصحف والمجلات العربية والأجنبية.
- من مؤلفاته: النشأة الأولى (بالاشتراك) 1977و 1979م، الألم 1986م، دفاع عن الإيدز 1989م، أمراض يمكن الوقاية منها 1989م، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق 1990م، الإنسان والأمراض المعدية (بالاشتراك) 1991م، العقلية الإسلامية بين إشكالات الماضي وتحديات المستقبل 1995م، وله عدة أعمال تحت الطبع.

أكرم جميل قُنْبُس



- إجازة في الأدب العربي، ودبلوم في التأهيل التربوي، جامعة دمشق.
- دَرَّسَ اللغة العربية في ثانويات دمشق، ويعمل حاليًا في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية، وعضو اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وعضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
- له مجموعة من الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية والنقدية المنشورة، منها: اللهب المجدول (شعر) 1988م، بدوي الجبل: شاعر العربية والعرب (دراسة) 1990، رحلة في عيون (شعر) 1991م، صلاة على روح امرأة (شعر) 1992م، إليك يا حبيبتي (شعر) 1993م. ومعجم الإملاء العربي 1994م.

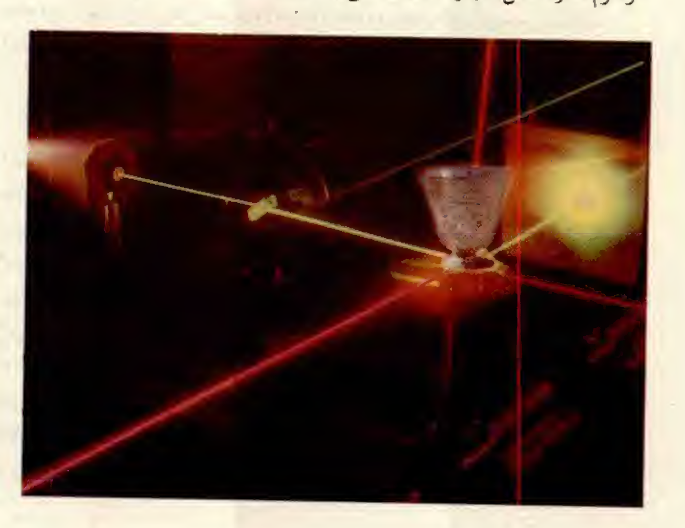


صيانة الآثار وتنظيفها بالليزر

الدول والشعوب الحريصة على تاريخها، تحرص على صون آثارها. ولما كانت الآثار، بحكم تعاقب السنين عليها، معرضة لعوامل كثيرة تهددها، فقد أصبحت الصيانة وتنظيف الأثر من العناصر المهمة لمكافحة عوامل الطبيعة، وخاصة أن دولاً عديدة تعتمد على الآثار - بتوظيفها سياحيًا - في تنمية مواردها المالية.

هناك ابتكار بريطاني يحقق، بكفاية عالية، حماية الأثر، مما جعل وحدة الترميم بالهيئة البريطانية للمتاحف تدرج الابتكار الذي طوره مارتن كوبر، في قائمة منح جوائز الترميم.

ما يميز الابتكار الجديد أنه «قاس على الأوساخ العالقة، لطيف مع الآثار»، فاستخدامه لا تترتب عليه مضاعفات تضر بالأثر أو المنحوتة التي يتم تنظيفها. وتقوم فكرة عمل جهاز التنظيف على إطلاق نبضات قصيرة من الأشعة تحت



الحمراء لا تستمر غير بضعة أجزاء من بليون جزء من الثانية، وتقوم النبضات بتسخين الأوساخ المتراكمة، وتعمل على إزالتها من طريق تبخيرها، أو تفكيك الروابط التي تصل القشور والأوساخ بالجسم. فباستخدام موجات الأشعة تحت الحمراء، تمتص قشرة الأوساخ 95٪ من طاقة الليزر، فلا يلحق الليزر الضرر بالحجر. أما أدوات الصنفرة، والكيماويات فتؤثر في الحجر أو الأثر أو المنحوتة أو تزيل أجزاء من أصلها.

ومن مميزات جهاز كوبر أن بإمكان مستخدمه التحكم فيه وتحديد المساحة المراد تنظيفها وترميمها بدقة. إضافة إلى أن هذا الأسلوب متنوع الاستخدامات: في الرخام، والمنحوتات الجيرية والسيراميك. وقد استُخدم بنجاح في تنظيف أحجار قصر ويستمنستر، ومتحفي فكتوريا وألبرت، وكاتدرائية لنكولن في بريطانيا.

قنابل غازية يشعلها الإهمال



ليس التفجير النووي التجريبي وحده الذي يجرى تحت الأرض. ذلك ما أكدته الأصوات التي شقت سكون الليل يوما في منطقة «كونون»، وهي واحدة من أكبر مراكز التسوق في العاصمة الهندية نيودلهي، واتضح أنها أصوات ناجمة من انفجارات حدثت تحت الأرض، نتيجة اندفاع غازات بقوة في فتحات بالوعة مياه الصرف الصحي.

كان الانفجار من القوة بحيث دفع بعض الذين أصيبوا إلى مسافة خمسة أمتار علوًا في الهواء، وأسفر الانفجار عن تصدعات في مبان إسمنتية، واشتعال حرائق داخل مجاري البالوعة.

يعود الانفجار - كما أعلنت اللجنة المكلفة التحقيق فيه - إلى تجمع غاز الميثان في نظام الصرف الصحي. وجاء في نتيجة التحقيق الصادرة من معمل فورنيسك المركزي أن نظام الصرف الصحي كان مسدودًا في بعض

التلفاز والعبث بالأخلاق



لماذا أصبح التلفاز بهذا التدني في مستوى برامجه؟ وما العمل حيال ذلك؟ سؤالان يرددهما المجتمع الأمريكي. فهناك حالة استياء بين قطاعات عديدة نتيجة للمستوى الذي انحدرت إليه برامج التلفاز، والإعلانات التي تعرض من خلالها.

ويرى كثيرون أن التلفاز أصبح لا يطاق نظرا لما يبثه من «كلمات قذرة وثقافة بشعة»، فهناك خلط بين، وربما مقصود، بين رسالة التلفاز، بوصفه وسيلة إعلامية تعمل على ترقية الأذواق وحماية القيم والأعراف، وإطلاق عبارة «الإعلام مرآة تعكس المجتمع».

ففي عدد شهر أبريل الماضي أوردت مجلة U.S. NEWS & WORLD REPORT، تقريرًا يعجّ بالكلمات السوقية التي تُستخدم في التلفاز الأمريكي. ويزعم بعض المسؤولين في المحطات أنهم «يعبّرون عن المجتمع ويسايرون الخط السائد». وهؤلاء يحاولون تسويغ ما يعرضونه من ثقافة تحتفي بالنزوات على حساب الالتزام، وبالشهرة، ولو كان نموذجها سيء السمعة، على حساب القوانين، وبالتعبيرات المثيرة والمقززة، على حساب الاحتشام والوقار. وفي تقرير آخر لمجلة ريدرز دايجست «عدد مايو/ أيار» جاء: «إن التلفاز يعرض البرامج المعادية للحياة الأسرية، والبرامج الجنسية المثيرة للغرائز الدنيا، وفي أفضل الحالات يعرض البرامج التي لا صفة أخلاقية لها». وحتى برامج الأطفال لم تسلم من هذا العبث بالقيم والأخلاق الفاضلة؛ ففي دراسة أجرتها مونيك وارد من جامعة كاليفورنيا حول (أفضل) البرامج المحببة للأطفال وُجد أن 29٪ من زمن بث تلك البرامج خُصّص للحديث عن الجنس!! وأما الإعلانات التجارية، فإن الشركات الكبرى المعلنة تفعل ما تريد للحصول على الربح العاجل، وجذب انتباه المشاهدين بإعلانات تستخدم فيها ألفاظ وعبارات ومواقف تمزق المعايير الاجتماعية المتعارف عليها، وتحث على تقويض الأعراف والقوانين. وفي الوقت الذي يقال فيه إن الشركات المعلنة تريد من الناس أن يلتزموا القانون، فإن الواقع العملي يؤكد أن تلك الشركات لا تتورع عن دفع الناس دفعًا لخرق القوانين إذا كان ذلك سيجلب لها المال.

العارفون ببواطن صناعة الأفلام وإعداد البرامج التلفازية يرون ـ حسب مجلة ريدرز دايجست ـ أن الأمور قد تغيرت.

يقول ليزلي مونفس رئيس القسم الترفيهي في محطة C.B.S: المهم الحصول على الكسب المادي بالتعرض لموضوعات الجنس. ويقول رئيس قسم آخر: إن أذواق الناس قد تغيرت، وإذا لم تعكس البرامج التلفازية ذلك النمط من العروض، فإن المُشاهد لن ينسجم معها. ويقول مسؤول كبير ثالث: إن الكلمات التي تستخدم من خلال الإعلانات التلفازية هذه الأيام لم يكن أحد يحلم باستخدامها قبل عشر سنوات. ويرى ذلك المسؤول أن الأسباب تكمن في أن المعلنين يسعون لجذب المشاهدين الذين تتراوح أعمارهم بين 18ـ 49 سنة، ويقوم مصممو الإعلانات بتهيئة العروض التي يرغب الناس في مشاهدتها.. حسب زعمه.

المسارب، مما أدى إلى احتباس الغاز، وتجمعه بكميات كبيرة. وأضافت لجنة التحقيق إلى أسباب الحادث احتمال تشكل غاز سريع الاشتعال من الميثان وبخار النفط الذي قد يكون تسرب إلى نظام الصرف الصحي من بعض المحطات، وقالت: إن إلقاء الأكياس البلاستيكية في المجاري زاد من انسداد نظام الصرف الصحي الضعيف الصيانة أصلاً، وأدى ذلك إلى تجمع الغاز وانطلاقه من عقاله محدثًا التفجير.

حقائق أم مشاهد تمثيلية؟

يقاس نجاح الخطط الاقتصادية بمدى تحقيقها أكثر المرامي المبتغاة بأقل قدر من التضحيات، ووفاء الدولة بتعهداتها تجاه القطاعات الاجتماعية، وتوفير احتياجاتها، ولاسيما الفرص الوظيفية التي تتيح للمواطنين حياة كريمة.

خلف هذه الموازنة بين الخطة الاقتصادية تنظيرًا وتطبيقًا تقف الواقعة التي شهدتها ـ مؤخرًا ـ مدينة «روساريو» ثالث أكبر مدن الأرجنتين، وتردد صداها حتى الآن. هذه الواقعة تمثلت في ما عرضه التلفاز الحكومي من مشاهد لمتعطلين عن العمل يقومون بتناول لحوم القطط، وخاصة مشهدهم وهم يسلخون جلد قطة هزيلة وينشرون أجزاء من لحمها على شواية استعداداً لتناولها. وقالت أم لسبعة أطفال لمراسلي التلفاز: إنهم يأكلون القطط والأنقليس والأفاعي. وقال أحد مواطني المدينة: الناس في بعض المناطق ليس لديهم ما يأكلونه على الإطلاق. ويقال إن الخطة الاقتصادية التي تتبعها الحكومة صارمة لدرجة أن 25٪ من العاملين أصبحوا عاطلين، وفقدوا وظائفهم بسبب سياسات السوق. ويصفون ذلك بأن الاستمرار في الخطة يعني التضحية بالفقراء. ولكن الحكومة ـ من جانبها ـ تنفي هذه الواقعة، كما تنفي أن في روساريو مجاعة. وقال عمدة المدينة: إن الواقعة مصطنعة، وإن مراسلي التلفاز دفعوا مئة دولار لأحد الأشخاص ليقوم بتمثيل المشهد. ولكن جهات أخرى في المجلس البلدي تؤكد الواقعة. ويقول جوسيفا فيلالبا ردت عضو المجلس: إن الواقعة حقيقية، لأنه ممن نبهوا المراسلين ليقوموا بتصوير المشاهد التي عرضت.



المعجون البروتيني: قطع غيار للعظام!

يُتوقع أن يشهد طب جراحة العظام نقلة نوعية مهمة، نتيجة تطوير معجون يتضمن المكونات نفسها التي تتشكل منها العظام، ويحتاج إلى عشر دقائق فقط ليجف بعد ضخه في العظم المكسور، ويصل أوج قوته، ليصبح معادلاً لصلابة العظم الطبيعي، خلال 12ساعة..

كما يعتقد أن هذا المعجون - الذي طوره فريق برئاسة برنت كونستانتز من مؤسسة نوريان بكاليفورنيا - سيقلل من عدد العمليات الجراحية التي تجرى للمصابين بالكسور، كما أنه يعجل بالشفاء. ويرى توم بروهويزن من المركز الطبي الأكاديمي في أمستردام بهولندا، الذي عالج عشرة مرضى بهذا الأسلوب الجراحي، أن هذا التطور يبشر بالخير. فميزة المعجون أنه منسجم حيويًا بالكامل؛ إذ إن الخلايا العظمية تنمو فيه بعد أن يجف ويصبح صلبًا، فلا حاجة - عندئذ - لزرع الخلايا الحية. ويلغي استخدام المعجون العمليات الثانوية المصاحبة للأساليب الأخرى، مثل: إزالة المسامير المعدنية التي تُثَبَّت بها الكسور، أو تعبئة الفراغات في الكسور بشظايا عظمية تؤخذ من أجزاء أخرى من الجسم. كما أن الترميم باستخدام المعجون البروتيني لايزول كما هو الحال مع اللصاقات الأخرى. وفي الحالات التي تتطلب استخدام صفائح معدنية، فإن المعجون يقلل من عدد تلك الصفائح، ويؤمن قاعدة قوية لتثبيتها.

معروف أن ثلثي وزن العظام مواد غير عضوية مثل الكالسيوم والفوسفات، والمعجون المعني يتكون من هذه المواد غير العضوية. أما المادة العضوية في العظام مثل الكولاجين، فإن الجسم يقوم ببنائها تلقائيًا خلال أسابيع من ضخ المعجون في العظم المكسور.

صرف الماء كأنه ماء!



للوهلة الأولى يبدو أن العبارة التي يحلو للناس وصف شخص شديد التبذير بها بأنه: «يصرف النقود كأنها ماء» قد أصابت المعنى؛ إذ إن علماء، وجهات دولية يعرفون حالة العالم اليوم، ومستقبله المنتظر في ضوء أزمة المياه التي تلقي ظلالها على نحو 40٪ من سكان المعمورة، يوجهون - ومعهم الأمم المتحدة - التحذير تلو التحذير من كارثة مائية محتملة، ليس في صورة فيضانات، ولكن في هيئة جفاف ماحق. ولما كانت التوقعات بهذه القتامة؛ فإن العلماء يرون أنه ينبغي التوقف فورًا عن «صرف الماء كأنه ماء».

وتشير الدراسات والإحصاءات إلى أن العالم يتجه، بسبب نقص المياه وقصور إمداداتها ومصادرها، نحو كارثة تبدو أمامها أية أزمة بترولية عرفها العالم مجرد حالة طارئة لا تُذكر، ذلك أن نحو 80 بلدًا وأربعين في المئة من سكان العالم بدؤوا يعانون وطأة نقص المياه، فيما برزت الخلافات حول اقتسام موارد الأنهار، والمياه الجوفية، إلى درجة التهديد بالحرب، ويكثر الحديث اليوم عن أن الحروب القادمة هي «حروب مياه»

ولكنْ للكارثة وجه آخر.. فبرغم توافر معطيات عدة يمكن تفسيرها، على نحو أو آخر، بأنها أسهمت في «الواقع المائي» الحالي، مثل: الارتفاع الحادث في درجة حرارة الأرض، وما يتبعه من تغيرات في نماذج التوزيع، تنعكس في صورة جفاف؛ فإن الخبراء المعنيين لا يرون أن الأزمة تتمثل في مشكلة نقص طبيعي أو في نزاع بين الدول، بل إن الأزمة - في رأيهم - ناشئة من خلل في الاستهلاك أكثر من قصور في الإمدادات؛ الأمر الذي يتطلب تغييرا شاملا في العادات الاستهلاكية، بدءًا بطرق الزراعة وأساليبها. فري المحاصيل يستهلك 90٪ من المياه المستخدمة في البلدان الفقيرة، ونصف هذه الكمية يضيع هدرًا، بسبب تخلف أساليب الري. كما أن هناك النتائج السلبية التي تترتب على «محاكاة المعايير غير الواقعية» للسياحة الدولية. فقد ورد في تقرير طريف من منظمة الأغذية والزراعة العالمية «فاو»، أن المياه اللازمة لإرواء هكتار واحد من الأرض المزروعة أرزًا تكفي لملء حمامات أحد الفنادق المصنفة في درجة أربعة نجوم، مدة خمسة وخمسين يومًا لذلك فإن شعار «لا تصرف الماء كأنه ماء» لا بد من تطبيقه في القريب العاجل.

هاواي..
الجزر الحالمة بين أحضان الطبيعة

محمد أحمد النهاري



عيون الماء المالحة الساخنة المنتشرة بالقرب من جزيرة كاهولوي

«الطبيعة البكر» لقب أُطلق على جزر هاواي نظرًا لتفردها بموقع غاية في الجمال في وسط المحيط الهادي. ولم يمنع هذا الموقع عشاقها من ركوب الأمواج العاتية للوصول إلى تلك الجزر الحالمة والفوز بساعات من التأمل والاسترخاء في أحضان الطبيعة الساحرة. لقد قُدِّر عدد زوار هاواي بأكثر من ثلاثة ملايين زائر سنويًا معظمهم من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان؛ إذ أثبتت الإحصاءات بأن 75٪ من اليابانيين الذين يذهبون إلى زيارة الولايات المتحدة الأمريكية يقومون بزيارة جزر هاواي. وعندما أصبحت هاواي (عام 1959م) الولاية الخمسين من الولايات المتحدة الأمريكية؛ بدأ الأمريكيون بالتوافد إليها من كالفورنيا من طريق البحر. ولنسيمها العليل المعطر برائحة الورد والزنابق الاستوائية أثره الكبير في جذب السياح إليها، وتحيط بالجزر سلسلة من الجبال المكسوة بأنواع مختلفة ونادرة من الأعشاب والحشائش، المزينة بكهوف ذات أشكال



جزيرة كاوي بشكلها الهلالي





الزراعة في هاواي من أهم الحرف

دائرية. فهي ـ بحق ـ منظومة من الجزر التي تشكل عقدًا جميلاً من اللآلئ المنثورة على صدر المحيط الهادي.

تبعد هاواي 2500 ميل عن سان فرانسيسكو. ويبلغ عدد جزرها 132جزيرة. وبعض تلك الجزر غير آهل بالسكان، وهناك ست جزر هي: زواهوا ـ ماوي ـ كاهولوي ـ كاوي ـ مولوكاي ـ هاواي، وهي الجزيرة الكبرى التي أطلق اسمها على المجموعة بأكملها.

وتوجد أيضًا جزيرتان صغيرتان هما نيهاو، وهي مملوكة لأسرة ثرية، والجزيرة الأخرى هي كاهولاو، وتتبع وزارة الدفاع الأمريكية لإجراء بعض البحوث العسكرية فيها.

وقد وصف الكاتب الكبير مارك توين جزر هاواي بأنها: « أجمل أسطول من الجزر يمكن أن يكون في أي محيط آخر». وللطبيعة البركانية لهذه الجزر الأثر الكبير في ازدهار الزراعة. كما أن هاواي تعد نشيطة اقتصاديًا مع الاهتمام الكبير بالزراعة والصناعة. وتُعدُّ جزر هاواي همزة وصل في وسط المحيط الهادي ومركز إشعاع ثقافي، كما أن لها أهميتها أيضًا بوصفها خط دفاع عن الولايات المتحدة الأمريكية من جهة المحيط الهادي، وهي أيضًا مركز مهم للباحثين في علم الفلك وعلم البحار وعلم الطبيعة وعلم الاتصالات الفضائية.

تاريخ هاواي

منذ 400 عام قبل الميلاد وصلت طلائع المستوطنين إلى جزر هاواي باستخدام القوارب الصغيرة. وخلال ثمانية قرون كانت هناك اتصالات وروابط بين المستوطنين وأجزاء أخرى من العالم مثل: بوليسنيا (*) وتاهيتي. وقد افتقر مستوطنو هاواي إلى لغة مكتوبة في بداية الأمر، لكنهم ـ في الوقت نفسه ـ كانوا يملكون ثقافة شفهية غنية بالأساطير والخرافات، إلا أنها لا تخلو من احتوائها تجارب واقعية من خلال حياتهم اليومية مثل اختلاطهم بعضهم ببعض وبالمخلوقات الأخرى المحيطة بهم. وقد اعتمدوا في بداية تكوين حضارتهم على الأخشاب والأحجار والأصداف والعظام لبناء مساكنهم ومراكبهم؛ وذلك لعدم توافر المواد الأساسية الأخرى كالحديد والإسمنت. وأعقب تلك



منظر جوي للعاصمة هونولولو

الحقبة تطور كبير وازدياد في عدد السكان. ففي عام 1853م أصبح عدد سكان هاواي 70036 من أهلها الأصليين، و 983 ممن أحَدُ والديه من السكان الأصليين، و 1687 من القوقاز القادمين من أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، و364 صيني، إضافة إلى خمسة فلبينيين.

الاكتشاف الأوربي

يُعدُّ البحار والمكتشف الأوربي الكابتن «جيمس كوك» أول من اكتشف جزر هاواي، حيث رسا بسفينته في جزيرة كاوي في 20 يناير 1778م. وفي السنة التالية قرر الكابتن كوك العودة إلى موطنه، ولكنه قُتل في أثناء مشاجرة مع بعض السكان الأصليين في جزيرة كيلا كيكواباي.



بعد ذلك الاكتشاف الذي قام به الكابتن كوك لجزر هاواي حدثت اتصالات متقطعة مع الغرب واستخدمت في ذلك التقنية العسكرية الأوربية التي كانت متقدمة وقتذاك.

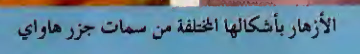
وفي عام 1792م حل أسطولٌ أمريكي ضخم لصيد الحيتان ضيفًا على جزر هاواي لقضاء الشتاء في تلك الجزر الجميلة، وتصادف - في الوقت نفسه - أنْ كان هناك عددٌ كبيرٌ من الزوار غير العاديين مثل العلماء والمكتشفين والتجار والمغامرين؛ الأمر الذي حدا بقائد ذلك الأسطول الأمريكي الكابتن «جورج فانكوفر» إلى تقديم الهدايا التذكارية لسكان الجزر، كانت عبارة عن عدد كبير من الدواجن والحيوانات الأخرى وكان يهدف من ذلك إلى التودد وكسب حب أهل الجزر. ومن جانب آخر قام

عدد من البريطانيين ببناء العديد من المدارس والمنازل والفنادق والمراكز التجارية، كما قدموا عددًا من المركبات العامة لنقل السكان من مكان إلى آخر. كل ذلك مقابل غزو تلك الجزر ثقافيًا ودينيًا. وعندما تم إعلان دستور البلاد في 8 أكتوبر 1840م، تلا ذلك اعتراف باستقلال الجزر من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا. لكن هذا كله لم يُحدَّ من الأطماع التوسعية لتلك الدول للسيطرة على الجزر. وكان ملوك هاواي يحاولون - جاهدين - حماية موروثهم الثقافي وتأمين سلامة شعبهم، ولكنْ وقع الأمر الذي لابد من وقوعه؛ وذلك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ حيث صدر قرار الكونجرس









الأزهار بأشكالها المختلفة من سمات جزر هاواي

الأمريكي في عام 1898م بضم جزر هاواي إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ومنذ ذلك التاريخ حتى عام 1940م شهدت جزر هاواي نموًا سكانيًا سريعًا، وقد اعتمد التطور الاقتصادي على إنتاج السكر ووجود كميات كبيرة من الأناناس التي يتم استهلاكها بشكل كبير في الولايات المتحدة الأمريكية الأخرى. وقد صاحب ذلك التطور الصناعي والسكاني تقدمٌ آخر في المجال العسكري والمواصلات.

في السابع من ديسمبر عام 1941م شن اليابانيون هجومهم الشهير على ميناء بيرل هاربور. فقبل عدة دقائق من بزوغ فجر ذلك اليوم، وبينما كانت أكثر من 90 سفينة حربية أمريكية راسية في القنوات والأحواض الجافة في ذلك الميناء، بدأ أسطول من الطائرات التي تحمل شارة الشمس الساطعة - الأسطول الياباني الإمبراطوري - على أجنحتها هجومًا على بيرل هاربور، وفي غضون ساعتين كانت هناك أكثر من 18 سفينة أمريكية ما بين محطمة وغارقة، الأمر الذي تسبب في مقتل 3000 رجل. وهو الهجوم الذي حدا بالولايات المتحدة الأمريكية إلى الدخول في أحداث الحرب العالمية الثانية؛ مما جعل هاواي تشهد في تلك المرحلة نشاطًا عسكريًا غير عادي بسبب ظروف الحرب.

هونولولو

تقع مدينة هونولولو وبيرل هاربور في جزيرة أوهوا التي تحتوي على 80٪ من إجمالي عدد سكان هاواي. وتعد هونولولو العاصمة، وسكانها خليط من سكان باقي الجزر؛ حيث يتواجد بها اليابانيون والأوربيون والفلبينيون والكوريون والصينيون وغيرهم. وهي تبعد عن سان فرانسيسكو 2397 ميل إلى الشرق، وعن مانيلا في الفلبين 2293 ميل إلى الغرب. وتتمتع هونولولو بالمناظر الطبيعية الخلابة والهدوء والهواء النقي، ويستمتع زائروها بمنظر غروب الشمس الفتان على المحيط الهادي وفوق تلال واياناي البعيدة. كما أن هونولولو تتميز بوجود شاطئ «ويكيكي» الذي يعدّ من أجمل الأماكن السياحية فيها؛ بل في هاواي بأكملها. ويبدو هذا الشاطئ كأنه لوحة لعالم مصغّر يتزاحم فيه مئات من السائحين اليابانيين والكنديين والأمريكيين والعرب وغيرهم. وقد حرصت جميع شركات الفنادق بالتواجد



تتميز جزيرة ماوي بجمال المنتجعات السياحية

الكبيرة من المطاعم المنتشرة في هونولولو لتناول طعام العشاء، إذ تتنافس معظم هذه المطاعم على تقديم الأطباق الشعبية المشهورة في هاواي. وذلك بأن تُعَدّ مأدبة في الهواء الطلق تقام عادة على الشاطئ، وتدعى «لواو» باللغة المحلية. والواقع أن المآدب الأصلية التي كان يقيمها أهل هاواي كانت تحتاج إلى كثير من الإعداد والعناية. والطبق الرئيسي فيها هو اللحم المشوي الذي يُطهى طوال اليوم في فرن تحت الأرض يُدعى «إيمو». وهذا الفرن عبارة عن حفرة هائلة مبطنة بخشب «الكياوي» وتسخن بوساطة أحجار بركانية تغطيها أوراق الـ «تي» لإيجاد نوع من البخار الذي يمنع اللحم من الاحتراق . ويوضع اللحم مع الحجارة البركانية في الفرن بالإضافة إلى أسماك «الماهيماهي» و«الأوباكاباكا» والقلقاس وأنواع أخرى من الخضروات.

وفي هاواي أيضًا يوجد قصر «أيولاني»، وهو القصر الملكي الوحيد في الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان في الماضي مقرًا لملوك هاواي وملكاتها، وقد تم ترميم أيولاني خلال ثماني سنوات وانتهى الترميم الذي تكلف ستة ملايين دولار أمريكي..

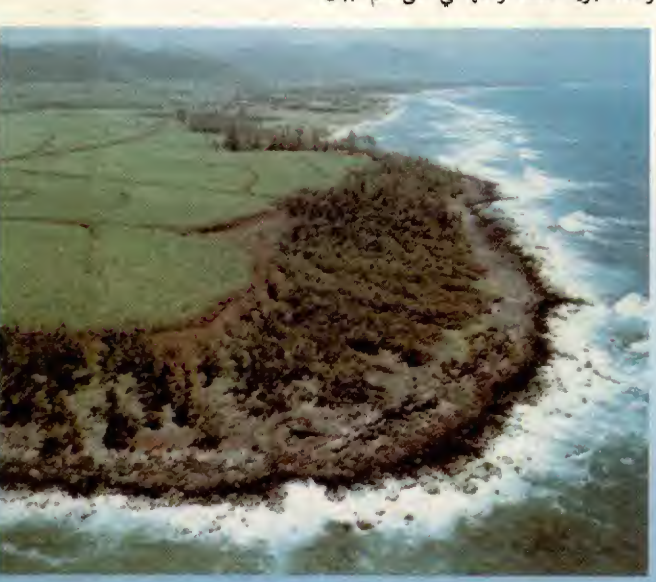


المراصد الجوية احتلت مواقعها في أعلى قمم الجبال

على هذا الشاطئ من خلال بناء فنادقها الضخمة الجميلة والتنافس في تقديم خدماتها للزوار والسائحين. ويعتقد بعض السائحين بأن هذا الشاطئ هو هاواي كلها؛ إلا أن «ويكيكي» ليس إلا جزءًا من هونولولو عاصمة جزيرة «أواهوا». وقد كانت تلك الجزيرة - التي يعني اسمها باللغة المحلية: مكان الاجتماع - مكانًا عامًا لاجتماع ملوك جزر هاواي وملكاتها. وفي عام 1893م أطاح الأمريكيون الذين يعيشون في تلك الجزر بالملكة الحاكمة آنذاك: «الملكة ليليو كالاني». وجدير بالذكر أن النظام الملكي سيطر طوال 85 عامًا على مملكة هاواي.

وفرة المراكز الثقافية

يوجد في هونولولو «مركز الشرق والغرب» الذي يعنى بالتبادل الثقافي والأكاديمي، ويشهد حركة دائبة من المثقفين. كما أن خليج «هنوما» يعد من الأماكن الجميلة المنتشرة في هونولولو، وهو عبارة عن شاطئ مظلل يشرف على سلسلة من الصخور القريبة من سطح الماء، بحيث يجد الغواصون بغيتهم في هذا المكان لممارسة هواياتهم المحببة في هذا الخليج. ومع قدوم المساء تبدأ الحيرة في اختيار مطعم من بين الأعداد



أشجار قصب السكر تحتل مساحة كبيرة في جزيرة كاو ي

المراجع :

1 - National Geographic Traveler July/August 1990.
2 - Insight Guides. Hawii.
3 - The New Encyclopedia Britannica. 15 TH Edition.
4 - Hawaii From The Air. By Bill Harris 1986.

(*) بولينسيا: جزر في المحيط الهادي شرقي أستراليا.

عربسات 2 المزايا والإمكانات

م. سليمان القرطاس

أُنشئت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية عربسات في عام 1976م لتلبية احتياجات الدول العربية في مجال الاتصالات والمعلومات والثقافة والتعليم، وتشارك في المؤسسة جميع البلدان العربية.

وفي عام 1981م تم التعاقد على تصنيع أقمار الجيل الأول لعربسات مع شركة أيروسباسيال الفرنسية، وتضمن العقد تصنيع ثلاثة أقمار صناعية، وكان أول عقد تفوز به شركة صناعة فضائية أوربية لتصنيع قمر صناعي لزبائن خارج أوربا.

وبدأت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية خدماتها بعد إطلاق قمرها الأول بوساطة صاروخ آريان الأوربي في 8 شباط/فبراير 1985م، وأطلقت قمرها الصناعي الثاني بوساطة مكوك الفضاء الأمريكي في 17حزيران/يونيو 1985م.

وبعد سبعة أعوام من ذلك التاريخ انتهى العمر الافتراضي للقمرين 1أ وعربسات 1ب، مما استدعى إطلاق القمر الصناعي الاحتياطي عربسات 1ج في 26 شباط/فبراير 1992م بوساطة الصاروخ الأوربي آريان، وشراء قمر صناعي مستعمل ونقله إلى مدار يغطي المنطقة العربية ليعمل باسم 1د حتى بدء عمل القمر الصناعي العربي الأول من الجيل الثاني.

وبعد منافسة شديدة بين شركتي هيوز الأمريكية وأيروسباسيال الفرنسية رافقها تخفيض متكرر بقيمة العطاءات من قبلهما فازت أيروسباسيال بعقد تصنيع الجيل الثاني من عربسات بقيمة 257,9 مليون دولار أمريكي.

وتضمن العقد تصنيع قمرين صناعيين وإطلاق الأول وتشغيله في المدار في منتصف عام 1996م وخزن الآخر لحين موعد إطلاقه.

وأشار المهندس سعد البدنه المدير العام للمؤسسة العربية للاتصالات الفضائية إلى «أن عربسات نجحت في تأجير معظم السعات المتوافرة في أول أقمار الجيل الثاني عربسات 2أ من خلال الدفع المقدم، ولاتزال الطلبات ترد من الدول العربية وشركات القطاع الخاص العربية والأجنبية لاستئجار القنوات المتبقية من القمر عربسات 1ج والقمر الصناعي عربسات 2 أ، وأن عربسات تدرس حاليًا جدوى تصنيع قمر صناعي ثالث من الجيل الثاني وبمواصفات أعلى».

الجيل الجديد من عربسات

مثلما هو سائد في جميع الأقمار الصناعية للاتصالات التي تحتاج إلى طاقة كهربائية تزيد على 1600وات، فإن القمرين الصناعيين من نوع عربسات 2 هما من نماذج الأقمار الصناعية المتزنة على المحاور الثلاثة، ويتألف كل منهما من جسم مركزي بشكل صندوق يحمل هوائيات الاتصال ويحتوي بداخله معدات الاتصالات والمعدات الأخرى المساندة.

وشركة أيروسباسيال الفرنسية، شأنها شأن جميع الشركات الكبيرة العاملة في مجال تصنيع الأقمار الصناعية للاتصالات، قد طورت نماذج من التصاميم الأساسية للأقمار الصناعية من أجل سرعة تصميم وتجميع الأقمار الصناعية التي تتعاقد على تصنيعها؛ فمثلاً لأيروسباسيال نموذج صغير وهو النموذج المعروف باسم SPACEBUS-1000، الذي صنع وفقًا لمواصفاته الأساسية ثلاثة أقمار من نوع عربسات -1، ونموذج آخر أصغر حجمًا من النموذج المستخدم في عربسات - 2 وهو النموذج المعروف باسم SPACE-BUS-2000 الذي صنع وفقًا لمواصفاته الأساسية ثمانية أقمار صناعية هي ستة أقمار صناعية من نوع يوتلسات - 2 وقمران من نوع تركسات، كما تعاقدت على تصنيع قمر صناعي واحد من هذا النموذج لحساب الأرجنتين باسم ناهويل.

أما عربسات - 2 فيعد أول الأقمار الصناعية التي تصنع وفقًا لنموذج أيروسباسيال الجديد SPACEBUS-3000، كما تعاقدت على تصنيع قمر صناعي واحد من هذا النموذج من نوع 3- THAICOM.

وتتشابه الأقمار الصناعية التي تصنع وفق نموذج واحد من ناحية التصميم الخارجي ونظام الدفع والأنظمة المساندة، وتتقارب في الوزن، لكنها تختلف من ناحية نوع معدات الاتصالات المستخدمة.

وتشارك أيروسباسيال في هذا الأسلوب العديد من الشركات الكبرى في هذا المجال مثل هيوز، لوكهيد مارتن، ماترا ماركوني، لورال سبيس سيستم التي لكل منها أكثر من نموذج يناسب الاحتياجات المختلفة للجهات المستفيدة.

تقسم محتويات الجسم المركزي للقمر الصناعي من نوع عربسات -2 إلى جزأين، العلوي: ويحتوي على معدات الاتصالات، والسفلي الذي يشغل الثلث الأسفل من التجويف الداخلي، والذي يحتوي على المعدات المساندة، كما أن هناك أسطوانة من الأعلى إلى الأسفل مصنوعة من ألياف الكربون تعمل على إسناد الهيكل وتحتوي في داخلها خزانات النظام الموحد للدفع والتحكم بالوضع.

هيكل الصندوق مصنوع من ألياف الكربون، ويكسب تصنيع الهيكل من هذه المواد خفةً في الوزن ومزايا عالية من

الاتزان والاستقرار الحراري.

ويتعرض وجود القمر الصناعي في بيئة الجاذبية الدقيقة على ارتفاع 36 ألف كيلو متر عن سطح الأرض إلى ظروف قاسية، ويمر بدورة من التغيرات في درجة الحرارة تتراوح بين درجات قريبة من الصفر المطلق (- 269 درجة مئوية) إلى قرابة 120درجة مئوية، فالجزء المعرض لأشعة الشمس يصبح ذا درجة حرارة عالية، بينما تكون درجة الحرارة في جانب الظل منخفضة مما يتطلب أن تكون المادة التي يصنع منها القمر الصناعي قليلة التمدد بالحرارة مع مرونة (ميكانيكية) عالية.

ومثل جميع الأقمار الصناعية للاتصالات يعتمد عربسات - 2 في توفير الطاقة اللازمة لعمل أجهزة الاتصالات ومعداته المساندة على جناحين كل منهما مكون من أربعة ألواح مكسوة بالخلايا الشمسية، كما يحمل القمر الصناعي نظامًا خاصًا للتحكم عن بعد.

حمولة الاتصالات

يتألف نظام الاتصالات في القمر الصناعي من جزأين هما:

أ ـ نظام إعادة الإشارة اللاسلكية

ب ـ نظام الهوائي وتوزيع الإشارة اللاسلكية

إن الوظيفة الرئيسية للقمر الصناعي للاتصالات هي استقبال الإشارات اللاسلكية المرسلة من المحطات الأرضية التي أصبحت ضعيفة نتيجة قطعها مسافة تزيد على 36 ألف كيلو متر ليتم تحويل التردد الحامل فيها إلى تردد آخر وتضخيمها ثم إعادة إرسالها إلى محطات أخرى.

ويمكن تشبيه معدات الاتصالات في الأقمار الصناعية بمعدات الاتصالات في محطات الإعادة اللاسلكية في شبكات الموجات السنتمترية (MICRO-WAVES) الأرضية عدا اختلاف واضح هو أن المسافة بين أبراج المايكروويف تكون بحدود 30- 40 كيلو مترًا نظرًا لعامل خط النظر الذي يعمل به في هذا المدى من الترددات اللاسلكية، بينما يغطي القمر الصناعي للاتصالات منطقة شاسعة نتيجة كون معظم هذه الأقمار على ارتفاع 35,850 كيلو متر عن سطح الأرض، ويسمى الاتصال من المحطة الأرضية إلى القمر الصناعي بالوصلة الصاعدة، والاتصال من القمر الصناعي إلى المحطات الأرضية بالوصلة الهابطة.

والمديان المستخدمان في عربسات 2 هُما:

1- المدى C الترددي، ويتراوح المدى المستخدم فيه ما بين 5,9 - 6,4 جيجاهرتز كمدى للوصلة الصاعدة، والمدى بين 3,7 - 4,2 جيجاهرتز للوصلة الهابطة.

ولغرض الاستخدام المتكرر للمدى الترددي هناك طريقتان: الأولى هي استخدام الحزم النقطية والأخرى هي استخدام نوعين من الاستقطاب.

ولاتستخدم الحزم النقطية في عربسات، بينما يستخدم نوعان من الاستقطاب في هذا المدى أحدهما استقطاب دائري يميني، والآخر دائري يساري.

وتتيح هذه العملية استخدام 22 متلقيًا مستجيبًا TRANSPONDER أو قناة فضائية منها 20 بعرض 36 ميجاهرتز و 2 بعرض 54 ميجاهرتز وبفاصل ترددي 5 ميجاهرتز بين قناة وأخرى.

طاقة الإرسال

اختلفت طاقة الإرسال فيما يتعلق بالأقمار الصناعية حسب تطورها ونوع الاستخدامات التي صنعت من أجلها. فقد كانت طاقة الإرسال للقنوات العاملة بهذا المدى في الجيل الأول من عربسات هي 8,5 وات لكل قناة فضائية. أما الجيل الجديد فهناك نوعان من القنوات الفضائية العاملة بمدى C هي:

1- 14 قناة متوسطة الطاقة بطاقة 15 واتًا لكل منها.

2 - 8 قنوات عالية الطاقة بطاقة 55 واتًا لكل منها.

وتم إعداد نظام معيدات الإشارة اللاسلكية ليحتوي عددًا من المضخمات الإضافية فمثلاً: هناك 20 مضخمًا مصنّعًا من أشباه الموصلات تعمل لخدمة 14قناة متوسطة الطاقة.

وهناك 12مضخمًا من نوع الصمامات الناقلة للموجة TWT لخدمة 8 قنوات عالية الطاقة.

2 - مدى Ku الترددي، ويتراوح المدى المستخدم فيه بين 13,75 - 14,00 جيجاهرتز كمدى للوصلة الصاعدة، والمدى 12,50- 12,75 جيجاهرتز للوصلة الهابطة. ولغرض الاستخدام المتكرر لهذا المدى استخدم الاستقطاب الخطي المتعامد، وتتيح معدات العزل للاستقطاب المتعامد الفصل بين الإشارات ذات التردد نفسه التي تم إرسالها باستقطاب متعامد.

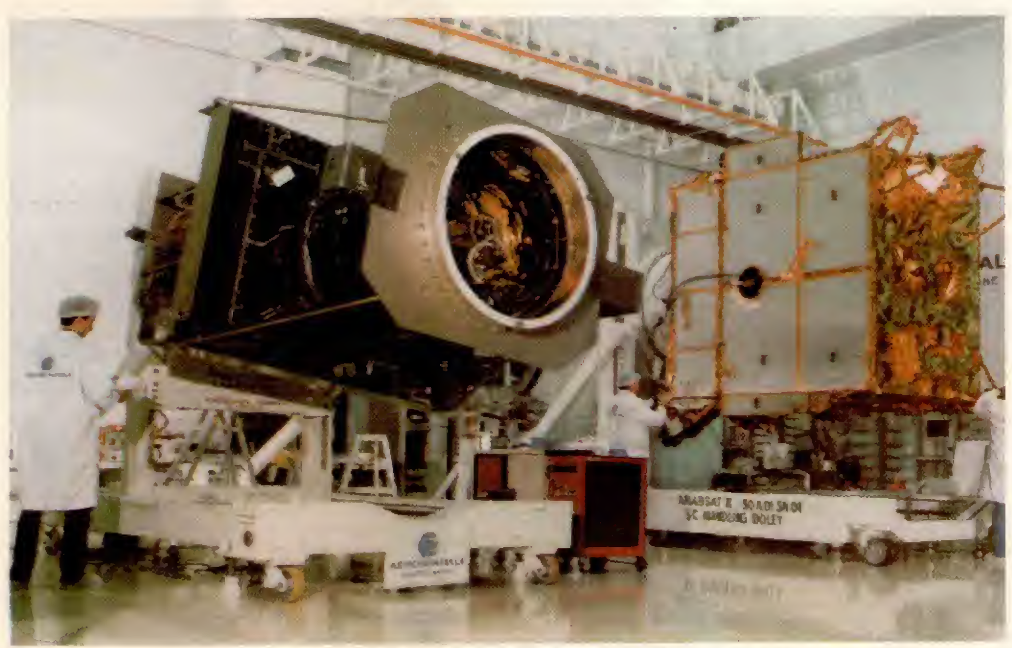
ويتيح هذا الأسلوب استخدام 12 متلقيًا مستجيبًا منها 8 بعرض حزمة 36 ميجاهرتز و 4 بعرض حزمة 30 ميجاهرتز.

الهوائيات

يحمل القمر الصناعي العربي من الجيل الجديد ثلاثة هوائيات للاتصالات وهي:

1 - الهوائي الكبير، وهو بشكل بيضي بقطر 2,1 × 2,2 متر ويعمل في الإرسال بمدى C الترددي، ويتم استقطاب النوعين من الإشارات من خلال بوق التغذية FEED HORN.

2 - الهوائي الصغير وهو دائري بقطر 0,6 متر ويستخدم لاستقبال



الجيل الثاني من الأقمار الصناعية عربسات 2 في غرفة الصيانة بشركة ايروسباسيال

الإشارات بمدى C الترددي.

3 – الهوائي الخاص بمدى Ku الترددي وهو بقطر 1,6متر، وهو ثنائي الشبكة للاستقطاب المتعامد، وإضافة لما سبق، فإنه يستخدم للإرسال والاستقبال معًا. وأثبت هذا النوع من الهوائيات النجاح من خلال استخدامه أول مرة في القمر الصناعي التركي تركسات.

نظام الطاقة الكهربائية

يقوم هذا النظام بتوليد الطاقة الكهربائية وتغيير الجهد وتوزيعه وتوفير دوائر الحماية والعزل، ويتألف من:

1– جناحين كل منهما مكون من أربعة ألواح مكسوة بالخلايا الشمسية تكون مطوية عند الإطلاق لكي يشغل القمر الصناعي أقل حجم ممكن في كبسولة صاروخ الإطلاق، وتحمل الأجنحة مجموعة من أجهزة الاستشعار مرتبطة بنظام يعمل على تدوير الأجنحة لتضمن تعامد أشعة الشمس عليها.

2 – مجموعتين من البطاريات كل مجموعة مكونة من بطاريتين، وكل بطارية مكونة من 27 خلية شحن من مادة النيكل هايدروجين الأكثر كفاءة من خلايا النيكل كاميوم الموجودة في عربسات 1.

3 – لوحة مجموعة إلكترونيات توزيع الطاقة إلى الأجزاء المختلفة للقمر الصناعي.

ويتيح استخدام هذا العدد من خلايا الشحن الكفيَّة توفير الطاقة الكاملة لعمل جميع قنوات القمر الصناعي خلال وقوعه في ظل الأرض.

ويذكر أن أقمار الجيل الأول من عربسات أو الأقمار الصناعية التي صنعت في الثمانينيات تعجز عن الإرسال جزئيًا أو كليًا عند وقوعها في ظل الأرض، وهو ما يحدث في زمن الربيع والخريف لمدة شهر، وكل يوم لمدة تتراوح بين دقائق وساعة.

عربسات 2 (المصدر AEROSPATIALE)

نظام التحكم بالوضع والدفع الموّحد

يتم إطلاق القمر الصناعي إلى مدار إهليلجي يكون فيه الأوج على ارتفاع 3600 كيلو متر، بينما يكون الحضيض فيه على ارتفاع مئات من الكيلو مترات عندما ينفصل عن كبسولة الصاروخ، ويحتاج إلى عدة أسابيع من المناورات المدارية للوصول إلى الموقع المطلوب في المدار المتزامن.

كما يتعرض القمر الصناعي وهو في الموقع المطلوب إلى عوامل كثيرة مثل تغير الفاعلية الشمسية وما يصحبها من تأثير الرياح الشمسية، وعدم انتظام مجال الجاذبية الأرضية وجاذبية القمر مما يؤدي إلى انحراف القمر الصناعي عن موقعه.

يستخدم في القمر الصناعي العربي الجديد نظام موّحد يستخدم في مراحل المناورات المدارية للانتقال من المدار الإهليلجي إلى المدار المتزامن، كما يستخدم في عملية التحكم بالمدار والتحكم الكبير في الوضع ويتألف من:

1 – محرك نفاث كبير لإجراء المناورات المدارية والتحكم بالمدار بقوة دفع 400 نيوتن.

2 – 14نافثًا صغيرًا بقوة 10 نيوتن موزعة على نواحي الجسم المركزي للتحكم الكبير بالوضع.

3 – خزانين أحدهما للوقود والآخر للعامل المؤكسد بسعة 760 لتر لكل منهما.

4 – خزانين للغاز المضغوط بسعة 51 لترًا لكل منهما.

نظام التحكم عن بعد ومعلومات الحالة

يحمل عربسات – 2 نظامًا لاستقبال أوامر التحكم من محطتي التحكم الأرضية، كما يرسل المعلومات عن أداء الأنظمة والأجهزة المختلفة المحولة في القمر الصناعي، ويمكن عمل هذا النظام من خلال هوائيين منفصلين، أو باستخدام الهوائيين العاملين بمدى C.

والنظام يحمل معدات تحكم إلكترونية، وبرامج لعملية شحن البطاريات والتحكم الحراري بصورة تلقائية.

النظام الفرعي للتحديد والتحكم بالوضع

إن نظام الدفع الموحد كما أشرنا سابقًا، مسؤول عن عملية التحكم بالوضع والمدار، إلا أن هناك وسائل أخرى يمكنها التحكم بالوضع والحفاظ على الاتزان ضمن حدود معينة من خلال نظام آخر يعتمد الاستفادة من المجال المغناطيسي للأرض أو مجال الجاذبية في تحقيق ذلك من خلال الجيروسكوب أو عجلات رد الفعل REACTION WHEELS.

أما عملية استشعار الوضع فتتم من خلال اثنين من مستشعرات الأشعة تحت الحمراء المنبعثة من الأرض لتحديد موقع الأرض وعدد من مستشعرات الشمس، كما يتم ضمان بقاء حزمة البث موجهة إلى المنطقة العربية من خلال استشعار إشارة لاسلكية للدلالة يتم إرسالها من محطة التحكم الرئيسية أو الثانوية.

المزايا الرئيسية

الكتلة عند الإطلاق: 2579 كيلو غرام.

كتلة الوقود الدافع: 1473 كيلو غرام

أبعاد الصندوق المركزي: 1,8× 2,3× 2,6 مترًا

اتساع الأجنحة الشمسية: 26,3 مترًا

الطاقة الكهربائية المولدة من الأجنحة الشمسية عند انتهاء العمر الافتراضي: أكثر من 5000 وات.

إمكانية الإطلاق: آريان 4، أريان 5، أطلس 2، بروتون، لونج مارش

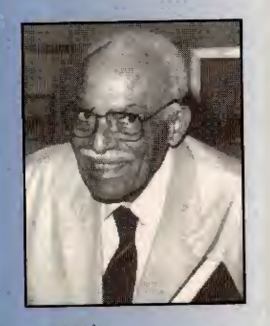
العمر الافتراضي (اعتمادًا على عمر الخلايا الشمسية): 12عامًا

العمر التصميمي (اعتمادًا على كمية الوقود الكافية لإجراء التحكم بالمدار): 16 عامًا.

المصادر

1 – نشرة معلومات بعنوان ARABSAT-II – صادرة عن AEROSPATIALE بتاريخ أكتوبر 1993م.
2 – نشرة معلومات بعنوان ARABSAT-II – صادرة عن AEROSPATIALE بتاريخ مايو 1995م.
3 – نشرة متخصصة بعنوان عرب سات المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية صادرة بتاريخ 1416هـ.
4 – كتاب بعنوان SATELLITE SYSTEMS COMMUNICATION بقلم G MARAL صادر عن جون وايلي.
5 – نشرة متخصصة ARABSAT-1 صادرة عن AEROSPATIALE غير مؤرخة.
6 – نشرة إعلامية بعنوان SATELLITE صادرة عن AEROSPATIALE بتاريخ مايو 1995م.

عنتريات يهودية مقدسة!



د. حسن ظاظا

تميل الأمم في بدايات تاريخها إلى الإغراق في المبالغة، خصوصا في وصف القوة البدنية للأسلاف الأوائل، وشدة بأسهم، فنراهم في غابر الزمان ذوي قامات عملاقة، وأجسام هائلة، وعضلات فولاذية، ثم تكشف الآثار والحفائر وبقايا جثث أولئك الأسلاف، أن كل هذا من عمل الخيال. ورفات إنسان نياندرتال، أو لاسكو، أو بكين، أو صحراء عَفَار (في الحبشة) يتراوح قدَمها بين عشرات الآلاف من السنين ومئات الآلاف. وهم مع ذلك - ذكورا وإناثا - لا يفوقوننا بسطة في الجسم، بل كان فيهم الضعفاء والمرضى والأقزام. وإذا كان الحديث الشريف المروي عن أبي هريرة - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى: وإذ قال ربك للملائكة - عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم، وطوله ستون ذراعًا، فنحن لا نشكّ في قول الصادق الأمين، ولا في رواية أبي هريرة أو نقل البخاري رضي الله عنهما، ولكن بين آدم وهذه الرفات والبقايا التي نعرفها ونراها ملايين من السنين، فهي بالنسبة لنا تمثل الأمس القريب في تاريخ البشر. وآدم هو سلف الناس جميعًا، ولا مصلحة لأحد في أن يفخر به على غيره، فيكون صدق الحديث الشريف غير مناقض لما عثر عليه العلماء من بقايا بينها وبين آدم ملايين من السنين، تنوعت فيها أشكال سلالته بين الأبيض والأسود والأحمر والأسمر والأصفر والخلاسي والهجين، والممشوق والبدين، والفارع والقزم، وصار نسله أمما يأكل بعضها بعضا! أو يتعاون بعضها مع بعض.

فالأساطير البطولية لا علاقة لها بأبينا آدم عليه السلام، لأنها تنبثق عن النعرات العنصرية، والعصبيات العشائرية والمفاخرات القومية، ،والمغامرات الشعبية، وكل هذا لا علاقة له بآدم وحواء.

خرافات تحولت إلى مسلمات إيمانية!

ومع ذلك فكل هذه المبالغات مقبولة منا بسرور وترحيب وابتسام، إذا وقفت عند احترام الأسلاف، والفخر بهم، وحتى تقديسهم. أما أن تسند هذه المزاعم - كما يدّعي الذين كتبوا التوراة بأيديهم - بأن أخبار البطولات - التي اخترعوها أو سرقوها من أمم أخرى - قد جاءت بوحي من الله تعالى، وبألفاظه وحروفه، منقوشة في ألواح من الحجر بأصبع الله؛ فهنا يجب أن نتوقف عن مسايرتهم، وإلاّ كان علينا أن نؤمن بأنهم - من البداية إلى النهاية وبلا استثناء - شعب الله المختار، والمرشحون لحكم العالم كله، والمتصرفون الوحيدون في مقادير البلاد والعباد، وما علينا إلا أن نخضع ونركع! وهيهات! لأن تلك الخرافات - وهي كثيرة في الفكر اليهودي - تبقى عندهم دائما من المسلّمات الاعتقادية الإيمانية الواجبة التصديق. ولأن بني إسرائيل كانوا على مدى تاريخهم قليلي العديد، مستضعفين في الأرض، ضاربين في مناكبها بلا وطن، ولا دولة (إلا في مدة حكم داود وسليمان التي تعادل في أعمار الأوطان والدول يوما أو بعض يوم في تاريخ الأمم). وكانوا دائمًا - وحتى الآن - من الشعوب الكثيرة المشكلات والأزمات، فقد تفشت فيهم (العنتريات) بشكل خطير، أكثر من الشاعر العربي الجاهلي البطل المغوار عنترة بن شدّاد العبسي، الذي كان مقاتلاً شجاعًا بلاريب، لكنه - بكل عنترياته - لم يزعم قط أنه سيهزم الفرس أو الروم أو الأحباش، وهم جميعا يبسطون سلطانهم على الجزيرة العربية ويعينون عليها من الأمراء والملوك في الأقاليم المختلفة من يطيع أوامرهم، ويمتثل لإراداتهم.

وإذا كانت التوراة قد أسرفت في تهويماتها الخيالية، فإن التلمود، وما نبع منه من حكايات وروايات في المدراش (التفسير) وفي الركام الثقيل من أدب الدروشة والتصوف (القبالة، والزوهر، والبهير، وقصص الجن والعفاريت، ومحاورات شيوخهم مع الملائكة)، قد تسرب الكثير منها إلى النصرانية - وبعض هذا التراث القصصي اليهودي مسروق من المجوسية أو الوثنية اليونانية والهندوسية وغيرها من أراضي الشتات التي تشرّد فيها اليهود -، ثم تسرب هذا إلى الإسلام على نحو أزعج علماءنا - جزاهم الله خيرًا - فضجوا بالشكوى من (الإسرائيليات) وحاولوا تطهير التراث الإسلامي منها، ولكن القارئ المسلم غير الناقد أو المدقق كانت تستهويه هذه المسامرات، ومادامت تدور على محاور من الملأ الأعلى، والأنبياء، والرسل، والجن، والشياطين، كان القارئ يقبل عليها ويظن أنها غذاء روحي دسم، وليت الذين لوّثوا بها جو الإسلام، فصلوا بينها وبين قصص القرآن الكريم نهائيًا، ولم ينزلقوا إلى ما كان يرويه أناس مثل السُدّي وكعب الأحبار وغيرهما من الرواة. وتفاقم الأمر عندما تخصصت بعض كتب تفسير القرآن الكريم في الإكثار من تلك الإسرائيليات مثل تفسير الخازن مثلاً، بل لم يسلم تفسير ابن كثير من ذلك مع أنه بذل جهدًا كبيرًا في تخليص تفسيره من الاسرائيليات حسب ما تعهد به في المقدمة. وظهرت كتب تتعمد أن (تتحف) المؤمنين بهذه المسامرات، يأتي في مقدمتها مثلا «كتاب

العرائس» أو «قصص الأنبياء» للثعلبي، وأكاد أقول إنه «تلمود المسلمين»، فضلاً عن أن الكثير من كتب «الأوائل» وكتب الوعظ، بل حتى كتب السيرة لم تنج من ذلك؛ لدرجة أن بعض قدماء الوعاظ المسلمين مر بأطلال (سدوم) التي خسفها الله على قوم لوط بعد أن سقطوا في هاوية الشذوذ الجنسي، فالتقط هذا الواعظ المسلم الصالح حجرا من سدوم ووضعه في كوّة جدار بدهليز داره للذكرى والموعظة، فأوى إلى الجدار أحد الفاسقين من اللوطية فتدحرج عليه الحجر وقتله! وهكذا نلمس (العنتريات) حتى في الحجر! ولا يظهر منها أثر في رواية التوراة عن هذا النبي المعاصر لإبراهيم - وكان من أقربائه -، ولكنه كان يبدو ضعيفًا مستسلمًا حتى زعم اليهود أن ابنتيه اتفقتا على أن تسكراه بالخمر، ثم تجذباه - وهو أبوهما - إلى الزنا بهما، وهي جريمة في شناعة اللواط بل أشد، كل هذا لأن لوطا لم يكن يقوم بدعوته في العبريين، (اليهود) بل في الأدوميين (الأردنيين) القدماء!.. أسباب عنصرية تعصبية عشائرية، تتسلل إلى سيرة نبي كريم تحت مظلة الوحي السماوي، وكلام الله.. بحروفه.

ويعقوب بن إسحق صورته التوراة نحيفًا ضعيفًا غير كامل النمو ولا وافر (العنترية)، ثم أرادت أن (تصحح) وضعه بعد ذلك فأبرزته وهو يصارع الله - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً - فلا ينهزم أمامه. فسماه (إسرائيل) - أي قوة الله! - ثم تؤكد التوراة ذلك عندما تمكن من قتل سكان مدينة (شكيم) - نابلس حاليا - عندما اعتدى ابن أميرها على عرض ابنته دينا بنت يعقوب.

وتواكب هذه العنتريات التاريخ الإسرائيلي منذ بدايته وإلى اليوم! فهم قد صنعوا القنبلة الذرية، وخزنوا منها في «ديمونة» بالقرب من «بير سبع» عددا معينا - بمساعدة الأمريكان - وهم لا يستطيعون استخدامها أو تجربتها في ديارنا إذ سيكونون أكثر منا احتراقا بنيرانها، لكنها لمجرد الإفزاع وإبراز العضلات، وقد أثبتت الوقائع أن أطفال الانتفاضة العربية الفلسطينية كانوا أقوى في وجه الصهيونية من قنابلها الذرية، وهم يصرون حتى الآن على عدم التوقيع على قرار الحظر الدولي.. لمجرد الإرهاب، وكأن «مخزن ديمونة النووي» قد أصبح هو أيضا جزءًا لا يتجزأ من عنتريات الصهيونية، التي لا يكمن وراءها إلا الخوف من وقفة صدق عربية في وجه العدوان، وهي آتية إن شاء الله، بالتفاهم أو بالقوة، وكان اليهود قديمًا وحديثًا يضربون موسى مثلا يجسّد هذه العنتريات، مما يذكرني بنكتة من عهد الخليفة هارون الرشيد. قال الراوي إنه اختلف مع وزيره الفارسي الأصل جعفر بن يحيى البرمكي على نوع من الحلوى «اللوزينج» المصنوع من اللوز والعسل وبعض العطور. وكان الوزير يحبه والخليفة لا يستطيبه، فقالا: نحكم بيننا واحدًا من البدو. فلما سألاه أجاب إنه لا يعرفه، ولا يجرؤ أن يحكم على ما لا يعرف. فأمر له الخليفة بشيء منه. فأكله بنهم ثم قال: والله يا أمير المؤمنين، لو أن موسى دخل على فرعون بهذا اللوزينج لآمن به، ولكنه دخل عليه بعصا!

دعوة للإيمان أم خلاف سياسي؟!

وقارئ التوراة يشعر أن الخلاف الموصوف بين موسى وفرعون لم يكن إلا نزاعًا سياسيا فقط، فموسى - حسب رواية التوراة - لم يحاول دعوة فرعون إلى توحيد الله، أو الإيمان به، أو اتباع شريعة هذا الرسول الكريم، وإنما كان يطالبه بأن يترك بني إسرائيل ليخرجوا معه من مصر، بلد العبودية والاضطهاد، وكان فرعون يرفض الاستجابة خوفًا من أن تخرج هذه الجماهير مع موسى فتنضم إلى أعداء مصر ويعودون إليها ليحكموها كما حكمها الهكسوس من قبل. فالجو القرآني غير واضح بالمرة في سيرة موسى في التوراة، وهي سيرة تم جمعها من روايات شفهية وأشرف على ذلك عُزير النبي (عزرا الكاتب، عند اليهود) بعد وفاة موسى عليه السلام بألف سنة! وحتى هذه الصحف التي سجلها عزرا كانت قد اندثرت، وما عدنا نسمع عنها إلا في أخبار في أسفار العُزير. وأقدم نصوص توراتية لم يعرفها الناس - حتى اليهود - إلا قبيل العصر المسيحي، أي بعد موسى بألف وخمسمئة عام تقريبًا. ونحن نعرف بالخبر الإلهي أن موسى ذهب إلى فرعون مصر مع أخيه هارون لهداية هذا الملك الجبار، ودعوته إلى ترك الشرك وما تورط فيه هو وقومه من ممارسة السحر والإيمان به والخضوع للسحرة والمشعوذين: *هل أتاك حديث موسى. إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طُوًى. اذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى. وأهديَكَ إلى ربك فتخشى. فأراه الآية الكبرى. فكذّب وعصى. ثم أدبر يسعى. فحشر فنادى. فقال أنا ربكم الأعلى. فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.* **النازعات: 15- 26.**

لم يكن أغلب الذين خرجوا من مصر مع موسى يؤمنون به رسولا بقدر إيمانهم بزعامته السياسية، وأنه سيهيئ لهم حياة ناعمة في بلاد طيبة تفيض أنهارا من لبن وعسل

وعلى ذلك فالمقارنة بين سيرة موسى - عليه السلام - في التوراة وسيرته في القرآن الكريم غير واردة، وإن اتفقا في بعض الجزئيات. وهناك كثير من علامات الاستفهام في سيرته في التوراة تبحث عن إجابة. فموسى ولد في أوج حملة فرعونية من اضطهاد اليهود، وولادته ماتزال تحيط بها أكداس الغموض. وتقول التوراة إن أخاه هارون أكبر منه بثلاث سنين، فكيف شبّ هارون وترعرع في وسط أهله بمصر آمنا مطمئنا، وعاش في مصر حتى ساقه ربه لمؤازرة موسى عندما بُعث؟ والتوراة تقول إن بعثته كانت وهو في الثمانينَ من عمره، وكان هارون في الثالثة والثمانين. وغادر موسى مصر وهو فتى مراهق بعد أن قتل أحد المصريين دفاعًا عن واحد من بني إسرائيل (الخروج 2:11وما بعدها) ثم هرب موسى من مصر إلى أرض مَدْين، بشمال الحجاز فعمل راعي غنم عند شعيب عليه السلام، ولم تذكر التوراة أنه نبي أو رسول بل قالت إنه (كاهن مدين)؛ لأن المتأخرين من رواة التوراة كانوا يعتقدون أن النبوة والرسالة، وقف على بني إسرائيل وحدهم! والتوراة تسمي شعيبًا «يثرو» وهو اسم يذكّر من قريب جدا بالاسم القديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم «يثرب». وورد لشعيب اسم آخر في التوراة هو «حُباب بن رعُوئيل» ونجده مرة واحدة فقط: وقال موسى لحُبَابْ بن رعوئيل المدْيني، حَمي موسى: إننا ذاهبون إلى المكان الذي قال الرب أعطيكم إيّاه، فتعال معنا نكرمك، فإن الرب قد وعد إسرائيل خيرا. فقال له: لا! وإنما أمضي إلى أرضي وعشيرتي (العدد 10: 29...).

وكان موسى عندما التجأ إلى شعيب في صباه قد تزوج ابنته واسمها صفورة؛ أي عصفورة وأنجب منها ابنين: جيرشوم واليعازر.

أما رسالة موسى فكانت قد بدأت وهو يرعى غنم حميه في سيناء، بمنطقة الطور وعند جبل تسميه التوراة «جبل الله حوريب»، وكان قد آنس نارا تتألق ليلا من شجرة، أو من شجيرة عُلّيق. وكان موسى كما قلنا في الثمانين من عمره. ولم يأمره الله - حسب نص التوراة - إلا بأن يطلب من فرعون: «والآن تعال أبعثك إلى فرعون، وأخرج شعبي، بني إسرائيل من مصر» (الخروج 3:11).

المهلكات العشر وعناد فرعون

وأخيرا، بعد مفاوضات بين موسى وربه، وبعد أ[illegible]

عنتريات يهودية مقدسة

أفاض عليه الله من روحه مقدرة على صنع المعجزات، وبعد أن ساق إليه أخاه هارون، انطلقا كلاهما، وكان الفرعون الحاكم قد مات وخلفه آخر أشد منه بأسا وأكثر قسوة على بني إسرائيل (الخروج 4 - 5 - 6). وإذا كان فرعون مصر يتقوى بالسحرة فقد كان موسى يهزمهم بما أوتي من معجزات، نعرف جميعاً أهمها، وهي العصا التي تنقلب حية تأكل كل ما يصنعونه من سحر، واليد البيضاء المضيئة. وكان أول من ألقى العصا أمام فرعون وسحرته هارون. وتوالت اللعنات العشر التي صبّها الله على مصر بيد موسى على النحو التالي:

1ـ الدم (الخروج 7: 19 - 25)؛ إذ صارت كل مياه النيل وفروعه وخلجانه ومستنقعاته دمًا. ومات السمك، وأنتن، وعُدِم الماء الضروري للشرب عند المصريين.

2ـ الضفادع (الخروج 8: 1ـ 15) التي أصبحت تغطي كل شيء في مصر، حتى أماكن النوم.

3ـ تحويل التراب إلى قُمَّل، حيث اعترف سحرة فرعون بأن إصبع الله كانت مع موسى (الخروج 8 - 16).

4ـ الحشرات والهوام، وكاد فرعون أن يترك لموسى حرية الخروج من مصر ببني إسرائيل، ولكنه عاد فقسا قلبه وعاند من جديد (الخروج 8: 20 - 32) ويظل إقليم «الجوشن» حيث يقيم بنو إسرائيل نظيفا.

5ـ هلاك الماشية (الخروج 9: 1 - 7).

6ـ قروح الجلد، والخراريج والثآليل، وموسى يهدد فرعون بهطل البَرَد، وينصحه بوضع الماشية في أماكن محمية. وأحد أتباع فرعون يخاف من رب إسرائيل ويمتثل نصيحة موسى (الخروج 9: 8 - 21).

7ـ البَرَد يسقط على جميع مصر، ما عدا إقليم «الجوشن» حيث يقيم بنو إسرائيل. وفرعون يعترف بخطئه، ولكن يعود إلى عناده بعد أن يتوقف البرد. وأعوان فرعون يتوسلون إليه أن يترك بني إسرائيل يرحلون من مصر (الخروج 9: 22 - 35 ، 10: 1ـ 11).

8ـ الجراد يأكل كل نبات الأرض، وفرعون يعترف مرة أخرى بظلمه (الخروج 10:12ـ 30).

9ـ الظلام يخيم على مصر كلها ثلاثة أيام. وفرعون يوافق على خروج بني إسرائيل من مصر. وينسحب موسى، ويرفض مقابلة فرعون من جديد. والرب يوعز إلى بني إسرائيل باستعارة بعض الحليّ والأواني الثمينة من المصريين بنية الهروب بها!؟ وحساب التقويم اليهودي، وتقرير تاريخ عيد الربيع (الفصح) الذي كان عادة فصل الأوبئة والحميات والطواعين في الشرق الأوسط (الخروج 11، 12).

10ـ موت أوائل المواليد من الأطفال الذكور (الخروج 12: 29، 30).

بعد هذه اللعنات العشر على فرعون وقومه، يبدو أنهم كانت قد بقيت فيهم بقية من قوة لمطاردة بني إسرائيل وهم راحلون من الأقاليم الشرقية للدلتا نحو مناطق البحر الأحمر وسيناء، إذ تحركو من مكان إقامتهم الذي يسمّى (رعمسيس)، وكان عدد الرجال القادرين على حمل السلاح ستمئة ألف رجل، غير النساء والأطفال. ويكاد الإجماع ينعقد بين الباحثين على أمرين:

1ـ أن هذا العدد مبالغ فيه جدا، بعد أن قالت التوراة نفسها: وكانت جملة النفوس الخارجة من صلب يعقوب، سبعين نفسًا، وأما يوسف فكان في مصر (الخروج 5:1)، وبين يعقوب وموسى نحو ثلاثة قرون من الزمان فقط، فهل يعقل أن تصل نسبة التكاثر إلى زهاء عشرة آلاف ضعف في تلك الفترة؟

2ـ إذا كان هذا قريبًا من الصحة فمعنى هذا أن مخاوف فرعون من حركة موسى كانت معقولة، وأنه بجاذبيته الرئاسية استطاع أن يجمع حوله (كل المعذبين في أرض مصر): فمن أسرى حروب وقعوا في العبودية لأن أحدا لم يدفع عنهم الفدية، إلى أعداد من عبيد الهكسوس القدماء بقوا في مصر مكروهين أذلاء بعد تحرير البلاد من احتلالهم الذي ظلت فيه أبواب مصر مفتوحة لـلقاصدين من بوادي الشرق الأدنى، وربما كان منهم يوسف والقافلة العربية التي باعته في مصر، ثم لحق به أبوه يعقوب وبقية آل يعقوب بسبب المجاعة التي اجتاحت هذه المنطقة من العالم. ومهما يكن من شيء فقد كان جمهور موسى يضم أخلاطًا من الناس، فيهم المقربون إليه وفيهم الأجانب، ونشعر بذلك وموسى يحتفل بعيد الربيع (الفصح) قبل أن يعبر بجماعته البحر؛ إذ تقول التوراة: هذا رسم الفصح: كل (أجنبي) لا يأكل منه.. وكل عبد مشترى بنقود فاختنه، ثم يأكل منه، والضعيف والأجير لا يأكلان منه (الخروج 12: 43 - 45).

ونشعر دائمًا أن ضعف بني إسرائيل، وخوفهم من الموت، قد غرس في نفوسهم ضراوة الخائف، ووحشية المذعور. قال كاتب التوراة وهو يصف طقوس أول (فصح) وكيف يشترون ذبيحة الفصح حيّة من كبش أو حمل أو جديْ: «ويكون عندكم محفوظًا إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر؛ فيذبحه كل جمهور إسرائيل بين الغُروبَيْن (أي المغرب والعشاء) ويأخذون من دمه ويجعلون على قائمتي الباب وأعلاه، على البيوت التي يأكلونه فيها» (الخروج 12: 6 ، 7)، ثم يقول (الربّ): وأنا أجتاز في أرض مصر تلك الليلة وأقتل كل بِكْر في أرض مصر، من الناس والبهائم، وبجميع آلهة المصريين أسوق أقدارًا، أنا الربّ! فيكون الدم لكم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا تحلّ بكم ضربة هلاك! إذا ضربت أرض مصر. (خروج 12: 12، 13). فهذه أول تفرقة عنصرية في حفلات الأعياد، وفي القتل أيضا، لم ينزلها الله العادل الحكيم الرحيم على موسى، ولكن تخيلها رواة التوراة الموتورون بعد أن أضاعوا الملك، وأضاعوا البلاد، والكرامة والدين.. وحتى التوراة.

بدء الشغب على نبي الله موسى

وهؤلاء الخارجون مع موسى يبدو بوضوح أن الأغلبية الساحقة منهم لم تكن تؤمن بموسى رسول الله بقدر إيمانها بزعامته السياسية وأنه سينقذهم من الضنك، ويمهد لهم حياة ناعمة في بلاد طيبة تفيض لبنا وعسلاً. لذلك بدأت انتفاضاتهم ضد موسى وهم بعد يسيرون في أرض مصر، لم يعبروا البحر. وقد عددت من انتفاضاتهم هذه عشرا يبدو في العاشرة منها أنهم فتكوا بموسى ولم يدفنوه في قبر معروف.

فهذه الحركة الأولى من التمرد بدأت على إثر خطبة وجهها موسى إلى الناس قائلاً على لسان الربّ إله إسرائيل: «أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحق ويعقوب إلهًا قادرًا على كل شيء، وأمّا اسمي (يَهْوَهْ) فلم أعلنه لهم، وأقمت معهم عهدي على أن أعطيهم أرض كنعان، أرض غربتهم التي نزلوا بها. وأيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين استعبدهم المصريون، فذكرت عهدي. لذلك، قل لبني إسرائيل: أنا الرب! لأخْرجنكُم من تحت أعباء المصريين مُخلصًا لكم من عبوديتهم.، وأفتديكم بذراع ممدودة وأحكام عظيمة، وأتخذكم لي شعبا، وأكون لكم إلهًا فتعلموا أنني أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من تحت أثقال المصريين. وسأدخلكم الأرض التي رفعت يدى قسَمًا أن أعطيها إبراهيم وإسحق ويعقوب، فأعطيكم إياها ميراثًا. أنا الرب! فكلم موسى بذلك بني إسرائيل فلم يسمعوا لموسى لضيق صدورهم، وشقاء عبوديتهم (الخروج 6: 2 - 9). كل هذا وكانت المفاوضات مع فرعون تخطو متعثرة، وترتطم برفض عنيد من فرعون، وعدم ثقته بالنوايا السياسية لموسى وهارون، وهذا المدّ البشري المتلاطم الأمواج، من بني اسرائيل ومن معهم من الأجناس الأخرى. وكان على موسى أن يقوم بعمل جليل حتى يهدأ أولئك المترددون. وكانت معرفته بالأرض التي يتجه إليها شرقيّ مصر دقيقة وتامة، ولكنه يعلم أن المصريين أيضا يعلمون ذلك تمام

العلم، وأن عـدتهم وعتـادهم قـد تستطيع أن تفـاجئ موسى وقـومه في أي وقت. والحلّ الوحيد هو تجنب الأرض اليابسـة والاتجـاه جنوبا نحـو شمـال البـحـر الأحمر: «فأدار الله الشعب في طريق بريّة بحر القلزم (البحر الأحمر)، وخرج بنو إسرائيـل من أرض مصر متجهزين. وأخذ موسى رُفات يوسف معه، لأنه كان قد استحلف بني إسـرائيل قائلاً: إن الله سينقذكم، فـأخـرجـوا عظامي مـعكم من هنا. ثـم ارتحلوا من (سُكُوت) فوصلوا (إيتام) في طرف الصحراء. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عـمود من غمام ليهديهم الطريق، وليـلاً في عـمـود من نار ليـضيء لهم حتى يسـيروا ليل نهـار، لم يبـرح عمـود الغـمام بالنهـار، وعـمود النار بالليل من أمـام الشعب» (الخـروج 13: 18 ـ 22)، ولما علم فـرعون بتـحرك مـوسى طاردته قوة من المصريين محمولة في ستمئـة عربة منتقاة، ومعهـا استعداد عظيم. وكاد التمرد على موسى يبدأ من جديد، عندما رأى أتباع موسى طلائع المصريين تلوح في أفق الصحراء فصاحوا في وجهه: «أمِنْ عَدْمِ القبور في مصر أخرجتنا لنموت في الصحراء؟ أي أمر صنعت بـنا فـأخـرجـتنا مـن مـصـر؟!» (الخـروج: 14:11). وكان لا بد لموسى من كـلام موجز وبليغ يشجـعهم به، وهم على حافـة اليأس. «وانتقل عـمود الغـمـام من أمامـهم واقفًا وراءهم، ودخل بـين عسكر المصـريين وعـسكر إسـرائيـل، فكان من هنا غـمـامـًا مظلمـًا، وكان من هناك ينير الليل فلم يقـترب أحـد الفريقين من الآخر طوال اللـيل. ومد موسى يده على البحر، فأرسل الربّ ريحًا شرقـية شديدة على البـحر طوال الليل، حتى جفف البـحر بانشقاق الماء، ودخل بنو إسـرائيل في وسط البـحـر على اليبس، والماء لهم سـور عن يمينهم وعن شـمالهـم، فتبعـهم المصـريون ودخلوا وراءهم، جـمـيـع خـيل فـرعـون وعـرباته وفرسـانه، إلى وسط البحـر. وحدث في هزيع الفـجر أن الرب اطّلع على عسكر المصريين من عمود الغمام، وأقلق عـسكر المصـريين، وخَلَعَ عَـجَل العـربات. فساقوها بمشقـة، وقال المصريون: نهرب من إسرائيل، لأنّ الربّ يقاتـل عنهم المصريين! فقـال الرب لموسى: مُدّ يدك على البحر فيرتد الماء على المصريين وعرباتهم وفرسانهم، فـمدّ موسى يده على البحر، فـارتدّ البحر عند انبـثـاق الفـجـر إلى مـا كـان عليـه، والمصـريون يرتدّون عنه، فأغرق الرب المصـريين في وسط البحر، وعادت المياه فغطـت جميع جيش فرعـون الزاحف وراءها بالعربات والفرسان، ولم يبق منهم أحد، وسار بنو إسـرائيل على اليبس في وسط البـحـر، والماء لهم سور عن يمينهم وعن شمـالهم. فخلّص الرب إسرائيل في ذلك اليـوم من أيدي المصـريين. ورأى إسـرائيل المصـريين أمواتًا على شـاطئ البـحر!! (الخـروج 14: 19 ـ 30). وعلى أسلوب العنتريات الشعبية القديمة تنتـهي هذه المرحلة الحـاسـمـة في تاريخ العـصـبـيـة اليهودية بقصيـدة طويلة تتوهج حماسة وبطولة وإيمانًا بالرب والشـعب، وشمـاتة بالمصريين. وشـاركت في هذا الاحتفال مـريم أخت موسى وهارون، ومن كان معها من النساء، يرددن شعر النصر والفرح على أنغام الدفّ والغناء والرقص. وأنتهز هذه الفرصة لانبّه على أن سـياق القـصة في القـرآن الكريم هو الخبـر الرباني الواجب التـصديق، أمّـا هذه (المعجـزات) التي يغص بها الأدب الديني اليهودي في التـوراة وكتب الأنبياء ونصـوص تراث الحـكمـة، ثم التلمـود، وتهـويمات المتصوفين اليهود في كتبهم: القبالة، والزوهر، والبهير (معناهـا على الترتيب: الطريق الصـوفيـة، والإشراق، والتألّق)؛ فنحن نرجع إليها لأنهـا دخلت في النسيج العقائدي والاجتماعي والأخلاقي لليهود، بحيث من الصـعب جـدا على غـير الـيهـودي أن يعـرف هؤلاء الناس معـرفة دقـيقة عـمـيقة تحول دون الـعداوة لهم القـائمة على الفـزع منهم والجـهل بهم، فهـذا النهج يبدو فـيه أمـان كثـير من الوقـوع في العداوة المجـانية لليـهـود جميعـا (اللاسامـيـة)، ولعله يفتح أمام اليـهـود أنفسـهم طريقًا للتـخلص من عقـدة الخوف من غـير اليهود؛ بحيث تتأصل نيتهم في المعيشة في دنيا الناس بسلام. فموقف القارئ لهـذه السير الطويلة وتفاصيل الخـوارق والمعجـزات التي تـتـعاقـب فـيـهـا كـجـبـات المسبـحة أمر يدعو إلى الابتـسام. كان جزء كـبـير من الفكر الإنسـاني كلّه يقوم على أن كل مـا في الكون المحيط بنا معـجزة دائـمة ومـتـجـددة، ووجه القـرآن الدعوة إلى الـناس جميعا ليـتدبروا خلق الـسماوات والأرض، وتعـاقـب الليـل والنهـــار، وتوالد الـناس والحيوانات وسـائر الكائنات الحيـة. والله سبـحانه وتعالى لا يختار شعبا يتعصب له سياسيا واجـتماعيا في الحق والباطل ـ تعالى عن ذلك علوا كـبيرا ـ، وفي هذه الحكايات يشـعـر القارئ المحـايد أنهـا في طريق انتـقـالهـا إلينا ـ وهو طـريق طويل جـدا، يغطي آلافـا مـؤلفة من السنين ـ قـد اعـتراها الكثـير من زخـارف المبالغة، وتهاويل المسامرات الشـعبية، حتى إننا لو آمنا بالتوراة بنصها لكان علينا أن نحني رؤوسنا خضوعًا وإجـلالاً للـيهـود، فتحـقق لهم حلمـا مـازال يداعب خيالـهم منذ فجر تاريخهم بما فـيه من وقائع صغيرة تضخـمت مع الزمن وكدنـا أن نلغي الأسوار المنيـعة التي تحمي الفكر الإسـلامي والمسيحي وغيـرهما من أفكار الناس من هذا التسـرب الإسرائيلي بكل آثاره وانعكاسـاته الخطيـرة على الفكر الإنسـاني، وأخيـرا على السلام.

الثورات العشر على موسى

فقـد تبين لنا أن موسى الذي في التـوراة لم يخطر بـاله قـط أن يدعـو فـرعـون إلى ترك الـكفـر والإيمان بوحدانية الـله تعالى، والتزام العدل والإحسان. كل ما طلبـه منه أن (يأذن) لـه ولمن مـعـه ـ الذين نسـمـيـهم استـسـهالاً (بـني إسرائيل) ـ بالهـجـرة إلى فلسطين، وفلسطين كـانت على مـدى الألف الثـالث والثـاني ـ وهي الفترة التي ظهر مـوسى في أواخرها ـ أرضا واقعة تحت النفوذ الفرعوني، وكان الفراعنة المعاصرون لموسى قد ضاقوا ذرعا بالمشكلات العسكرية التي تهددهم من هذه الجبهـة الشرقية؛ فـحاربوا الحيثـيين، وتنازعوا على النفـوذ مع الدولة البـابلية القـديمة في العـراق، وبسطوا سلطـانهم علـى الأجـزاء المأهـولة من السـودان، ثم خضعت مصر في أواخـر أيام الدولة الفرعونية الوسطى للهكسـوس، وتكونـت من أولئك الحكام الرعـاة أسـر حـاكمـة في مـصر بين الأسـرة السـادسـة والعاشـرة، فمجيء رجـل أصوله المصرية الصمـيمة غيـر واضحة، يدعو إلى دين جـديد بكتاب جـديد، ويحرّم السـحر، ويجـعل عـقـوبتـه القـتل، ويرفض الشـرك الفـرعـوني بأصنامه وكهنته وطقـوسه، ثم يطلب الإذن من فرعون بأن يذهب هو وستـمئة ألف من أتـباعـه من الرجـال القـادرين على القـتـال إلى أراض في الشـرق كـانت ـ رسمـيا على الأقل ـ جزءاً من الإمـبراطورية الفرعـونية، مهما كانت الفوضى سائدة فيـها، ومهما كانت قبضة الفـراعنة قـد ارتفـعت عنهـا بسبب أحـداث وأزمـات سيـاسية واقـتصادية ودينيـة أدت إلى هذا الوضع، لكن كان ما يجري أقـوى من فرعون ودولته. وهنا نكرر أن وصف الأحداث في القـرآن الكريم كان بوقـاره وبعْده من التـفاصـيل، في مـا عدا التـذكـير بقـوة الله تعـالى وعظمـته، وتشجـيع جمـيع المضطهدين والمعـذبين في الأرض، أية أرض، على عـدم اليـأس من أن يتـحـرروا ويرفعوا عنهم نيـر الظلم. أما ما نسمـيهم بني إسرائيل، الخارجين مع موسى، فلم يكونوا إلا مـثلاً ضربه الله في الذلة والحقارة حـتى لا تيأس القبائل العربيـة من التحرر من تبـعيـة الفـرس والروم والأحـبـاش، وكـذلك كل الشعوب التي استظلت بمظلة القرآن والإسلام، وبالفعل تحـررت كلها، وأتيح لبـعضـهـا أن يسيطر على سـادته القدماء.

بعـد عبـور البـحر والاتجـاه شمـالاً لاستئناف المسيـرة عبـر صحـراء سيناء، نال منهم العطـش بعد ثلاثة أيام مـن السيـر، ووجـدوا مـاء (في منطقة البحيرات المُرّة لأن الموضع يُسمّى في التـوراة مَارَه وكان الماء مـراً غير مستسـاغ «فتذمـر الشعب على مـوسى، وقـالوا: مـاذا نشـرب؟ فـصـرخ إلى الرب فأشار له الربّ إلـى شجرة فألقى منهـا في الماء فصا

عذبًا!» (الخروج 15: 24). فهذه هي حركة التذمر الثانية على موسى من قومه.

وما كادت مشكلة العطش تنحلّ حتى تذمر قوم موسى من الجوع، وكادوا يكذّبون موسى وهارون: «وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر! حيث كنّا نجلس عند قدور اللحم، ونأكل من الطعام شبْعَنَا! فلِمَ أخرجتمانا إلى هذه الصحراء لتقتلا هذا الجمهور كله من الجوع؟» (الخروج 16: 3)، وتولى الرب تهدئة هذا التذمر الثالث بأن أمطر على بني إسرائيل المنّ والسلوى من السماء، قوت كل يوم بيومه!

ووصلت الجماعة عبر سيناء إلى موضع يسمى (رفيديم) ولم يجدوا فيه ماء، فعادوا إلى التذمر والغضب ـ للمرة الرابعة ـ فضرب موسى بعصاه الحجر فنبع منه الماء وشرب بنو إسرائيل (الخروج 17: 1ـ 7). وفي هذا المكان (رفيديم) تبدأ شخصية يوشع بن نون في الظهور، عندما وقف العمالقة يقطعون الطريق على موسى وقومه، فأسند موسى قيادة المعركة إلى يوشع بن نون، وصعد هو وهارون وشيخ ثالث يحمل اسما مصريا هو (حور) على تل قريب لمتابعة المعركة، فكان موسى إذا رفع العصا انهزم العمالقة، وإذا أنزلها كرّوا على الجماعة وتغلبوا عليهم، ولما تعب أخذ حجرا فجلس عليه لتبقى العصا مرفوعة معه دائما. وانتصر يوشع على العمالقة، ووعد الله موسى بقطع دابرهم من تحت السماء. ومن هذا اليوم أضيفت العمالقة إلى قائمة الشعوب التي كتب الله عليها الإبادة.. إكرامًا لبني إسرائيل (الخروج 17: 1ـ 16). وظل اليهود يجادلون ويمارون، وسمع يثرو حمو موسى بوجوده في المنطقة فخرج للقائه ومعه «صفورة» ابنته ـ زوجة موسى ـ وابناها اللذان أنجبتهما لموسى: جيرشوم واليعازر، فنصحه هذا الشيخ الحكيم صلوات الله عليه بأن يستعين على تنظيم هذه الجماعة بإنشاء مجلس للشورى قوامه سبعون رجلا. بعد ذلك تذكر التوراة أن الوصايا العشر أنزلت على موسى. وهكذا صار العدد لا يُنسى: اللعنات العشر على مصر، والوصايا العشر، وحوادث التمرد العشر ضد موسى كما سنستكملها في ما يلي.

أما الوصايا العشر فهي بنص التوراة:

«ثم تكلم الله بجميع هذا الكلام قائلاً: أنا الربّ إلهكَ الذي أخرجكَ من أرض مصر، دار العبودية.

لا يكنْ لكَ آلهة أخرى تجاهي ـ لا تصنع لك منحوتًا ولا صورة لأي شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من تحت، ولا مما في المياه من تحت الأرض. لا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلهك، إلهٌ غيور، أتعقب ذنوب الآباء في الأبناء، إلى الجيل الثالث والرابع من أعدائي، وأُصنع رحمة لآلاف من أحبّائي وحافظي وصاياي ـ لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يُزكّي من يحلف باسمه باطلا ـ اذكرْ يوم السبت لتُقدسه، في ستة أيام تعمل، وتقوم بجميع أعمالك، واليوم السابع سبتٌ للرب إلهك. لا تقم فيه بعمل أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك، لأن الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح! ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه ـ أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الربّ إلهك ـ لا تقتل ـ لا تزْن ـ لا تسرق ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور ـ لا تَشتّهِ بيت قريبك ـ لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمتَه ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئًا مما لقريبك! وكان جميع الشعب يشاهدون الرعود والبروق وصوت البوق، والجبل يدخّن، والشعب يرتعد خوفًا» (الخروج 20: 1-21).

ثورات اليهود على موسى بدأت من قبل أن يخرج بهم من أرض مصر، وتوالت في أثناء مسيرهم معه إلى أرض فلسطين، ووصل بهم الأمر إلى حد الردة عن عبادة الله

كان موسى قد استوفى إبلاغ شريعته إلى بني إسرائيل، وعيّن هارون كاهنًا أعظم عليهم، ثم صعد إلى الجبل ليخلو مع ربه، وعند عودته وجد أشنع جريمة ارتكبها بنو إسرائيل في حق الله، وهي الرِّدّة، والعودة إلى عبادة العجل، وكانت هذه حركة العصيان الخامسة في الطريق (الخروج 32 ـ 33)، وكان أحد الخارجين مع موسى مصريا مولودا من أم إسرائيلية قد استهزأ باسم رب إسرائيل فرُجم (اللاويين 24: 10ـ 16)، وسجلت عليهم التوراة ردّة أخرى عبدوا فيها «بعل فعور» أحد آلهة الكنعانيين.

وتحرك تمرد جديد (هو السادس) ضد موسى وربه، فشبت النار في طرف من مخيم الجماعة وعزاها موسى إلى غضب الله، فاذعن الثائرون والغاضبون (العدد 11: 1 وما بعدها). وبعد ذلك بقليل قامت حركة عصيان أخرى للمطالبة بأكل اللحم، بعد أن ملّوا المنّ والسلوى، ونص التوراة هنا يؤيد ما أكدناه بأن أتباع موسى كانوا (أخلاطا) من الناس بعيدة من هموم العقيدة: «واشتهى الأخلاط الذين فيما بينهم شهوة فتابعهم بنو إسرائيل، وبكوا هم أيضا وقالوا: من يطعمنا لحمًا؟» (العدد 11: 4)، وتمنوا في ثورتهم هذه السمك والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم! (العدد 21 : 5) وهو التمرد السابع. والظاهر أن التذمر على موسى قد بدأ بشكل عام، حتى لامه أخوه هارون وأخته مريم بسبب زواج ثان عقده مع امرأة حبشية (والغالب أنها كانت عربية سمراء)، وكان موسى يحرّم الزواج بالأجنبيات ويعاقب عليه بالقتل. ولأن زوجة موسى الجديدة كانت سمراء، فقد أصاب مريم البرص (الوضَح) وكان عليها أن تتطهر أياما وتتوب حتى تعود إلى جلدها صبغته الطبيعية (العدد 12). وانتهى ذلك بثورة، اشترك فيها عدد من القادة ذكرت التوراة أنهم كانوا اثنين وخمسين من السبعين رجلاً، وكان من بينهم شيخ من سبط اللاويين عشيرة موسى وهارون. وأنهى موسى هذه الثورة بالمفاوضات (العدد 16) وكان اسم المعارض قُورَح.

وصارت هذه الثورة حربا أهلية في بني إسرائيل ـ هي حركة العصيان الثامنة ـ عندما تمّ اغتيال أبناء قورح، فاندلع القتال وأسفر عن أربعة عشر ألفا وسبعمئة قتيل! (العدد 16: 41 ـ 7) وماتت مريم في تلك المدة ودفنت في (قادش).

والتمرد التاسع كان من جديد بسبب الماء، وتعرّض ملك الأدوميين (جنوب الأردن) لمسيرة موسى وقومه، وبمعجزة متكررة أخرج لهم الماء من الحجر. وفي ذلك الوقت يموت هارون ويخلفه في الكهانة العظمى ابنه إليعازر (العدد 20: 1 وما بعدها).

وساءت الحالة أكثر فأكثر، وطالب السائرون مع موسى بأن يوفر لهم الخبز والماء، وأن يكفيهم أذى الحيات السامة الكثيرة في تلك الصحراء، فنصب لهم تمثال حية من النحاس يذهبون إليها إذا لُدغ واحد منهم فيشفى. والظاهر أنها كانت نقطة إسعاف يراها الملدوغ من بعيد بهذا التمثال المنصوب (العدد 21: 4 ـ 9)، ثم يختفي موسى إلى الأبد وعمره مئة وعشرون سنة. ويظن باحثون أوربيون من النصارى واليهود أنه قُتل بعد أن رأى من قومه الأهوال على مدى أربعين عامًا. وقد أعود إلى (عنتريات) موسوية هائلة ترك رواة التلمود فيها العنان للخيال، لأن موسى تحول عندهم إلى رمز لليهودي الأسطوري.

علم الأساطير العربية

من وجهة نظر بعض الدارسين العرب

د. لوليدي يونس

حاول عدد من الدارسين العرب إثبات معرفة العرب الأسطورة كغيرهم من الأمم والشعوب. ومن أجل ذلك، أتى هؤلاء الباحثون بالدلائل والحجج التي تؤكد - في رأيهم - ما يذهبون إليه. وسأحاول أن أدلي في هذا المقال، بمجموعة من الملاحظات حول بعض هذه الدراسات.

يرى أنور أبو سويلم أن «العرب كغيرهم من الأمم لهم حياة أسطورية كاملة، أرّقهم الموت، وفكروا بالخلود، وعانوا من قهر الطبيعة وجذبها، وأحسوا الجلال والهيبة من الصحراء الغامضة، ورأوا في الليل الموحش همًّا وقلقًا وأرقًا. ولغتهم تحمل ثقلاً وجدانيًا وحضاريًا موغلاً في القدم»(1). وقد حاول بمثل هذا الكلام أن يرد على حجة عباس محمود العقاد الذي يقول بضمور العنصر الأسطوري في الخيال العربي، وقد بنى العقاد حجته هذه على أسباب ثلاثة هي:

- طبيعة الحياة البدوية المتنقلة بحثًا عن الماء والكلأ؛ مما أضعف الصلة بين الأحياء والأموات، ومن ثَمَّ غابت الطقوس المتصلة بالموتى وتقديسهم وعبادتهم، وكل ما هو ضروري لنشوء الأساطير في الثقافة.

- طبيعة اللغة العربية؛ لأن الاستعارات والمترادفات في اللغة العربية لم تتغلغل في القدم بحيث تخفى أصولها فتتوالد منها الأساطير، وحسبك أن معنويّها لا يزال يمتزج بحسّيها إلى الآن.

- جغرافية الأرض العربية، فالأرض التي نشأ فيها العرب صحراء منبسطة، وبطحاء مكشوفة، وأودية معروفة، لا جبال مهولة فيها، ولا غابات سامقة مظلمة، فهي قليلة التنوع، قريبة الأسرار، لا غامضة ولا مخوفة. ويستمر العقاد في بسط رأيه في ضمور العنصر الأسطوري في الخيال العربي قائلاً: «ألم تر أن العرب لما ابتدعوا أساطيرهم كانت مما يجيء من قِبَل الحواس، لا من قِبَل الخيال، وكانت هواتف وأصداء، وهامًا تسمعها الآذان، ولم تكن أشباحًا تبرز للمخيلة. وما هكذا كانت أساطير الآريين الذين قد يصفون لك الشبح من أشباح الأساطير وصف العيان والتحقيق، ويفصلون لك من سماتها كيف كانت... ثم يتلون عليك من الحوادث ما يوافق الملاحم والمخايل مع براعة وقوة مستمدة من روح نباضة وطبيعة فياضة»(2).

إن أنور أبو سويلم لا يتفق مع رأي العقاد، ويرى أن أكثر الصور في الشعر الجاهلي ترتد إلى أصول أسطورية (ميثولوجية) مغرقة في القدم. فالشعر الجاهلي - في رأيه - ليس - كما يتوهم بعض الدارسين - شعر رعاة سذّج يستدعيه الموقف العابر، والفكرة السريعة، والحياة الفطرية والصور السطحية، وإن كانت أولياته كذلك. وإنما هو شعر ناضج مكتمل، يعتمد على موروث ضخم، وعلى صور فنية راقية تعبر عن حياة حافلة بالتراث والتقاليد والأساطير والخرافات والقيم والمعتقدات: «ولأن الأساطير والخرافات تشكل جانبًا مهمًا من المعتقدات الدينية الجاهلية التي تمس أصفى المشاعر وأرقها؛ فقد جاءت مكونًا أساسيًا

للصور الشعرية عند الشعراء الجاهليين»(3).

والأسطورة في الشعر الجاهلي لدى أنور أبو سويلم تمثل حقيقة الفكر الجاهلي، وتمثل جانبًا مهمًا في حياته النفسية والوجدانية، وتمثل تصوراته للكون والحياة. ويذهب إلى أنه يمكن أن ننظر في الخرافات والأساطير الجاهلية من خلال عناصر ثلاثة متمايزة: الشاعر الساحر، والطقوس والممارسات الأسطورية والخرافية، والصور الشعرية ذات الأبعاد الميثولوجية: «إذ لابد من وجود هذه العناصر عند النظر في الفكر الأسطوري، رجل روحي ينهض بهذه الطقوس، وممارسات ومعتقدات لها صفة القداسة، وكلمات مؤثرة ذات صبغة انفعالية»(4).

وفي رأي هذا الباحث أننا نحس - ونحن نقرأ الشعر الجاهلي - الهيبة، والقوة الروحية الكامنة في الكلمات، والإشعاع الأسطوري المؤثر؛ لأن شعراء الجاهلية كانوا كهنة، وملوكًا، وحكماء، وعرافين، وسحرة، ومتنبئين، وأبطالاً خارقين. ومن كانت هذه حالهم، لابد أن يروي شعرهم تاريخًا مقدسًا من الأساطير والعبادات والمعتقدات والخرافات، والقيم والتراث الديني الشعبي. فالجاهلية - لدى أنور أبو سويلم - كانت تعيش الأساطير والمعتقدات الخرافية، وتباشرها في مجالاتها المختلفة. فعالم الصحراء العربية تدب فيه الكائنات الروحية والقوى الخفية التي تتحكم في أهواء البشر وتصرفاتهم ومصائرهم، فالهامة، والصدى، والجن، والغول، والسعلاة، والأفاعي الطائرة والأرواح الشريرة، والكائنات المرعبة، وعجائب المخلوقات، كل هذه الموجودات دخلت في أوهام العرب وشكلت خيالهم، وكانت جزءاً من حياتهم اليومية 5).

أساطير تملأ الفراغ النفسي

ويرى أنور أبو سويلم أن أكثر الأساطير في الشعر الجاهلي دارت حول الاعتقاد بخلود الروح، والبعث والنشور. وبعد الروح والخلود والموت، تأتي المعتقدات الخرافية والأسطورية التي تتعلق بمظاهر الطبيعة، والحيوان والنبات، والأجرام السماوية، وهذه المظاهر تأخذ حيزًا كبيرًا في معتقدات الجاهليين وخرافاتهم. فالعرب لهم «حياة أسطورية كاملة تفسر عبادة الأجرام السماوية، وتعرض لأوصافها وهيئاتها وخصائصها... ولست أبالغ إذا قلت: إن الفكر الأسطوري الجاهلي كان غالبًا على كل مناحي الحياة، يفسرها ويعللها، ويمنح المعتقدين به الأمن الروحي والاستقرار النفسي في عالم ممتلئ بالمخاوف والأشباح، مهدد بالجفاف والسيول، محاط بالقتل والفتك، تدب في مسالكه الحياة الرهيبة، وتتشكل في عتمة الكثبان الغيلان والشياطين، وتهتف في الفراغ المخيف الجنان والهواتف. فآمنوا بالسحر، واعتقدوا بالجسد، وحفلت قصصهم بأخبار عجيبة تسد حاجتهم الروحية، وتملأ الفراغ النفسي، وتخفف من التوتّر والقلق، وتبعث الطمأنينة والراحة النفسية، وتمد بالقوة والقدرة على المقاومة والبقاء»(6).

هذه هي أهم النقط الواردة في دراسة أنور أبو سويلم، التي وجهت كلها لخدمة رأيه في الأساطير العربية.

د. عبد الملك مرتاض

فهو يقر بوجود (ميثولوجيا) عربية، ويؤكد أن العرب - مثل باقي الأمم والحضارات الأخرى - كانت لهم أساطيرهم التي تعكس عقائدهم وآمالهم ومخاوفهم، والتي من خلالها فسروا مظاهر الكون، إلا أنه يمكن الخروج من هذا الرأي بمجموعة من الملاحظات:

- إن كلام أنور أبو سويلم هو كلام عام يمكن أن يقال عن أي أمة، وعن أي حضارة، فليس فيه ما يبرز الخصوصية العربية، باستثناء تكرار كلمة «الجاهلي». أما ما عدا ذلك، فهذا الكلام يمكن أن يطلق على الحضارة الإغريقية، أو الفرعونية، أو البابلية.. إلخ.

- باستثناء حكاية «الثريا والدبران» - تلك التي تتوافر فيها شروط الأسطورة - فإن أبو سويلم لم يأت بحكايات أسطورية لتدعيم رأيه. فقد ظل كلامه عامًا ونظريًا، يفتقر إلى الدليل المحسوس. وهذه نقطة التقاء بينه وبين عدد من الدارسين العرب كما سنرى فيما بعد.

- مما لاشك فيه أن مفهوم الأسطورة غير واضح في ذهن أنور أبو سويلم، وخير دليل على ذلك قوله: «ويمكن أن نعد من باب الأساطير أغلب القصص الجاهلية، كقصص الملوك، والكهان، والأصنام، والأسفار والرحلات، وقصص العشق والمجون واللهو، على الرغم من واقعية الأحداث؛ لأن القصاص بعثوا في هذه القصص الروح الأسطورية التي تجعل من الإنسان والحيوان والجماد عالمًا حيًا، نابضًا منفعلاً على حد سواء»(7).

وكما هو واضح، فإن عددًا من هذه الأنواع الحكائية، التي أوردها، لا علاقة له بالأسطورة. كما أن حديثه عن واقعية بعض القصص - وأن ذلك يجب ألاّ يعد عيبًا - دليل آخر على عدم استيعابه لمفهوم الأسطورة؛ لأن من خصائص الأسطورة أنها واقعية في نشأتها، إلا أن الخيال الشعبي هو الذي يضخمها فيما بعد.

رأي عبدالملك مرتاض

يلاحظ عبدالملك مرتاض أن المستعملين للغة العربية في مألوف العادة، يلبسون معنى الخرافة بمعنى الأسطورة، وربما معنى الأسطورة بمعنى الحكاية الشعبية ذات الأصول التاريخية. ويعود ذلك في رأيه إلى قصر التجربة النقدية العربية الخاصة بهذه المفاهيم. كما أن أدب الخرافة في الأدب العربي قليل إذا قيس بالأدب الواقعي. أما الأساطير «فقد قضت عليها تعاليم الديانة الإسلامية بما صقلت من عقيدة، ورقت من تفكير، وأماطت من شرك وضلال من سبيل الناس»(8).

إن الحكايات والخيالات الموجودة في التراث الجاهلي حسب رأي عبدالملك مرتاض، إنما هي وليدة البيئة والمحيط الجغرافي. فجائب البيداء وحده، يتراءى له من المناظر العجيبة، والتمثلات الغريبة، والمشاهد المدهشة ما يجعله يتصور الرمال وشكلها أمواجًا تضطرب في

يَمٍّ، والأصوات الناشئة عن عصف الرياح أو هبوب النسيم أو تجاوب بعض الحشرات والطيور، عزيف جن، وقهقهة غيلان. «ولعل الذي مكّن لهذه التخيلات من أن تتبوأ المكانة المرموقة في حياتهم الخيالية، هو أن الرجل منهم كان مضطرًا في كل حين إلى جوب القفار وحده. فكان ذلك الصنيع لا يخلو من مثل هذه التصورات التي كانت هيأت لها الأساطير التي كانت تُحكى للأطفال وهم سامرون مع الجدات والأجداد. فكان الاستعداد النفسي قائمًا مسبقًا، بحكم هذه الأساطير المحفوظة، والخرافات المسموعة أو المتداولة»(9).

وما يميز الأساطير العربية، في رأي عبدالملك مرتاض، هو أنها كانت تقدَّم في شكل خبر مقتضب، ومضمون خرافي. فكأن الذهنية لم تكن مستعدة لتقبل الأساطير بالطرائق السرية التي طورها فيما بعد القصاص. فالأساطير كانت توجز في بيت أو عدة أبيات من الشعر. وكأن اللغة الفنية التي يقوم عليها السرد لم تكن قد استوت على النحو الذي يسمح للرواة برواية هذه الأساطير والتعبير عنها. فالأسطورة كانت تقدم في ثوب يشبه الرواية الحقيقية للأخبار الصحيحة أو المفترضة، حيث لم يكن هناك بعد شكل فني للسرد الأسطوري(10).

ويضيف عبدالملك مرتاض أن موضوعات «الهاتف»، و«الرَّئي»، و«الشق»، و«النسناس» من أخصب الموضوعات التي تقوم عليها الأساطير العربية القديمة. كما أن معظم الأحداث الأسطورية التي وقعت ـ وحسب ما نملك من مصادر تاريخية وأدبية ـ إنما وقعت في معظمها إما قبيل ظهور الإسلام، وإما إبان مولد محمد صلى الله عليه وسلم، وإما على عهد دعوته، أو عهد صحابته. ومثل هذه الملاحظات تضع أمامنا تصورًا عن الظروف التي كانت علة في قيام هذه الأساطير، أو وراء تغذيتها؛ ذلك لأن تاريخ ظهور الإسلام حافل بالمعجزات والقيم، زاخر بالظواهر والتضحيات، والانتصارات الباهرة. فأصبح كثير من هذه الأحداث المثيرة مصدرًا للإعجاب والانبهار لدى الذهنية الشعبية التي عمدت إلى تجسيد ذلك في معتقداتها وآدابها.

يلاحظ عبدالملك مرتاض أن الشخصية الأسطورية في التراث العربي بوجه عام «باهتة البناء، شاحبة الملامح، غامضة التمثل. وهي أكثر من ذلك ضعيفة الإرادة، بل منعدمتها. بحيث إنها لا تجتهد من أجل التخلص من المآزق، ولا تحتال في النجاة من المواقف الحرجة»(11).

ويؤكد مرتاض في نهاية الأمر أن التعليل الأسطوري العربي لا يقوم على حقيقة، وإنما يقوم على أساطير لا وجود لها بأي وجه، فهي باطل بالمعنى الديني، وهي أسطورة بالمعنى الأدبي الصرف.

الأسطورة والمفهوم المعجمي

يمكن الخروج من رأي مرتاض، بعد عرضه، بالملاحظات التالية:

محاولات إثبات وجود أسطورة عربية جعلت الباحثين العرب يأتون بكل شيء، وبأي شيء، ويدعون أنه أساطير

ـ مما لا شك فيه أن مفهوم الأسطورة غير جلي في ذهن عبدالملك مرتاض. ومما يزكي ذلك قوله بأن الأساطير في التراث العربي لا علاقة لها بالواقع ولا بالتاريخ، وأنها تتناقض بشكل صريح مع الحقيقة سواء أكانت دينية، أو تاريخية، أو غير ذلك. وعلى عكس ما ذهب إليه مرتاض؛ فإن الدراسات أثبتت أن العلاقة وطيدة بين الأسطورة والتاريخ، وبين الأسطورة والواقع، وبين الأسطورة والحقيقة، وبين الأسطورة والدين. فلا شك أن المفهوم الذي يتحدث عنه مرتاض في دراسته، هو المفهوم المعجمي العربي الذي يقوم على أن الأساطير هي الأباطيل والأكاذيب.

ـ يقول مرتاض في بداية دراسته إن تعاليم الإسلام قضت على الأساطير، إذ صقلت العقيدة، وأزالت الشرك والضلال وإن كثيرًا من الرواة زهدوا في نقل الأساطير خشية أن يسيء بعض ذلك إلى الإسلام، أو يفضي إلى شيء من الشرك بالله تعالى. وفي نهاية دراسته يذهب إلى أن معظم الأساطير، أو الأحداث الأسطورية وقعت قبيل ظهور الإسلام، أو إبان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، أو على عهد دعوته، أو عهد صحابته، ولا شك أن هذا تناقض صارخ وقع فيه الباحث.

ـ اعتمد مرتاض في تعريفه للأسطورة على تعريف بيير سميث PIERRE SMITH الوارد في موسوعة UNIVERSALIS، الجزء الثاني عشر. ولا شك أن الذي يخصص كتابًا لدراسة الميثولوجيا العربية لايمكنه أن يعتمد على تعريف واحد، خصوصًا في أثناء موازنته بين الأسطورة والخرافة، وبين الأسطورة وما أسماه بالحكاية الشعبية ذات الأصول التاريخية LA LEGENDE. صحيح أنه من الممكن تبني نظرية معينة، ولكن هذا التبني لا يتأتى إلا بعد طرح كل التعريفات والنظريات، أو أغلبها، ثم بعد ذلك تعليل سبب اختياره هذا التعريف دون غيره، أو تبني هذه النظرية دون غيرها.

ـ يبدو أن مرتاض لم يتحقق من صحة بعض الآراء التي يوردها، ومن بين الأمثلة التي تؤكد ذلك، قوله: «وإذا كان ابن منظور في لسان العرب سكت عن «الخرافة» ولم يومئ إليها» (12)، وهذا بطبيعة الحال غير صحيح. فإذا عدنا إلى لسان العرب نجد: «والخرافة: الحديث المستملح من الكذب. وقالوا: حديث خرافة. ذكر ابن الكلبي في قولهم حديث خرافة: أن خرافة من بني عذرة أو من جهينة، اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس. فكَذَّبوه، فجرى على ألسن الناس» (13). وبذلك يتضح أن ابن منظور لم يسكت عن «الخرافة».



رأي مصطفى الجوزو

يؤكد هذا الباحث أن الكتب العربية المستلئة بقصص الجن والملائكة والناس المتفوقين، قد نقلت إلينا تراثًا أسطوريًا ضخمًا مهمًا، لا يمكن إنكاره إطلاقًا. ويرى أن الأسطورة العربية «صدى للمجتمع العربي، وصورة لنفسية ابن الجزيرة، ووسيلة وهمية لكل مشكلاته فيما وراء الواقع. أي هروب من مرارة الحقيقة إلى حلاوة الخيال.

وهذه الأسطورة كسائر أساطير الشعوب، تتطرق إلى تاريخ الإنسان. فتذكر أن أصله من صلصال، وذلك شبيه بما في التوراة والقرآن. وتتحدث في نشوئه. وسبب قصر قامته، وصلعه، وسبب وجود القرى، ونهاية الإنسان قبيل الآخرة. وقد تقدم تفسيرات فلكية شتى» (14).

ويؤكد مصطفى الجوزو أن الأساطير العربية هي عربية، حتى وإن دخلتها موثرات أجنبية كثيرة، ذلك لأنها كتبت بالعربية، فهي إذن من التراث العربي مادامت صورة للبيئة العربية ولأفكارها. ويرى أن أكثر الأساطير تأثيرًا في الميثولوجيا العربية، الأساطير البابلية، والكلدانية، والمصرية، والفارسية، كما أن اليونان تركوا آثارهم، هم أيضًا، في الأسطورة العربية؛ بدليل أن الهيلّينيين شجعوا العرب على عبادة الشمس في الشمال، ووجود التشابه الملحوظ بين بعض الأساطير العربية والأساطير اليونانية. «فالكاهن شق، وهو بعين واحدة، ويد واحدة، ورجل واحدة، يشبه السيكلوب عند اليونان. والنضيرة، عشيقة سابور، تشبه سيللا، عشيقة منوس، إذ إن كلتيهما تحب عدو أبيها حين يحاصر مدينتها، فتعلمه طلسم المدينة ويفتحها عنوة. والهاتف الذي يزور أم حاتم الطائي في الحلم وهي حامل به، شبيه بجونون الذي يزور ديدون في المنام وينبئها بمستقبلها»(15).

ويلاحظ الجوزو بعد ذلك أن الأساطير اليهودية والنصرانية، هي أكثر الأساطير تأثيرًا في الأسطورة العربية. ومع أن الأسطورة العربية تأثرت بأساطير عدد من الشعوب والحضارات؛ فإن الجوزو يؤكد أن العرب أنشؤوا أساطير متميزة، انفردت بأسلوب معين، من أهم ملامحه الخاصة: تداخل النثر بالشعر، أو بالآيات القرآنية. وأدى الشعر في الرواية دور السحر. كما أن الأسطورة العربية، من حيث الصياغة، تتسم بالاضطراب، والفوضى في الحبكة الروائية، ويشوبها غالبًا «الغموض الناشئ عن الأسلوب القديم في السرد، والمملوء بالكلمات الغريبة عن مجتمعنا الحديث. من ذلك توالي فاءات العطف، وتأرجح الضمير بين عدة أسماء، مما يحير القارئ، ويخل بفهم العبارة، ويدعو إلى إعمال الفكر والتحقيق. وهذا كله يقطع لذة القراءة، ويفسد مذاقها» (16). وبما أن الأسطورة العربية تشوبها هذه العيوب؛ فقد قرر الجوزو أن يوفق - في أثناء عرضه للنماذج التي اختارها - بين القديم والحديث، بما يحافظ قدر المستطاع، على الروح القديم ، وبما تستسيغه أذن القارئ المحدث في الوقت نفسه.

وقد وزع الجوزو النماذج التي جاء بها على تسعة أبواب، هي:

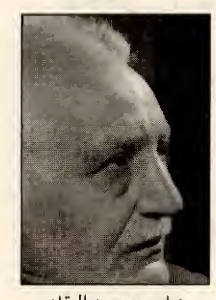
- **أساطير نشوئية وكونية:** تتعلق بخلق العالم، والزمن، والإنسان.
- **أساطير أخروية:** تصور نهاية العالم، والعالم الآخر.
- **أساطير لاهوتية:** تصف الوثنية وتروي تاريخها.
- **أساطير النبوة والكهانة:** تحكي قصص الأنبياء والمتنبئين والكهان.
- **أساطير خلقية:** تصور صراع الخير والشر، وتصف كثيرًا من العادات.
- **أساطير حربية:** هي رواية لمعارك العرب وغيرهم، ووصف لبعض أبطال العرب الأسطوريين.
- **أساطير الحب:** وتذكر قصص أشهر المحبين، ممن جعلهم التراث العربي أساطير، كقيس وليلى، ووضاح اليمن.
- **أساطير الغناء:** تروي قصص أشهر المغنيين، وأعمالهم الخارقة.
- **أساطير الأولياء:** وفيها ذكر لما نسب إليهم من الخوارق(17).

ويرى الجوزو في نهاية دراسته هذه، أن كل ما يخرج عن النص القرآني الصريح، أو الحديث النبوي الصحيح، يمكن عدّه أسطورة إذا تكاملت له عناصرها. كما أن التفصيلات التي أضافها الرواة على القصص - بما يخرج عن نطاق الممكن ويدخل في ما فوق الطبيعة - وما أضافه الوضاعون من أحاديث مكذوبة من الجنس نفسه، ما هي إلا أسطورة من أساطير الأولين.

الخرافة والأسطورة

ويمكن الخروج من دراسة مصطفى الجوزو، للأسطورة العربية، بالملاحظات التالية:

- إن التقسيم الذي أتى به الباحث للأسطورة العربية، هو تقسيم غريب، ذلك أنه إذا كانت الدراسات تتحدث عن أساطير نشوئية وكونية، أو أساطير أخروية، أو لاهوتية؛ فإننا لا نجد دراسة تتحدث عن شيء اسمه أساطير الغناء، أو أساطير خلقية، أو أساطير الأولياء. وما هو وارد، هو أن الأسطورة النشوئية أو الكونية، يمكنها بالإضافة إلى الحديث عن نشأة شيء ما، أن تتضمن جوانب تتعلق بالحرب، أو بالحب، أو بالدعوة إلى أخلاق معينة، فتكون هذه الجوانب مضمنة في الحكاية الرئيسية، تغنيها، وتحقق لها الإثارة والتشويق المطلوبين.



عباس محمود العقاد

أما أساطير الأولياء، فلا شك أن الجميع متفقون على أن ما ينسب إلى الأولياء، يسمى «كرامات». صحيح أن هذه الكرامات تتضمن جوانب أسطورية، ولكن هذا ليس سببًا كافيًا لكي نسميها أساطير.

- يبدو أن التراث العربي لم يسعف الباحث بالمادة الأسطورية الكافية لإنجاز كتابه، ولذلك لجأ إلى عدد لا بأس به من الخرافات، وأدرجه تحت الأبواب التسعة، التي تدل عناوينها على

أنها تشتمل على أساطير فقط، وهو نفسه يعترف بذلك، ويحاول أن يعلل ما قام به: «وقد يعجب القارئ لوجود بعض الخرافات في هذا الكتاب، والواقع أننا أدخلنا مثل هذه الخرافات، مع أن الكتاب يتناول الأساطير، لتأرجحها بين الخرافة والأسطورة»(18).

- مع أن الجوزو في بداية دراسته، وفي أثناء تعريفه للأسطورة، يعتمد على آراء كلود ليفي شتراوس CLAUDE LEVI - STRAUSS، وألكسندر كراب ALEXANDRE KRAPPE، مما قد يوحي بأنه يتبنى النظرية الغربية في الأسطورة، بصفة عامة؛ إلا أن العكس هو الذي حصل عندما اعترف أنه يعدّ كل الأباطيل والأكاذيب الموجودة في تفاسير القرآن، والأحاديث النبوية، أساطير الأولين. ومعنى ذلك أنه يتبنى المفهوم المعجمي، القائم على أن الأساطير هي الأباطيل والأكاذيب.

- إن حديثه عن نقط التشابه الموجودة بين الأسطورة العربية والأسطورة اليونانية، فيه شيء من التعسف، وخصوصًا الموازنة بين الكاهن شق، والسيكلوب cyclope. فكون كل منهما بعين واحدة، ليس سببًا كافيًا لنقول بتشابههما. فالكاهن شق إن كانت له رجل واحدة، ويد واحدة، فإن السيكلوب له يدان ورجلان، بالإضافة إلى أنه عملاق. بل تذهب أغلب الأساطير إلى أنه ابن الإلهين: السماء OURANOS والأرض GAIA. كما أن التشابه الذي يرى الجوزو أنه موجود بين النضيرة وسيللا SCYLLA، هو تشابه نسبي. فإذا كانت النضيرة بالفعل قد قدمت لسابور طلسم مدينتها، فإن سيللا SCYLLA قد حلقت من رأس أبيها نيسوس NISOS الشعرة التي تجعله لا يقهر.

رأي حسين الحاج حسن

يلاحظ هذا الباحث أنه كانت لعرب البادية قابلية للتأثر بمن جاورهم. ولقد أثر فيهم بالفعل البابليون. وظهر هذا التأثير في مكة والحجاز، وبذلك يرد هذا الباحث على الذين يقولون بأن العرب كانوا أمة منعزلة عن العالم، حيث لم يتصلوا بالحضارتين العريقتين: حضارة ما بين النهرين، وحضارة النيل، بأن «ذلك الحجاب الصفيق الذي قيل عنه لم يكن عازلاً تمامًا، بل كان يتسرب من خلاله بعض النور من جراء اتصال العرب بمن حولهم ماديًا وأدبيًا. وإن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة، نظرًا لموقعها الجغرافي ولحالتها الاجتماعية.

من هذا نستفيد أن العرب كانوا أمة متقاربة في مبادئ العقائد من ناحية، ومن ناحية أخرى يختلفون عمن جاورهم من الأمم في الحالة الاجتماعية، والاقتصادية. وهذا بلا شك يعود إلى اختلاف البيئة من مدنية وبدوية»(19).

بعض الباحثين العرب اعتمدوا على النظرية الغربية للأسطورة، ومع ذلك وقعوا أسرى للمفهوم المعجمي العربي للأساطير

وإذا كان عبدالملك مرتاض يؤكد - كما رأينا - أن الفضاء الجغرافي العربي، بما يتميز به من فياف وقفار وكثبان، كان سببًا في ظهور العديد من التهيؤات والتصورات التي كانت من وراء إنتاج العديد من الأساطير؛ فإن حسين الحاج حسن، على العكس من ذلك، يرى أن صفاء الرمال التي لا يشوبها كدر، ولا يحول بينها وبين العربي حائل، ولا حاجب يحجب مجال نظره عنها، حدا بالبدوي إلى البعد من الأمور المعقدة، وجعله يحب الفكرة البسيطة، والبيان الواضح، والكلام الصريح(20).

ويرى هذا الباحث أن الخيال نوعان: خيال تصويري، وخيال إبداعي. ويؤكد بعد ذلك أن العرب في الجاهلية يمتازون بخيال تصويري أكثر منه إبداعيًا. إذ إن العربي يأخذ شيئًا من المرئيات أو المحسوسات، ويركب منه صورة ليست جديدة. وبذلك لا يضيف شيئًا من عنده، لأن عقليته محدودة، كما أنه يفتقر إلى التجارب الجديدة. ومعنى ذلك أن العربي قليل الابتكار، وإن لم يكن عاريًا تمامًا من الخيال، وخصوصًا الخيال التصويري. وبطبيعة الحال فإن الخيال التصويري يولّد الأسطورة التصويرية. وهكذا فإن العربي - حسب رأي هذا الباحث - لم يكن يخترع الأساطير اختراعًا، كاليونان مثلاً، وإنما كان ينظر إلى السماء، ويتأمل نجومها، ويمثل ما شاهده(21).

والعربي وإن كان محدود الخيال، من حيث الاختراع، فإن هذا الباحث مع ذلك لا يرتاب في قابلية العقلية العربية لتوليد الأساطير. مع تأكيد أنها أساطير امتاز بها العرب دون سواهم؛ لأنها أساطير تصويرية. ويقسم حسين الحاج حسن الأساطير العربية إلى:

- **أساطير حياتية**: بما أن أرض المجتمع الجاهلي كانت خصبة لتوليد الأساطير، فإنه من الممكن اعتماد هذه الأساطير دليلاً يلقي بعض الضوء على حياة الجاهليين، بكل ما فيها من عادات وتقاليد بدائية.

- **أساطير خيالية**: ومن خلالها نرى ذلك العربي الغريب عنا بأعماله وتصرفاته، إذ يفسر الأمور على الوجه الذي يريد، فجنح به خياله إلى الأفق البعيد، ولجأ إلى الأقاويل الباطلة، وإلى الأوهام البعيدة، فمن خلال هذه الأساطير نرى الإنسان العاجز الضعيف، يعيش مجترًا أوهامه مالئًا فراغه بالخرافات. فهو لا يستطيع التحكم في تصريف أموره، فيتمسك بحبال الهواء.

- **أساطير دينية**: وهي أساطير تبين لنا أن العرب قبل الإسلام، كغيرهم من الشعوب البدائية الأخرى، فكروا في وجود قوى مسيطرة، لها عليهم سلطان قاهر. فحاولوا التقرب منها، والتودد إليها لاسترضائها بمختلف الوسائل والطرق.

ويرى حسين الحاج حسن في نهاية دراسته، أن الأساطير العربية لها صفاتها

ومميزاتها الخاصة، فهي مستوحاة من البيئة الجاهلية، وملونة بألوانها. فالطبيعة لها أثر واضح في جميع التراث الأدبي الجاهلي. كما أن هذا الباحث يلاحظ أن العرب في الجاهلية «لم ينفردوا في بعض تصوراتهم الوهمية، بل هم يشتركون مع غيرهم من الشعوب الأخرى في أكثر أساطيرهم وخرافاتهم»(22).

تميز أم لا؟

ويمكن الخروج من دراسة حسين الحاج حسن، بمجموعة من الملاحظات:

ـ يتحدث هذا الباحث في المبحث الذي خصصه «لقابلية الخيال الجاهلي لخلق الأساطير»، وكأنه صاحب رأي أو نظرية جديدة في هذا المجال. خصوصًا عندما ميز بين الخيال التصويري، والخيال الإبداعي، وذكر أن العربي يتميز بالخيال التصويري. ومعلوم أن «محمد عبدالمعيد خان» قد سبقه إلى البحث في هذه النقطة منذ سنوات طويلة، حين خصص فصلاً كاملاً من كتابه «الأساطير والخرافات عند العرب» للحديث عن «قابلية العقلية العربية لتوليد الأساطير». وقد ميز محمد عبدالمعيد خان بين الخيال التصويري والخيال الإبداعي، وبيّن أن العربي ليس بعارٍ من الخيال، وإنما خياله تصويري لا إبداعي(23). والغريب أن حسين الحاج لم يشر في هوامش بحثه هذا إلى رأي محمد عبدالمعيد خان، لا من قريب ولا من بعيد. بل إن هذا الكتاب غير موجود حتى في قائمة مراجع حسين الحاج حسن.

– عندما نقرأ له كلامًا من مثل: «ومما يروى عن أساطير العرب وسذاجتهم...» و«من هذه الحركات الأسطورية الفارغة...»(24) يتبين أن هذا الباحث لم يستطع ـ كأغلب الباحثين العرب ـ التخلص من المفهوم المعجمي للأسطورة، القائم على الأباطيل والأكاذيب، والسذاجة، والوهم...

–إن حسين الحاج حسن عندما قال بأن العرب يشتركون مع غيرهم من الشعوب الأخرى في أكثر أساطيرهم وخرافاتهم، قد وقع في تناقضين: أولهما عندما أشار إلى أن الأساطير العربية لها صفاتها ومميزاتها، وثانيهما، عندما قال بأن العربي يصور الأساطير ولا يبتكرها كاليوناني مثلاً. فإذا كانت الأساطير العربية لها مميزاتها وصفاتها الخاصة، وكان العربي يصور الأسطورة ولا يبتكرها كغيره. فكيف يمكنه أن يشترك مع غيره من الشعوب الأخرى في أكثر أساطيرهم وخرافاتهم؟

دافع ذاتي لا دافع موضوعي

كان من الممكن أن أشير إلى دراسات وآراء لباحثين عرب آخرين(*)، ولكنني لم أفعل ذلك لكثرة نقط التشابه الموجودة بين مختلف هذه الدراسات. فالقارىء لأغلب ماكتبه الباحثون العرب عن الميثولوجيا العربية، يمكنه أن يخرج بالملاحظات التالية:

`يظهر من أغلب مقدمات هذه الكتب والدراسات، أن جل هذه البحوث جاءت ردًا على آراء المستشرقين الذين قالوا بغياب ميثولوجيا عربية، وبقصور الخيال العربي. وبذلك فإن هذه الدراسات جاءت بدافع ذاتي لا بدافع موضوعي.

ـ لقد مارست محاولة الرد هاته ضغطًا نفسيًا على هؤلاء الباحثين العرب، فصاروا يأتون بكل شيء وبأي شيء، ويدّعون أنه أساطير، ناسين أن الأسطورة هي قبل كل شيء «حكاية»، وأن كل ماليس حكاية لا يمكن عدّه أسطورة. فلو تأملنا في أغلب ما جاؤوا به من التراث العربي، لوجدنا النماذج التالية: الخرزات، الأحجار، الرُّقى، الوشم، النياحة، جز النواصي، الاستقسام بالأزلام، النسيء، الطرق بالحصى، الكي دواء العشق، تعليق كعب الأرنب، الهامة والصدى، بتر شفة الصبي، الفرس المهقوع... بالإضافة إلى الحديث عن الجن، والغيلان، وأصنام العرب، والحج في الجاهلية، وعبادات العرب: كعبادة الجن، والملائكة، والروح، والقمر، والشجر، والكواكب... إن هذه النماذج التي يستند إليها الباحثون العرب في محاولة إثباتهم لوجود ميثولوجيا عربية، لا تدخل في إطار الأسطورة. صحيح، قد تكون لها علاقة بأسطورة ما، أو قد تكون بقايا أساطير، ولكن بالشكل الذي تطرح به، لايمكن عدّها إلا تقاليد، وعادات، وممارسات، وطقوسًا، وشعائر. صحيح أيضًا أن الأسطورة تضم التقاليد، والعادات، والطقوس والتعليلات، والتفسيرات، ولكنها تأتي بكل هذه الأشياء في شكل «حكاية». وهذا بالضبط ما ينقص أغلب النماذج التي يستشهد بها الباحثون العرب.

ـ مع أن أغلب الباحثين العرب يعتمدون على مفاهيم غربية في أثناء تعريفهم للأسطورة، فإن جلهم يسقط ـ في أثناء تقديمه للنماذج المختارة ـ في المفهوم المعجمي العربي القائم على أساس أن الأسطورة أباطيل وأكاذيب. لذلك فإننا نقرأ في أغلب تعليقاتهم على هذه النماذج، بأنها أباطيل، وأكاذيب، وسذاجة، وهروب من الواقع، وأوهام، ومجرد خيال لا علاقة له بالواقع.

الهوامش:

1ـ أنور أبو سويلم: دراسات في الشعر الجاهلي، جامعة مؤتة، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، 1987م، ص70.

2ـ عباس محمود العقاد: الفصول، مقالة «آراء في الأساطير»، الطبعة الثانية، بيروت، 1967م، ص 42– 56.

(3ـ7) أنور أبو سويلم: دراسات في الشعر الجاهلي، ص 70، 75، 82– 83، 104.

(8ـ12) عبدالملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، 1989م، ص16، 31، 38، 39، 88، 12.

13ـ ابن منظور: لسان العرب، مادة: خرف.

(14ـ18) مصطفى الجوزو: من الأساطير العربية والخرافات، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م، ص 44، 47، 54 – 55، 54.

(19ـ22) حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، ص 26، 27، 31، 185.

23ـ محمد عبد المعيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب، سلسلة العلوم الاجتماعية، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م، ص23 ومابعدها.

24ـ حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ص52ـ103.

(*) انظر على سبيل المثال:

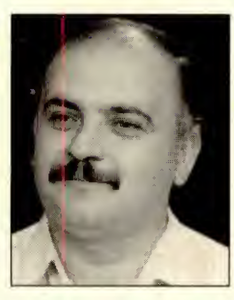
ـ علي عبدالحليم محمود: القصة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1979م.

ـ محمود سليم الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب، بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.

ـ شوقي عبدالحكيم: الفولكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م.

الأدب وإعادة تفسيره

كتاب "النمر والثعلب" لسهل بن هارون نموذجًا



محمد كرزون

في تراثنا العربي الإسلامي كنوز ثرية، نعرف بعضها، ويكشف الباحثون والمؤلِّفون اليوم عن بعضها الآخر الذي كان يُعتقد أنه كان ضائعًا. على أن كثيرًا منها سيبقى مفقودًا لأنه حُكِمَ عليه بالإعدام، كما حُكِمَ على كثير من العباقرة من علماء ومفكرين، من غير سبب يُذكر سوى خطرهم الفكري. وأحسب أن الفكر ـ مهما كانت ماهيته ـ كثير عليه حدّ السيف، حتى لو اتُّهِمَ بالشذوذ. وعندي؛ بل عند كل حر، أن الفكر لا يُقارَع إلا بالفكر، كالفارس الواثق من نفسه، الذي يأنف أن يضرب خصمه المجرد من السلاح، فيتيح له سيفًا من جنس سيفه، ليتبارزا وهما متكافئان في العدّة.

نتناول في هذا البحث كتابًا، فيقودنا إلى كشف النقاب عمّن ألفه، فإذا نحن أمام كشف مزدوج، جناحه الأول إلقاء مزيد من الضوء على حياة المؤلف، وجناحه الثاني الوقوف على عمل أدبي فكري متميِّز، هذا فضلاً عن أنه يسمح بتفسير جديد لبعض الوقائع التاريخية.

إن المصادر الأدبية التي بين أيدينا لا تكاد تعرّفنا الكاتب سهل بن هارون ـ ؟ ـ 215هـ ـ مع أنها تذكره، وتذكر المراكز التي شغلها في حياته، والمهام التي أوكلت إليه، بل تذهب أكثر من ذلك إلى مدح نثره والإشادة به، ولكنها ـ مع ذلك ـ لا تقدم معلومات عنه. فهو مقرَّب من الخليفة العباسي هارونَ الرشيد ـ 149ـ 193هـ ـ، بل هو كاتبه بعد نكبة البرامكة الشهيرة. وقبل الرشيد كان على صلة وثيقة بالبرامكة، وبعد الرشيد صار أمين مكتبه «دار الحكمة» في عهد المأمون ـ 170ـ 218هـ ـ، وهذا كل شيء، سوى أن المصادر كلها تكاد تجمع على أنه شعوبي(1)، دون أن تقدم أيّ دليل على ذلك، وتقف على عادة ذميمة في طبعه هي بخله، الذي أسرف الجاحظ ـ 163ـ 255هـ ـ أيّما إسراف في التشهير به(2). وعلى كل، فلم يصلنا من آثاره سوى رسالته في مدح البخل التي كان للجاحظ الفضل في إيصالها إلينا عبر كتابه البخلاء(3). وقد نقلت عنه تلك الرسالة كتب أدبية كثيرة.

ونستطع أن نأخذ خلاصة ما قالته مصادر الأدب عن سهل بن هارون من خلال التعريف به في كتاب «الأعلام» للعلامة خيرالدين الزِّركلي ـ 1311ـ 1396هـ ـ(4). فهذا الكاتب المتوفّى سنة خمس عشرة ومئتين للهجرة هو: «سهل بن هارون بن راهبون ـ أو راهيون ـ أبو عمر الدستميساني، كاتب بليغ، من واضعي القصص، يلقّب بـ «بزرجمهر الإسلام»، فارسي الأصل، اشتهر بالبَصرة، واتصل بخدمة هارون الرشيد، وارتفعت مكانته حتى أحلَّه محل يحيى البرمكي ـ 120 ـ 190هـ ـ صاحب دواوينه، ثم خدم المأمون، فولأه رياسة «خزانة الحكمة» ببغداد. وكان شعوبيًا، يتعصّب للعجم على العرب. والجاحظ كثير الإعجاب به، قال في وصفه: ومن الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار(5). وأخباره مع الخلفاء والأمراء كثيرة.

له: «كتاب ثعلة وعفرة» على نسق «كليلة ودمنة»، ألفه للمأمون، وكتاب «الإخوان» و«المسائل» و«المخزومي والهذلية» و«ديوان رسائل» و«سجرة ـ أو شجرة ـ العقل» و«تدبير الملك والسياسة» و«الرياض» و«الوامق والعذراء» و«النمر والثعلب»، وغير ذلك. ولا نعلم عن مصير كتبه إلا رسالة له في البخل»(6).

ومن الكتب التي ذكرها له ياقوت الحموي

ـ 574 ـ 626هـ ـ في «معجم الأدباء» ولم يذكرها الزركلي: «كتاب ندود وودود ولدود» و«كتاب الضربين» و«كتاب الغزالين» و«كتاب أدب أسل بن أسل»(7).

وأما البغدادي ـ ؟ ـ 1339هـ ـ صاحب كتاب «هدية العارفين» فإنه يزيد على ما ذكر ياقوت ـ أيضًا ـ «كتاب إلى عيسى بن أبان في القضاء» كان قد ذكره محمد بن إسحاق النديم ـ ؟ ـ 438هـ ـ في «الفهرست»(8)، و«كتاب القوانين»(9).

النمر والثعلب والصلة الثقافية بين المشرق والمغرب

على أن كتاب «النمر والثعلب» الذي طبع في تحقيقين مختلفين، في تونس(10)، ما يزال مفقودًا عندنا في المشرق، بل قل في كل العالم العربي والإسلامي. فقد حققه الأستاذ الدكتور عبد القادر المهيري، ونشر ضمن مطبوعات الجامعة التونسية عام 1973م، وكان الدكتور المهيري قد نشر فصلة منه سنة 1964م. في «حوليات الجامعة التونسية»(11). ونشره ثانية الأستاذ الدكتور المنجي الكعبي(12) بعد أن أعاد تحقيقه، مبينًا أن له اجتهادات وقراءات أقرب إلى الصواب من تحقيق سلفه، مشيرًا إلى ما جاء في مقدمة التحقيق الأول في صريح العبارة أن الدكتور المهيري لم يكن راضيًا عن تحقيق بعض فقرات الكتاب(13).

وما أظن أن أحدًا من دارسي النشر العربي القديم قد اطّلع على كتاب «النمر والثعلب» أو أفاد منه في رأي أو وجهة نظر جديدة، سوى ما جاء من إشارة عابرة إلى هذا الكتاب في كتاب الدكتور شوقي ضيف: «العصر العباسي الأول»(14)، والسبب واضح، هو أن ما يُنشر من مطبوعات في المغرب العربي لا يصل إلى المشرق، وأن أكثر ما ينشر في المشرق لا يصل إلى المغرب، وتلك أزمة حضارية كبرى نعاني منها.

بنى سهل بن هارون كتابه بناء قصصيًا سرديًا، وقد جاء في مقدمته المقتضبة: فإني رأيت أن أصنع لك كتابًا في الأدب والبلاغة والترسّل والحروب والحيل والأمثال والعلم والجهل، وأن أشرب ذلك بشيء من المواعظ وضروب الحكم... وجعلته أصلاً للعالم الأديب والعاقل الأريب». ثم بدأ يسرد قصته التي امتدت إلى آخر الكتاب، دون أن يجعل لها أبوابًا وفصولاً، بل تركها كلاً متكاملاً من دون أي نوع من التجزئة أو التبويب. فهو يدرك أنها تشكل وحدة عضوية لا يمكن تجزئتها، لأنها تعتمد على عنصر القصّ.

بدء الحكاية: معاناة الوحدة

الثعلب، وأسماه «مرزوقًا»، واختار له كنية «أبي الصباح»، زاره ذات يوم صديق له من الثعالب يُسمَّى «طارقًا»، فرأى حال بيته وموقعه، فنصح له تركه لأنه واقع في مجرى سيل يمكن أن يدهمه في أي وقت، فيؤذيه ومن معه أو يودي بهم، اقتنع «مرزوق» بالنصيحة، وذهب إلى امرأته يعرض عليها الأمر، فأنكرت الفكرة، واتهمت الزائر بالحسد، فتركه طارق وارتحل. وبعد مدّة جاء السيل، فطلب مرزوق إلى زوجه النزوح، فطلبت منه الصبر والتأني، وبينما هما في نقاشهما غمرهما السيل، فهرب مرزوق، ولكن السيل تبعه وحمله وألقى به في البحر. وما لبث أن وجد نفسه في جزيرة نائية وحيدًا ليس من امرأته وحسب، بل من كل بني جنسه الثعالب.

صادف في تلك الجزيرة ذئبًا ـ أسماه المؤلف «مكابرًا» وجعل له كنية «أبي العداء» ـ فتقرب إليه، وبدأ الصديقان الجديدان يشكو أحدهما للآخر مشكلاتهما ومعاناتهما، فأعلمه الذئب أن هَمَّهُ كبير؛ لأن في هذه الجزيرة نمرًا يحكمها، فلا يكاد أحد من وحوش الغابة غير النمر يحصّل قوته، ورثى لحال الثعلب الذي لن يستطيع أن يصيد أو يأكل؛ لأن غالب الصيد في هذه الجزيرة الظباء وبقر الوحش.

فكّر الثعلب في الأمر، واقترح على الذئب أن يسأل النمر أن يوليه ولاية ويأتيه بخراجها.

راقت الفكرة للذئب، فذهب إلى النمر، وطلب منه أن يقطعه قطعة، فولاّه على مناهل الظباء، وأطلق يده في تلك الناحية، على أن يأتيه كل حين بخراج مناسب. وهكذا تحولت حياة الذئب من التعاسة والغمّ إلى السعادة والغُنم. ولقد أكرم صاحبَ هذه الفكرة، الثعلبَ، فاستوزره، وجعله كاتبه. فوجدا ـ معًا ـ في تلك الناحية الرزق والمأكل والعيش الرغيد.

بطر الذئب عندما غرق في النعيم، فأصابه الغرور، ولم يشأ أن يرسل أي شيء إلى النمر، ناكثًا بوعده، متنكرًا لما عاهد النمر عليه. فلما

لا أحد من دارسي النشر العربي اطلع على كتاب «النمر والثعلب» أو أفاد منه لفقد الصلة بين مشرق العالم العربي ومغربه

طال الأمر على النمر دون أن يرى أي خراج من الذئب اغتاظ وأمر أن تكتب رسالة إليه فيها التهديد والوعيد.

حين وصلت الرسالة إلى الذئب توجّس خيفة، وطلب وزيره الثعلب يستشيره في الأمر، فقال له الثعلب: «من ينكح الحسناء يعط مهرها»، ونبّهه إلى أن «زخرفة الكلام لا تثبت من زلل الأقدام»، ثم إنه اقترح على صاحبه الذئب أن يعتذر إلى النمر، ويلتمس منه أن يمهله بعض الوقت؛ لأن أمره حادث، ولابدّ له من التثبيت في مكانه حتى يستطيع أن يفي بما وعد، وأن الولاء للنمر لم تشبه شائبة. فوافق الذئب على اقتراح الثعلب، وأمره أن يكتب إليه رسالة بليغة تتضمن ما اقترحه.

سرّ النمر بالرسالة لما فيها من مديح وإطراء، وتواضع من صاحبها واعتذار، ورأى أن يمهل الذئب، ويترك له فرصة جديدة لعله يكون صادقًا.

بداية العصيان

انتظر النمر كثيرًا، فلما طال أمد الانتظار، ووجد أن الذئب لم يف بوعده، ضاق ذرعًا به، فكتب إليه رسالة عنيفةً، هدّده فيها وتوعّده في لهجة أشدّ قسوة من الرسالة السابقة.

وعندما وصل التهديد إلى الذئب سارع إلى استشارة الثعلب في الأمر، وطلب رأيه، فلحظ الثعلب على الذئب مظاهر العصيان والخروج على طاعة النمر، واشتمّ منه رائحة التحدّي، فلم يشأ أن يبدي رأيًا يخالف هواه، وخاصة أنه كان قد نصحه سابقًا ألاّ يشقّ عليه عصا الطاعة، فلم تعد تنفع النصيحة من جديد. وانصاع إلى رغبة الذئب، فكتب جوابا إلى النمر يجمع بين التسامح والتحدي، واللين والشدّة، وأضفى عليها من بلاغته ما جعلها تبدو واضحة فصيحة.

أيقن النمر أن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لتأديب هذا العاصي، فجمع وزراءه، وكانوا ثلاثة، فاستشارهم في أمره، فكانت آراؤهم تترجّح بين متابعة المراسلات، والصفح والعفو لبعد ناحية مناهل الظباء عن مقر الملك، إذ ليس للذئب كبير تأثير في المملكة، وبين السرعة في الحرب قبل استفحال أمره. فمال النمر إلى الرأي الأول القائل بمتابعة المراسلات لاستجلاء حقيقة ما في نيّة الذئب، ولإفهامه بأنه لا طاقة له على حرب النمر.

وحقًا، فقد كانت الرسالة حازمة، ومما جاء فيها: «فإذا نظرتَ في كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت، فإن كان سلمًا فأقبل، وإلاّ، فأذن بحرب، والسلام».

عند وصول الرسالة إلى الذئب طلب من فوره رأي وزيره الثعلب، فكان رأي الثعلب - على الدوام - ميّالاً إلى عدم خوض الحرب؛ لأنه كان يأخذ تهديد النمر مأخذ الجد، وكان أقرب إلى الاعتراف للملك بسطوته وجبروته؛ لأن «الرعية لا تقوى على حرب الملوك». ولكن رأى الذئب استقر على الرد برسالة فيها تحدٍّ جديد. فما كان من النمر إلا أن قرر الحرب، فأنهض لمحاربة الذئب نمرًا يقال له «الوثاب بن المنتهش»، وزوّده برسالة تنبئ عن غضب شديد وعقاب أشدّ.

انتصار مؤقت للذئب

فوجئ الذئب بجدية النمر، ذلك أنه كان قبلا لا يحمل تهديده محمل الحقيقة، بل يعدّه مناورة لكسب الخراج، فبدا الخوف عليه، وطلب رأي الثعلب، فقال له: «لم يعد ينفع إلا الثبات ورباطة الجأش»، وأردف: «إن الرأي مثل شجرة تؤتي أكلها في حين موقوت، فإذا فرّطت جناها أضعت حظك منها، وقد كان لك عن المكروه مندوحة، إذ كان الرأي غير مشكل، أمّا الآن، فأيقن أنك ملاق، وشمّر للحرب عن الساق».

ولقد كانت المفاجأة مذهله، إذ استطاع الذئب في الحرب أن يقتل «الوثاب بن المنتهش» وينتصر.

اغتاظ النمر من نتيجة الواقعة، ولا سيما أن الذئب قد أتبعها برسالة فيها اعتداد بالنفس وسخرية من النمر وقوته وقوة أعوانه، ومما جاء فيها: «فاربع على ظلعك أيها النمر، فإننا لن تحمل أبداننا ذل سلطانك، ولن نظلم أنفسنا بحكمك فينا، وليس لك عندنا إلا حدّ السيف... فإن عدلت عن التهور بحسن التدبير فذلك أحجى بك، وإلا فإني بما أدنتَ به أدين».

كان وقع الخبر على النمر فظيعًا، فأسرع إلى تجهيز جيش آخر، ووضع على رأسه نمرًا مشهورًا بقوته وبأسه، يقال له: «خداش بن عضاض»، وزوّده بكتاب فيه كل صور النهاية الفظيعة التي يُعدّها للذئب. وأيضًا، فقد استطاع الذئب أن ينتصر على قائد الحمله الجديدة، وأن يذيقه المنون، مما حدا بالنمر إلى جمع حاشيته لاستشارتهم في أمر هذا الذئب الذي كاد يستعصي على النمور. فكان الرأي الأول أن تُرسل حملة جديدة على رأسها نمر أقوى من خداش، أما الثاني، فكانت خلاصته: «اتركوه ما تركّكم»، ورأى الثالث أن ينهض له الملك بنفسه في حملة يقودها لينهي المشكلة. وقد أخذ النمر بالرأي الثالث.

نهاية الذئب.. وبدء مجد الثعلب

وأيضًا، فقد وصل الخبر إلى الذئب، فاستشار صديقه الثعلب، فأنّبه الثعلب على ما فرّط فيه، وبين له أن الحرب لا مفر منها، وأن ليس أمامه إلا الهروب أو الموت، وأنه لم يعد له أي ملجأ يقيه من النهاية المأساوية، وذكّره بأنه قد سدّ كل منافذ الحوار والتفاهم مع النمر.

هَمَّ الذئب بالفرار، ولكنه تريّث قليلاً، فاستشار ذئبًا من بني جنسه، فما كان من هذا الذئب إلا أن سفّه رأي الثعلب، وعدّه أحد الحساد الحاقدين. فمال الذئب إلى رأي قرينه، وهكذا وجد نفسه وجهًا لوجه أمام النمر المسمى «المظفر بن منصور».

وعند اللقاء، استطاع النمر أن ينتصر عليه بسهولة، ويقتل جميع الذئاب التي كانت في تلك الحوزة، وعندما وصل الدور في القتل إلى الثعلب صاح بهم قائلاً: «عندي نصيحة للملك».

استغرب النمر من هذه النصيحة المتأخرة، فتمثّل ببيت من الشعر:

الوحدة الموضوعية أهم ما ميز الكتاب ومنحه قيمته، وهي سمة لم تكن شائعة في فن النثر في عصر المؤلف أو قبله

يذكرني حاميم والرمح شاجر
فهلا تلا حاميم قبل التشاجر

ثم خاطب الثعلب، فاتهمه بالغدر والفتنة، وتمنيه الموت للنمر. فخاطب الثعلب فيه الملك المتسامح الذي يحسن الإصغاء، فهدأ النمر، وطلب منه أن يتحدّث.

فقال الثعلب: «عندي للملك خمس خصال، إحداهن خير من مال كثير»، ثم عددها وقال له: «نصيحة لا تدركها فضيحة، وأمانة لا تشوبها خيانة، وطاعة لا تقدح فيها معصية، وخدمة لا تخالطها سآمة، ورأي لا يتعقبه خطل».

كان النمر ووزراؤه، وهم يستمعون إلى الثعلب، يتحسبون منه، فلم يطمئنوا إليه؛ بل كان أعوان الملك ينتظرون إشارة من الملك للإجهاز عليه. ولكن الثعلب استطاع أن يجعل الحديث سجالاً مع النمر ووزرائه، فتشعبت موضوعاته، وتحول إلى امتحان يشبه المحاكمة، يستبينون فيه ما عند الثعلب من آراء وأفكار، إلى أن انتهى إلى الإعجاب والتقدير لما عند هذا المخلوق الصغير حجمًا، الكبير عقلاً. وقد قرر النمر في نهاية المطاف أن يستوزر الثعلب، ويجعله من خاصته. وبذلك حقق الثعلب بفكره نصرًا سياسيًا جديدًا مهمًا لم يحققه من قبله الذئب الذي كان أكبر حجمًا وأشد قوة.

كتاب فكر وفلسفة.. وسياسة أيضا!

وقد تطرّق الكتاب - القصة - إلى كثير من الموضوعات الفكرية والفلسفية، وما يتصل منها بالحكم وتدبير شؤون السلطان، وقد جاءت بشكل غير مباشر من خلال المساجلة الفكرية بين النمر وأعوانه من طرف والثعلب من طرف آخر. ومن تلك الموضوعات:

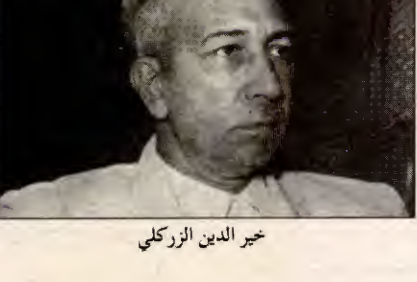
- العداوة الباطنة والعداوة الظاهرة.
- الإنسان وحاله ونقصانه وكماله.
- الزهد والعفة.
- اللسان رسول والقلب مرسل، ولا يقوم الرسول مكان المرسل.
- مكانة الدين السامية، فعنده أن الكمال في ثلاثة: الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة.
- اكتساب المجد والحمد.
- العلم وحاجة الإنسان إليه.
- مودّة الجاهل وعداوة العاقل سواء في الخطر.

وغيرها من الموضوعات التي كان يقدمها النمر أو أحد أعوانه على شكل سؤال، فيجيب عنها الثعلب جوابًا وجيزًا بليغًا مكثفًا.

ومن النصوص التي جمعت بين قوّة الفكرة وجمال العبارة في أسلوب نثري رفيع، هذا النص الذي جاء على لسان الثعلب:

«قال: فَصف العاقل.

قال الثعلبَ: العاقل موفق للرشد في كل أمره، ولا تلقاه إلا ناصحًا للولاة، موقّرًا للرؤساء، منقادًا للفقهاء، موفيًا للإخوان، متحرزًا من الأعداء، غير حاسد للأصحاب، ولا مخادع للأخبار، ولا متحرّش بالأشرار، ولا شاغب على الناس، ولا مرح في الولاية، ولا بخيل في الغنى، ولا ذليل في الفاقة، ولا جامح في الغضب، ولا منقاد للهوى، ولا مكذب بالقضاء، ولا متكل عليه، ولا متكلف ما لا يطيق، ولا يسعى إلا لما يدرك، ولا يَعدُ إلا بما يقدر عليه، ولا ينفق إلا ما يقدر أن يستَفيد به، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من العناء، ولا يفرح لما يقال فيه إلا بما يرى نفسه أهلاً له، علمًا منه أنّ تكلُّف ما لا يطاق سَفَهٌ، وأن السعي لما لا يدرك عناءٌ لنفسه، وأن وعد ما لا ينجز فضولٌ، وأن الإنفاق من غير فائدة خُرْقٌ، وأن طلب الجزاء بغير العناء سخافة، وأن بلوغ المنزلة بغير استحقاق إشفاء على الهلكة».


خير الدين الزركلي

ومن النصوص المميزة - أيضًا - هذا النص:

«قد أعلمتك أن أحدًا لا يكمل في كل الخلال حتى يأتيه عيب من بين يديه أو من خلفه، لكنّ ذا اللب إذا خالطه بعض المساوئ كان له من عقله ساتر يحجبه عن أعين الناس، فإن لم يقدر على ستره أحسن مداراة نفسه حتى ينصرف عنه قبح الاسم منه إلى ضدّه، فيقال للجبن حذر، وللبخل تقدير، وللسفه فيه انتصار، وللحرص اكتساب، وللعيّ صمت، وللفظاظة قوة، ولإفراط العقوبة تأديب، وللغضب عزّ، وللجزع رقّة، ولسوء الظن حذر، وللعجله عزم، وللعصبية أنفة، وللخطأ قضاء، وللظلم اقتدار، وللاغترار تفويض، وللمهانة خشوع، وللهذر بلاغة، ولترك المشورة استغناء، وحسن هذه الأسماء كلها منصرف في الجاهل إلى قبحها»(14).

نوع آخر من النصوص تبدّى واضحًا في النص، وهو الحوار الفكري الذي جرى بين النمر والثعلب، والذي انتهى إلى اتخاذ النمر الثعلب وزيرًا له:

«فأقبل عليه الملك - أي النمر - فقال:
- أيها الثعلب، من صغرت الدنيا في عينه؟
قال: من كرمت عليه نفسه.
قال: فمن أعظم الناس قدرًا؟
قال: من لا يبالي بالدنيا عند من كانت.
قال: أي الأعمال أفضل؟
قال: اجتناب المحارم.
قال: أي الناس أعلم؟
قال: أشدهم لله خشية.
قال: فأي الناس شرّ؟
قال: العالم إذا فسد.
قال: فمن أحق الناس بالرحمة؟
قال: عالم يجري عليه حكم جاهل»(15).

جوانب تميز الكتاب

وأرى أن قيمة كتاب النمر والثعلب تظهر في عدّة جوانب، لعل أهمها البعد الرمزي الذي يشف عنه النص، فالقصة تعكس بشكل غير مباشر أهم مراحل حياة كاتبها، سهل بن هارون، ولا سيما بعد المحنة التي واجهها إثر نكبة البرامكة، وما تلاها من إبعاد للعنصر الفارسي عن مراكز الحكم الحسّاسة. فسهل، كما يبدو من القراءة المتأنية للنص، هو الثعلب، وآل برمك هم الذئب، وهارون الرشيد هو النمر. وأزعم أن استنتاجي أقرب إلى الصواب؛ لأن حقائق التاريخ تؤيده، فقد كان سهل من المقربين من آل برمك، ثم حصل لهم ما حصل عندما استأصل الرشيد أثرهم، بعد أن كان قربهم إليه ومكّنهم من التحكّم بالناس. ولا يستغرب أن يكون سهل قد صنع الكتاب للرشيد، ليهدّئ من انتقامه منه، ويلمح إليه أن عنده من الفكر النيّر والرأي الراجح ما يفيد

الرشيد. وأغلب الظن أن الرشيد قد عدل عن التنكيل به، خلافًا لما فعل بأصحابه، بعد أن قرأ هذا الكتاب. ومعلوم أن الرشيد كان من الخلفاء الذين امتلكوا ثقافة واسعة ورؤية نقدية ثاقبة وعقلاً راجحًا. ويؤيد ما ذهبنا إليه أن مكانة سهل قد تعززت بعد الرشيد، وذلك حينما ولاّه المأمون بن الرشيد أمانة خزانة دار الحكمة.

وأما ما قيل في أغلب المصادر الأدبية والتاريخية عن شعوبية سهل، فالراجح عندنا أنها صفة نسبت إليه دون أن تكون فيه على تلك الصورة التي صوّرتها المصادر التي جعلت الأمر جازمًا لا يقبل الجدال أو المناقشة. وربما ألصقها به الشعوبيون أنفسهم من الفرس، فسهل، وهو الكاتب البليغ المقرّب من آل برمك، لم يقف موقفًا يتعاطف فيه مع البرامكة، بل ذهب إلى أحضان الرشيد، متنكرًا لأبناء قومه الفرس، الذين اهتزت مكانتهم وكرامتهم عندما نُكِّل بزعمائهم. فلا بد لمن بقي من رجالات الفرس في قمة الحكم وبطانة الخليفة أن ينسحبوا، وهذا لم يفعله سهل، بل كان يبحث - بأي ثمن - عن مكانة له في بلاط العباسيين. وربما - أيضًا - كان الشعوبيون أنفسهم هم الذين حكموا على أعمال سهل بالضياع أو الحرق أو الإفناء، فلم يسلم لنا من مؤلفاته إلاّ هذا الكتاب الذي وجد منه المحقق الأول نسخة فريدة في «دار الكتب الوطنية بباريس». ولعل ما يؤيد رأينا أن كل المصادر التي تتهمه بالشعوبية لم تأت بأي نصّ يدلّل على اتهامها له، في حين حفظت لنا بعض مصادر التراث رسالته في مدح البخل، وهي رسالة لا تقدم تفسيرًا يذكر للأحوال السياسية أو الفكرية التي كانت سائدة في عصره، فضلاً عن أن رأيه في البخل كان يدعمه بشواهد من حياة الصحابة والتابعين وهم عرب دون أدنى شك، فلو كان شعوبيًا متحاملاً على العرب لكان وضع رسالة في ذمّ العرب والتشهير بعوائدهم في البخل. ثم إنه لو كان صريحًا في شعوبيته لحفظت نصوصه تلك كما حفظت نصوص أبي نواس - 146- 198هـ -، وغيره من الشعوبيين(16) الذين ألصقوا بالعرب أقبح الصفات، ورفعوا كثيرًا من قيمة الفرس وحضارتهم، ومع ذلك حفظت نصوصهم، ووصل إلينا كثير منها. فما بال هذا الكاتب لا يكاد يسلم من آثاره لنا شيء؟ وهي آثار كثيرة كما عددتها المصادر.

آراء فكرية ووحدة موضوعية

ونستطيع أن نتبين جوانب أخرى فكرية، لعل أهمها النهاية المنطقية التي انتهى إليها الذئب الذي تغطرس وتكبّر ولم يقدر نفسه حق قدرها، فظنّ نفسه - بعد أن حقق الانتصار الأول - أنه يجاري النمر في قوّته وعدته، وكأننا بسهل يريد أن يقول لو أن الذئب وزن نفسه بميزان الواقع لما صار إلى ما صار إليه.

وقد رأى سهل بن هارون أن يبث في تضاعيف كتابه القصصي أفكاره وآراءه في السياسة وتدبير المُلك، وقد وفّق إلى حد كبير في ذلك.

ولعل أهم ما يثير الاهتمام في هذا الكتاب الوحدة الموضوعية التي بُني عليها، وتلك سمة لم تكن شائعة في فنون النثر في عصره، ولا في العصور التي سبقته، سواء أكان النثر موضوعياً أم قصصيًا، ولعل أقرب القصص إليها ما وضعه عبد الله بن المقفع - 106- 142هـ - من قصص في كتاب «كليلة ودمنة» الذي قيل إنه قد ترجمه عن البهلوية، ولكن ميزة كليلة ودمنة أن فيه كثيرًا من التداخل في القصّ، فقبل أن تنتهي قصة تدخل غيرها في سياقها، وغالبًا ما يكون التداخل من التعقيد بحيث يجد القارئ صعوبة في متابعة كل قصة على حدة، ولا تكمل عنده القصص إلا في نهاية الكتاب، وهي - على أي حال - قصص وليست قصة واحدة. على حين نجد في «النمر والثعلب» سردًا مناسبًا متتابعًا، المقدمات فيه تفضي إلى نتائج، كل ذلك في وحدة موضوعية متكاملة.

أما الملامح الفنية، فإنها تبدأ من العنوان، فقد اختار أن يكون العنوان «النمر والثعلب»، مع أن أغلب أحداث القصة كانت بين النمر والثعلب والذئب، ولعله أراد أن يقول: إن الأحق بالانتباه هما النمر والثعلب؛ لأن الأخير كان وراء الذئب في ولايته التي ولاّه إياها النمر، إذ قبل رأي الثعلب كان الذئب يعيش في خوف وجوع، وعندما قدّم له الرأي رفعه إلي مرتبة متقدمة في الحكم، ثم كان ما كان من لقاء النمر بالثعلب الذي اعترف للأخير بفضله، ورجاحة عقله، وقرَّبه منه.

كما نرى أن الكاتب لا يركّز على آلية سير المعارك بين الذئب وخصومه، وإنما يجعلها معركة خاطفة. وقد كان واقعيًا في الوصف، فلم يسلم بطل أي وقعة من الوقعات التي ذكرها من أذى، ولم يكن هناك بطل خارق، بل نراه يذكر أن المنتصر جُرح أو «مُزّق إهابه» أو أصيب بأذى واضح، وهذا دليل على توخي ما يعقل، فالكتاب فكريّ سياسي، ولا حاجة للإطالة في وصف العراك، ولا داعي لوجود البطل الخرافي الخارق للعادة.

الهوامش:

1- انظر ترجمة سهل بن هارون في:
الجاحظ: البيان والتبين. أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة. ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد. محمد بن إسحق النديم: الفهرست. ياقوت الحموي: معجم الأدباء. محمد كرد علي: أمراء البيان. خيرالدين الزركلي: الأعلام. وغيرها من كتب التراجم ومصادر الأدب. ولم نذكر الطبعة؛ لأن هذه الكتب طبعت مرارًا نظرًا لأهميتها.

2- مع أن الجاحظ كان معجبًا بسهل بن هارون، إلا أنه أسرف في نعته بالبخل، معتمدًا على آراء سهل في رسالته التي يمتدح بها البخل، مع إضافة بعض الطرائف من حياة سهل إلى ذلك. وقد ذكره في أغلب كتبه؛ لأن سهلاً كان من أعلام أدب الترسّل في العصر العباسي.

3- راجع نص الرسالة في كتاب البخلاء للجاحظ.

4- الزركلي، مصدر سابق.

5- الجاحظ، البيان والتبين.

6- تلك التي ذكرناها في الحاشية رقم (4).

7- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ 4، ص 266.

8- محمد بن إسحاق النديم، الفهرست.

9- إسماعيل باشا بن محمد الباباني البغدادي، هدية العارفين، ط1، استانبول، ج1، ص 411.

10- سهل بن هارون، كتاب النمر والثعلب. تح: د. عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1973م. وتحتوي هذه الطبعة على مقدمة للتحقيق باللغة العربية، والنص الكامل للكتاب، وترجمة كاملة للكتاب إلى اللغة الفرنسية، مع تعريف بالمؤلف بالفرنسية أيضًا. الكتاب من القطع الكبير، وجاء في 180 صفحة.

11- حوليات الجامعة التونسية، العدد الأول، 1964م. فصلة من كتاب «النمر والثعلب» بتحقيق د. عبد القادر المهيري، ص ص 19- 40.

12- سهل بن هارون، كتاب النمر والثعلب. تح: د. المنجي الكعبي، ط1، تونس 1980م. وقد ألحق المحقق النص بفهارس هي: مقارنة للفصول الحكمية مع «كليلة ودمنة»، وفهرس الاقتباس، وفهرس المعاني، وفهرس ألفاظ اللغة التي شرحها المحقق في الحواشي، ثم فهرس المصادر والمراجع. الكتاب من القطع المتوسط، وجاء في 116 صفحة.

13- يقول د. المهيري في تقديمه للكتاب: «لذا رأينا نشره بين الناس، وإن لن نكن راضين عن تحقيق بعض الفقرات»، ص 5.

14- د. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة.

15- آثرنا الاستفاضة في التلخيص، وأعقبنا ذلك باختيار بعض النصوص النثرية من الكتاب؛ لأنه غير مبذول، على الأقل، في المشرق العربي.

16- من صريح ما يقول الشاعر المتوكلي في ذلك - مثلاً - ما أورده د. شوقي ضيف في كتابه «العصر العباسي الثاني» ص 100.

أنا ابن المكارم من نسل جم ... وحائزُ إرث ملوك العجم

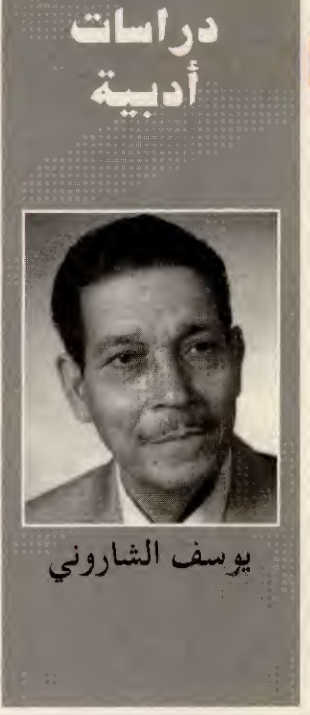
فقل لبني هاشم أجمعين ... هلموا إلى الخلع قبل الندم

وعودوا إلى أرضكم بالحجاز ... لأكل الضباب ورعي الغنم

فعلى كل هذه الصراحة في التهجم على العرب، ممثلين عنده ببني هاشم، لم يحكم على هذا النص بالفناء، بل وصلنا.

دراسات أدبية

شعراء عمانيون



يوسف الشاروني

في مناخ النهضة العمانية الحديثة التي بدأت عام 1970م، ظهرت بوادر نهضة أدبية مواكبة، نحو تطوير فنون أدبية كالشعر أو ظهور قوالب أدبية جديدة، ما عرفها تاريخ الأدب العماني كالقصة القصيرة والرواية، فضلاً عن الدراسات الأدبية والتاريخ والنقد الأدبيين، وهي مجالات لم يُفرد التراث العماني كتباً لها، بل كانت تَرِدُ متناثرة في كتابات المؤرخين العمانيين. ولما كان للشعر في تاريخ الأدب العماني نصيب الأسد - كما يقولون -، فلا عجب أن كانت الأغلبية للمؤلفات التي تعرضت للشعر نقداً أو تأريخاً.

فقد ظهرت حتى الآن - في حدود علمي - خلال ربع القرن الأخير المؤلفات الآتية التي تناولت دراسة الشعر العماني قديمًا أو حديثًا:

1- **شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان** لمحمد بن راشد بن عزيز الخصيبي (1918- 1990م)، ظهر في ثلاثة أجزاء ونشر جزؤه الأول عام 1984م، وتولّت نشر الأجزاء الثلاثة وزارة التراث القومي والثقافة العمانية.

2 - **الشعر العماني: مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية** للدكتور علي عبدالخالق، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

3 - **في الشعر العماني المعاصر** للدكتور عبداللطيف عبدالحليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1989م.

4 - **مدخل إلى دراسة الأدب في عمان** للدكتور أحمد درويش، دار الأسرة، 1992م.

5 - **شعراء عمانيون** لسعيد الصقلاوي، مطابع النهضة، مسقط، 1992م.

فضلاً عن مؤلفات عبدالله الطائي (1927- 1973م) التي لم تقتصر على شعراء عمان، بل توسعت زمانًا ومكانًا فشملت شعراء ابتداء ممن عاصروا معاوية بن أبي سفيان إلى الجيل المعاصر، أي في حقبة تمتد نحو أربعة عشر قرنًا، وتشمل الوطن العربي كله من العراق شرقًا حتى المغرب والأندلس غربًا، ومن لبنان شمالاً حتى السودان جنوبًا.

وبالإضافة أيضًا إلى ما نُشر عن الشعر الشعبي العماني، ولاسيما مؤلفات الغيلاني: فنون الشعر الشعبي العماني (1985م)، وشاعر البحر والبادية محمد بن جمعة الغيلاني (د. ت). والأدب الشعبي في بلاد الشراع الذي جمع فيه شعر الشاعر الشعبي سعيد بن عبدالله ولد وزير (د. ت).

أما القصة العُمانية فلم يكن نصيبها من المؤلفات - في حدود علمي أيضًا - إلا كتابيَّ في «الأدب العماني الحديث» الذي صدر عن دار رياض الريس بلندن عام 1990م، و«قصص من التراث العماني» مسقط عام 1987م.

ونحن نلاحظ أن العمانيين قاموا بتأليف ثلاثة كتب عن الشعر العماني - وإن تجاوز عبد الله الطائي هذه الحدود الجغرافية -، كما شارك ثلاثة مصريين في تأليف الكتب الثلاثة الأخرى. كما أن عمانيًا هو الذي تولّى تقديم الشعر الشعبي العماني بحسبانه أكثر التصاقاً بالمناخ والمزاج العمانيين.

كذلك نلاحظ أن المؤلفات التي تناولت الشعر العماني تراوحت ما بين مؤلفات تكاد تقتصر على الشعراء التقليديين مثل كتابي «شقائق النعمان»، و«شعراء عمانيون». بل إن كتاب «شقائق النعمان» لا يقتصر على الشعراء التقليديين فحسب، ولكن منهجه - كما يدل عليه عنوانه - منهج تقليدي «كان شائعًا حتى وقت قريب في مجالس العلم في عمان متمثلاً في حلقات دروس المساجد، والالتفاف حول الشيوخ الثقات، ثم السماع والرواية... وهذا المنهج يمكن أن يعرف بمنهج المشافهة أو منهج الجامع تمييزًا له من المنهج (الأكاديمي) الذي يمكن أن يُعرف بمنهج الكتابة أو منهج الجامعة (د. أحمد درويش، مدخل إلى دراسة الأدب في عمان، ص 59). بينما هناك مؤلفات اقتصرت على الشعراء المعاصرين مثل كتاب: «في الشعر العماني المعاصر» للدكتور عبداللطيف عبدالحليم. وكتابات تناولت القدامى والمحدثين معًا مثل مؤلفات عبدالله الطائي والدكتور أحمد درويش الذي تناول بالدراسة الشعراء التقليديين حتى عبدالله الخليلي الذي حاول أن يطوِّر شعره، بينما اقتصر على تقديم المحدثين بنماذج من شعرهم.

رفض الشعر الحديث أم قبوله؟

ويتفاوت المنهج (الأكاديمي) الذي تناول الشعر العماني ما بين المواجهة بالحقيقة العارية «دون أن أقصم ظهور الناس بالمجاملة، وهي في أغلبها رياء في الكاتب أو المتكلم وغفلة في القارئ أو السامع» على حد تعبير الدكتور عبداللطيف عبدالحليم في مقدمة كتابه: «في الشعر العماني الحديث»، مما أغضب بعض الأدباء العمانيين من صراحته في إعلان رأيه فيما يكتبون. ومنهج (أكاديمي) يتناول الشعراء من خلال مواقعهم المكانية والزمانية على نحو ما فعل الدكتور أحمد درويش في كتابه: «مدخل إلى دراسة الأدب في عمان» الذي لم يدرس إلا الشعراء التقليديين، بينما د. عبداللطيف لم يقدم إلا شعراء معاصرين. فعلى سبيل المثال يفرق الدكتور أحمد درويش بين من يسميهم شعراء عصر المشافهة، ومن يكادون يلامسون عصر الطباعة والقراءة مثل الشيخ عبدالله الخليلي. ويكفي أن نقرأ رأي الناقدين في تجربة هذا الشاعر العماني المخضرم مع الشعر الحديث. فبينما يرى د. أحمد درويش أن الشيخ الخليلي لم يكتف بمجرد قبول الشعر الحديث ولكنه تقدم بشجاعة أدبية إلى المشاركة بالإنتاج وهو في منتصف عقده السابع...» (مدخل إلى دراسة الأدب في عمان، ص 238)، نجد أن د. عبد اللطيف يعلن في ختام دراسته عن الشاعر نفسه أن «شجاعته في الدعوة إلى مثل هذا التجديد شهادة عليه لا له، وصوته الأول له من قرائه الأصدقاء، كل نافلة من حمد وثناء» (في الشعر العماني المعاصر، ص 57). ولعل لموقف الناقدين مما يُسمى شعر التفعيلة الحديث دخلاً في رؤية كل منهما، فبينما يرفضه الدكتور عبداللطيف عبدالحليم رفضًا تامًا - وهو شاعر أيضًا وليس ناقدًا فقط - ويطلق عليه اسم الشعر السايب محتذيًا في ذلك حذو أستاذه العقاد الذي يبدو من صفحات الكتاب أنه يُكِنُّ له تقديرًا خاصًا؛ فإن الدكتور أحمد درويش يرى أن الحركة الجديدة للشعر قد بثّت حيوية فيه تعبيرًا وموضوعًا ومحورًا وهدفًا ورسالة (مدخل إلى دراسة الأدب في عمان، ص 227).

كانت عمان إمبراطورية ممتدة إلى حدود واسعة، لذا كان شعراؤها أقرب إلى التنقل داخل دولة واحدة منه إلى الهجرة من دولة إلى أخرى

والدكتور أحمد درويش هو الذي كتب مقدمة كتاب «شعراء عمانيون» قدَّم لنا فيها سعيد الصقلاوي مؤلف الكتاب بوصفه من الأسماء اللامعة بين الشعراء العمانيين المعاصرين، كما عرفت كثير من قصائده طريقها إلى الأغنية العمانية الحديثة. وقال إن هذه الطبيعة الفنية ساعدته من دون شك على تلمس بعض جوانب أسرار الإبداع الفني عند الشعراء الآخرين، بالإضافة إلى «ثقافته كمهندس معماري من شأنه التخطيط والتنسيق والاهتمام بالتفاصيل والمؤثرات والتذوق الجمالي الذي قد يلتقي في عمقه معمار البناء الهندسي والبناء الفني» (شعراء عمانيون، ص 15).

وكان الدكتور عبداللطيف عبدالحليم قد أفرد للصقلاوي فصلاً في كتابه «في الشعر العماني الحديث» عدّه فيه خير ممثل لما يمكن تسميته بالسلفية العصرية أو العصرية السلفية، ويختم مقاله بتقديره لهذا الشاعر «مدركا أنه صوت شاعر متميز لا في منطقة الخليج وحدها، بل على مستوى الناطقين بالعربية» (في الشعر العماني الحديث، ص 107).

وفي المقدمة التي كتبها سعيد الصقلاوي نفسه لكتابه أعلن أنه ليس كتابًا (أكاديميًا)، بل أريد منه أن يقدم المعلومة في ثوبها البسيط لتكون في متناول الجميع وفهم الجميع، فهو خطاب لكل الفئات وليس للخاصة فقط، وأن نشره على صفحات الجرائد كان له التأثير الأقوى على تشكّله في صياغته البسيطة.

تجنيس الشعراء

ثم أثار سعيد الصقلاوي في مقدمته قضية طالما أثارت تساؤلاً عند التأريخ للشعراء العمانيين، وناقشها أحمد درويش باستفاضة في كتابه «مدخل إلى دراسة الأدب في عمان»، تلك هي قضية تجنيس الشعراء، أي منحهم الجنسية العمانية. فإذا لم تكن هناك مشكلة فيما يتعلق بهؤلاء الذين وُلدوا في عمان وعاشوا فيها، فإن المشكلة تظهر ابتداء من هؤلاء الذين، وإن وُلدوا في عمان، إلا أنهم هاجروا منها إلى ما أطلق عليه د. أحمد درويش «المهجر الشمالي»، أي إلى ما بين النهرين، وإلى البصرة على نحو أخص، حتى هؤلاء الذين كانوا ينحدرون من أسر ترجع أصولها إلى عمان. بينما لم تكن الهجرة إلى «المهجر الإفريقي» تمثل أية مشكلة، لأنه كان

ـ على الأقل في حقبة من الحقب التاريخية ـ يمثل جناحًا من جناحي إمبراطورية عمانية امتدت من سواحل إفريقيا الشرقية وجزرها غربًا حتى سواحل باكستان حاليًا شرقًا، فهم أقرب إلى التنقل داخل دولة واحدة منه إلى الهجرة من دولة إلى أخرى.

وقد كان من حظ هؤلاء الشعراء المهاجرين إلى الشمال، أو المنتسبين إلى أسر هاجرت من عمان إلى البصرة وغيرها، أن اهتمت بهم المصادر الأدبية القديمة «منسوبين في معظم الأحيان إلى المدن الثقافية التي اشتهروا فيها كالبصرة مع إشارات أحيانًا إلى الموطن الذي ينحدرون منه» (مدخل إلى دراسة الأدب في عمان، ص 29).

منهج التاريخ

ونحن نستطيع أن نستخلص منهج سعيد الصقلاوي في تاريخه لبعض شعراء عمان من جمل وفقرات متناثرة هنا وهناك على النحو التالي:

ـ أنه لا يجنح إلى الحصر، بل حسبه التمثيل (شعراء عمانيون، ص 242). ويفسر لنا ذلك كيف أنه لم يتناول بالدراسة إلا اثنين وثلاثين شاعرًا مقارنة بمئة وخمسين اسمًا تضمنها كتاب الشيخ محمد بن راشد الخصيبي «شقائق النعمان».

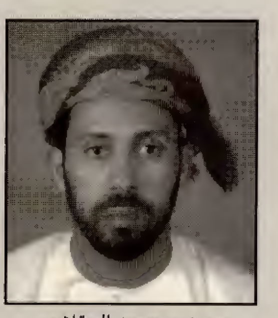
ـ أنه حرص، على نحو ما ذكر في المقدمة، أن يذكر التأثيرات الفاعلة والتيارات المؤثرة في أعمال الشعراء الإبداعية ومدى تأثيرها في المسار التاريخي، والظواهر الاجتماعية، ورصد الملامح الفكرية والإنسانية. وهنا نلاحظ أنه عند دراسته للشعراء المحدثين استطاع أن يكون أكثر توسعًا في تناول المناخ والبيئة التي أثّرت في الشاعر وشعره لتوافر المصادر على نحو ما فعل مع الشاعر الحبس (ص 133). والخروصي (ص 153). وتعدّ دراسة الخروصي نموذجًا للدراسة الأكثر استيفاءً، ربما بسبب جهد أكبر بذله المؤلف لأنها كانت بحثًا ألقي في مؤتمر وليست مجرد مقال في صحيفة شأن معظم المقالات الأخرى، ولأن المعلومات المتاحة كانت أكثر في الديوان المحقَّق وفي مقدمته. ولا شك أن ما نشرته وزارة التراث القومي والثقافة العمانية في الخمس والعشرين سنة من عمر النهضة العمانية الحديثة كان عونًا كبيرًا لكل من حاول أن يتناول دراسة الشعر العماني، بل ربما لولا نشر هذه الدواوين ـ برغم شوائب تحقيقها أو عدم تحقيقها أصلاً ـ لكان متعذرًا القيام بتلك الدراسات.

ـ أن المؤلف يربط بين شخصية الشاعر وشعره، وذلك على نحو ما أشار إليه عند تناوله للشاعر الملقَّب بنفطويه بسبب لونه المشابه للنفط ولدمامته نتيجة إصابته بالجدري. فسعيد الصقلاوي يذكر أن تأثير الدين كان قويًا فيه مما أكسبه الورع الذي أضفى على رؤاه مفاهيم تنبع من الدين.

ـ أنه التزم الترتيب الهجائي للشعراء الذين تناولهم طبقًا لأسمائهم الأولى وليس



د. عبد اللطيف عبد الحليم



سعيد بن محمد الصقلاوي

لاسم الشهرة أو القبيلة. وكان الأولى التزام الترتيب التاريخي حتى يتضح تطور مسيرة الشعر العماني، والاكتفاء بالترتيب الهجائي في كشّاف في نهاية الكتاب.

ونحن نلحظ سلبيات التزام الترتيب الهجائي عندما نقرأ مثلاً ما ذكره المؤلف عن الشاعر سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي (أبو سلاّم) المولود عام 1292هـ والمتوفى عام 1380هـ من أنه اتجه إلى لون من الشعر قد سبقه إليه أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي المولود عام 1273هـ والمتوفى عام 1339هـ (طبقًا لما أورده الدكتور أحمد درويش في كتابه وناقش ما أورده سعيد الصقلاوي الذي لم يذكر تاريخ ميلاد الرواحي وذكر أن وفاته كانت عام 1308هـ). ولكن إذا كان الكندي في الترتيب الهجائي قد جاء الرابع عشر فإن الرواحي «الذي سبقه» جاء ترتيبه التاسع والعشرين.

كذلك فإن المؤلف حين يتحدث عن الشاعر المعولي يذكر أن خميس الحبس معاصره، وعلى هذه المعاصرة فإن خمسة عشر شاعرًا يفصلون بينهما في الكتاب؛ مما يؤدي إلى تعذر استخلاص السمات العامة والفروق الفردية بين شعراء القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. وكذلك الأمر مع الشاعرين الرواحي وابن شيخان اللذين كانت العلاقة بينهما وطيدة لأبعد الحدود ـ على حد تعبير المؤلف ـ ومع ذلك فقد فصل بينهما الترتيب الهجائي.

ـ لم يلتزم المؤلف ذكر تاريخي الميلاد والوفاة لبعض الشعراء المعروف تاريخ ميلادهم ووفاتهم، مثل الرواحي الذي ذكر تاريخ وفاته دون ميلاده، وعبدالله الطائي الذي ذكر تاريخ ميلاده دون وفاته.

ـ بعض من وقع عليه الاختيار من شعراء عمان كانوا أقرب إلى الناظمين منهم إلى الشعراء ـ على الأقل من النماذج التي أوردها المؤلف ولا بد أن تكون مما يُستشهد به على شاعرية الشاعر ـ مثل عامر بن خميس المالكي (أبو مالك). وقد ناقش د. أحمد درويش في كتابه قضية الخلط بين النظم والشعر في الأدب العماني، وأشار إلى قيام الشكل الشعري بدور القالب لعلم التاريخ وفن الملحمة، بل إن أسئلة الفقهاء وأجوبتها كانت تُصاغ نظمًا، وهو ما يتفق مع مرحلة الأدب الشفاهي التي تعتمد الوزن وسيلة للتلقي، لكن بدخول الأدب مرحلة الطباعة واعتماد العين ـ لا الأذن ـ وسيلة للتلقي أصبح النثر ـ لا النظم ـ وسيلة لنقل المعرفة العلمية، واقتُصر في استخدام القالب الشعري على أغراض الشعر وأخيلته وصوره التي تميزه، وهي قاموسه الخاص به، وليس مجرد الوزن والقافية اللذين أمكن ـ بسبب عصر الطباعة ـ التخفف منهما، وإن كان لا

يستقيم بأية حال من الأحوال الاستغناء عنهما، وإلا أصبحنا أمام نثر، قد يكون غنائيًا، لكنه نثر على أي حال.

الشعراء والسلطة

ونلاحظ أن شعراء عمان ـ شأنهم شأن الشعراء والأدباء في الدول العربية الأخرى ـ كانت علاقتهم بالسلطة تترجح إيجابًا وسلبًا، فبينما وقف فريق شعرهم على مدح حكامهم مثل الستالي والمعولي، فإن فريقًا آخر كانوا ضحايا السلطة كالشاعر أحمد بن سليمان بن عبدالله الملقب بابن النظر من شعراء القرن الخامس الهجري، والذي لقي مصيرًا مروعًا من سلطان الجور خردلة بن سماعه وذلك بسبب ابنة أخته؛ إذ تزوجت برجل من بني النظر على مهر معين، فأرسل خردلة جنده لأخذ نصف المهر من الشيخ أحمد كالمعتاد، فامتنع الشيخ عن ذلك، فأرسل له خردلة يدعوه إلى المثول بين يديه، فلما حضر قال له: أردنا منك الخمسين (يقصد المهر) فقط، والآن لم يكفنا إلا دمك. فأجابه الشيخ: الأمر لمن خلقك لا لك. فأجابه: أو تهزأ بي؟ وأشار إلى الجند أن يلقوه من أعلى كوة في قصره. فوقع على الأرض ميتًا. ولم يكتف خردلة بذلك، بل أمر بدخول داره وأن يؤخذ كل ما فيها من كتب وأمر بإحراقها. وكانت وفاته عن عمر يناهز خمسة وثلاثين عامًا. كذلك خميس بن سليم الأزكوي الملقب بأبي وسيم من شعراء أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين. رحل إلى زنجبار وظل فيها مدة من الزمن، لكن اتصاله لم يدم إذ سرعان ما وقع خلاف بينه وبين السيد برغش حاكم زنجبار فاضطر للعودة إلى عمان(1).

أما الشاعر سالم بن غسان بن راشد الخروصي الملقب باللواح (862 ـ 98هـ)؛ فإن المؤلف يعتقد أن شعره لم يصل إلينا كاملاً لشجاعته في القول والتصاقه بمجتمعه بسبب وازعه الديني أولاً والوطن ثانيًا(2).

وكعب بن معدان الأشقري من شعراء العصر الأموي «حبسه يزيد بن المهلّب وَدَسَّ إليه ابن أخ له فقتله، وقيل أيضًا إنه جاء يومًا وهو نائم تحت شجرة فضرب رأسه بفأس فقتله»(3).

أما الشاعر الشيخ عبدالله بن سعيد الخليلي فقد كان له «ديوان ضخم في الحماسة والفخر والنسيب، يروون أن ابنه الإمام محمد بن عبد الله مزقه ولم يبق منه إلا ما تداولته الألسن»(4).

وقد أوردت أسماء هؤلاء الشعراء طبقًا للترتيب الهجائي الذي وردت به في الكتاب، وليس طبقًا لترتيبهم التاريخي. كما أن تواريخ ولادتهم ووفاتهم ـ إن وُجدا ـ كانت بالتقويم الهجري حينًا والميلادي حينًا آخر، وكان الأفضل التزام تقويم واحد أو التقويمين معًا.

> المؤلفات التي تناولت الشعر العماني كانت بين مؤلفات تكاد تقتصر على الشعراء التقليديين، ومؤلفات اقتصرت على الشعراء المعاصرين

ولست أعرف لماذا أغفل مؤلف «شعراء عمانيون» سمات تميز بها شعر بعض الشعراء وأحداثًا مصيرية وقعت لبعضهم رددتها كتب التاريخ العماني عنهم، ولاسيما أنه يقدم معلومات عن هؤلاء الشعراء قراء ربما يتعرفون إليهم أول مرة، فهو لا يستكمل معلومات سابقة، بل يبرز أهم السمات والأحداث، وسأضرب مثالين على ذلك:

فعند الحديث عن الشاعر محمد بن عبدالله المعولي أشار إلى استخدامه المترادفات السجعية النغم محاولاً من خلالها إظهار مهارته النثرية وتمكنه اللغوي، لكنه أغفل الإشارة إلى ألاعيبه اللغوية التي اشتهر بها في شعره وأبرزها مؤلفون آخرون مثل محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي في كتابه «سموط الجمان»، كما سبق أن أشرت إليها في كتابي: «سندباد في عمان» عند مناقشتي لكتاب الخصيبي، وأثارها كذلك د. أحمد درويش في كتابه: «مدخل إلى دراسة الأدب في عمان» كالتزامه ترتيب الحروف الهجائية في بدايات أبيات قصيدته، بل التزامه تكرار الحرف في كل شطرة من شطري البيت، وأحيانًا أخرى يلتزم في قصيدة واحدة حرفًا واحدًا يبدأ به أبياتها وينهيها به أيضًا أي يكون قافيتها. أو يكتب قصيدة إذا قرأت أبياتها وجدتها مدحًا مثل:

سِيرٌ لهم طابت فما خبثوا
سلع لهم ربحت فما خسروا

فإذا عكستها كلمة كلمة صارت ذمًّا مثل:

خبثوا فما طابت لهم سيرُ
خسروا فما ربحت لهم سلعُ

ثم كتابته القصيدة في شكل هندسي رآه د. أحمد درويش قريبًا مما يكتب في أوراق الرُّقى والتعاويذ، وأبديت أنا عجبي من كتابته على هذا النحو في مرحلة الأدب الشفاهي الذي يخاطب الأذن قبل العين.

أما مثال الأحداث المصيرية التي أغفلها مؤلف شعراء عمان» فهو نهاية الملك الضِّلِّيل سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني الذي تقمّص في حياته شخصية امرئ القيس فعلاً وقولاً، وساعدته على ذلك مكانته بوصفه حاكمًا من حكام عصر النباهنة، وكما كان يجيء امرؤ القيس إلى شاطئ بركة الماء لجمع أثواب الفتيات اللاتي يستحممن، ويصر على أن يخرجن إليه من الماء ليأخذن ثيابهن كان النبهاني يفعل المثل، حتى قادته إحدى هذه المغامرات إلى إنهاء ملكه حين هجم على امرأة تغتسل في أحد الأفلاج فهربت منه عارية، فجعل يعدو وراءها حتى أمسكه عنها محمد بن إسماعيل وصرعه على الأرض حتى مضت المرأة فخلَّى سبيله، فعند ذلك فرح المسلمون به.. فنصبوه إمامًا، وذلك في سنة ست وتسعمئة»(5).

الهوامش:

(1-4) شعراء عمانيون لسعيد الصقلاوي، مطابع النهضة، مسقط، 1992م، ص125، 155، 242، 197.
(5) نور الدين السالمي، تحفة الأعيان، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1981م، ج1ص 265.



رحلة

حسن حميد

حالما غيّبتُ جسدي في بطن السيارة لمحت وجه أمي طيفًا يتهادى أمامي، وحالما أغلقت الباب خلفي رن في أذني صوتها، وارتدتني تلويحة كفّها..

آه يا أمي..

آه لو تعلمين ما حدث!

أنين السيارة يتوحّد وأنين السائق، ضوء النهار يتوحّد وصفاء الزجاج، الطريق كفٌ تمتدّ وتمتدّ، تثاؤب جاري المتواصل يلفت انتباهي، أنظر إليه، أرى قرص خدّه، الشمس لوحته، خطوط كثيرة تتشابك حول بحيرة عينه القريبة مني، أصرفُ النظر عنه، صوت التثاؤب المتكرر يعيد بصري إليه، يلحظ امتعاضي منه فيلتفت نحوي، أرى التعب يشكل لوحة جميلة على وجهه، يتمتم:

ـ لم أنم البارحة..

ابتسمُ له وأهزُّ رأسي وأنا أغمغم في ذاتي:

عاملٌ هدّه التعب..

الصمت يسيطر علينا، فلا يسمع إلا أنين السيارة، يد السائق تدير مفتاح المذياع، أحد الركاب تجاسر وحادث جاره، آخر سعل بصوت خافت، ثالث تململ، وانبعث الكلام.. اختلط:

ـ السرعة مخيفة..

ـ مرة، رأيت حادثة.. يا لطيف..

ـ أريد تقديم أوراقي للوزارة.

ـ عمتي في خطر، عجوز.. ربما تموت..

ـ المطر قليل في هذه المنطقة، الزرع ذليل..

الأحاديث تتشابك أكثر، الجريدة مطوية في كفّي، السيارة تلتهم الدَّرب،

الطيور تفرّ من أمامنا مذعورة، روعة المشاهد تخطفها السرعة، الأرض تنسحب من تحتنا، المذياع يتناسل الأخبار:

محاولة انقلاب في..

بركان الفلبين يشرد الناس..

فيضانات واسعة مدمرة في بنغلاديش..

إسرائيل تفرض حظر التجول على المواطنين في الضفة والقطاع..

مجاعة في عدد من البلدان الإفريقية..

الأخبار معادة، بصري يتسلل إلى الجريدة، أعرف أخبارها، أملّها، أدفنها في جيب حقيبتي، يحتويني الهمُّ، يشحب لوني، أتقوقع داخل ذاتي، أشكل مفرداتي داخل صدري، أطلق زفرة حارة، أفرك كفّي، أكور لساني داخل فمي، أريد أن أقول شيئًا، أهمُّ بذلك، لكن المفاجأة تغيّب قولي..

لقد انزلقت السيارة عن الطريق، وأخذت تبحث عن درب لها في الوعر، أصواتنا توحدت في طلب النجدة من السائق:

الأول: انتبه..

الثاني: يا ستار..

الثالث: فرمل..

الرابع: السرعة..

الخامس: الصخرة..

الخوف شلَّ حركتي.. الدم احتبس في عروقي عندما هوت السيارة باتجاه واد سحيق، الخوف اجتاحنا جميعًا، والموت ارتسم أمامنا كطيف أسود بشعِ المنظر:

الدحرجة الأولى: جاري ارتمي فوقي، حاصرني، فرّت من لهاتي أنةٌ، حديد باب السيارة حاصرني بقسوة، أتجمل بالصبر.

الدحرجة الثانية: أنا فوق جاري، أسمع توجّعاته.

الدحرجة الثالثة: السيارة عالقة فوق صخرة، لم تستقر بعد، الصخرة ترتخي تحت السيارة، تنزلق والسيارة خلفها، صوت أحدنا يضاعف إحباطنا، يهمس: انتهينا.

الدحرجة الرابعة: دم ينبجس مني، الزجاج جرح خدي، وجاري يواسيني بنظرة خاطفة، الجرح بسيط، المهم النهاية.

الدحرجة الخامسة: السيارة تفترش أغصان شجرة، الأغصان تقاوم قليلاً، ثم تستسلم للثقل الآتي، السيارة تهوي إلى الأسفل، ثم إلى الأسفل الأسفل.

الدحرجة السادسة: بركة ماء صغيرة في قعر الوادي تحتضن السيارة، صوت ارتطامها بالماء يتلاشى، الهدوء يتجمع، والسيارة تستقر تمامًا.

أفكُّ إغماضة عينيَّ، أجسّ جسدي، أطمئن، أبحث عن سلامة الآخرين، جاري بخير، والثاني والثالث والرابع والخامس، أفرح، أطرد زفيرًا طويلاً، أعود فأعبُّ شهيقًا طويلاً أيضًا، أعالج الباب، أفكّ قيده، أخرج جسدي، يستقبل الماءُ مداسي، أغوص في الوحل حتى ركبتيَّ، يخرج الآخرون، نتعانق طويلاً طويلاً، نرتمي فوق عشب ندي قصير قرب ماء البركة، جاري يتمتم بأسى:

ـ أفعالنا القبيحة ولّدت مكروهنا هذا..

نظرات الاستغراب ترتفع إليه، يصمت للحظة، ثم يشير إلى أحدهم، يسأله:

ـ أنت! ماذا فعلت من قباحة؟!

بعفوية يجيب:

ـ دائمًا، كنت أركب نزواتي لأنفذ رغائبي مهما كانت رخيصة..

نستغرب أمره، جاري يسأل ثانية:

ـ قباحة! وأنت؟!

ـ ذبحت قطة صغيرة بيضاء في ليلة زواجي

نستغرب أيضا، جاري يواصل السؤال:

ـ قباحة! وأنت أيها السائق؟!

ـ خنت مهنتي أكثر من مرة

ـ قباحة! وأنت يا صاحب الجريدة؟!

ـ أنا؟

ـ نعم أنت..

ـ لم أرتكب قباحة..

ـ تذكَّر..

ـ لم..

ـ تذكَّر..

ـ لقد عتمت وجه الوطن أكثر من مرة..

ـ قباحة! أما أنا فقد خنقت زوجتي العاقر، ونسيت السماء..

وحالما انتهى جاري من كلامه، رددنا: قباحة، قباحة! وقمنا نحمل أجسادًا متهالكة، نجرّ خطونا فوق أرض دهيس، ميممين شطر الوادي، جاهدنا طويلاً حتى وصلنا، في حين كانت السماء تجاهد أيضًا، وبقوة، للقبض على طرف الضوء المنفلت..

قصيدة:



شعر: محمد فرج

أخفيتُ وجهي عن الأيام مختبئًا ... خلف الشجون أداري الحزنَ والألما

ولُذْتُ بالصمت أطوي هم موجدةٍ ... جثا على رئتي حتى بَدَا سقما

وما شكوتُ جِراحًا عشت أحملها ... بين الضلوع ورُمْتُ الصبر معتصما

فكم رُميتُ بسهمٍ بات يؤلمني ... وما رددت سهامَ الغدر منتقما

وما انفردت برأيٍ ظالمًا أحدا ... وكم لجأت إلى الأخلاق مُحتكما

ولا امتطيت جواد المجد مُتَّشِحًا ... سيف البطولة حتى أبلغ القِمما

أو ارتديت لغشّ الناس أقنعةً ... ولم أكن أبدًا بالزيْف مُتَّهما

وما قصدتُ مُعينًا ساء مورده ... ولا اتخذت خَليلاً فاجرًا أثما

ولم أبعْ نَخوتي من أجل منفعةٍ ... وعشت عمريَ أبغي العز والشَّمَمَا

وبالقليل رضيتُ العيش مقتنعًا ... وبامتنانٍ شكرتُ الفضل والنعما

وها أنا قابع في ظل صومعتي ... أصاحب الشِّعْرَ والقرطاسَ والقلما

يقرّ قلبي بوادي الأمن مُحتميًا ... يُجنى قطوفَ الرِّضَا لا يعرف الندما



العنف والشخصية اليهودية في الشعر العبري الحديث

د. سعيد عبدالسلام العكش

تقوم الشريعة اليهودية على التفرقة بين اليهود ومن عداهم من الشعوب، وكل من لم يكن يهوديًا فهو أجنبي في نظرها. وتحرم هذه الشريعة الاختلاط والتزاوج بين اليهود وغير اليهود، وتعتقد أن الاختلاط بين اليهود وغيرهم من الشعوب إثم كبير يرتكبه اليهودي(1)؛ ذلك لأن الشريعة اليهودية تجعل من اليهود شعب الله المختار(2). لهذا فإنها تنظر إلى غير اليهود نظرتها إلى شعوب وضيعة، حتى إنها تطلق عليهم في العبرية لفظة «جوييم» ـ بمعنى الأغيار ـ التي اقترنت في عقولهم بالزراية والاحتقار، بينما تميز اليهود عادة بكلمة «عام» التي تعني: شعب(3).

لذا تضع اليهودية قوانينها ونظمها على هذا الأساس، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون في كثير من شؤون الحياة، فمن ذلك مثلاً أن اليهود محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضًا، وأن يخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، على حين أنه مباح لليهود، بل واجب عليهم، غزو الشعوب الأخرى، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن «يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف» فلا يبقوا على أحد منهم، ويسترقُّوا جميع نسائها وأطفالها ويستولوا على جميع مافيها من مال وعقار ومتاع أو ينهبوه (سفر التثنية 20/13-16).

ويزخر العهد القديم ـ الكتاب المقدس العبري ـ بإشارات جمة تدعو إلى كراهية العالم والعزلة عنه وعدم الاطمئنان إليه(4)، كما يزخر أيضًا بالإشارات إلى الحروب وأوامر القتل والإرهاب والإبادة(5). وقد دعمت كتب التراث اليهودي التي جاءت بعد العهد القديم ـ كالتلمود ـ هذه القيم، وتمسكت بها؛ كذلك الفرق اليهودية المختلفة «الفريسيون، الصدوقيون، الأسينيون». من هنا يتضح أن عدم التسامح تجاه الأجانب كان منذ أقدم العصور من الاتجاهات المسيطرة في المجالين الروحي والاجتماعي لليهودية، فمن ليس من بني إسرائيل لا تحميه الشريعة اليهودية ولا تعاقب المعتدي عليه من اليهود.

وتستمد الصهيونية أصولها وحيويتها من ذلك الفكر النابع من عقائد العهد القديم وغيره من كتب التراث اليهودي، تلك العقائد التي جعلت اليهود في العالم يحملون عداءً دائمًا لغيرهم من الناس، ويعيشون في صراع متواصل معهم. وقد جعلت «الصهيونية الدينية» الحرب أساسًا من الأسس التي تقوم عليها هذه الصهيونية مستندة في ذلك إلى ماورد من جذور تراثية في العهد القديم تدعو إلى الحرب وشريعتها(6).

وقد دخل الأدب الصهيوني عامة والشعر خاصة معترك الحياة السياسية، وأثر فيها تأثيرًا مباشرًا، فكانت السياسة ـ بمدها وجزرها ـ جزءًا من مسيرة الأدب، كما كان مبتدع الأيديولوجية الصهيونية ومنطلقاتها

النظرية. وأعلن الأدب حربًا لا هوادة فيها على الوجود المتمثل بالجوييم الذين يرثون - من وجهة النظر الصهيونية - آثام «السبي اليهودي»، لهذا فإن الصهيونية وأدبياتها تنظر إلى شعوب العالم بوصفها مجتمعات خارجية معادية على الدوام، ينبغي لليهود أن ينشئوا نظامًا متينًا لاتقاء شرها والدفاع عن أنفسهم منها، وكانت الدولة اليهودية من وجهة نظرها هي المفتاح (لأمن اليهود).

من هنا برزت الدعوة لاستخدام العنف في الشعر العبري الحديث من أجل تحقيق حياة خاصة بهم، فظهر شعراء يهود عبّروا عن فكرهم الصهيوني بروح عسكرية عدوانية برزت ضمن التطور العقائدي للصهيونية. فقد أبرز الشاعر شاؤول تشرنيحوفسكي (1875-1943م) الدور المهم والرئيس للقوة في حياة اليهود، وعدّ اليهودية قد برزت من بين آلهة الطبيعة: آلهة الأرض والدم، وأنها لم تكن نظرة دينية أو أخلاقية، وقد عبّر عن آرائه هذه في قصيدة «ثلاث حقائق»:

في العالم ثلاث حقائق
حقيقة الجبروت
حقيقة القوة
وحقيقة الحقيقة وهي حقيقة الجمال(7).

وقد اكتسبت الحركة الصهيونية، منذ بداية ظهورها حركةً سياسيةً في أواخر القرن التاسع عشر، هالة من الفعالية العدوانية الإرهابية، وأخذت تزرع في نفوس أبناء اليهود الروح القتالية التي تحلى بها أسلافهم الذين عدّوا الإرهاب عملاً مقدسًا. والدور الذي أدّاه الأدب الصهيوني على الصعيد الدولي لا يقل عن الدور السياسي الذي قام به رواد الصهيونية السياسية الأوائل، والأثر النفسي الذي أحدثته القصائد الشعرية للشعراء الصهاينة لا تقل أهمية عن الكتابات السياسية والاتجاهات الفكرية (الأيديولوجية) لرواد الصهيونية.

ففي قصيدة «سفر النيران» يدعو الشاعر حاييم نحمان بياليك (1873-1934م) إلى تبني الحقد والكراهية والانتقام من كل الشعوب، فيقول:

من مهاوي إلهك ارفعوا إليّ نشيد الخراب
أسود كفحم قلوبهم المحروقة
احملوه إلى الجوييم
وانتشروا من غضب الله عليهم
وصبوا جمراته فوق رؤوسهم
وازرعوا به الخراب والدمار في حقولهم
وليفعل كل منهم ذلك في جهات الأرض الأربع(8).

ويحض يعقوب فيخمان (1881-1958م) اليهود على كراهية العالم وعدم الاندماج فيه، بل عليهم أن يُوَرِّثوا الكراهية لأبنائهم جيلاً بعد جيل حتى تصبح الكراهية إرثًا يرثه اليهودي تجاه العالم. ويعبر فيخمان عن هذا في قصيدة «الرب» إذ يقول:

لن يتبدد الغضب، ولن تجف الدموع
وسوف نوصي أبناءنا، ويوصي الأب ابنه
بأن يورثنا من بعده، فلا تغيب شمسنا ثانية
وننقش في قلوب آلاف الأجيال: أن يكرهوا(9).

وفي قصيدة «باروخ المغنستي» لتشرنيحوفسكي نرى اختصار التاريخ اليهودي المعادي للعالم، فنجده يفجر ينبوع الحقد ويصب لعنات إلهه على الجوييم، فيقول:

فلترسل يا إلهي سيفك لتثأر منهم
ولتتركهم دون ذرية، وتنتقم منهم جميعًا
ولتصب غضبك على الجوييم الذين لا يعرفونك
وحنقك على الممالك التي لا تنادي باسمك
لأنهم أتوا على يعقوب شعبك وخربوا مساكنه

وقد عمل الأدباء الصهاينة على خلق المسوّغات لهذه النزعة العدوانية بالإيحاء المستمر بشبح «الدياسبورا»(10)، والتركيز على موجات العداء للسامية(11) وكراهية اليهودي؛ فيَرى أوري تسفي جرينبرج أن الجوييم هم التجسيد البشري للشر، وأنهم لا يكنون لليهود إلا خبيث النوايا، والوحشية طبع متأصل فيهم، يرثونه جيلاً بعد جيل، لا فرق في ذلك بين شعب وآخر، فيقول:

ذلكم هو الجوى [مفرد جوييم] كما رآه آباؤنا في كل دهر وجيل
في نار الكلدانيين تضطرم في الأتون وحتى محرقة ذلك العصر
ذلكم هو القيصر، تجمعت فيه مصر
والعماليق والفلسطينيون وبابل وآشور واليونان
وفيه تيتوس مخرب الملك
وفيه إسبانيا والبرتغال بنار الصليب(12).

وقد استغل الصهاينة الاضطهاد الذي واجهه اليهود في أوربا، وعملوا على ترسيب الحقد والنقمة والكراهية نحو الجوييم في نفوس أبناء اليهودية، وذلك باتهام الشعوب الأوربية والإيحاء بأنها - أي تلك الشعوب - تتحمل مسؤولية المجازر ضد اليهود، فيصور تشرنيحوفسكي في قصيدة «فليكن هذا هو ثأرنا» - التي كتبها عام 1920م على إثر اضطراب وقع ضد اليهود في أوكرانيا - كراهية اليهودي للعالم، ويرى أن دم اليهود سيتخلل كيان الجوييم حتى يسمم أساس وجودهم ذاته، فيقول:

ولكن دمنا سيتغلغل فيكم
ويسمم كل أسس وجودكم
وتمتصه عيونكم الباردة كالتمساح
وقلبكم القاسي كحجر الرحى
وأعضاء أجسامكم وكل أوردتكم
فينتشر في ألياف نسيج عضلاتكم

ومن الثابت تاريخيًا أنه حينما وقعت المذابح في أوكرانيا عام 1919م تدخلت الحكومة السوفيتية في ذلك الوقت وأوقفتها ولم تقف موقف المتفرج، ولكنّ الصهاينة وشعراءهم آثروا أن يتجاهلوا هذه الحقائق التاريخية حتى يمكنهم الاحتفاظ بنقاء بساطة أساطيرهم وحتى يمكنهم أن يؤكدوا انفصال اليهودي عن العالم(13).

ولقد جاءت الكارثة النازية لتؤكد في رأي جرينبرج هذه العدوانية تجاه العالم، فمع أن الشاعر يصب لعناته على هتلر وألمانيا خصوصًا، إلا أنه يعدّ كل الشعوب شركاء في الجرم ومسؤولين معًا عن إبادة اليهود، فيقول:

مُعذِّبيّ صرخوا، فصمت أهل الورع والتقوى من الشعوب
كلهم من دمنا شرب، بتعطش الوحوش
لفرط الفُلْفُل الحِرِّيف في روحهم الحاقدة على إسرائيل

وإذا افترضنا جدلاً أن النازية تسببت في مجازر اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، فهذه المجازر لم تكن موجهة ضد اليهود فقط، بل شملت شعوبًا أخرى لاقت أكثر مما لاقاه اليهود. ويتناسى الشاعر هنا التضحيات الجسيمة التي قدمها الملايين من شعوب كثيرة أثناء مقاومة النازية، كما يتناسى كل الأصوات التي عارضتها - داخل ألمانيا وخارجها - من كل القوى.

ولم يكن تعرض اليهود لمثل هذه الشدائد - كما يقول أستاذنا د. ظاظا - بسبب دينهم كما يزعمون، ولكنها الأطماع الاقتصادية والسياسية، والمصالح المادية التي تتخفى وراء الدين، لتكون إثارة الفتنة وإشعال نار التعصب أسهل وأسرع أثرًا. وتعرُّضُ اليهود للاضطهاد المتكرر الذي غرس في قلوبهم ما

نعلم من الحقد على أمم العالم له أسباب أعمق من أنهم يهود، ولكنّ دعوى معاداة السامية كانت - ومازال - تهمة مريحة جدًا، سهلة الاستعمال يضعون على حسابها كل أوزارهم. وليس معنى ذلك أن اللاسامية فكرة وهمية، فهي واقع لا شك فيه، نلحظه في تعامل أمم العالم أحيانًا مع اليهود، ولكن هذه الأمم ليست مجنونة بحيث تتنكر لفئة من الناس ظلمًا وعدوانًا وبغير سبب، فأسباب اللاسامية كثيرة جدًا، تعود المسؤولية في معظمها إلى الشخصية اليهودية نفسها(14).

ومن ناحية أخرى عمل الأدباء الصهاينة على خلق العلل والأسباب لتسويغ اغتصاب فلسطين من العرب، وقد فجّر هذا الالتزامُ العدوانية داخلَ الإنسان اليهودي، ووجّهها إلى الإنسان العربي في البلاد، وعبّر عن ذلك الأديب حانوخ برطوف بقوله: «إن التغيير هو أننا نعرف كيف نقتل... والمشكلة هي مشكلة وجود يهودي، فإذا حاربت من أجل حياتك ونجحت في التغلب على القاتل وقتلته، فإنك تذهب إلى المنزل وتبكي لأنك قتلت إنسانًا، ولكنك تفعل ماتفعل لأنه لا خيار... ولكي نستطيع الوجود فنحن مرغمون على القتال»(15).

من هنا حرصت الصهيونية على تربية الفرد اليهودي تربية إرهابية خاصة تحذره من العرب، وتدعوه إلى القضاء عليهم وإبادتهم، وعملت على تربية النشء على استخدام الأساليب المختلفة ذاتها التي مارستها أمم العالم في اضطهادهم؛ ليمارسوها بدورهم ضد الشعب العربي الفلسطيني، وضد كل من يقف في وجه مخططاتهم الرامية إلى إنشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين. ويمكننا ان نستشهد ببعض القصائد الشعرية لبعض الشعراء الصهاينة التي توضح هذه النزعة العدوانية تجاه العرب. ففي سنة 1897م راح تشرنيحوفسكي يدعو - من أوربا - المهاجرين اليهود شيوخًا ونساءً وأطفالاً لحمل السلاح وشنّ الحرب على العرب في فلسطين، فيقول في قصيدة «احملوا الراية إلى صهيون»:

فليستلّ السيفَ الشيخُ والشاب!
من ذا الذي يخاف وضعيف القلب
نساءَنا، أطفالنا، تجمّعوا!
ونخرج كطلائع ونشن عليهم الحرب

ويتحدث تشرنيحوفسكي في قصيدة «سيفي.. أين سيفي؟» عن الإنسان اليهودي الجديد الغازي لأرض فلسطين الذي يمكنه أن يصل إلى ما يريده من طريق العنف، فيقول:

يا سيفي! أين سيفي، سيفي المنتقم؟
أعطوني سيفي لأشهره في وجه أعدائي
أين أعدائي؟ لسوف أصرعهم في المذبحة
وأدمرهم تدميرًا، وأهينهم وأفنيهم
وسوف أستأصلهم وأمحو من الوجود ذكراهم
وأجعل سيفي يشرب فخورًا من دمهم
وأغسل قدميّ على شعر رؤوسهم

ويحذر جرينبرج من قبول التعايش مع العرب، ويخوف قومه من بطشهم لو ملكوا زمام الأمور، فيقول:

لو غلبتنا يد العرب، فما من مهرب أمامنا إلا البحر
وإلا أغرقنا الأعداء في البحر الأحمر: بحر الدم

ويمزج جرينبرج بين الهلال والصليب في العداء لليهودية واضطهاد اليهود، فيقول:

الشيطان القدر، الذي يجرجرنا أبدًا في النار والدم
من أنياب النصرانية، حتى أنياب الإسلام.

والشاعر هنا يتناسى كل ما نعم به اليهود من حرية ورخاء تحت ظل الإسلام في كل العصور من القرون الوسطى في المشرق والأندلس حتى العصر الحديث. ولكن العداء العربي للوجود اليهودي في فلسطين لم يظهر إلا بعد أن أدرك العرب منذ البداية الخطر الكامن في الهجرات اليهودية، التي أخذت طريقها إلى فلسطين تحت لواء الصهيونيّة، وخاصة بعد فرض الانتداب البريطاني على البلاد، حيث فتحت أبوابها للمهاجرين، وقوي ساعد حركة الاستيطان وإنشاء المستعمرات، وصارت الوكالة اليهودية الساعد التنفيذي للحركة الصهيونية دولةً داخل الدولة، ولجأ الصهاينة إلى طرد العرب الفلسطينيين من أرضهم وبلدهم كحتمية ضرورية لإقامة دولة صهيونية لليهود. وكان من الطبيعي في ظل هذه السياسة الصهيونية أن يلجأ السكان العرب إلى الدفاع عن أراضيهم وممتلكاتهم في وجه عمليات الاستيلاء والشراء المنظمة التي قامت بها المنظمة الصهيونية. من هنا نشأت حالة التوتر والعنف والحرب. ولذلك لم تكن ثورات العرب وانتفاضاتهم تهدأ حينًا إلا لتعود ثانية أشد وأوسع نطاقًا، حتى إنها لتكاد تستغرق كل عقدي العشرينيات والثلاثينيات.

ولقد كتب المفكر الصهيوني أحاهاعام (1856-1927م) بعد زيارته لفلسطين في مقال بعنوان «حقيقة من فلسطين» -1891م - يقول: «ماذا يفعل إخواننا المهاجرون اليهود في فلسطين؟ لقد كانوا عبيدًا في بلاد الدياسبورا، وفجأة وجدوا أنفسهم وسط حرية لا رادع لها. ولقد ولّدَ هذا التحول المفاجئ في نفوسهم ميلاً إلى الاستبداد، كما يكون الحال عندما يصبح العبد سيدًا. إنهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة، ويهينون حقوقهم بصورة معوجة وغير معقولة، ثم يوجهون لهم الإهانات دون أي مسوغ كاف ويتفاخرون بتلك الأفعال فوق كل ذلك. وليس هناك بيننا من يقف في وجه هذا الاتجاه الخسيس والخطير في آن واحد»(16).

من هنا، وعلى أي حال، فإنه لا يمكن الاقتصار في تفسير العنف لدى الشخصية اليهودية على العوامل أو المثيرات الخارجية فحسب؛ بل تمتد جذورها عميقًا في التكوين النفسي والتاريخي والعقدي إلى أكثر من ألفي سنة.

الهوامش:

1- سفر عزرا 9/1-2: «لم ينفصل شعب إسرائيل... واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضي...».
2- سفر التثنيه 14/2 (لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض).
3- د. حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار العلوم، بيروت 1987م، ص109.
4- إرميا 10/24-25، مزامير 148/6-7.
5- يشوع 6/20-21، 8/24-25، 10/28-29، سفر العدد 31/1-18.
6- د. رشاد الشامي، الشخصية اليهودية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1986م، ص173.
7- أشعار شاؤول تشرنيحوفسكي، دار نشر دفير، تل أبيب 1968م، ص68.
8- راشد حسين، حاييم نحمان بياليك، تل أبيب 1966م، ص121.
9- د. عبدالخالق جبة، الفكرة الصهيونية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص85
10- الدياسبورا كلمة يونانية تعني الانتشار اليهودي في العالم.
11- معاداة السامية مصطلح يستخدم عادة للدلالة على معاداة اليهود. وكان الصحفي الألماني ولهلم مار هو أول من استخدام هذا المصطلح عام 1879م وذلك بعد الحرب البروسية - الفرنسية التي تسببت في انهيار كثير من الماليين الألمان مما جعلهم يلقون باللوم على اليهود.
12- محمد الخطيب، أوري تسفي جرينبرج، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص77.
13- د. عبدالوهاب المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، بيروت 1975م، ص185.
14- د. حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق 1985م، ص82
15- د. رشاد الشامي، الأدب الإسرائيلي لجيل حرب 1948م، مجلة شؤون فلسطينية، مايو 1972م، عدد 9 ص118.
16- الشخصية اليهودية، ص181.

المعرفة في خدمة الاستعمار

دراسة المستشرق كـ . سنوك هورخرونيه لأوضاع الجالية الأندونيسية في مكة المكرمة في أواخر القرن الميلادي الماضي

عبدالرحمن بن عبدالله ثامر أحمد

لعل من المسلم به عند دارسي الاستشراق من المسلمين، بل عند كثير من المستشرقين أنفسهم، تلك الصلة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار. وقد شبه بعضهم الدراسات الاستشراقية بالمصابيح التي تضيء الطريق إلى الشرق أمام جحافل جنود الغرب. ومن المعروف أن حركة الإنسان مبنية على فكرة، وكذلك حركة الدول الاستعمارية إلى المناطق المراد استعمارها لاتتم بالمصادفة أو من دون دراسة ومعرفة دقيقة للأماكن التي سوف تضع تلك الجيوش أقدامها عليها، وهذا الموضوع ـ الصلة بين الاستشراق والاستعمار ـ ليس موضع بحثنا هنا، فهناك الكثير من الدراسات حوله.

ولكن سوف نركز ـ بصورة موجزة ـ على شخصية استشراقية معروفة ألا وهو كرستيان سنوك هورخُرونية 1857ـ 193م، الذي ولد في استرهوت بهولندا، وتعلم في جامعة ليدن على يد المستشرق الهولندي الشهير دي خويه، وتعلم أيضا على يد المستشرق الألماني المعروف نولدكه في ستراسبورج، ثم زار مكة المكرمة بعد حصوله على درجة الدكتوراه في موضوع « الحج إلى مكة» وذلك في عام ١٨٨٥م، وعاش في مكة المكرمة ستة أشهر تحت اسم مستعار هو «عبدالغفار»، ثم غادرها مضطرا قبل موسم الحج في ذلك العام، يقول عن هذه الرحلة: «تعرفت إلى مجتمع مكة المكرمة الحديث دون وساطة من أحد، واستمعت بأذني إلى مايعرفه المجتمع الدولي هناك وما يسعى إلى نشره، وكيف يتكلمون في السياسة، وكيف يناقشون آراء جهابذة المسلمين. لقد درست المثالي والواقع، الإيمان العميق والصراع الفج من أجل البقاء في أكثر مجتمعات العالم تنوعا: في المساجد، وفي الدواوين، وفي المقاهي، وفي المنازل»(1)، وبعد عودته من هذه الرحلة استقر في جاوة سبع عشرة سنة في خدمة حكومته(2).

ويعد خليفة جولدتسيهر في علوم العربية، وفي طليعة دارسي الفقه الإسلامي والأُصول والحديث في أوربا. أما صلته بوزارة المستعمرات الهولندية فمعروفة، إذ سخّر معرفته عن الإسلام والمسلمين لخدمة الاستعمار. يقول عنه الدكتور قاسم السامرائي: «لم تكن دراسة الشريعة الإسلامية عند سنوك هورخرونية إلا لأغراض عملية، وهذه الأغراض العملية تعني استخدام الشريعة لغرض الاستعمار والسيطرة»(3). ويقول عنه في موضع آخر نقلاً عن أحد الدارسين الأوربيين: «لقد وضع سنوك هورخرونية كفاءاته العلمية في خدمة الحرب الاستعمارية»(4)، وقد عمل مدة تزيد على ثلاثين عامًا خبيرًا لحكومة بلاده في الشؤون الإسلامية؛ حيث أسهم في تخطيط سياستها الاستعمارية بأندونيسيا، وعين رسميا في مارس 1891م في خدمة إدارة المستعمرات، وانتقل إلى جزيرة إتشة التي استعصت على الاستعمار، وقدم تقريرًا ميدانيًا عنها في أيار مايو 1892م، وكان لهذا التقرير ضجة كبيرة في كل الأوساط العلمية والرسمية. ومما اقترحه في تقريره: «أن يذهب إلى إتشه المتمردة متنكرا في حال جندي هارب من الخدمة في الجيش الاستعماري الهولندي، ولكن اقتراحه رُفض خوفًا على حياته(5). وبلغت تقاريره المرفوعة إلى الحكومة الهولندية 1400 تقرير سمح بنشر 225 تقريرًا منها فقط، والذين اطلعوا على عينات منها رأوا أنها ترسم لهولندا سياستها في تلك المستعمرات بحق، تلك السياسة الداعية إلى دمج الأندونيسيين مع الهولنديين فيما عرف «بأسرتنا الوطنية الكبرى»(6).

وآثار سنوك هورخرونية العملية كثيرة، ولعل من أهمها ماكتبه عن مكة المكرمة خلال إقامته فيها، وصدر في جزأين باللغة الألمانية بعنوان: «مكة»، ثم تُرجم الجزء الثاني إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان: «مكة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي»، ومنها تُرجم هذا الجزء إلى اللغة العربية تحت عنوان «صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري»، قام بها محمد محمد السرياني ومعراج نواب مرزا، وصدر عن النادي الثقافي في مكة المكرمة عام 1413هـ، ولم ينشر باللغة العربية ـ على حد علمي ـ إلا هذا الجزء. على أن له بحوثًا عن الأمثال في مكة المكرمة وعن جغرافيتها(7). والجزء الأول من كتابه عن تاريخ مكة عبر العصور الإسلامية اعتمد فيه على كتب التاريخ الإسلامي، أما الجزء الثاني فهو يتطرق إلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعادات والتقاليد في مكة المكرمة، ولم يترك ـ إلى حد كبير ـ جانبًا إلا وتطرق إلى الحديث عنه، ولكن اللافت للنظر أنه في الفصل الرابع وتحت عنوان «السكان في مكة» قصر الحديث في هذا الفصل ـ 130 صفحة ـ على الجالية الأندونيسية، مع أن هناك جاليات أخرى كالهنود، والأفارقة، والأتراك...، وإذا عرفنا أن هذا الكتاب موجه إلى القارئ الغربي، بل إلى الحكومة الهولندية قبله، أدركنا أن هذا الكتاب، ولاسيما هذا الفصل، كان بمثابة التقرير الميداني عن هذه الجالية، وعن أثر الحج، واحتكاك الحجاج الأندونيسيين بإخوانهم المسلمين، وبالعلماء الأندونيسيين المقيمين في مكة المكرمة والمرشدين والمدرسين والوعاظ، والطرق الصوفية، وأثر ذلك كله في إثارة المتاعب للحكومة الهولندية بعد عودتهم إلى بلادهم، وقد تزودوا بالثقافة الإسلامية والحماسة الدينية.

وتظهر توصياته واستشاراته وتوجيهاته لحكومة بلاده في عدة مواضع سوف نعرضها باختصار، ومنها:

ضرورة وضع رقابة على الدعاة العرب القادمين إلى أندونيسيا

يرى هورخرونية أن أبواب الهند الشرقية مشرعة أمام العرب القادمين من مكة وغيرها، وأن لهم منزلة وحفاوة ينالونها عند الأهالي هناك، وأنهم يُمنحون الهدايا والعطايا. وبما أن أغراضهم

كتاب هورخرونيه عن الجالية الأندونيسية هو بمثابة تقرير ميداني عنها، وعن أثر الحج فيها، وأثر ذلك كله في إثارة المتاعب للحكومة الهولندية التي تستعمر أندونيسيا

مادية ـ على حد تعبيره ـ فإنهم سرعان مايرون في الحكومة الأوربية والتأثير الأفرنجي قوة عدائية يقاومونها سرًا وعلانية، كما أن هؤلاء العرب يغرون الجماعات الملاوية بالقيام بحركات دينية وسياسية مناوئة للحكومة، وقد أصبح هؤلاء يخفون هدفهم الحقيقي، وهو إثارة الحماسة الدينية للسكان، بهدف آخر هو ادعاء الأعمال التجارية، ولذلك يجب ألا يترك هؤلاء من دون رقابة[!!](8).

أثر أداء فريضة الحج في أبناء أندونيسيا بعد عودتهم

لاحظ هورخرونية أن لقب «حاج» له أثر كبير ورنين خاص لايوجد في أي مكان في العالم، والحاج عندما يمكث في مكة المكرمة مدة طويلة، ويدرس ويتعلم من أمور الدين الإسلامي الكثير، يصبح مرجعا دينيا لبني قومه، وارتداؤهم الزي العربي، ثم التزامهم أوامر الدين الإسلامي. كل ذلك يجعل لهم مكانة مرموقة في بلادهم(9). كما يشير إلى أن الحاج عندما يصل إلى مكة ويوازن بين أوضاع المسلمين في مكة وفي أنحاء الدولة العثمانية وبين أوضاع بلده المحتل يلاحظ الفرق، ويتعلم أن طاعته للحكام المحليين ـ كانوا هولنديين ـ غير واجبة، فهم كفرة في نظره(10). أيضا تبادل الأفكار والآراء بين الأفراد القادمين إلى مكة والمقيمين فيها التي ينشرها الإسلام من مركزه الروحي في مكة(11).

غموض الفرد الأندونيسي وصعوبة سبر غوره على الأوربيين

يقول سنوك هورخرونية: إذا لم يكن لدى الفرد الأوربي الفرصة للاختلاط بالسكان المحليين باعتباره واحدًا منهم ودونما أي شك بأنه أوربي، فإنه يقع في العديد من المغالطات معتقدًا بأن هناك جوانب معينة من المدنية الأوربية مقبولة لدى هؤلاء الشعوب، أو على الأقل تثير إعجابهم واهتمامهم، والواقع أن ذلك كله زيف وخداع. إن الفرد الجاوي ـ الأندونيسي ـ حينما يحادث مسؤولا حكوميًا وتاجرًا أوربيًا يظهر بغير مظهره الحقيقي الذي هو عليه، بحيث لايدرك الأوربي ذلك، فهو يظهر ـ من دون تحفظ ـ أسوأ جوانب شخصيته وأشدها غباء»(12).

إن هذه المعلومات التي يطرحها هورخرونية هنا لمفيده لدوائر الأمن، وأجهزة التحقيق، ومراكز التفتيش الهولندية في تلك البلاد المستعمرة.

ثم يستكمل طرح مرئياته وسرد خبراته عن الفرد الجاوي فيقول: «ويمكن القول ببساطة: إن معرفة الطبيعة البشرية للإنسان الجاوي هو أمر لايمكن إدراكه بالنسبة للرجل الأوربي. إن الفرد الجاوي الذي يتعامل مع الأوربي لفترة من الزمن يحاول من خلال تعامله معه معرفة الجوانب المختلفة لشخصيته، ويقوم بالتصرف معه بناء على الخبرات التي اكتسبها من خلال تعامله معه، وإذا وصل مثل هذا الفرد الجاوي إلى هدفه فإنه يستغل ـ وبمهارة ـ نقاط الضعف عند صديقه الأوربي[!!] غير أنه يبقى دائما مدركا أنه لايستطيع سبر غور الأوربي؛ لأن الجاوي تنقصه الكثير من الخبرات في هذا الصدد من جهة، ومن جهة أخرى فإن صديقه الأوربي يظهر له الكثير من الأمور السلوكية المتناقضة. وإنني لم أسمع قط بأن جاويا يعرف الأوربيين معرفة تامة.

ان هؤلاء ـ يقصد أبناء أندونيسيا ـ يحجبون ويخفون أفكارهم ومشاعرهم عن الصديق الأوربي بمهارة فائقة، ويضفون على أنفسهم صفة الرصانة لدرجة يعتقد معها الأوربي أنه وصل تدريجيًا إلى قلوب هؤلاء الوطنيين ـ يقصد بهم هنا أبناء أندونيسيا المقاومين للاستعمار ـ، بينما هو في الواقع لايحتل من قلوبهم أية مكانة، إن الفرد الجاوي تراه شديد التكتم في المعلومات التي تتعلق بالدين، لأنه حينما يصارح الرجل الأبيض بهذه المعلومات لايجد منه سوى التجاهل والاحتقار وعدم الايمان والتصديق»(13).

يظهر من كلام هورخرونية هنا تلك الروح الاستعمارية المعهودة من بعض المستشرقين والنظر

المعرفة في خدمة الاستعمار

إلى الشعوب المستعمرة نظرة استصغار واحتقار، وهذا مخالف للموضوعية التي «ألبسها» بعضهم لهذا المستشرق (14). ثم يستطرد هورخرونية في ثنايا هذا الفصل في ذكر العلماء المقيمين في مكة، فيترجم لعلماء كل مقاطعة من الجزائر الملاوية، وأثرهم في وعظ وتدريس بني قومهم تعاليم الدين الإسلامي، وطرق التدريس المتبعة، وهؤلاء التلاميذ هم روافد للحركة الإسلامية في تلك الجزائر، وهم حلقة الوصل بين هؤلاء العلماء والمقيمين في مكة منذ فترات طويلة، وبين الأهالي في تعريفهم مايجب أن يقوموا به لمقاومة المستعمر الأوربي(15).

الخاتمة

في آخر هذا الفصل يقدم سنوك هورخرونية آرائه ومقترحاته وتوصياته بصورة مركزة وأكثر وضوحًا وفعالية، وسوف ننقل نص كلامه كما هو، حيث يقول: «في الوقت الحاضر لاتزال توجد بين صفوف الحجاج المنتشرين في طول البلاد وعرضها المقومات المادية لإشعال الثورة، التي يجب ألا نقلل من أهميتها وخطورتها، وبخاصة إذا وجد أحد المتحمسين الذين يرمون الشرارة الأولى. إن قابلية اشتعال الثورة بين صفوف الحجاج تعود إلى أن مصالح الحجاج مناقضة لمصالح الحكومة واهتماماتها. فالكثير من الحجاج يعودون من الديار المقدسة وقد جلبوا معهم الإخلاص للرابطة الإسلامية التي تثير عند السكان التعصب الديني بسهولة.

أما أولئك الذين طال بهم المقام في مكة فقد أصبحوا مدرسين للشريعة، ويقدرهم المجتمع تقديرًا عاليًا، أو أصبحوا أعضاء نشطين في الطرق الصوفية. وهؤلاء وأولئك يقدمون القيم والمفاهيم الإسلامية لأرخبيل الملايو، بخلاف الحجاج الذين يثيرون صفوف العامة بالحركات المناوئة للدولة. وتأثير الحجاج محدود لايتعدى تكدير صفو الأمن، في حين يكون تأثير أولئك [العلماء] تأثيرًا بطيئًا ثابتًا ومستمرًا في مشاعر الناس وعواطفهم السائدة، وهذه النتائج غير المباشرة للحج هي في الواقع ذات الأهمية الكبرى. وإنه من المؤسف حقًا أنه لم تتخذ إجراءات لمجابهة مثل هذه الأمور في الماضي، وبخاصة في المناطق التي لم يكن منها العديد من الحجاج. ويشعر المرء أن وضع الإجراءات لتغيير هذا المسار قد انتهى الآن. إن تقييد السماح بالحج لمن يثبت أن لديه الإمكانات الخاصة بذلك، أمر له قيمته. غير أنه لايمكن الذهاب بهذا التقييد بعيدًا؛ لأنه سيؤدي في النهاية إلى وجود نوع من الاضطهاد الديني للسكان. وقد يشعل المكيون هذا الأمر بين صفوف الجاويين.

إن جميع الاعتبارات التي تنجم عن الحج تتضاءل في الأهمية أمام ازدهار «حركة الاستيطان» الجاوية في مكة؛ إذ هنا يكمن قلب الحياة الدينية لأرخبيل جزائر الهند الشرقية الذي ينبض بالدم الجديد ذي النشاط المتزايد إلى مختلف المناطق الإسلامية في أندونيسيا. فهنا في مكة تبدأ خيوط الطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الجاوى، ومن هنا تؤخذ الكتب التي تستعمل في المدارس الدينية هناك. ومن خلال أقرباء الجاويين وأصدقائهم في مكة ينضم العديد من أبناء الجاوى ويسهمون في سلك الحياة الإسلامية.

ولما كان من غير المستطاع الآن وضع الحواجز أمام تيار الحج؛ فإن المرء لايستطيع أن يمنع قدوم البذور العربية التي تترعرع وتنمو في مكة وتعود إلى جزائر الهند الشرقية، وقد أصبحت نباتات كبيرة تتكاثر وتزدهر وتنمو من جديد. لهذا فإنه من الأهمية بمكان أن تعرف الحكومة الهولندية ماذا يجري في مكة، وما هي الأمور التي تصدر منها كل عام. وكيف يمكن الاستفادة من ذلك بطريقة ذكية تتضمن دعم الحكومة، أو على الأقل لاتسبب لها الأضرار والخسائر. ويمكننا ضبط الحياة الدينية في الملايو، وذلك بأخذ زمام المبادرة والتحكم بالموضوع وتوجيهه كما توجّه الريح الشراع، أو على الأقل جعل تأثير الحياة الدينية معتدلاً، وذلك إذا عرفنا التأثيرات الفكرية التي تنبعث من مكة قلب العالم الإسلامي، وإذا تجنبنا المقاييس الخاطئة المبنية على سوء الفهم لمثل هذه الأمور، التي تعتمد على الكراهية المطلقة أحيانا وعلى التساهل الشديد أحيانا أخرى، فإننا سننجح في هذه المهمة. إن تصنيف السكان إلى حجاج وأتباع طرق صوفية، ومتعلمين درسوا في مكة ونعتهم بأوصاف مثل: جماعات خطرة ومتعصبة، وغير ذلك من الكنى أمور لاتجدي نفعا. إن الفرق الثلاثة السابقة تمثل العلاقات الثقافية التي تربط أرخبيل الملايو بعالم الإسلام.

تقرير هورخرونيه عن أبناء أندونيسيا حافل بالروح الاستعمارية التي تنظر إلى الشعوب المستعمرة نظرة احتقار، وهو ما يناقض الموضوعية التى أسبغها بعضهم على هذا المستشرق

ويجب أن ننظر إليها بصورة أكثر عمقًا من قبل السلطات الإدارية الأوربية حتى لاتكون النتيجة هي تنفير العناصر المعتدلة من السكان، وذلك إما بالتعالى عليهم وإما بضيق الأفق الناجم عن الجهل بأحوالهم، وبجانب ذلك يجب أن نعرف العناصر التي لايمكن استمالتها. وأن يؤخذ بالاعتبار كل حركة جديدة [مناوئة] وأن تتخذ كافة السبل لتقرير أهميتها»(16).

هذا جانب من خدمة هذا المستشرق للحركة الاستعمارية يكشف بجلاء العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار.

الهوامش:

1- مكة المكرمة منذ مائة عام، صاغها مع المقدمة: انجلو بيشي ص11.
2- المستشرقون، نجيب العقيقي ج2 ص315، 316.
3- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ص110.
4- المصدر السابق ص124.
5- الاستشراق في أفق انسداده، د. سالم حميش، ص35، 36.
6- المصدر السابق 36.
7- المستشرقون، نجيب العقيقي، جـ 2 ص 314.
8- صفحات من تاريخ مكة في نهاية القرن الثالث الهجري، ك. سنوك هورخرونية ص370، 371.
9- المصدر السابق ص407.
10- المصدر السابق ص410.
11- المصدر السابق ص420 - 440.
12- المصدر السابق ص 414.
13- المصدر السابق ص 415.
14- مكة منذ مائة عام، انجلو بيتشي، ص10.
15- صفحات من تاريخ مكة ص430، 441، 450، 451.
16- المصدر السابق ص 488 - 492.



أوراق مكشوفة
لدعاة الثقافة الانعزالية

جان الكسان

ليس الأمر عودًا على نافلة من القول، ولا حديثًا مكررًا، ولا محاولة متأخرة للتذكير بالبدعة الانعزالية التي خرج بها الشاعر اللبناني سعيد عقل في الستينيات، وتابعها في بداية السبعينيات، ثم في الثمانينيات، وتطامن في دعوته تلك سنوات ليعود بها الآن إلى المسارح وهو في آخر مراحل العمر. إنها استعادة وقفة أمام تجديد الدعوة في لبنان إلى الثقافة الانعزالية التي دعا إليها سعيد عقل، وفؤاد أفرام البستاني، وشارل مالك، ومي المر، وبعض الأحزاب والتنظيمات، لترسيخ ما أفرزته الحرب الأهلية اللبنانية من بنًى تقسيمية مستقلة داخل الساحة اللبنانية، وساعدت أيام تلك الحرب على مختلف الأعمال الوحشية من تهجير ومذابح وخطف واغتصاب وقتل على الهوية.

من هنا فإن دعوة سعيد عقل لاعتماد اللهجة اللبنانية المحكية والمكتوبة بالحرف اللاتيني، هي جزء من هذه الدعوات الانعزالية التي روّج لها هؤلاء تحت لبوس وأقنعة مختلفة، ثم خرجوا بها إلى الشارع، وإلى المنابر، وإلى المؤتمرات، وإلى أجهزة الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، وخاصة في البرنامج المتلفز «أوراق السبت» الذي كان يقدمه تلفاز بيروت الشرقية، وبرنامج «نقطة على الحرف» الذي كانت تقدمه المؤسسة اللبنانية للإرسال، وجعلته منبرًا لهذه الدعوات الانعزالية المشبوهة التي يجسدها سعيد عقل بدعوته إلى «اللهجة الزحلاوية» تحديدًا إلى لهجة أهل زحلة، ودعوة فؤاد أفرام البستاني الذي يذكّر ويوحي بالاقتداء، باعتماد الأتراك في عهد مصطفى كمال أتاتورك الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي، ثم يضيف متفاخرًا بأن عالمًا من أصل لبناني يدعى عثمان يحيى «من طرابلس» هو الذي وضع قواعد الكتابة التركية بالحرف اللاتيني..

ولعل دارس سيرة فؤاد أفرام البستاني يجد أنه - على أهميته العلمية - من أكثر الشخصيات اللبنانية المثيرة للخلاف. فالناس بين متحمس ومؤيد له، ومخالف حتى العداء. ويكتشف المتابع أن البستاني كان مولعًا بالعصر الجاهلي الذي سبق الإسلام. فإذا ما جاء ليدرس التاريخ الإسلامي وجدناه مهتمًا «بالأصول» غير الإسلامية أو غير العربية للأدباء والشعراء الذين كان يدرسهم. فقد اهتم مثلاً بالأصول النصرانية لأبي تمام، ولابن الرومي، مستنتجًا ما شاء له الاستنتاج من هذه الأصول، كما وجدناه مهتمًا بالخارجين على الإسلام، كبعض الملل والنحل والأقليات، عاملاً على إبراز شأنهم، والظلم الذي لحق بهم عبر التاريخ.

ثوابت سعيد عقل

مع تجديد سعيد عقل لهذه الثقافة الشعوبية ومنطقها الانعزالي لا بدّ من مكاشفة جديدة معه.. ولعل أفضل ما قيل في أمر هذا الرجل إن الطريقة المثلى لكشفه ليست مناقشة آرائه أو دحضها أو تسفيهها، بل نشرها وإعلانها كما هي، لأنها تكشف صاحبها.. ولعل كثيرين يجهلون ضغوط سعيد عقل على مريديه لابتكار المزيد من الألقاب يطلقونها على شخصه، ومنها حتى الآن: الشاعر، الناثر، اللاهوتي، الفيلسوف، المناقبي، السياسي، العالم، الكاتب، الصحفي، الأديب، الإنجيلي، المحاضر، الخطيب، باعث النهضة، المتفوق، التقي، البطل، صاحب أيديولوجيا «لها ثوابت سياسية واقتصادية واجتماعية».

ففي ثوابته السياسية مثلا فكرة «الغرباء».. والغريب في رأيه هو «كل من ليس لبنانيًا»، يستوي في ذلك العربي والأجنبي، وهو يطالب بطردهم جميعًا من لبنان.

- وفي ثوابته موقفه من الصراع العربي - الإسرائيلي، إذ يعدّ المشكلة قائمة بسبب «تخلف» العرب و«تقدم» إسرائيل.

أما العروبة في ثوابته فهي: البداوة، والتخلف، والفقر الحضاري،

وهي - أي العروبة - «ردّة إلى الغزوات والسلب، وطلاق مع التقدم التقني، وإغراق في علم الكلام والتفاخر والمجادلات».. كما أن العروبة في رأية جفاف، وصحراء، ونخيل، حيث ينعدم الإبداع، وتسود علاقات التبعية والارتهان إلى حاجات الإنسان الدنيا، ولهذا فهو يرى لبنان غير عربي، ويدعو للأخذ بلهجته العامية المحكية، واعتماد الحرف اللاتيني، والإصرار على بعث الأساطير والمسميات القديمة تحت شعار إحياء التراث القديم لطمس تاريخ لبنان العربي.

ولا ينسى سعيد عقل أن يدعو لبنان للخروج من الجامعة العربية وحصر انتمائه بمنظمة الأمم المتحدة «جريدة لسان الحال 3 تموز/يوليو 1974م».

- وفي مجال اللغة يطرح لغته المحكية بين الثوابت، وواضح أن مراميه في هذا الطرح سياسية، وهو الذي دعا إلى إنشاء حزب يرسخ أفكاره باسم «حزب التجدد اللبناني» ودعا إلى انتخابه شخصيًا رئيسًا لجمهورية لبنان، وهو الذي يريد من اعتماد العامية أن يحقق انقطاعًا بين حاضر الإنسان العربي وتاريخه، بحيث يجعل التراث العربي برمته مغلقًا عليه، كما أن أثرًا دينيًا وأدبيًا ولغويًا في حجم القرآن الكريم وأهميته يصبح بالنسبة للّبناني خارج دائرة المعارف.

دعوة باطلة

عندما قيل لسعيد عقل «مجلة الصياد 1977/11/10â» إن مؤتمرًا ثقافيًا عقد في القاهرة وصدرت عنه توصيات تحذّر من إحلال العامية محل الفصحى قال: هذا كلام عاطفي، فأنا أدعو إلى ثورة لغوية، وقبلي فعل هذا ستالين الذي دفن ثماني عشرة لغة وأحل محلها جميع لهجات الاتحاد السوفييتي المحكية، صغيرة كانت أم كبيرة [إحدى هذه اللهجات يتحدث بها ثلاثون ألفًا فقط].

وعقّب على ذلك بمثال من الواقع، وياله من مثال، عندما قال: «إن الفرق بين اللغة الفصحى واللغة العامية كالفرق بين سيارة دودج قبل خمسين سنة، وسيارة دودج حديثة».

ويتابع مكابرًا: «إن اللغة العربية الفصحى لغة غريبة لأنها قادمة من الخارج... من السعودية، وهي لم تعد محكية، كما أنها تضر بالعقل».

[نستدرك هنا لنقول إن شهرة سعيد عقل الأدبية تقوم على كتاباته وقصائده التي كتبها بالعربية الفصحى].

وهكذا نجد أن دعوة سعيد عقل - كما يقول الدكتور كمال يوسف الحاج في كتابه «فلسفة اللغة» - دعوة باطلة، وحربه على الفصحى حرب حاقدة سوداء مكشوفة، رفضها كثير من الموارنة أنفسهم.. ونحن نعلم أن أبسط وثائق منطقتنا العربية وحقائقها تقول: إنه لا ثقافة للبنان سوى ثقافته العربية «ملحق القبس 4 - 1 - 1990م»، وإن الدور الثقافي الفذ الذي اضطلع به عبر التاريخ هو دوره في النهضة العربية المعاصرة، وإن مفكريه وعلماءه وأدباءه النصارى، كالبساتنة، واليازجيين، ويعقوب صروف، وفرح أنطون وسواهم، لم يدر في خلدهم أنهم يعملون لمشروع ثقافي غير المشروع الثقافي والحضاري العربي.

هجوم على التراث والدين واللغة

إن ما يقوله سعيد عقل اليوم عن العرب والإسلام، لم يجرؤ على قوله حتى أكثر أعداء الأمة العربية تطرفًا، فهو لا يترك فرصة أو مناسبة «حتى في تأبين الفنان الراحل عاصي الرحباني» إلا ويغتنمها للإساءة إلى الأمة العربية الإسلامية، إلى تراثها ودينها ولغتها وحضارتها التي أشرقت على العالم، وعلى الغرب بصورة خاصة، واعترف بفضلها حتى الأعداء..

وبعد كتابه «بنت يفتاح» تعرض لانتقادات كثيرة بسبب دعواته الانعزالية تلك، وقال النقاد: «إن وظيفة الشاعر هي إحياء تراث أمته وليس إحياء تراث أعدائها».. والمعروف أن بنت يفتاح أسطورة يهودية.

ومنذ كتابه «قدموس»، كانت الغاية الانعزالية واضحة لديه، إذ ضمنه مفهوم «الكيان اللبناني» وأفقد لبنان انتماءه القومي، وسبق أن أصدر جريدة في أربع صفحات باسم «لبنان» خصص ثلاثًا منها للكتابة بالعامية، وواحدة للكتابة بالحرف اللاتيني.

وأصدر ديوان شعر باللهجة العامية والحرف اللاتيني معًا ظل مجرد «فرجة» غريبة ليس غير.

وفي عام 1982م، بعد الاجتياح الإسرائيلي لأرض لبنان، تحدث عقل في التلفاز الإسرائيلي، ودعا اللبنانيين إلى التعامل مع الإسرائيليين الذين «حرروهم من العرب»، وأنهى حديثه بقوله: «يجب أن ننصب تماثيل لمناحيم بيجن في جميع الساحات اللبنانية».

أوراق شارل مالك

ولعل هذه الوقفة مع أوراق سعيد عقل، تعيدنا إلى أوراق خدينه الآخر: شارل مالك، أحد رموز الفكر الانعزالي الذي ينكر على الأمة العربية تاريخها، وعلى الفكر الإسلامي دوره في التنوير البشري، والذي يدعو العرب، لا إلى التطبيع مع إسرائيل فحسب، بل إلى الانصهار في «دولة إسرائيل الكبرى»، وخروج لبنان من الأروقة العربية والإسلامية بدعوى أن لبنان موجود قبل العرب بخمسة آلاف سنة.

ولا يحتاج الباحث إلى كبير عناء وهو يبحث في المصادر الموثقة

ما يقوله سعيد عقل عن العرب والإسلام لم يجرؤ على قوله أكثر أعداء الأمة العربية تطرفًا؛ بل إن الصراع العربي الإسرائيلي عنده سببه: «تخلف» العرب و«تقدم» إسرائيل

سعيد عقل

عن براهين وثبوت تكشف دعوى هذا الرجل، على ما كان له من مكانة علمية وسياسية فرضتها ظروف مرحلة سابقة.. فهو نفسه، قد طرح آراءه وأفكاره على كل صعيد، وجاهر بعدائه للعرب والإسلام.. للتاريخ والتراث والحضارة، وبهذا يلتقي في دعوته مع سعيد عقل، وفؤاد أفرام البستاني، وجواد بولس، وإدوارد حنين، وآخرين من غلاة المناهضين لفكر العرب والإسلام ولغتهما وحضارتهما.

إنه يدَّعي أن الثقافة الغربية، قديمها وحديثها، هي أعظم ثقافة على الأرض «جريدة القبس - العدد 498 هـ تاريخ 3 - 9 - 1987م»، فهذا التراث اليوناني، اللاتيني، الروماني، الأوروبي، المتراكم منذ ستة آلاف سنة لا يوجد على الأرض ما يضاهيه قيمة ومستوى، أما بقية الثقافات العالمية الأخرى، قديمها وحديثها أيضًا، فليست شيئًا بالنسبة إليه، لذلك يتعين على كل مثقف في العالم، والعربي أولاً، لا أن يطلع على هذا التراث وينتفع به ويتأثر فقط، بل أن يندمج فيه اندماجًا عضويًا كاملاً، بحيث يصبح تراثه هو.


شارل مالك

يدعي شارل مالك أن الثقافة الغربية قديمها وحديثها هي أعظم ثقافة على الأرض، ويدعو العرب خاصة للاندماج فيها اندماجا كاملا

يقول هذا وقد فاته - أو أراد أن يفوته - أنه لولا الحضارة العربية الإسلامية لما عرف الغرب نهضته الحديثة.. وقد أكدت هذا مئات، بل آلاف الدراسات التي وضعها مؤرخون ودارسون وعلماء وباحثون ومستشرقون من جميع أنحاء العالم، حتى «خصوصية الثقافة اللبنانية» التي تحدث عنها كانت خصوصية قومية عربية، كشفت أصالة الثقافة العربية، وكانت جزءًا مهمًا من النهضة العربية، وتشهد على ذلك آثار: الشدياق، والبستاني، وغيرهم.

وهناك ملاحظة جديرة بأن نقف عندها في مجال الرد على الدعوات الانعزالية التغريبية، هي أنه، في ضوء وقائع التاريخ المدونة، لم يعرف لبنان عبر تاريخه كله مثل هذه الحيوية الثقافية والنهضة الحضارية الفكرية إلا في مرحلة عصر النهضة العربية المعاصرة، وعلى أساس عربي بحت. من هنا فإن الدور الطليعي الفكري للبنان كان في مرحلة عصر النهوض العربي، وكان دورًا عربيًا في جوهره وحقيقته كما كان في أدواته الفكرية، قبل أن تغزوه موجات التبشير الأجنبية وتجد بين أبنائه من يمكن أن تربيه في أحضانها وترسله في دعوات انعزالية مشبوهة للنيل من تراث الأمة العربية وحضارتها، وكان شارل مالك أحد هؤلاء الذين تربوا في هذه البيئة المحكومة بالآراء والتوجهات الاستعمارية الوافدة، ليكون وأمثاله في مواجهة النهوض العربي، وفي مواجهة دعوة الحق الإسلامية، ولقطع الطريق على انبعاث هذه الأمة التي ناضلت طويلاً للتخلص من ربقة الاستعمار، كي تحتل مكانها الحضاري والإنساني في المجتمع الدولي المعاصر.

إن ارتباط شارل مالك بالثقافة الغربية جعله ينكر على الأمة العربية أي أصيل في الأدب والثقافة والعلوم والتراث، حتى في الطب، بل إنه طرح في كتابه «المقدمة» آراء في منتهى الخطورة، كشفها جهاد فاضل في دراسته الشاملة عن «فكر شارل مالك من خلال المقدمة» - مجلة الفكر العربي عدد 15 تشرين الثاني/ نوفمبر - 15 كانون الأول/ديسمبر 1987م -، لأنه رآها تندرج فيما يمكن تسميته بـ«الغزو الثقافي والحضاري الغربي للوطن العربي». فشارل مالك يرى الأمة العربية «تعيش في قيم انحطاطية»، لهذا، ومن أجل الخلاص المتوهم لديه، لابدّ من الدخول الصميمي والانصهار الكياني الحميمي في التراث الغربي، وهو يعدّ الفكر الفلسفي العربي مثلاً مجرد نقل عن أفلاطون وأرسطو، بل يُدخل ابن سينا والفارابي وابن رشد في عداد المنتمين إلى الحضارة الغربية، ومن ثَمَّ إلى الثقافة الغربية.

ولا بد قبل رصد مواقف شارل مالك من التذكير ببعض ملامح بطاقته الشخصية، فهو خريج إرساليات الجامعة الأمريكية في الثلاثينيات، وأستاذ الفلسفة فيما بعد ذلك، ووزير خارجية لبنان في عهد الرئيس كميل شمعون، ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة في إحدى دوراتها بإيعاز مباشر من جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي، وصاحب الصورة الشهيرة التي نشرتها الصحف، آنذاك، وهو يتبادل الأنخاب مع المندوب الإسرائيلي، كما أنه أحد أعضاء لجنة عالمية «لإنقاذ الأماكن المقدسة في أورشليم» جنبًا إلى جنب مع الداعية الصهيوني الشهير تيدي كولك محافظ القدس المحتلة وأول المنادين بها عاصمة لإسرائيل، وقد كشفت هذا صحيفة النيويورك تايمز في عددها الصادر بتاريخ 11 حزيران/ يونيو 1968م، وقد أثار الموضوع آنذاك استياء لبنانيًا وعربيًا واسع النطاق.

دفاع عن «الأمة اليهودية»

وفي الوقت الذي حمل فيه شارل مالك على الأمة العربية وتاريخها وتراثها وحضارتها حاول الحديث عما أسماه «إعادة الاعتبار» للأمة اليهودية وللتاريخ اليهودي، ولحقوق اليهود، فيقول في جريدة السياسة «1983/1/11م» بالحرف الواحد: «نوع أقلية اليهود يختلف جوهريًا وجذريًا عن نوع الأقليات الأخرى التي قد تكون إما عرقية، أو

أوراق مكشوفة

لدعاة الثقافة الانعزالية

عنصرية، أو ثقافية، أو لغوية، أو دينية، غير أن اليهود يجمعون هذه الصفات كلها في نوع أقليتهم، فهم دين، وثقافة، وتراث حي.. هم أمة حافظت على قوميتها بهذا الشكل المميز أربعة آلاف سنة، كما حافظت على لغتها العبرية وعرقها السامي، وكما أن النور الأبيض يجمع الألوان كلها، فإن اليهود يجمعون خاصة كل أقلية، كما يتميزون بأن حلمهم لم ينقطع يومًا واحدًا في التاريخ بأرض أجدادهم وأنبيائهم وملوكهم، ثم تعلقهم الذي لا يصدق بأورشليم مدينة داود.

هذه هي - يتابع شارل مالك - الأيديولوجية الصهيونية، ولذا من حق إسرائيل أن تستقطب إليها جميع يهود العالم، لأنها مهددة باللاسامية.. وبالعرب».

الانصهار في مجتمع العدو

وينتقل شارل مالك إلى التاريخ الحديث، وبالتحديد إلى مرحلة اجتياح القوات الإسرائيلية أرض لبنان في حزيران/يونيو 1982م، فيقول لصحيفة «النهار العربي والدولي» عدد أيلول/سبتمبر 1982م: «الحدث الجديد في كل تاريخ الشرق الأدنى، تقريبًا، هو قيام دولة إسرائيل، وكل تفكير حول الشرق الأدنى لا يرتكز على هذا الحدث الفريد في التاريخ، وإنما يعيش في مجرد الخيال والذكريات، وهو بالتالي تفكير عقيم، فالحقيقة الصارخة ليست الذكريات، ولا الماضي إطلاقًا، بل الوضع المعطى المباشر، أي إن إسرائيل حدث لم يسبق له مثيل في المنطقة، وإنها اليوم ظاهرة متميزة بما فيها الفكر والعلم والتكنولوجيا، والاستنباط، والتنظيم، والثقافة، والقوة، والعلاقات الدولية..».

ثم يدعو بلدان المنطقة وشعوبها إلى تكييف نفسها بأشكال تتناسب مع هذا «الحدث الفريد» إلى درجة الاندماج والصهر، وليس التطبيع فقط، ذلك لأن شارل مالك لم يلمح في مصر بعد اتفاقية كامب ديفيد - كما قال - تغييرات مجتمعية وسياسية وفكرية واقتصادية جذرية تتناسب مع هذا «المنعطف الهائل».

إلى أن يقول: «إن ما يحدث في لبنان مرحلة من مراحل هذا التكيُّف الكياني الشامل مع حدث الوجود الإسرائيلي الجديد في الشرق الأدنى».

وهكذا تجاوز شارل مالك آراء السابقين واللاحقين ونظرياتهم من غلاة المتطرفين والمعادين للعروبة والإسلام، كما تجاوز جميع ما كتبه المستشرقون الذين تجنوا على العروبة والإسلام في كتاباتهم. فهو يعد اجتياح العدو الصهيوني أرض لبنان، والمذابح التي قامت فيه «منعطفًا تاريخيًا» يجب أن نعيشه حتى تنتهي عملية الاندماج والصهر مع إسرائيل.

حتى تسمية «الشرق الأدنى» لم ترد عرضًا في آراء شارل مالك، فهو يضع تصورًا جغرافيًا للمنطقة يفصل فيه عددًا من الأقطار العربية عن أقطار عربية أخرى؛ بل يقسم المنطقة إلى شرقين: أدنى وأوسط، يضم الأول في رأيه: اليونان وقبرص وتركيا وسورية ولبنان والأردن ومصر وإسرائيل - لا يقول فلسطين -.. ويؤكد أن مصير دول الشرق الأدنى منفصل عن مصير البلدان الأخرى التي تتمحور حول الخليج العربي - يسميه الخليج الفارسي -. من هنا كانت دعوته لتطبيع العلاقات حتى درجة الانصهار بين مصر ولبنان وسورية والأردن من جهة، وإسرائيل من جهة ثانية، ولم يذكر بالطبع أي دور أو وجود للفلسطينيين، بل تجاهل أن هناك شعبًا فلسطينيًا له حقوق مشروعة يدافع عنها ويناضل من أجلها منذ خمسين سنة.

وهو يعلل هذا فيقول: إن العرب اشتهروا بالكذب والنفاق، وارتجال الخطب مهما كانت أهميتها، يحضرون جلسات الأمم المتحدة دون أن يكون لديهم - إلا فيما ندر - أية معلومات خلفية عما يتحدثون فيه، بعكس إسرائيل التي لا يحضر مندوبها إلا ولديه من الملفات والوثائق الكاملة ما يجعله يقارعهم بمعلومات دقيقة.

أخطر دعوات الانعزال والتغريب

من الوثائق التي تكشف أوراق شارل مالك ما نشرته صحيفة السفير «العدد 1893 تاريخ 28 تموز/يوليو 1989م» من أن «الخلايا المارونية» التي شكلها شارل مالك عضو الجبهة اللبنانية في الولايات المتحدة الأمريكية، قررت شن حملة إعلامية وسياسية لصالح الضغط الإسرائيلي المتزايد على الفلسطينيين والسوريين والوطنيين اللبنانيين عبر الجنوب اللبناني، وقد انبثقت تلك الخلايا عن الرابطات المارونية في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الوقت الذي كان شارل مالك يدعو فيه إلى تغريب الثقافة العربية وإخراجها من أصولها، كان يحاول تأصيل ثقافة وطنية وقومية لليهود، وبهذا فإن التسليم بثقافة وطنية لليهود، والدعوة إلى إنمائها ضمن كيان، يجب أن يذوب فيه العرب وثقافتهم، هما أخطر دعوات الانعزال والتغريب التي تواجه أمة العرب والإسلام في هذا القرن.

لبنان الآخر

وقفتنا الأخيرة مع فؤاد أفرام البستاني الذي يفسر دور أسلافه البساتنة في النهضة العربية الحديثة، وخاصة في مجال اللغة العربية تفسيرًا غريبًا إذ يقول: إن البساتنة لم يقوموا بهذا الدور الرسولي أو الرسالي، إلا لأنهم لبنانيون، ولأنهم كذلك فهم قادرون على الإبداع بأية لغة، سواء كانت هذه اللغة، العربية أو غير العربية، فهي في أيديهم مجرد وسيلة لا أكثر، أعطهم أية وسيلة أخرى، سواء لغة أو غير لغة يبدعوا فيها.. الإبداع مركوز في جبلتهم وطبيعتهم، وهم لم يقوموا بهذا الدور الذي تحدثت أنا عنه، لأنهم «شعروا» مع العرب الآخرين، أو لأنهم كانوا «طليعة» عربية، فهم غير ذلك، هم غير عرب إذا أردت الحقيقة.. العرب في الأمس القريب فقط قفزوا إلى ساحة التاريخ، في حين أن علاقة اللبنانيين مع التاريخ ومع الحضارة ترقى إلى أكثر من ستة آلاف سنة.

كان هذا جزءًا من منطق فؤاد أفرام البستاني في تعامله مع التاريخ ومع الواقع.. كان يرى أن لبنان شيء وأن العرب شيء آخر، وكانت هذه فكرة مركزية عنده لم يحد عنها طوال حياته..

وختامًا نقول: إن هؤلاء الثلاثة الكبار، الذين يمثلون أبرز رموز الثقافة الانعزالية، والذين وجدوا أنفسهم في موقع تاريخي ومعرفي أصيل، متناقض مع موقع مُسَيَّس، انحازوا إلى الموقع الثاني مما جرّهم إلى التنكر لمنابت الأصالة.

لحظة القمة

في المسرح الإسباني والإنجليزي

في العقد الأخير من القرن السادس عشر كانت كل من لندن ومدريد، بصفتهما مركزين للحكم الملكي، وعاصمتين ذواتي مزاج خاص في الفن المسرحي، تضمان أماكن لتقديم الأعمال المسرحية. وكانت هذه الأماكن تتفاوت درجة استعدادها لهذه الأعمال. ومع أن السمة العامة لهذه المسارح كانت عبارة عن سقالات خشبية يتم تركيبها ارتجاليًا في الميادين أو في الساحات العامة بأية مدينة إنجليزية أو إسبانية؛ إلا إن كلاً من لندن ومدريد(1) كان بهما مسارح حقيقية تتفق مع متطلبات العصر.

د. عبدالفتاح عوض

ففي عصر المسرحي الإسباني لوبي دي بيجا كانت عاصمة إسبانيا تضم ستة أماكن مخصصة لتقديم الأعمال المسرحية، وكان من بينها مسرح "كورال البرينسيبي" أو "لا باتشيكا" (1585م) و"كورال دي لا كروث" (1584م) الذي لايقل شهرة عن سابقه. وفي لندن شكسبير أقيم المسرح الأول الدائم في "شورديث" (1576) وأطلق عليه اسم "المسرح"، وفي العام التالي أنشئ بالقرب منه مسرح ثان باسم "الكورتان". أما المسارح اللندنية التالية فقد أنشئت في جنوب المدينة على الضفة الأخرى من نهر التيمز، عبوراً بجسر لندن، لأسباب دينية وأخلاقية منها: مسرح "روز" (1587م) ومسرح "سوان" (1595م) ومسرح "الفورتين" (1600م) الذي كان الأكثر شهرة بلامنازع. ومن وجهة النظر المعاصرة فإن هذه المسارح كانت في أغلبها صغيرة وليست على المستوى الملائم واللائق(2)، وكانت بها عيوب إنشائية إذ كانت كثيرة الزوايا، وكان الجمهور يشاهد المسرحيات واقفًا على الأقدام بصفة عامة، كما كان لايعير المسرحية اهتمامًا كبيرًا في أثناء تمثيل المشاهد الضعيفة(3). وكانت خشبة المسرح تتقدم تجاه المتفرجين من دون أية إطارات أو تقسيمات أو قطاعات ضوئية أو ظلال تفصل الممثلين عن الجمهور (كانت المسرحيات تقدم في المساء)، وفي هذه المرحلة لم تكن هناك آلات للإضاءة أو أي مصدر للضوء. أما إسبانيا فقد كانت متقدمة إلى حد ما عن إنجلترا من حيث المؤثرات المسرحية منذ عهد لوبي دي بيجا وحتى كالديرون دي لاباركا، وخاصة فيما يتعلق بالمسرحيات الدينية. أما المسارح الإنجليزية فقد كانت سمة التقشف فيها واضحة. وعلى هذه الظروف السيئة، وتحت حالة الانتقاد الأخلاقي وأسلوب الفلسفة الجمالية الدائمة(4) وحالة الوباء التي انتشرت(5)، وتراجع النساء عن تمثيل الأدوار النسائية، وعدم توافر عوامل مساعدة خارجية باستثناء العبقرية الشعرية والمسرحية، فإن هذا العصر قد استطاع أن يقدم لنا نتاجا مسرحياً رائعًا ومدهشًا في تاريخ الآداب الأوروبية.

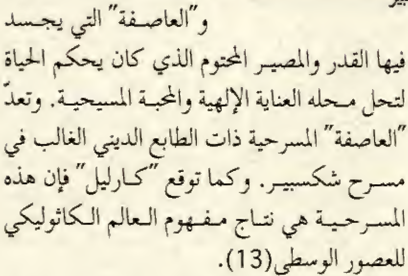
إن اقتراب الإنسان المعاصر من عالم القرن السابع عشر من خلال نافذة دراما العصر العجيبة يجب أن يقتصر على الجانب الأدبي فقط. ولم تذهب سدى الثلاثمئة سنة ولا الظروف المقلقة والمزعجة التي كانت تحرك إنسان القرن السابع عشر، مما أثر في ضمير الأجيال المعاصرة. لقد استطاع عظماء المسرح الإنجليزي والإسباني في العصور الذهبية أن يواجهوا مشكلات كبيرة ودائمة يقف فيها إنسان اليوم مثل إنسان الأمس، ووثبوا على حافة النفس البشرية مع أن أعمالهم الساخرة يمكن أن نقول عنها إنها أعمال ميتة في موقف ما، إلا إنها من الجانب الشعري والإنساني نهضت وتألقت عبر العصور من حيث القدرة الفنية

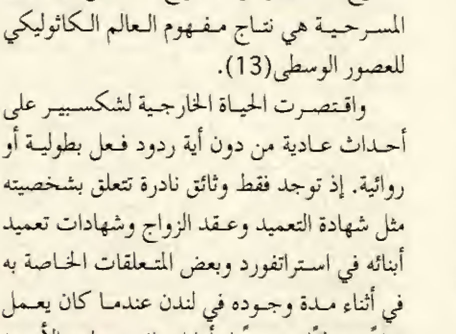
غير العادية والخالدة التي وصلت إليها. ".. وجاء بعد ذلك العبقري لوبي دي بيجا وارتقى عرش المسرح". كتب هذا ميجيل دي ثرفانتيس في نهاية حياته(6) بالإشارة إلى ظهور عبقري المسرح المدريدي في إطار المسرح الإسباني نحو عام 1594م. وليس هناك من سبب إلى القول بأن شخصيته قد تأخرت في فرض نفسها. كذلك لم يكن شكسبير بعيدًا من هذا التيار، إذ لو قلنا إن لوبي دي بيجا ألّف مسرحيات كوميدية في طفولته وإنه قام بأدوار مع رفاق له في سنواته الأولى وإنه عندما بلغ الثلاثين عامًا أصبح شاعرًا مسرحيًا معروفًا، فإن شكسبير بدأ حياته ممثلاً مسرحيًا عاديًا، ثم أصبح متعهدًا مشاركًا لفرقة مسرحية مشهورة، وإنه بناء على طلب هذه الفرقة قام بعمل بعض التعديلات للمسرحيات التي أصبحت فيما بعد أعمالاً أصيلة نظرًا لقدراته الفائقة واستعداده الطبيعي للمسرح. وأنه من خلال الهجوم الذي واجهاه في بداية عهدهما في المسرح، استطاعا أن يبرزا شخصيتهما العظيمتين. ويمكن الرجوع إلى صدى نقد مسرح لوبي دي بيجا في التعليق الذي ذكره ثرفانتيس في الجزء الأول من عمله الإبداعي "دون كيشوت"(7)، بينما وقع على شكسبير هجوم من المسرحي الجامعي المشهور روبرت جرين حيث وضع على قبره حكمًا مجحفًا وصفه فيه بأنه "غراب مزين" بريش رواده(8).

ونظراً للعبقرية والجرأة التي كان يتمتع بها كل من شكسبير ولوبي دي بيجا، فقد استطاعا أن ينتزعا قطاع المسرح من دون النظر إلى القواعد الفنية الموضوعة. ولكي يقيما هذا الصرح المسرحي العظيم قاما بمد يد العون للأدوات التي كان يستخدمها الرواد الأوائل، وأضافا إليها من عبقريتهما الفذة مايجعلها تؤدي الدور الكبير للمسرح. وعلى الاحتجاجات على هذه التصرفات إلا إن الشعب وطبقة النبلاء كانوا وراء شهرة لوبي وشكسبير. ففي عام 1594م عندما كان عمر كل من لوبي دي بيجا وشكسبير يناهز الثلاثين عامًا أو أكثر؛ استطاعا أن يؤكدا وجودهما من خلال تصفيق الجمهور وإعجاب النبلاء(9)، فضلاً عن عامل مهم في ذلك العصر هو وجود حماية من أحد القادرين. وإذا كان لوبي دي بيجا في هذا التاريخ مؤلفًا لمسرحية "جمال أنخليكا" (بدأت في عام 1588) وكانت تضم عدداً لابأس به من الأشعار الغنائية، وقيام مجموعة من الفرق المسرحية المشهورة بتقديم مسرحيات في كل أنحاء إسبانيا بشكل مباشر والتي كان يتعيش منها؛ فإن شكسبير في هذا العمر كان يكتب "روميو وجولييت" (1594م) و"حلم ليلة صيف" (1595م) مقدمًا الحب الرومانسي للشباب إحساسًا بالتفاؤل في صورة غناء البجع الموهوب بأسلوب الشعر الغنائي الحقيقي ورحابته المعهودة.

ونحو عام 1594م بلغ شكسبير بعبقريته الفذة، مكانًا مرموقاً. كان جرين قد توفي في عام 1592م، وكير قرابة عام 1594م، وكريستوفر مارلو المولود في العام نفسه الذي ولد فيه شكسبير - والذي تفوق عليه لنضجه المبكر وكونه المسرحي الوحيد صاحب العبقرية التي أضفت على شكسبير ظلالاً - فقد توفي مبكرًا بطريقة مأساوية في عام 1593م. ومن جهة أخرى فقد كان بن جونسون شابًا يافعًا، وجورج شابمان (1559-1634م) لم يقدم أية مواجهة، وعن العباقرة الجامعيين الباقين نجد "بيل" الذي كان في أواخر أيامه، و"ليلي" الذي تجاوز الحدود المعقولة وخرج عن نطاق المسرح. ومن ثم أصبح مجال المسرح الشعبي أمام شكسبير خاليًا تمامًا، حيث انطلق إلى المسرح. ففي هذه السنوات قدَّم على المسرح مسرحية "تاجر البندقية"، وجزئي مسرحية "هنري الرابع"، ومسرحية "زوجات وندسور السعيدات"، واستطاع أن يبدع شخصيات شيلوك وفالستاف العالمية. وأدركت إنجلترا في الحال مكانته، ففي عام 1598م نشر فرانسيس ميرميس (1565-1647م)، أستاذ كمبريدج، مختارات للكتاب المشاهير بعنوان "ثراء العقل" أنهاها بكلمة يوازن فيها بين الشعراء الإنجليز واليونانيين وبين اللاتينيين والإيطاليين. وقد أثنى على شكسبير في هذه الكلمة بوصفه شاعرًا عظيماً وكاتبًا مسرحيًا مشهوراً "أفضل كاتب مسرحي تراجيدي"(10). وابتداء من هذا التاريخ أصبحت قدما شكسبير راسخة وأكثر حظًا، ومن خلال مسيرة حياة "يوليوس قيصر" التاريخية والمأساوية (قُدمت على المسرح أول مرة عام 1598م)، انتقل بانتمائه العظيم للعالم وبمعرفته بالمسرح إلى المرحلة الثانية من إنتاجه، وهي المرحلة المظلمة التي استطاع فيها أن يبدع الشخصيات التراجيدية العملاقة التي تجسد الألم والشر: هاملت وعطيل والملك لير وماكبث، وكان عليه أن يضفي الصبغة الدرامية على الحب العميق والقوي في شباب أنطونيو وكليوباترا.

ومع تقدم العمر بشكسبير كانت كتاباته تتراجع 11)، إذ إنه نحو عام 1610م ترك لندن، وهجر حياة المسرح، وانزوى في قريته باستراتفورد المطلة على نهر "إيفون"، حيث كان يمتلك منزلاً جميلاً تحيط به حديقة غناء(12). ومن خلال هذا التحول الكبير، الذي اتّسم بالطابع الديني، خرج شكسبير من عالم عصره الواسع - على الرغم من طابعه الكئيب - ليدخل المرحلة الثالثة لطور فنه المسرحي. تصور لنا هذه المرحلة العهد الشعري والموسيقي المتمثل في مسرحياته "قصة الشتاء"، و"العاصفة" التي يجسد فيها القدر والمصير المحتوم الذي كان يحكم الحياة لتحل محله العناية الإلهية والمحبة المسيحية. وتعدّ "العاصفة" المسرحية ذات الطابع الديني الغالب في مسرح شكسبير. وكما توقع "كارليل" فإن هذه المسرحية هي نتاج مفهوم العالم الكاثوليكي للعصور الوسطى(13).





وليم شكسبير

واقتصرت الحياة الخارجية لشكسبير على أحداث عادية من دون أية ردود فعل بطولية أو روائية. إذ توجد فقط وثائق نادرة تتعلق بشخصيته مثل شهادة التعميد وعقد الزواج وشهادات تعميد أبنائه في استراتفورد وبعض المتعلقات الخاصة به في أثناء مدة وجوده في لندن عندما كان يعمل ممثلاً ومؤلفًا مسرحيًا، أما انزواؤه وعزلته الأخيرة في استراتفورد، فالقليل لايذكر إلا وصيته فقط.

في المسرح الإسباني والإنجليزي

وشكسبير على عكس ثرفانتيس الذي حارب في "ليبانتو" (1571م) وقام بالتوجه إلى إيطاليا مع الجيوش الإسبانية، كما أنه يختلف عن لوبي دي بيجا الذي شارك في بعثة جزر الآزور (1583م)، كما أنه رافق أسطول الأرمادا الإسباني في الحرب ضد إنجلترا (1588م)، فضلاً عن القيل والقال في مدريد وجميع أنحاء إسبانيا بشأن علاقاته. كان شكسبير يحيا حياة هادئة وآمنة، بالإضافة إلى قدراته الخلاقة وتفهمه للعصر من خلال مهنته التي مارسها ممثلاً ومؤلفًا مسرحيًا عبقريًا، ومن خلال روحه التي تضفي ودًا ووداعة عندما يقول عنه معاصروه بأن روحه المرحة والمتفائلة كانت نابعة من شخصيته الجذابة والشجاع(14).

ونحن لاننكر أن شكسبير كان قمة المسرح الإنجليزي بصفة خاصة، إلا إن لوبي دي بيجا كان أكثر انتشارًا حيث شغل المكان الأول في المسرح الإسباني. وعلى الشهرة الواسعة التي تمتع بها لوبي دي بيجا في المسرح الإسباني بوصفه مؤلفًا للمسرحيات الهزلية (الكوميدية) التي تنضج قبل أوانها؛ إلا إنه لم يدخل بعزم واضح في العمل المسرحي الدرامي الإسباني، وكان متأخراً بعض الشيء عن نظيره الإنجليزي. وفي الواقع فإن شكسبير لم يبدأ حياته كاتبًا مسرحيًا وحسب، وإنما حاول أن يكون شاعرًا(15)، ولكن يبدو أن العمل الملحمي والغنائي والروائي للوبي دي بيجا (16) في شبابه كان أكثر ثباتاً وحضوراً منه في الإنتاج المسرحي. لم يكن لوبي دي بيجا محظوظاً مثل شكسبير، الذي وجد نفسه بمجرد وصوله السيد الوحيد للمسرح الإنجليزي، في حين أن لوبي دي بيجا ظهر وحوله شخصيات من الجيل السابق له استطاعت - ولو لوقت قصير وإلى حد ما - أن تجذب الأضواء من حوله. إذ نجد أصحاب المقاومة التقليدية مثل "لوبريثيو ليوناردو دي ارخينسولا" (1559- 1613م) الذي أثنى عليه ثرفانتيس كثيرًا من خلال مقالاته التراجيدية المشهورة، كذلك نجد المؤلفين الحقيقيين للمأساة (التراجيديا) ذات الطابع القومي أو التقليدي (الكلاسيكي) مثل "خيرونيمو بيرموديث" (1530- 1599م) و"كريستوبال دي بيرويس" (1550- 1609م) (17)، و"أندريس دي أرتيدا" (1549-1613م) مؤلف التراجيديا المشهورة باسم "العشاق" التي تدور حول "عشاق ترويل"، وأخيراً الرواد العظام أمثال "خوان دي لاكويبا" (1550- 1610م) و"ميجيل دي ثرفانتيس" (1547- 1616م). ومن الظروف التي أثرت في الظهور الوقتي للوبي دي بيجا أنه عندما فرض نفسه على المسرح لم يبدأ بعمل مسرحي ذي قيمة إبداعية خلاقة مثل "روميو وجوليت" أو "حلم ليلة صيف". ويبدو أن أعماله المسرحية الأولى ذات التاريخ المحدد كان قد ألفها في أثناء وجوده في "ألبا دي تورميس" سكرتيرًا لدون أنطونيو الباريث دي توليدو ، دوق ألبا(18)، ولايمكن بأي حال عقد موازنة جادة بين هذه الأعمال والمسرحيات التي ذكرناها وأبدعها شكسبير.

يختلف لوبي دي بيجا عن شكسبير - برغم نقاط التلاقي بينهما - في أن الأول لم يخلق مسرحًا يتسم بالمروءة والاستقلال المطلق مثل نظيره الإنجليزي. إن شمولية المسرح الإسباني - بما في ذلك مسرح لوبي دي بيجا - بدأت تتحقق ببطء وبطريقة مطّردة من خلال التعاون والتآلف القومي، في حين أن المسرح الإنجليزي تكوّن وتشكل مرة واحدة من خلال الجهد الشخصي. وكذلك كان لوبي دي بيجا، فإنه من خلال مسرحية "لاس نيسيس "لبيرموديث و "العشاق" لري دي أرتيدا، ومن خلال الأعمال المسرحية ذات الطابع التاريخي الأسطوري والقومي لخوان دي لا كويبا، بدأت تتقدم تاريخيًا، ووفقًا للمواهب الحقيقية للشاعر، سلسلة من المسرحيات الدرامية القوية البنية الكاملة النضج.

وإذا قلنا إن بن جونسون كان قد حدد رقة شكسبير وتقديره في "بجع نهر آفون"(19) قبل بداية القرن السابع عشر، فإن شبه الجزيرة الأيبيرية كانت تعرف لوبي دي بيجا بأنه "نابغة العباقرة الإسبان"(20). وحول الحقبة التي تبدأ من عام 1606م وحتى وفاة شكسبير (1616م) بدأ لوبي دي بيجا في إنتاج المسرحيات الهزلية العظيمة التي تعد من الطراز الأول، منها "فارس أولميدو" و"بيربانييث" و"فوينتي أوبيخونا" التي منحته لقب صاحب عرش المسرح الإسباني المتوج. وعندما ينزوي شكسبير في قريته باستراتفورد على نهر إيفون في عام 1615م حيث يكتب أعماله المسرحية الأربعة الأخيرة، نجد لوبي دي بيجا في قمة إبداعه وإنتاجه الفني. فبينما خلف شكسبير سبعة وثلاثين مسرحية(21). نجد لوبي دي بيجا قد ترك ألفاً وثمانمئة مسرحية(22)، الأمر الذي يؤكد قدرته الفذة من حيث الحيوية والإلهام في تاريخ المسرح العالمي.

في الموازنة الأدبية بين ويليم شكسبير ولوبي دي بيجا يجب الأخذ في الحسبان - من وجهة النظر العامة - أن كليهما شخصيتان متوازيتان لهما باع طويل؛ فهما يمارسان وظائف متماثلة في إبداعاتهما الأدبية ذات القيمة العالمية التي لاتناقش، ولكن داخل إطار هذا التوازي من حيث البدايات والمبادرات والوظائف والتسلسل التاريخي، فإن إنتاج كل من لوبي دي بيجا وشكسبير متباينان تمامًا. وليس المظهر الخارجي والمنظور للكم الهائل من الإبداع الأدبي للوبي دي بيجا موازنًا بإنتاج شكسبير القليل هو مايفرق بينهما(23). ولو كانت القدرة الارتجالية للكاتب المسرحي الإسباني يضرب بها المثل، فليس لدينا الحق في التفكير بأن شكسبير كان عاجزاً بالنسبة لهذا الموضوع، والدليل والشاهد على ذلك صديقه ومنافسه ومعاصره بن جونسون الذي ترك مجموعة من التعليقات الحميمة والمنشورة بعد ذلك في عام 1641م بعنوان "اكتشافات"(24).

وهناك جوانب أخرى يتضح فيها التباين بين الكاتبين المسرحيين. فبرغم القيمة التي لايمكن إنكارها والقدرة الإبداعية الخلاقة للعديد من مسرحيات لوبي دي بيجا، والتطعيمات الغنائية التي توجد مبعثرة في أي مسرحية من مسرحياته، والتي من خلال دراستها نخرج بنتيجة هي أن المسرحي الإسباني يستطيع اكتشاف صيغة المسرحية بأن يتفق معها تمامًا ويتمسك بها، ومن ثمّ فإنه يقدم عدداً كبيراً من الأعمال المسرحية المتشابهة؛ على العكس من ذلك، بالنسبة لشكسبير، ووفقًا لتلك العجالة التي نشرها عنه صديقه بن جونسون، لاتتفق أعماله - في الحركة الداخلية - مع صيغة ما محددة وتخضع لسبب إبداعي قوي ولقانون أساسي فردي فقط، وليست محصلة لحبكة فنية أو إلهامية، من حيث المعاناة والتمتع بالحياة ومن حيث التجربة الشخصية. لم يتعود شكسبير تكرار نفسه أو التقليد، مع أنه من

الناحية الظاهرية يبدو تقليدياً (كلاسيكيًا) أكثر من لوبي دي بيجا، إلا إن مسرحياته أكثر تنوعًا.

وثمة جانب جوهري آخر من فنهما الدرامي يتعلق بالشخصيات والحدث. فلم يركز لوبي دي بيجا على خلق شخصيات عظيمة، وبهذا الشكل فإنه يتصور ويستوعب مسرحياته بالإجمال من دون أن تكون هناك نية محددة لإبراز الشخصيات. أما فيما يتعلق بشكسبير فعكس ذلك؛ فإن اهتمامه بالشخصية أمر أساس وثابت، فضلاً عن قدرته الإبداعية المفصلة، التي تقطع الشخصية المسار الدرامي وتمتص بذاتها اهتمام المشهد المسرحي. وإن هذه الشخصيات لاتتّسم بالبساطة التي تتمتع بها شخصيات بن جونسون، فلا يمكن أول وهلة استنتاج سلوك معين، ومن ثم لا يمكن التنبؤ سلفًا بالاتجاه الذي ستتخذه الشخصية مثل حياة الإنسان في موقف معين يتسم بالتعقيد أو بالثراء الإنساني، وإنما بالنظر إلى الماضي يمكن استخراج نتائج عن كينونته وطريقة عمله، من ثم إعادة بناء فلسفته. وهنا يكمن سبب المقالات المتعددة التي سببتها شخصية "هاملت" على سبيل المثال. إن مسرح لوبي دي بيجا له شكل ذو خطوط مستقيمة وأكثر برهانًا إذ يهتم أساسًا بالحدث. في حين يترك المسرحي الإنجليزي الأمر حسب التطور النفسي للشخصيات بصفة خاصة، ومشكلاتهم الداخلية هي التي تخلق المسرحية.

كما أنه يجب الأخذ في الحسبان التنوع في الموضوعات في أعمال لوبي دي بيجا إلى جانب التركيز في أعمال شكسبير. ولايعني هذا القول بأن شكسبير كان محدوداً في أعماله بأي شكل من الأشكال، ولايمكن أن يكون كذلك إذا انتقلنا من الكوميديا الشعبية إلى المسرحية الدرامية الموسيقية الخيالية "حلم ليلة صيف"، ومن التراجيديا الكلاسيكية ذات الموضوعات الرومانية "يوليوس قيصر" إلى المسرحية الدرامية القومية "ريتشارد الثالث وهنري الثامن"، ومن المزج التراجيدي "هاملت" إلى الوضوح البسّام في "قصة الشتاء". ولكن لوبي دي بيجا، بتنوع أعماله المسرحية الخارقة للعادة، استطاع أن يقدم كل تاريخ إسبانيا تقريبًا من الناحية الدرامية، فضلاً عن طاقته الخلاقة وتطلعاته للبحث في الموضوعات الكلاسيكية والأوربية، والدخول في الأعمال الدينية من خلال مسرحياته الدينية وترجماته عن القديسين، وتطرقه إلى عالم الفروسية والرعاة، وتحمسه للشخصية الشعبية الواقعية للشعب الإسباني، وتسخير موهبته الشعرية العالية في الأساطير والخلافات والأغاني الإسبانية.

أما أوجه الاتفاق بين لوبي دي بيجا ووليام شكسبير فإنها تكمن في مزج العناصر الكوميدية والتراجيدية في توازن إنساني، بين الوقار والبساطة، وبين السعادة والدموع، وعلى وجه الخصوص في النضارة الشعرية الخالدة. وقياساً على ذلك نضع العمل التراجيدي الكبير لشكسبير متمثلاً في "هاملت" والدراما الأكبر قوة وجسارة في مسرح لوبي دي بيجا متمثلة في "الملك خير حاكم"؛ فنلاحظ أنه في كلا العملين المسرحيين لم تغب العناصر الكوميدية، وأن الشعر يتدفق طبيعيًا في أي مناسبة. إن إلهامهما الشعري يتسم بالسخاء وبالوفرة حتى في الأعمال التي لايولونها اهتماماً كبيراً، ويتسرعون في إخراجها، فنجد فيها كنوزاً شعرية غنائية متناثرة ذات عطاء رائع.

وفي المجال الفكري نجد شكسبير يتميز بعقلية قلقة ومعقدة أكثر من لوبي دي بيجا. يتحرك المسرحي الإسباني في عالم يختص بالمفاهيم الثابتة: الدين والوطن والملكية والحق والواجب. تلك المفاهيم التي تكوّن لدى لوبي دي بيجا وللجزء الأكبر من معاصريه الإسبان نظامًا للقيم الثابتة التي لاتتبدل. أما الكاتب المسرحي الإنجليزي فإنه على العكس من ذلك يقدم أعماله المسرحية بجرأة ورغبة في التقصي لاتتوافر في لوبي دي بيجا. وإلى جانب الدين والسياسة يحاول شكسبير الدخول في أغوار أي من قطاعات الفكر ليقدم بحرية كاملة إطاراً شاملاً للحياة. وغالباً مايقدم شكسبير موضوعات غير مبال بها، لايصدر بشأنها حكمًا، كما يقدم مشكلات غامضة من دون حل، ويأخذ فيها موقفاً هامشياً. وفي منتصف عهده المسرحي كانت شخصيات شكسبير غالباً تملك صفة العدمية وإنكار كل اعتقاد، أو صفة الشرير نظراً لحيويتها الشديدة ومصيرها الغامض مع استحواذها أيضاً على لب الجمهور في مسرحيات "هاملت" و "عطيل" و "الملك لير". وفي كتاب بعنوان "الإنسان وماوراء الإنسان" (1878م)(25) اعترف نيتشه بقدرته الفائقة على ابتداع شخصيات شريرة، الأمر الذي يؤدي إلى الشك في مبدأ الأخلاقيات ونقاء الضمير للكاتب المسرحي الإنجليزي العظيم.

والأمر المؤكد أن شكسبير نادرًا ماكان يشغل فكره بفلسفة الأخلاق، وماكان يثير فضوله وشغفه هو الحياة ذاتها بتنوعها اللانهائي. ولم يسع شكسبير أن يكون شيئاً آخر سوى أن يكون شاعراً عظيمًا للإنسان والحياة، واقتصر دوره في أن يضع نصب أعين المتفرج بكل أمانة وإنصاف سلسلة المواقف الطيبة والمواقف الخبيثة. ولم يزعم في مسرحياته الكوميدية تصحيح العيوب الأخلاقية للجمهور أو نقدها. كان مبتغاه الأول هو تسلية المجتمع الإنجليزي الكاثوليكي المتشدد وإضحاكه في ذلك العصر من طريق الفن. لم تضم مسرحياته التراجيدية أغراضاً أو مبادئ أخلاقية أو نوايا دينية. والحقيقة أن مسرحياته كانت تفتقر إلى حد ما إلى العناصر الدينية موازنة بمسرحيات بعض معاصريه، فلا توجد مسرحية منها يمكن أن تكشف لنا الأفكار الذاتية للشاعر إزاء أهمية الحياة. ومايبدو واضحًا هو أن شكسبير لايفسر الأحداث الشريرة بأنها مخالفات للقانون الإلهي أو استهانة بذات الله، وإنما ضد الإنسان، إذ يدركها بمعناها الإنساني، وإن كلمة "الخطيئة" أو "الذنب" ليست شائعة بالقدر الكبير في مسرحياته التراجيدية (26). إن المعنى الحقيقي والعميق للتراجيديا يقوم في كل الآداب العالمية على أساس أخلاقي، وإن التراجيديا وجدت دائماً موضوعها المفضل في الصراع بين المبادئ والعواطف، أو في الصراع فيما بينها بمفاهيم أخلاقية متباينة: أبطال "كالديرون دي لا باركا" يترددون بين النزعات الأنانية ومايسمى بالشرف، وأبطال "راسين" يترددون بين الحب والواجب. ومع ذلك فإن تراجيديا شكسبير لاتطرح مبادئ موجودة أصلاً ولاتقترح حلاً للمشكلات المطلقة، وإنما تقدم مزيجًا متضارباً من الشخصيات النبيلة والشريرة كما هي موجودة في الطبيعة الإنسانية المتنوعة، وفي الصراع الأعمى للإنسان من أجل فتح طريق في الحياة ترفض العناية الإلهية أن تضيئه له. وفي الواقع فإن شكسبير لم يقترح على الإطلاق، مثل "اسخيلوس"، الأهداف العُليا لحل لغز العالم والمعاناة البشرية. وبعيدًا من الرغبة في وضع نظام للفوضى (الأيديولوجية) لمعاصريه أو المشاركة في توجيه إرشادات من خلال جمال الفن وسحره، شعر شكسبير بأنه مهتمّ بالناحية الجمالية للفن المسرحي المتشعب، وبالتنوع الشعري للوجود.

في المسرح الإسباني والإنجليزي

وتحديداً لذلك نقول: إنه كان شاعرًا عظيمًا وليس بأي حال مؤلفًا في فلسفة الأخلاق، ومن ثم فقد رفض شكسبير المشاركة في اللعبة الخطيرة التي تؤسس مشكلته الدرامية ولاتلتزم أو تتعهد أو تقبل المسؤولية. إنه يهتم باللعبة في حد ذاتها ولايعتمد على حظ الخصوم. إنه يقوم بشحن العاطفة حتى أطرافها ويطلقها بحرية عشوائية: الطريق مماثل تمامًا إذا كان الإخراج إيجابيًا وسلبيًا بالقدر نفسه . ومن ثم لاينتظر في أعماله انتصار العقل. وعن الفلسفة المترددة دائماً يرى شكسبير أن العالم يسير بلا هدف أو اتجاه، وأن الإنسان لايستحق شيئًا، وأن عظمة البشرية والإنسانية تقتصر على التفاهات، وأن الشرف أضحوكة، وأن الحب وهم وخيال، وأن كلمة المرأة قبلة في الهواء. إن موقف شكسبير إزاء المرأة هو موقف ثرفانتيس نفسه: إعجاب بجمالها، وعدم الثقة بعقلها وفهمها، وثباتها وجلدها أمام ضعفها وفنائها. ومع هذا كله، لانملك إلا أن نفكر في أن إنتاج الكاتب المسرحي الإنجليزي خال تمامًا من عاطفة المحبة، وأنه يتطور وفقًا لمفهوم الضلال الشيطاني. إن بلسم شعر شكسبير يغطي كل أعماله ويشبعها، ولكن مسرحياته الدرامية، بصفة عامة، لاتتطور وفقا للرؤية العقلانية الخارجية - الهدف الأخلاقي - وإنما هي ردود فعل نفسية تقدمها شخصياته. في دراما شكسبير يوجد دائماً شيء مفاجئ وغريب وخارق للعادة مثل الحياة ذاتها، مثل حياة الشخصيات العظيمة في عصر النهضة الإنجليزي، كانوا ملوكًا وفلاسفة وشرفاء أو قراصنة. شيء منعش مثل دقات أجراس القرية في صباح يوم عيد، مع الحضور الندي لشخصية المرأة عند شكسبير التي تأتي دائماً لتضفي لونًا على لوحة الحياة الداكنة. وأيا كان حكم الشاعر على المرأة في الواقع، فإن إبداعاته الفنية ورسمه وتصويره للمرأة يتفق مع الجمال الأفلاطوني والمثالي الذي يتسم بالنعومة والسذاجة غير العادية: جوليت وديدمونة وكورديليا هي أزهار تضفي سعادة على حديقة الفن والحياة.

أما التركيز الدرامي عند لوبي دي بيجا فهو مختلف تماماً، ففي المقام الأول يلاحظ أن كوميديا لوبي لاتتسم بالعالمية مثل دراما شكسبير، إذ لاتتجه إلى كل الناس ولا إلى كل الأزمان، وإنما فقط لشعبه ومعاصريه - وهذا حظ ماهو إسباني في الثلث الأول من القرن السابع عشر - فالحدث الدرامي يأخذ خطًا مستقيمًا لنهاية معروفة سلفًا من دون موارية أو تعقيدات، وبلغة واضحة ومعبرة. إن إسبانيا القرن السابع عشر تقدم مفهومًا وتصورًا للعالم الثابت والمحدد، وإن لوبي دي بيجا الذي يشارك رجال عصره في الأفكار والآراء نفسها لايساوره شك، بصفته كاتبًا مسرحيًا، بأن هذه الأفكار تعكر صفو تفكيره. كل شيء دقيق ومحدد في ضميره وعقله الواعي، ولايحتاج إلى انهماك في الدراسة والبحث، وإنه، أيا كانت المشكلة، فإنه يحكم عليها وفقًا لاتجاهات روحية وأخلاقية وأيديولوجية لمفاهيم قائمة في إسبانيا الكاثوليكية الآمنة والمهيبة في عصر ملوك النمسا. من هنا بدأ لوبي دي بيجا يستقي موضوعاته من التاريخ والأسطورة والعمق الشعبي، ومن الحياة المعاصرة، وقام بإخضاعها وتطويعها لفنه وتوظيفها وفقا لمبادئ القانون الفكري (الأيديولوجي) القومي، بعد أن يصبغها بعطر شعره ليقدم لنا الموضوعات بسيل جارف من إلهامه وقدرته الخلاقة وعذوبته وحنكته الدرامية الفائقة. ومن ثم فإن لوبي دي بيجا يبدو في أعماله إيجابيًا وهاويًا أكثر من شكسبير على خشبة المسرح. تحل مشكلاته وفقًا لنظام محكم وعادل للقيم. كل شيء يسير في طريق معروف ومحدد بحكمة. إبداعاته النسائية، مع أنها لم تنل الشهرة مثل نساء ويليام شكسبير، تتسم بصفات الخشوع والشرف والنبل والثبات الرقيق والظرف والملاحة العذبة، تلك الصفات التي تتميز بها نساء إسبانيا عادة.

الهوامش:

1- في ذلك العصر في إسبانيا - ونظرًا للتقاليد المحلية الصارمة وتشتت الفرق المسرحية - كانت هناك مبان خاصة لتقديم الأعمال المسرحية في المدن الكبرى الأخرى مثل إشبيلية (1575م)، وبلنسية (1582م) وسرقسطة (1586م) وبرشلونة (1597م).. إلخ.

2- على ذلك فإنه حسب ماجاء عن شهود العيان بأن مسرح "الجلوب" كان يسع ثلاثة آلاف متفرج.

3- بأن يأكل اليوسفي في إسبانيا والجوز في إنجلترا.

4- إدانة المذهب البيوريتاني "مذهب التمحيص والتمسك بالدين" في الجانب الأخلاقي، وإدانة الشعراء مثل "فيليب سيدني" في الجانب الجمالي.

5- في حزيران / يونيو 1592م أغلقت مسارح لندن أبوابها بسبب الوباء مدة عامين.

6- "مقدمة لثماني مسرحيات وثمانية فصول فكاهية قصيرة"، مدريد 1615م.

7- الفصل الثامن والأربعون.

8- انظر: شكسبير الحقيقي، كمبردج 1948م، ص 44.

9- في هذه النقطة كان شكسبير أسعد حظًا من لوبي دي بيجا.

10- ج.ب. هاريسون: مدخل إلى شكسبير، بليكان بوك، 1948م، ص 12– 13.

11- مايجعله يعتز بذاته هو أنه كان يتمتع بنفوذ كبير في الفرقة حتى يتمكن من تأليف مسرحياته في جو هادئ.

12- كان هذا البيت هو "نيوبالاس" الذي اقتناه في عام 1597م.

13- هـ.ج.س. جيرسون: التيارات المسيحية في الأدب الإنجليزي في القرن السابع عشر، شاتو اندونس، لندن، 1948م، نهاية الفصل الرابع.

14- انظر التعليقات التي ذكرها اثنان من معاصري شكسبير وهما صاحب مطبعة هنري شيتيل والمؤلف المسرحي بن جونسون في كتاب: شكسبير الحقيقي، كمبردج، 1948م، ص 45 – 49، وفي كتاب ج.ب. هاريسون: مدخل إلى شكسبير، دار نشر بليكان، 1948م، ص 14.

15- نذكر قصائد "فينوس وأدونيس" (1594م) و"لوكريس" (1594م) و"السونيتات" التي أشار إليها ف. ميزر في عام 1598م والتي كتب الجزء الأكبر منها بين 1593،1596م وبقيتها في نهاية القرن.

16- "جمال انخيليكا" (1602م) و"لادراجونتيا" (1598م) و"ايسيدورو" (1599م) و"الشعر الغنائي للشباب، "لادوروتيا" (1632م) و"لااركاديا" (1598م)، وقد كُتبت كل هذه الأعمال تقريبًا قبل تاريخ نشرها بمدة طويلة.

17- من خلال أعماله المشهورة "نيس الحزينة ونيس المكللة بالغار" التي تدور حول موضوع "اينيس دي كاسترو - الأولى - وحول "اليسا ديدو" فيما يتعلق بالثانية وموضوعها كلاسيكي.

18- أشير إلى مسرحية "صاحب المعجزة" (1593م) ومسرحية "الجميل المشكور عليه" (1593م)، و"معلم الرقص" (1594م) و"الخادم الشريف" (1594م) و"لاورا المطاردة" (1594م) و"السيد لوكاس" (1595م). انظر: خواكين دي انترامباس أجواس: حياة وإبداع لوبي دي بيجا، المجلس الأعلى للبحوث العلمية، مدريد 1946م، الفصل السادس عشر.

19- بجعة آفون.

20- حياة وإبداع لوبي دي بيجا، مرجع سابق، الفصل الحادي والعشرون.

21- تسلسل أعمال شكسبير مع تواريخ كتابتها بالتقريب وتاريخ نشرها من 1591م حتى 1593م، انظر: ج.ب. هاريسون: مدخل إلى شكسبير، بليكان بوك، ص 116- 117.

22- تسلسل عدد من مؤلفات لوبي دي بيجا المسرحية مع بعض تواريخ كتابتها ونشرها بالتقريب. انظر ثبت (كتالوج) الأعمال المسرحية للوبي دي بيجا الذي وضعه كايتانو دي لاباريرا: الأعمال الكاملة للوبي دي بيجا الصفحة 535 ومايليها.

23- في الواقع يجب ألا ننسى العشرين عامًا التي عاشها الكاتب المسرحي الإسباني لوبي دي بيجا بعد شكسبير. ومن جهة أخرى يجب الأخذ في الحسبان أن المهنة المزدوجة لشكسبير بكونه ممثلاً كوميديًا ومتعهد حفلات ومؤلفاً وملحناً بفرقة اللورد شامبرلين، حيث يقوم بتعديلات وإعادة صياغة المسرحيات مقابل تحسين مستوى معيشته وزيادة دخله، كل ذلك تطلب من شكسبير وقتًا إضافيًا كان لوبي دي بيجا يستفيد منه في كتابة مسرحياته بغية الخروج من حياته غير المنتظمة. ويجب عدم الوقوع في الخطأ بخلط حالة إنجلترا في القرن السابع عشر مع حالتها في القرن التاسع عشر والتحقق من أن شكسبير كان يتلقى من مسرحياته مبالغ طائلة. ولو كانت إسبانيا في العصر الذهبي لاتدفع أكثر من مئتي بيزيتة عن المسرحية الجيدة، فإن إنجلترا في عصر الملكة أليصابات كانت تدفع سبعة أو ثمانية جنيهات إسترلينية، والتوفير الذي حققه شكسبير لم يكن من نتاج قلمه الخالد وإنما كان بسبب مهنته بوصفه متعهدًا لأفضل فرقة مسرحية في لندن. والسبب المحتمل في أنه لم يكتب أكثر، حتى زمن انطوائه في استراتفورد، لاينبغي إرجاعه إلى عدم وجود الإلهام وإنما لانشغالاته الخاصة المتعددة بالفرقة وإدارتها.

24- انظر: ج.ب. هاريسون: مدخل إلى شكسبير، بليكان بوك، 1948م، ص 14.

25- رقم 176.

26- التيارات المسيحية في الأدب الإنجليزي، مرجع سابق، ص 121.



تَنمِيَة المُطالعَة عند الأطفال

نزار نجار

للثقافة أثرها في أوجه نموّ الأطفال المختلفة، كالنموّ العقلي والانفعالي والحركي والاجتماعي، وهذا التأثير لا يتّخذ نسبًا واحدة، بل يتباين إلى حدٍّ كبير، فالبيئة الثقافية لا تؤثر في النموّ الجسمي إلا في نطاق محدود، بينما تؤثر تأثيرًا كبيرًا في النمو الانفعالي والاجتماعي..

ففي مجال النموّ العقلي الذي يتمثل في الذكاء وكفاية العمليات العقلية، كالإدراك والتصور والتخيّل والتفكير، ونمو اللغة، يمكن التدليل على أثر الثقافة فيها من خلال الإشارة إلى ما تفعله في هذه الجوانب، فالذكاء - الذي يرتبط بالنجاح في التكيّف مع البيئة الطبيعية والثقافية، ويُقاس عادة بالقدرة على حلّ المشكلات، أو بقياس ما لدى الطفل من مهارات ترتبط في الوقت نفسه بما يتعلّمه الإنسان من بيئته الثقافية - يتأثر بتلك البيئة وبمدى ما تقدّمه من عناصر، فالبيئات الاجتماعية التي يحيا الطفل فيها، كالأسرة والمدرسة والحيّ وجماعات اللعب، ذات تأثير في ذكائه.

لذا يمكن أن تكون البيئة الثقافية عاملاً من عوامل إنضاج ذكاء الأطفال وعملياتهم العقلية، أو عامل كبت لهم، إذ إن القدرات العقلية والعمليات المعرفية هي خصائص طيّعة، أي قابلة للتغيّر يمكن للمجتمع أن يطفئها فتخمد، أو يلهبها فتنمو..

وما دام الطفل يحيا في إطار ثقافة، هي بيئة اجتماعية قوامها الوحدات الاجتماعية التي تتمثّل في الأسرة والجيران وجماعات اللعب والمدرسة، وغيرها من التنظيمات الاجتماعية؛ فإن الطفل يتفاعل مع مفردات هذه الوحدات، ويكتسب بعض عاداتها وقيمها ومعاييرها وأفكارها، وأوجه سلوكها المختلفة..

أهمية المكتبة في المدرسة

أولاً: يجدر بنا ألاّ نعدّ المدرسة مكانًا يُعلَّم فيه الأطفال أكبر قدر من المعلومات، ولكنّها المكان الذي يبدون فيه أكبر قدر من أنماط النشاط المتعددة، ومن هنا قال أحد المربين: «يجب أن نفكّر في المدرسة على أنها مركز النشاط الفعّال لكل طفل، من دون النظر إلى الحقائق التي تُعطى أو المعلومات التي تُختزن».

إن النشاط الذي تركّز عليه المدرسة يفتح الآفاق أمام الأطفال ليتعاملوا مع الحياة والناس والمجتمع والعالم.. فهي تسعى إلى تنمية طرائق في النشاط تولّد القدرة على الابتكار، ومن مهماتها أن تجعل الطفل يقف موقف الكاشف للحقائق، يشعر بحيرته أمامها، ويشعر بفرحته إذا ما وصل إلى الحقيقة.

وفي كل مدرسة لا بدّ من وجود المكتبة المناسبة، ولما كانت المكتبة، في أبسط معانيها، عملاً مبنيًا على مشاركة الأطفال في تكوينها برعاية معلّميهم، نلاحظ في أثناء تكوينها أنّ هناك فائدة عظيمة برزت خلال العمل فيها، وهي نمو اللغة القومية عند أطفال المدرسة الابتدائية. فالطفل إبان تطبيق مشروع المكتبة يتمكن من القراءة والكتابة والحوار، والمناقشة.. نتيجة لشعور داخلي بالحاجة الملحة التي يتتبعها في أثناء تنفيذ هذا المشروع..

إنه يقوم بكتابة أسماء رفاقه الذين سيشاركون في رفد المكتبة، وقراءة ما كتبه، ويستمع إلى حكم الرأي العام، في اختيار الكتب والقصص والمجلات، ويناقش مع رفاقه هذا الحكم؛ كما أنه بدوره يستمع إلى ما كتبه غيره ويناقشهم فيه ويحكم عليه، ويحفظ الأسماء والعناوين وكل ما يتعلق بالمكتبة، وقد يشارك في ترتيب الكتب وضبط القوائم فيها وترقيمها، وتصنيفها حسب موضوعاتها وتكون النتيجة: ازدهار اللغة القومية، وانطلاق ألسنة الأطفال بها من دون اعوجاج أو لحن.

فالنجاح اللغوي الذي ثبت من تطبيق مبدأ وجود المكتبة في كل مدرسة، دعا القائمين عليها إلى الإفادة من روحها في تقوية الأطفال والناشئة في لغتهم القومية التي هي أكبر عنصر من عناصر وحدة الأمة، وربط أفرادها بعضهم ببعض.

فهي بركنها المعهود، وترتيبها المنظّم، وكتبها الحافلة، ومجلاتها المتنوعة، ومعارفها المتعددة، تعدّ من أهم مصادر المعرفة لدى كل طفل، ربما تأخذنا الدهشة إذا ما رأينا طفلاً لم يتجاوز العاشرة من عمره يقف موقف الكبار عند مناظرة زميله أو عند إلقاء كلمة هو الذي أعدّ مادتها ورجع إلى المكتبة المدرسية بنفسه، واطّلع على كتبها..

ربما يأخذنا العجب حين يقف أمامنا بتؤدة واتزان وبلسان فصيح لا تعوزه الحجة ولا تخونه الذاكرة، فترى المدرسة صورة للندوات الأدبية والثقافية بأجلى معانيها، تغصّ بالمستمعين الصغار، فتقوى قدرتهم على التعبير الصحيح، وتمارس ألسنتهم الانطلاق باللغة السليمة فتظهر مواهب الأطفال العقلية من خلال هذه المكتبة الحيّة..

إن نفوس الأطفال ميالةٌ إلى المرح واللعب بطبيعتها، تواقة إلى إتاحة الفرص إلى ألوان النشاط المحبّبة، وهم ينشدون الحرية والانطلاق والتحرر من القيود، والنشاط الثقافي من خلال المكتبة يرقى بالعقل ومواهبه بعيدًا من الحواجز والمعوّقات.. ويمكن عندئذ أن نكتشف رغبات الأطفال في اختيار توجهاتهم بعيدًا من قيود المواد الدراسية، وكتبها المألوفة، ومناهجها الموضوعة، فالمكتبة ضمن المدرسة تسعى إلى تنوير عقول الأطفال، وتغني لغتهم، وتعوّدهم البحث والمطالعة الحرّة والتبصّر في

مختلف الموضوعات؛ والنشاط الثقافي فيها هو رياضة عقلية خلقية لها أعظم أثر في معرفة استعداد الأطفال وميولهم، مما يؤهل كل طفل مستقبلاً لما خُلق له وطبع عليه..

أساليب تنمية حبّ المطالعة عند الأطفال

تعدّ القصة الطفلية أبرز أنواع الكتب التي تحفل بها المكتبة المدرسية، والقصة تستعين بالكلمة في التجسيد الفني، حيث تتخذ الكلمات فيها مواقع فنية، في الأعم الأغلب، كما تتشكل فيها عناصر تزيد في قوة التجسيد من خلال خلق الشخصيات وتكوين المواقف والأجواء والحوادث، وهي بهذا لا تعرض معاني وأفكارًا فحسب، بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات لدى الأطفال، إضافة إلى إثارتها العمليات العقلية المعرفية كالإدراك والتخيّل والتفكير..

والأطفال شديدو التعلّق بالقصص، وهم يستمعون إليها، أو يقرؤوها بشغف ويحلّقون في أجوائها ويتجاوبون مع أبطالها، ويتشبعون بما فيها من أخيلة، ويتخطون من خلالها أجواءهم الاعتيادية، ويندمجون في أحداثها ويتعايشون مع أفكارها، فهي تقودهم بلطف ورقة وسحر إلى الاتجاه الذي تحمله، إضافة إلى أنها توفر لهم فرصًا للترفيه في نشاط ترويحي وتشبع ميولهم إلى اللعب، ولذلك فهي ترضي مختلف المشاعر والأمزجة والمدارك والأخيلة، بوصفها تجسيدا مسرحيا للحياة والأفكار والقيم..

والقصص بتخطيها أبعاد الزمان تنقل الأطفال عبر الدهور المختلفة، كما تتجاوز بهم الحاضر إلى المستقبل، وبتخطيها أبعاد المكان تنقلهم إلى مختلف الأمكنة، وبتجاوزها الواقع تجعل الأطفال أمام حوادث ووقائع وشخصيات وأجواء خارج نطاق الخبرة الشخصية للأطفال، وتهيئ لهم الطواف على أجنحة الخيال في عوالم مختلفة..

من هنا تجيء أهمية إغناء المكتبة المدرسية بالقصص، وهي أول وسيلة لجذب الأطفال إلى القراءة والمطالعة، ونحن ننمّي حب المطالعة بحسن اختيارنا لأنواع قصص الأطفال، ونتساءل: ماذا يريد الأطفال؟ وما الأنواع الأكثر شيوعًا لديهم؟

كيف يختارونها؟ هل نقسّم المكتبة المدرسية بحسب الموضوع، أو بحسب النوع، أو بحسب علاقة هذه الكتب بالواقع أو الخيال، أو بحسب ميول الأطفال؟

يقف المربي موقف المشرف أو الموجه فقط، يأتي بهذه الكتب المختلفة من حكايات وخرافات وقصص حيوان وقصص بطولة ومغامرة وقصص خيال علمي وقصص خيال تاريخي وقصص فكاهة، ثم يقول:

ـ تعالوا، أيها الأطفال، نتعرف ما في مكتبتنا المدرسية من كتب متنوعة، ما رأيكم؟ كيف نبدأ بتوزيعها على الرفوف؟

يجيب أحد الأطفال:

ـ نختار السلسلة العلمية لتكون في الرفّ الأعلى.

يسأل المربي:

ـ وهذه الحكايات:

يتساءل الأطفال:

ـ هل هي حكايات شعبية؟ هل تدخل ضمن أساطير الشعوب؟ هل هي من نوع الخرافات؟

وعندما يتعرفّها الأطفال يهتفون:

ـ نعم، هذه حكايات شعبية..

وهناك بعض الحكايات التي تدخل ضمن الخرافات فيها ذكر للقوى الخارقة غير المرئية، كالعفاريت والجانّ والكائنات المسحورة، هل نعطي لهذه الكتب الأولية من اهتمامنا؟!

تتعدّد إجابات الأطفال، يشير بعضهم إلى أنها غير مهمة لديهم، يحاول آخرون قراءتها، يبدو دور المربي، يتدخل بطريقة غير وعظية، يتابع الأطفال تصنيف مكتبتهم، قصص الحيوان هنا، وهناك قصص البطولة والمغامرة، هذه قصص الجاسوسية والقصص البوليسية، يطرح المربّي المشرف شعار: الجريمة لا تجدي... يُبرز للأطفال بطولات رجال الشرطة، يوجّه إلى الابتعاد من هذا النوع من الكتب؛ لأنه يطفح بأعمال العنف والقسوة والخداع والإيهام.. هنا ركن قصص الخيال العلمي، وركن القصص التاريخي، وهذه القصص الفكاهية، وهي ما ينجذب إليه الأطفال بشكل لافت للنظر، حيث يجدون فيها، وفي الطرائف والنوادر ما يضحكهم...

إن الأطفال ينتقلون من دور الدهشة والإعجاب إلى دور الدقة، وهذه أولى خطوات نمو المعرفة لديهم، إنهم يتقدّمون نحو الحقائق قدمًا؛ إنهم يصنفون الكتب، يلتقون بكلّ ما يثير اهتمامهم ويحفزهم إلى المطالعة. تبدأ عملية الألفة والحميمية مع الكتاب، صارت الكتب أصدقاء لهم، اقتربوا من مصادر المعرفة، إنهم يستقبلون عوالم جديدة..

الدهشة والإعجاب وحبّ الاستطلاع، تغذي الجانب الانفعالي لدى الأطفال، تمدّهم بقوة، يستطيعون بها أن يصلوا إلى حقائق واضحة مضبوطة، يمكن تطبيقها والاستفادة منها.. والمربي لا يصل بالطفل إلى حدود الفائدة فقط، بل يتجاوز ذلك إلى أن يصل به إلى آخر المراحل التي يستطيع عندها الوصول إلى المعرفة الواسعة الشاملة..

نهاية المطاف

إن للمكتبة المدرسية أهميتها التي لا يمكن الاستهانة بها على الإطلاق، وإن أساليب تنمية حب المطالعة كثيرة ومتنوعة يمكن حصرها فيما يلي:

- **تنوع الكتب واختيار العناوين الجيدة**، والإخراج اللائق، والحرف المضبوط بالشكل، والمضمون الهادف، والصورة الملونة الجذابة...
- **التمهيد المستمر للأطفال حول ما تحتويه المكتبة**، لينشأ الميل إلى التواصل مع الكتب الجديدة..
- **إزكاء الحماسة للنواحي الجمالية والمعرفية** التي تعرض على الأطفال.
- **ترك الحرية للأطفال والتوجيه بطريقة غير مباشرة**، وعدم تقييدهم بوجهة نظر المربين في تقديرهم أو تقييمهم للكتب..
- **تشجيع الأطفال على اختيار الأخبار التي تتفق مع أذواقهم.**
- **عدم معارضتهم فيما يقرؤون أو يتناولون من كتب** (يكثر الطفل من سحب الكتاب ثم يعدل عنه إلى غيره).
- **ترك المكتبة مفتوحة في أوقات محدودة**، منضبطة ليشعر الطفل بقيمة الوقت ودقة الاختيار..
- **عرض بعض الأفلام التلفازية عن قصص كُتبت ثم مُثّلت**، فالطفل يحبّ الموازنة بين ما رآه على الشاشة وما قرأه في الكتاب.
- **وجود منبر خاص، يقف الطفل عليه ليناقش زملاءه فيما اطلع عليه من كتب**، وهذه نواة صغيرة لندوة ثقافية مستقبلية.
- **تشجيع من يتكلم اللغة القومية، أو يكتب بها** ملخصاته وآراءه ونقده حول الكتب التي قرأها أو تزوّد بها من المكتبة المدرسية.
- **تخصيص جوائز رمزية** لكلّ من يقرأ كتابًا ويقدّم تلخيصًا مقبولاً له.
- **إقامة ندوات مصغّرة بين من يكتبون للأطفال والأطفال أنفسهم**، يتعرف من خلالها الصغار إلى الكتّاب ويحاورونهم فيما قرؤوه لهم أو كتبوه..
- **التشجيع لكل مَنْ يغني المكتبة المدرسية بكتاب جديد مناسب**، وكتابة أسماء الأطفال المهدين في لوحة بارزة تعرض فوق المكتبة أو في غرفة المطالعة ذاتها..
- **تزويد المكتبة بآخر ما يصدر من قصص وكتب علمية** بصورة مستمرة، ليطلع الأطفال على كلّ جديد في دنيا الكتب والمعرفة..

المراجع:

- ثقافة الأطفال، د. هادي نعمان الهيتي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1988م.
- التربية الحديثة، عبدالعزيزعبدالمجيد، دار المعارف بمصر.
- في التربية، ب. راسل.



ومضات مشرقة في أدب الجزيرة العربية

2

د. عبدالله أبو داهش

لله في الخلق مراد عجيب ... في سر معناه يَحار اللبيب

فسلِّم الأمر له وحده ... تسلم فما أنت عليه رقيب

ووطِّن النفس لمرِّ القضا ... واصبر على ريب الزمان المريب

أقول والدمع على وجنتي ... يهمي وللحزن بصدري وجيب

الحمد لله على ماجرى ... وحسبنا الله ونعم الحسيب

إنَّ النصارى من بني كِلْترا ... جاؤوا من الأمر بأمر عجيب

قد نقضوا ميثاق عيسى كما ... قد نقضوا ميثاقَ عيسى النقيب

عابُوه بالشيب ضلالاً ومِنْ ... أدهى الدواهي أن يَعيب المعيب

أليس قد شابت بريطانيا ... فما لها في الملك لا تستنيب

بل فغرت فاها لبلع الورى ... واستعملت في الخبث كلَّ الضروب

سياسة نفذها لطفها ... فكل قطر فيه منها دبيب

قد لبست للناس من لينها ... مكرًا جلود الضأن صنع الأريب

يامقلة البحرين سحِّي دمًا ... وانتحبي إن كان يغْني النحيب

فإنْ يومًا عزْلُ عيسى جرى ... فيه على الإسلام يومٌ عصيب

هل بعد عيسى المرتضى المرتجى ... وآلِهِ العيشُ لِحرٍّ يَطِيب

فتى حماه الرحب للملتجي ... حِصنٌ وللعافين مرعًى خصيبْ

مازال في جمع ضروب العلا ... حتى غدا فردًا عديم الضريب

عمَّتْ أياديه الجزال الملا ... فكل قطر فيه منها نصيب

فضائل ليست بمحصورة ... ومَنْ يُطِق عدَّ رمال الكثيب

يا أيها المعزول ظلمًا ولا ... ذنب له إلاَّ بياض المشيب

لا تبتئس فالدهر منذ نشا ... حرب إلى كل عليٍّ نجيب

فسُلَّ من حسن العَزَا صارمًا ... واضرِب به الهم إلى أن ينيب

واصبر قليلاً صبرَ مستجمع ... فسوف يومًا تنجلي ذي الكروب

لا بد للشرقي من كَرَّةٍ ... تقضي على الغربي عما قريب

فقد أفاق الشرق من سكره ... وجد ذاك المستغرُّ اللعوب

وهَبَّ من نومته ثائرًا ... وكاد منه يستحيل الهبوب

فليتقاضَ كل حق له ... مضيعًا في سالفات الحقوب

يا عرب الإسلام أدعوكم ... لِخطَّة الرُّشْد فهل مِن مجيب

العلمَ العلمَ تسودوا به ... فإن بالعلم حياةَ الشعوب

إلى متى في الجهل هذا التَّوا ... وفي حضيض الجهل هذا الرسوب

لا خير في زهو قضيب إذا ... خلا من الأثمار ذاك القضيب

أدلجْ إلى العلم بليل الصِّبا ... لتحمد الإدلاج صبح المشيب

فالعلم مفتاحٌ لكل المنى ... وسُلَّم يرقى عليه الطُّلوب

فما على باب العلا حاجب ... ولا على غيد المساعي رقيب(1).

لم تكن القصيدة السياسية التي أنشأها الشاعر عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك (1310-1334هـ) في شأن تغيّر الأوضاع في البحرين (انظر الفيصل، العدد 234) بالقصيدة الوحيدة التي أنشأها في هذا الشأن، وإنما هنالك قصيدة أخرى - افتتحنا بها مقالتنا هذه - لم تكن في منزلة سابقتها، حيث عُرفت في كنفها، ولم تشتهر شهرتها، فقد حواها مجموع "شعراء هجر"، وصدف عنها الباحثون على أهميتها، وسلاستها، وعذوبة قافيتها المقيدة، بل جرأة صاحبها وحماسته وما صدر عنه من سخرية مُرَّة. لقد قيلت بدافع من ألم الشاعر وحرقة فؤاده تجاه صديقه حاكم البحرين في عصره، الشيخ عيسى آل خليفة؛ الذي نحّاه الإنجليز بدافع سياسي محض، لم يألوا فيه إلاً ولا ذمة، مما أثار حفيظة صديقه الشاعر عبدالعزيز المبارك، وجعله يبكي فيه المكارم، ونبل الخلال، لم يحزنه فوات النعيم الذي كان يتقلب فيه، بحكم قربه من الشيخ عيسى آل خليفة، وإنما أُحزنه هذا الامتهان، وهذا الفضول، الأمر الذي يُحسب له، ويميزه من شعراء زمانه الذين بكوا القصور وذهاب النعيم.

يقول أحد الدارسين: «ويعتبر شاعرنا من خير مَنْ تحدث في أمور الأمة الإسلامية، وعالج المشاكل العربية، ولذلك فإن سياسياته تحدثنا عمّا كان يجيش في نفسه من رغبة صادقة في اجتماع الكلمة، ولم الشمل، والاتحاد في ظل جو إسلامي يستعيد به المسلمون ما كان للصحابة الأول من أمجاد خالدة. ونرى الشاعر في هذه القصائد يصب جام غضبه على المحتل الغاصب، ويحز في نفسه ويؤلمه أن يتحكم في الأمة الإسلامية هؤلاء المستعمرون، وترجع به الذكرى إلى الأمجاد الخالدة، وتمر أمام عينيه جحافل الإسلام وهي تدك حصون الشرك، وتنشر دين الله في بقاع الأرض»(2).

أقول إن شعر الجزيرة العربية في القرون الأخيرة الماضية لم ينل حظه من الدّرس والاهتمام، بل ظل بعيداً من عناية الباحثين واهتمامهم، حيث صدفوا عنه وكأنه لم يكن شيئًا مذكورا، أو لم يحيطوا بمسيرته، ودوره في بناء هذه الحياة ابتداءً من ظهور العصر الحديث، وانتهاءً بظهور اليقظة الأدبية المعاصرة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، هنالك حيث ظهر هذا الواقع الجديد لذلك الأدب الناصح الجاد.

لقد انشغل أدباء الجزيرة العربية عندئذ، ومنهم عبدالعزيز المبارك بكثير من قضايا الأمة الإسلامية مناصحين ومدافعين، يبحثون عن الحقيقة ويطلبونها. لم تقعد بهم الهمم، وإنما أطلقوا صيحات تملأ الدنيا، وتثير الاهتمام، وما أحمد عبدالخالق الحفظي، وإبراهيم الأسكوبي، والمبارك ببعيدين من هذا الواقع، لقد انشغلوا بهموم الأمة بالفعل، وناصحوها فكانوا نعم الشعراء في مناصحة أمتهم، وتحذيرها.

أفاض الشاعر في استرسال؛ فانتقد سياسة الإنجليز المخلة، وكشف عن زيفهم وهواهم بسخرية مُرَّة، ليقول:

عابوه بالشيب ضلالاً ومن
أدهى الدواهي أن يَعيب المعيب
أليس قد شابت بريطانيا
فما لها في الملك لا تستتيب

إنها أحاسيس شاعر محسن، ونظرات أديب ناصح، يستحق من أجلها الاهتمام في درس عميق ينكفئ على شعره الوافر عبر عمره الدنيوي القصير، فما أحراه بقول أبي الحسن التهامي رحمه الله تعالى:

يا كوكبًا ما كان أقصرَ عُمْرَهْ
وكذاك عمرُ كواكب الأسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر
بدرًا ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه
فمحاه قبل مظنة الإبدار(3).

الحواشي:

1- عبدالفتاح الحلو، شعراء هجر، 190، 191، 192.
2- المصدر نفسه، 158، 159.
3- ديوانه، تحقيق د. محمد الربيع، 309.

في رحاب كلية الطب:

رحلة من الشك إلى اليقين

د. أحمد كنعان

في خضم هذه الحياة يمر الإنسان بمحطات تشكل نقطة تحول حاسم في حياته. وقد كانت السنة الأولى التي قضيتها في رحاب كلية الطب، نقطة تحول حاسم في مجرى حياتي، ففي تلك السنة البعيدة تكشفت لي حقيقة الطلاسم الغامضة حول الحياة والموت، والخلق والخالق.. تلك الطلاسم التي بدأت تجول في خاطري عندما بدأت أدرج إلى سن الشباب، وبدأت مشاعري وأحاسيسي تتفتح على حقائق الوجود!

كان ذلك في الستينيات من هذا القرن، يوم شاعت في الأرض موجة عارمة من الفلسفات المادية الملحدة التي وجد فيها بعضهم (!؟) فرصة سانحة للتشكيك بوجود الخالق، وصدّ الناس عن الإيمان.. وقد كادت الموجة تأخذني في تيارها، لولا أن تداركتني عناية الله عز وجل، فأخذت بيدي إلى رحاب كلية الطب لأقضي هناك ست سنوات كانت حافلة بالعلم والإيمان والمتعة.. ولعل أثمن عطايا تلك السنين أنها حملتني من ضيق الوهم والشك والحيرة، إلى آفاق الحق واليقين والطمأنينة، وأجابتني بوضوح لا لَبْس فيه عن جميع الأسئلة التي كانت تصطرع في وجداني حول: النشأة والمصير!

ففي مختبر (علم الجنين) رأيت أصل النشأة الأولى.. رأيت النطفة والبيضة، فأصابني الذهول؛ لأنني لم أكن أتصور أن أصل الإنسان ضئيل إلى هذا الحدّ! إذ لا تزيد النطفة ولا البيضة على ميكرونات معدودات (الميكرون = جزء من مليون جزء من المتر)، وبالرغم من هذا تصيران جنينًا يتألف جسمه من مليارات الخلايا، ثم تصيران إنسانًا يحمل الأمانة، ويعمر الأرض، ويرنو إلى بقية الأفلاك ليعمرها!!

مراحل نمو الجنين

هنالك.. في رحاب النشأة سرح بي الخيال ورحت أتأمل الكون وما فيه، فرأيت آلاف المجرات في الفضاء الوسيع، وعرفت أن العلم قد كشف من أسرارها العجب العجاب، وتبين أن في كل مجرة ملايين، بل مليارات النجوم التي لا تعد شمسنا ـ على عظمتها ـ شيئًا مذكورًا أمامها.. أضف إلى هذا أن الكون في توسع مستمر ـ وفق نظرية الأمريكي أدوين هوبل في تمدد الكون The Expanding Universe، ومعلوماتنا عنه تتضاعف يومًا بعد يوم كلما أتاح لنا العلم وسيلة جديدة لكشف المجهول، وسبر أعماق الفضاء.. ومع هذا فإن الله عز وجل اختار هذه النطفة الضئيلة لتحمل الأمانة، وتقيم شريعة الله في الأرض، فأي تكريم هذا.. وأي فضل؟! بل أية عظمة تكمن في خلق هذا المخلوق كي يستحق مثل هذا التكريم؟ ثم.. أين الإنسان صاحب الفكر والعقل والخيال من تلك النطفة المهينة؟! وكيف ينسى الإنسان ممّ خلق؟ ومن أين خرج؟ فيقف مجادلاً في ربه، مخاصمًا إيّاه كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: *أَوَلَمْ يرَ الإنسان أنّا خلقناه من نُطفَة فإذا هو خَصيمٌ مُبين*. **يس: 77.**

وفي مختبر الجنين كذلك.. رأيت كيف ينمو الجنين مرحلة بعد مرحلة وكيف تبدو آلاف، بل ملايين الخلايا وهي مدفوعة؛ لأن تفعل الشيء الصواب، في الوقت الصواب، وفي المكان الصواب، كيما تستوي آخر الأمر سويًا.. فأية قدرة هي التي تدفع بها إلى الأمام بانية متوسعة وموجدةً ما هو أقوم وما هو معجز؟!

من تراه ينظم الحركة؟

ومن عجيب أمر النشأة الأولى.. أن ترى خليتين في جسم الجنين تقومان بعملين متماثلين تمامًا على الرغم من أنهما تقعان على طرفي الجسم، وبينهما من المسافة ما لو قورنت بحجميهما لكانت مثل أن تفعل نملة في القطب الشمالي من الأرض ما تفعله نملة أخرى في القطب الجنوبي وذلك في وقت واحد، لا تتخلف إحداهما عن الأخرى معشار الثانية.. فمن تراه ينظم الحركة؟ ومن تراه يصدر الأمر الواحد؟

وسرح ناظري عبر عدسات المجهر في عالم

الخلية فرأيت تفصيلات تكوينهـا، وعرفت أن كل عضـو في الجسـم البشـري، بل كل نسـيج من أنسـجته يتكون من خلايا متميزة من غيرها من خلايا الأعضاء الأخرى، وأن هذه الخلايا لا تتشابه إلا في صفاتها العامة، وأما صفاتها الخاصة فهي تختلف اختلافًا شديدًا لا حدّ لمداه، وهذا ما نلاحظه مثلاً في (الغدة النخامية) التي تتربع في مركز الجمجمة، ولا يزيد حجمها على حجم حبة الحمص الصغيرة، ومع هذا فهي تتكون من ثلاثة أنواع من الخلايا، كل منها يختص بإفراز أنواع من الهرمونات لا تفرزها الخلايا الأخرى، فإذا كان هذا التنوع الكبير حاصل في عضو واحد، فما بالك إذًا بالتنوع الحاصل بين مختلف الأعضاء التي تؤدي آلاف الوظائف؟!

ووقفة أخرى جعلت القلب يسجد في خشوع.. فقد نشأ الجسم البشري أصلاً من خلية واحدة هي (البيضة الملقحة) التي تكونت من اندماج نطفة الأب وبويضة الأم، ثم أخذت بالانقسام والتكاثر والتميز إلى خلايا كثيرة ليكون من بعضها عين، ومن بعضها أذن، ومن بعضها قلب، ومن بعضها دماغ.. ولتصنع هذه خمائر، وتفرز تلك هرمونات، وتركب أخرى بروتينات، وتحرق أخرى سكريات.. وهكذا حتى يكتمل البناء، ويستوي الإنسان في أحسن تقويم ! فأي عقل في هذه الخلايا يقودها عبر هذه الاتجاهات المتباينة؟ وما الذي يجعل خلية تصعد إلى قمة الرأس لتكوّن شعرة هناك؟! ويجعل خلية أخرى تهبط إلى الدرك الأسفل لتكوّن ظُفرًا في إصبع القدم؟ من تراه الخافض الرافع؟!

الحقيقة في عالم الخلية

وثمة حقيقة أخرى أدعى إلى التأمل والتدبر والتفكر.. فإن كل خلية من خلايا البدن تشكل عالمًا متكاملاً زاخرًا بالأعضاء الحية المتناهية في الصغر، ولكل عضو عمل يؤديه بإتقان، ودقة لا تدانيها دقة، وبين تلك الأعضاء ما لا يُرى إلا بأقوى المجاهر.. فإذا علمنا هذا، وعلمنا أن هذه الأعضاء كلها موجودة ضمن حدود الخلية التي لا يزيد قطرها على بضعة ميكرونات أدركنا عظمة الخالق عز وجل الذي صاغت يده المبدعة الخلية هذه الصياغة المحكمة، وهدت كل عضو فيها إلى مهمته، وكونت من هذه الخلايا بشرًا سويًا تجاوز بخياله النجوم، ثم تجاوز بشحمه ولحمه الأرض فحطّ على سطح القمر، وهاهوذا اليوم يعدّ العدة للرحلة التالية إلى المدى الأبعد!!

هنا في عالم الخلية.. ينجلي الحق ناصعًا، وتنكشف سذاجة الذين أرادوا أن يزرعوا الشك في قلوب الناس حول طبيعة الخلق، بزعمهم أن الخلق كان محض مصادفة.. فإن التفكر في تركيب هذا العالم لمما يدعو إلى الدهشة حقًا، وينفي فكرة المصادفة نفيًا قاطعًا، ويظهر التقدير الإلهي الدقيق الذي يعجز العقل البشري عن تتبع مظاهره في جزئية واحدة من جزئيات هذا الوجود، فما بالك بتتبع المظاهر في الجزئيات كلها؟!

وكلما تقدم العلم خطوات فكشف عن جانب من التناسق المذهل في قوانين الكون، ومفرداته، ونسب بعضه إلى بعض.. اتسع تصور البشر لمعنى الآية الكريمة التي يصف الله عز وجل فيها طبيعة خلقه، فيقول: *وخلق كلَّ شيء فقدَّره تقديرًا*. **الفرقان:** 2. قدَّر نشأته ومآله، وقدَّر حجمه وشكله، وقدّر وظيفته واتجاهه، وقدّر زمانه ومكانه، وقدّر تناسقه مع بقية عناصر الوجود .. فهل ذلك كُلُّه محضُ مصادفة أو عبث؟! أيكون الأمر كذلك والواقع يشهد أن الطفل الصغير الذي لم يتجاوز سنواته الأولى لا يلعب لعبة إلا وله (هدف) من ورائها، وأن الكبير العاقل لا يأتي حركة إلا وقد (فكر وخطط) من قبل أن يأتيها، فما بالك إذن بالخالق البارئ المصور؟ أيعقل أن يكون قد خلق للفناء، وأبدع للعبث؟! إن العقل ليقول: لا، وإن الواقع ليشهد: لا، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب: *وما يخدعُونَ إلا أنفُسَهم وما يشعرون*. **البقرة:** 9. ويا لغفلتهم!!

في عالم الخلية ، يتجلى الحق ناصعًا وتنكشف سذاجة الذين أرادوا زرع الشك حول طبيعة الخلق

دائرة متكاملة

ودخلت (مختبر الكيمياء) فكان الدرس أغنى، ففي هذا المختبر بدا لي جليًا ذلك التكامل والاتساق والانسجام بين عناصر الكون والمخلوقات فيه، وإن نظرة شاملة إلى عالم النبات من جهة، وعالم الحيوان والإنسان من جهة أخرى تعطينا الدليل؛ فوظيفة النبات هي إعادة تركيب التراب والماء والهواء، وتحويل هذه المواد إلى ثمار يانعة تناسب أجسام الإنسان والحيوان، إلى جانب تنقية جو الأرض من غاز الكربون، وتحرير الأكسجين اللازم لتنفس الإنسان والحيوان.. وفي المقابل نجد أن وظيفة الإنسان والحيوان أن يأخذا غذاءهما من عالم النبات، فيهضمانه ويستمدان منه الطاقة اللازمة للحركة والنمو والتكاثر، ثم يطرحان ما لا يهضمانه إلى التراب والماء والهواء لتبدأ دورة النبات من جديد.. وهكذا يشكل النبات من ناحية، والإنسان والحيوان من ناحية أخرى دائرة متكاملة يتعاونون فيها جميعًا لدوام الحياة فوق هذا الكوكب!

وهناك تكامل آخر يأسر الألباب بعظمته.. فإذا ما جئنا إلى التركيب الكيماوي لجسم الإنسان ـ بل سائر المخلوقات الحية ـ فإننا نجد لكل عنصر من عناصر البدن مقدارًا محددًا لا يكاد يتجاوزه: السكر، البروتين، الدهون، الماء، الأملاح.. كل منها بمقدار فإذا ما حصل أي اختلال وقع المرض. فإذا تفاقم الاختلال كان العجز، ثم الموت! وقد اقتضت عناية الخالق عز وجل أن يزود الجسم البشري بوسائل تعمل بتوازن تام، وفق برنامج محكم يحفظ هذا التوازن طوال الحياة، وما هذا التوازن إلا تعبير حي عن وحدانية الخالق التي عبر عنها أبلغ تعبير قول الحق تبارك وتعالى: *لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتَا فسبحانَ الله ربِّ العرشِ عمّا يَصِفُونَ*. **الأنبياء:** 22.

في مواجهة الموت!

وحانت لحظة المواجهة.. ودخلت (المشرحة)، فخشع القلب كما لم يخشع من قبل.. ومع أنني كنت قد سمعت عن الموت كثيرًا، فإنني لم أكن أعبأ به، ولم أكن أفكر فيه إلا كما أفكر في وهم قد يجيء، وقد لا يجيء. لكنني حين حانت لحظة المواجهة، ورأيت الأجساد على مناضد التشريح، تحت الأضواء الباردة.. أيقنت أول مرة في حياتي أن ساعة الرحيل آتية لا محالة، وداهمني السؤال القدري المحير: فما دام لهذه الحياة نهاية لا شك فيها، فهل يعقل أن يكون (العدم) هو تلك النهاية؟! ثم..

هذا البنيان الذي يتعالى على كل ما بناه البشر من معجزات البناء والحضارة، أيعقل أن يكون مآله الفناء إلى غير رجعة؟ ثم.. هذه الروح التي لازمت الجسد ردحًا من الزمان ترفرف في عالم المثال، تحب الصدق وتكره الزيف وتتفكر في خلق السماوات والأرض، وتتوق إلى العدالة والحق والإنصاف.. أيعقل أن يكون مصيرها إلى الاندثار؟!

وعندما راحت مشارطنا ومقصاتنا تقطع وتمزق وتعبث بأحشاء تلك الأجساد الميتة وأدمغتها وأوصالها، ورأينا معجزات الخلق رأي العين، تجلت لنا عظمة الخالق إذ قال لـلتراب: كنْ فكان هذا الخلق المكين.. وكم تراءى لي وأنا أتأمل هذا الإعجاز الرباني البديع شبح ذلك الفيلسوف - لعله الألماني هيجل! - وهو يقول بلا حياء: أعطني ماءً وهواءً وترابًا ووقتًا، وأنا أصنع لك إنسانًا.. وعندها عرفت كيف يمكن أن يُضلّ الهوى بعضَهم! فيجعل منهم أضحوكة في ميزان العلم.. وعرفت كذلك كيف يمكن أن يتوارى الباطل خلف عبارات تبدو في ثوب الوقار والحكمة، وما هي في حقيقتها غير كلمات جوفاء تقعقع كالطبول وتنتفش كالزبد! وأدركت أيضًا أن لو عرف ذلك الفيلسوف قدر نفسه، وحقيقة خلقه، لكان أكثر تواضعًا، ولو أنه أراد الحق لرآه *فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور*. **الحج**: 46.

وحين تَلَفّتُ حولي، ورأيت بعض العظام المُهشَّمة هنا، ونثارًا من الشرايين هناك، وقلبًا مقطّعًا هنالك.. وتناهى إلى سمعي همسات ماكرة تقول: *أنّى يحيي هذه الله بعد موتها*. **البقرة**: 259. تذكرت النطفة التي رأيتها أول مرة في مختبر الجنين، وتساءلت في يقين: هل تزيد تلك النطفة حيوية أو قدرة أو قيمة على العظم المفتوت أو العضو الممزع؟ أو ليس من تلك النطفة كان الإنسان؟ أو ليست تلك هي نشأته الأولى؟ أو ليس الذي خلق النطفة ثم جعلها إنسانًا سَويًا بقادر على أن يجعل من هذا العظم الرميم وتلك الأعضاء الممزعة مخلوقًا حيًا من جديد؟ بلى إن الأمر أقرب وأيسر وأظهر من أن يدور حوله سؤال.. أو تندّ حوله همسة ماكرة.. فما بال الجدل الطويل؟!

قصيدة

أُستاذي

شعر: **عدنان أسعد**

وأقول : أستاذي.. صديقي .. في الطفولة والمشيبْ

ومعلّمي ورفيق دَربي .. في الحياة، هو الحبيب

وهو الأنيس بوحدتي وهو المؤدّب والرقيب

لم يألُ جهدًا دائبًا في صُحْبتي وأنا الربيبْ

لّما يزل يرعى الوفا وعن الخواطر لايغيب

يضفي عليّ صحائفًا من فَضْلِهِ وهو الدؤوبْ

وإذا جهلتُ وعادني ماآدني.. فهو الطبيبْ

وآراك تسألني هنا عن اِسْمه ذاك النجيبْ

فأقول لا أُخفي عليك ..مشاعري وأنا أُجيب:

هو سَيّدي وهو (الكِتاب) .. مؤدّبي. وهو الأديب

معنى أن الأرجل منصوبة في آية الوضوء

الحلقة الأخيرة


الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

وقال الإمام أبو محمد ابن حزم: «ومن غمس أعضاء الوضوء في الماء ونوى به الوضوء للصلاة، أو وقف تحت ميزاب حتى عَمَّها الماء ونوى بذلك الوضوء للصلاة، أو صَبَّ الماء على أعضاء الوضوء للصلاة، أو صَبَّ الماء على أعضاء غيره ونوى هو بذلك الوضوء للصلاة أجزأه.

برهان ذلك أن اسم «غسل» يقع على ذلك كله في اللغة التي بها نزل القرآن، ومن ادَّعى أن اسم الغسل لايقع إلا على التدلك باليد فقد ادعى ما لا برهان له.. وقولنا هذا قول أبي حنيفة والشافعي وداوود»(1).

وقال عن غسل الجنابة: «وليس عليه أن يتدلك: وهو قول سفيان الثوري، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، وداوود، وأبي حنيفة، والشافعي.. وقال مالك بوجوب التدلك

قال أبو محمد : برهان ذلك ما حدثناه عبدالله بن يوسف: حدثنا أحمدبن فتح: حدثنا عبدالوهاب بن عيسى: حدثنا أحمد بن محمد: حدثنا أحمد بن علي: حدثنا مسلم بن الحجاج: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، وعمرو، والناقد، وابن أبي عمر.. كلهم عن سفيان بن عيينة: عن أيوب بن موسى: عن سعيد بن أبي سعيد المقبري: عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة: عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله: إني إمرأة أشد ضفر رأسي، أفأنقضه لغسل الجنابة؟.

فقال: لا إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضي عليك فتطهرين» (2).

قال أبو عبدالرحمن: فَصَحَّ بكل ما ذكر: أن الغسل فعل ونتيجة، فالفعل إسالة الماء، والنتيجة إزالة ما أريدت إزالته من نجاسة وقذر.

فإذا زال المراد إزالته بمجرد الإسالة كان ذلك غسلاً، فإن لم يزل فلابد من التدخل بمسح أو دلك أو عرك لتتحقق نتيجة الغسل.

والوضوء شرعيًّا إذا لم يكن عن قذر في الأعضاء يجزئ فيه مجرد الإسالة، لأن الطهارة حكمية.

والكمال أن نفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبهذا اختلف الغسل عن المسح بأمرين:

أولهما: أن المسح ليس شرطًا في معنى الغسل.

وثانيهما: أن الغسل إسالة، والمسح مجرد ادهان.

وعن معنى المسح قال ابن فارس: «الميم والسين والحاء أصل صحيح، وهو إمرار الشيء على الشيء بسطًا»(3).

وقال الراغب: «المسح إمرار اليد على الشيء، وإزالة الأثر عنه، وقد يستعمل في كل واحد منهما.

والمسح في تعارف الشرع: إمرار الماء على الأعضاء.. يقال: مسحت للصلاة وتمسحت.. قال تعالى: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم. المائدة:6.

ومسحته بالسيف: كناية عن الضرب كما يقال: مسست.. قال تعالى: فطفق مسحًا بالسوق والأعناق. ص:(4)33».

وقال السمين: «وكثر إطلاق المسح في لسان المشترعة على إمرار اليد بالماء غسلاً كان أو مسحًا، ومنه: تمسح للصلاة.

وعليه قوله: وأرجلكم. قال أبو زيد الأنصاري: المسح في كلام العرب يكون غسلاً ويكون مسحًا.. قلت وعلى هذا يكون

من استعمال المشترك(5) في معنييه، فإنه بالنسبة إلى الرؤوس مسح وإلى الأرجل غسل»(6).

قال أبو عبدالرحمن: إطلاق المسح على الغسل إطلاق مجازي، وليس اصطلاحًا شرعيًا، وإنما هو اصطلاح بعض حملة العلم الشرعي من الفقهاء(7).

والمسح شرعًا إمرار اليد المبلولة بالماء على العضو في الوضوء، وإمرار اليد المضروبة في الصعيد على العضو في التيمم.

وقال أحمد بن محمد الفيومي: «قال أبو زيد: المسح في كلام العرب يكون مسحًا وهو إصابة الماء، ويكون غسلاً.. يقال: مسحت يدي بالماء إذا غسلتها وتمسحت بالماء إذا اغتسلت.

وقال ابن قتيبة أيضا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بمد، وكان يمسح بالماء يديه ورجليه وهو لها غاسل.. قال: ومنه قوله تعالى: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم المراد بمسح الأرجل غسلها.. ويستدل بمسحه صلى الله عليه وسلم برأسه وغسله رجليه بأن فعله مبين بأن المسح يستعمل في المعنيين المذكورين، إذ لو لم نقل بذلك لزم القول بأن فعله عليه السلام ناسخ للكتاب وهو ممتنع.. وعلى هذا فالمسح مشترك بين معنيين، فإن جاز إطلاق اللفظة الواحدة وإرادة كلا معنييها إن كانت مشتركة أو حقيقة في أحدهما مجازًا في الآخر كما هو قول الشافعي فلا كلام.. وإن قيل بالمنع فالعامل محذوف، والتقدير وامسحوا بأرجلكم مع إرادة الغسل، وسوغ حذفه تقدم لفظه وإرادة التخفيف.. ولك أن تسأل عن شيئين:

أحدهما: أنكم قلتم الباء في برؤوسكم للتبعيض فهل هي كذلك في الأرجل حتى ساغ عطفها بالجر، لأن المعطوف شريك المعطوف عليه في عامله؟!

والجواب: نعم، لأن الرِّجْل تنطلق إلى الفخذ، ولكن حددت بقوله إلى الكعبين، فهو عطف بعض مبين على بعض مجمل ولا لبس فيه، كما يقال: خذ من هذا ما أردت، ومن هذا نصفه.

وقد قرأ نصف السبعة بالجر ونصفهم بالنصب، فوجه الجر مراعاة لفظ العامل لأنه للتبعيض كما تقدم.. وهذا يقوي مذهب الشافعي.. قال الأزهري: ويدل على أن المسح على هذه القراءة غسل أن المسح على الرِّجْل لو كان مسحًا كمسح الرأس لما حدد إلى الكعبين كما جاء التحديد في اليدين إلى المرافق، وقال: وامسحوا برؤوسكم بغير تحديد.

ووجه النصب استئناف العامل.. وهذا يقوي مذهب من يمنع حمل المشترك على معنييه أو عطفه على محل الباء، لأن التقدير وامسحوا ببعض رؤوسكم فعطف على المقدر على توهم وجوده.. والعطف(8). على المعنى - ويسمى العطف على التوهم - كثير في كلام العرب.

والثاني: عن قوله تعالى: وامسحوا برؤوسكم لايخلو إما أن يقال المراد البشرة والشعر بدل عنها، أو بالعكس.

فإن قيل بالأول وهو أن البشرة أصل فلا يجوز لمن حلق بعض رأسه أن يمسح على الشعر لتمكنه من الأصل، ولا أعلم أحدًا من أئمة المذهب قال به.. وإن قيل بالثاني وهو أن الشعر أصل فينبغي أن يجوز المسح على أي موضع كان من الشعر سواء خرج الممسوح عن محل الفرض، أو لا.. ولم يقولوا به»(9).

قال أبو عبدالرحمن: لا دليل لابن قتيبة رحمه الله على أن المسح بمعنى الغسل من مجرد مسح الرسول صلى الله عليه وسلم رأسه وغسله رجليه، لأن النزاع في الأرجل، وأن حكمها فقهًا وإعرابًا الغسل لا المسح.. بل المانع من إجراء حكمها فقهًا وإعرابًا على المسح لايرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم غسل ما حقه المسح لأن الغسل بمعنى المسح.

فابن قتيبة رحمه الله نزَّل فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بغسل الرجل على دعواه، وهي أن المسح بمعنى الغسل.

والمطلوب صحة دعوى ابن قتيبة أولاً قبل تنزيل فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عليها. واحتج ابن قتيبة رحمه الله بامتناع نسخ السنة الصحيحة للقرآن.. وما منعه غير ممتنع، بل هو مذهب جمهور المحققين الواضح البرهان.. وكلا الوحيين من عند الله.

ولايحمل اللفظ على جميع معانيه المشتركة، بل يحمل على المعنى الحقيقي، أو ما قام البرهان على إرادته من معنى مجازي.

ولايحمل على جميع المعاني أو بعضها إلا إذا قام الدليل على أن المتكلم أراد إلغازًا أو شبهه بإرادة معنيين فأكثر.

ومن خشي أن لايسلم له الجمع بين المعنيين المشتركين وَجَّه الآية على تقدير: وامسحوا بأرجلكم.

قال أبو عبدالرحمن: لم يفدهم هذا التقدير شيئًا، لأنهم جعلوا فعل المسح الظاهر على معنى المسح في الرؤوس، وجعلوا فعل المسح المقدر على معنى الغسل في الأرجل.. فاستعمال المشترك على معنييه باق لم يتغير بالتقدير.

قال أبو عبدالرحمن: وباء برؤوسكم ليست للتبعيض بل للإلصاق، ويتحقق بالالتصاق بأي جزء بالرأس، فإذا أريد جميع الرأس تعدى فعل المسح مباشرة.. فالتبعيض جاء من معنى الظرفية.

وتوجيه ابن قتيبة وكل ما ذكره الفيومي إنما يناسب أحد الوجوه المدعاة لقراءة جر الأرجل، وأنها تقتضي المسح.

وقد ظنوا رحمهم الله أن حمل الأرجل على جميع العضو إلى الفخذ أعفاهم من دعوى التبعيض.. والواقع أن الدعوى قائمة، فيقال: العضو المحدد إلى الكعبين هل ترون مسحه جميعه، أو مسح أي جزء منه؟!.

وذكر الفيومي توجيه قراءة النصب على دعوى استئناف العامل الذي هو المسح عنده، والتقدير عنده وامسحوا

الحلقة الأخيرة

بعض رؤوسكم وأرجلكم.

فالأرجل معطوفة على بعض المقدرة، وجاء تقديرها من حمل الباء على معنى البعضية.

وهذا التوجيه جائز تصحيحًا لا ترجيحًا.

وأخوه في الجواز تعدية امسحوا بالجر في المعمول الأول، وتعديته مباشرة في المعمول الآخر.. والتقدير: امسحوا برؤوسكم وأرجلكم.. بنصب الأرجل.

وأما الشيء الثاني الذي أجاب عنه الفيومي وهو مسح الشعر أو البشرة فخارج عن مسألتنا هذه.

وقال الشريف الجرجاني: المسح إمرار اليد المبتلة بلا تسييل(10).

وقال الكفوي: «المسح: مسح يتعدى إلى المزال عنه بنفسه، وإلى المزيل بالباء المفهوم المقصود من اللفظ سواء كان موجودًا أو معدومًا.

قال أبو عبيدة: المسح بالفتح المس والغسل جميعًا، فالنسبة إلى الرأس مس، وإلى الرجل غسل.

والدليل على هذا فعل النبي والصحابة والتابعين.

واعلم أن الواو إنما تعطف الاسم على الاسم في نوع الفعل أو في جنسه لا في كميته ولا في كيفيته، ولهذا قلنا في قوله تعالى: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم في قراءة خفض الأرجل: إن الأرجل تُغسل والرؤوس تُمسح، ولم يوجب عطفها على الرؤوس أن تكون ممسوحة كمسح الرؤوس، لأن العرب تستعمل المسح على معنيين: أحدهما النضح، والآخر الغسل.

وحكى أبو زيد: تمسحت للصلاة.. أي توضأت، فلما كان المسح على نوعين أوجبنا لكل عضو ما يليق به، إذ كانت واو العطف كما قلنا إنها توجب الاشتراك في نوع الفعل وجنسه، فالنضح والمسح جمعهما جنس الطهارة» (11).

وقال الزبيدي: «المسح كالمنع: إمرارك اليد على الشيء السائل أو المتلطخ لإذهابه بذلك، كمسحك رأسك من الماء وجبينك من الرشح.

وفي الحديث: أنه تمسَّح وصلَّى، أي توضأ.

قال ابن الأثير: يقال للرجل إذا توضأ: قد تمسح.. والمسح يكون مسحًا باليد وغسلاً.

ونقل شيخنا هذه العبارة بالاختصار ثم أتبعها بكلام أبي زيد وابن قتيبة(12).

وقال: «ومن المجاز تمسَّح للصلاة: توضأ.

وفي الحديث: أنه تمسَّح وصلى.. أي توضأ.

قال ابن الأثير: يقال للرجل إذا توضأ: قد تمسح.

والمسح يكون مسحًا باليد وغسلاً»(13).

قال أبو عبدالرحمن: المسح فعل باليد مثلاً.. بها مجردة أو معها شيء كالماء.. وهو إمرارهاعلى شيء كالرأس.

والمسح نتيجة، فقد تكون نتيجته الإزالة والمحو، وقد تكون نتيجته طمس المعالم دون الإزالة.

والمسح في الوضوء بلُّ اليد بالماء وإمرارها على العضو دون إسالة وغمر بالماء.

والغسل الخفيف غمر للعضو بالماء قد يصيب الأرض بالبلل بعد غمر العضو دون إسراف بمقدار ما يكفي المد الأعضاء، ولهذا سُمي الغسل للأعضاء تمسحًا تجوزًا، لأن اليد تبلِّغ الماء كافة العضو وتمسحه عليه.

ولو كان المراد المسح الشرعي لا الغسل الشرعي لكفى الأعضاء ما ينقع الراحة بالماء، ولما احتيج إلى المد.

وأما الرش فقال ابن فارس: «الراء والشين أصل واحد يدل على تفريق الشيء ذي الندى، وقد يستعار في غير الندى» (14).

قال أبو عبدالرحمن: إذا لم يستوعب الماء المرشوش عضو الوضوء لم يكن ذلك غسلاً له، وإنما هو غسل لأجزاء منه.

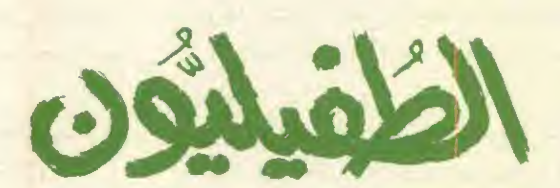
ومثل ذلك النضح، فهو تندية ورش بماء قليل.

إذن ما أوجب الله غسله فلابد من مفهوم الغسل فيه.

قال أبو عبدالرحمن: وللنصب وجوه أخرى تأتي لها مناسبة إن شاء الله.

الهوامش:

1- المحلى 94/1.
2- المحلى 189/1 – 190.
3- مقاييس اللغة ص 984.
4- المفردات ص 767.
5- المشترك لفظ واحد يدل على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء مثل الهلال يطلق على أول الشهر، وعلى الماء القليل، والسنان، والحية، والجمل الهزيل.. إلخ.
ولايرد المشترك بين لفظين وضعيين من واضع واحد.
وإنما يرد بين لفظين مجازيين، أو أحدهما مجازي.
وترادف المعاني المجازية، واشتراكها، وتضادها.. كل ذلك يأتي مصادفة من غير قصد. والمسح ليس مشتركًا بين المسح والغسل، وإنما هو فعل مستقل قد يضيفه الغاسل إلى عمله في الغسل ليحقق نتيجة الغسل وهي الأزالة.
6- عمدة الحفاظ 102/4.
7- سيأتي البيان بأن هذا التقدير لم يغير دعوى الجمع بين المعنيين المشتركين.
8- أي: وإنما العطف.
9- المصباح المنير ص 571 – 572.
10- التعريفات ص 212.
11- الكليات ص859.
12- مضى كلامهما رحمة الله عليهما في نصي السمين والفيومي.
13- تاج العروس 202/4 – 204و210.
14- مقاييس اللغة ص 394.



الطفيليون

د. نوره الشملان

لابد أن كل سيدة تلقت دعوة لحضور زفاف في منطقة نجد لاحظت وجود عبارة تكاد تكون مشتركة في جميع الدعوات، هي: يمنع دخول المغاتير.

والمقصود بالمغاتير السيدات اللواتي يأتين إلى الحفل بصورة متخفية محاولات قدر الإمكان ألا يتعرفَهُنَّ أحد، وهن في الوقت نفسه يُبحْن لأنفسهن أن يتمتعن بما تتمتع به المدعوات من خدمات، بل ربما أدى التقصير في خدمتهن إلى حدوث مشادات بينهن وبين أصحاب الدعوة.

ومع أن الدعوة صريحة بعدم الترحيب بهذا النمط من السيدات، فقد يتساءل بعضنا: كيف يستطعن الدخول وهو مشروط بوجود بطاقة الدعوة، والإجابة عن ذلك بسيطة، هي: إما أنهن يتحايلن على البواب، أو يأخذن بطاقات من سيدات وجهت لهن الدعوة، ولسبب أو لآخر لا يستطعن تلبيتها، فتأتي المرأة التي نوت أن تذهب إلى الحفلة متغترة مستجدية بطاقة ممن تعرف وممن لاتعرف.

هذا النمط من النساء يسمى في اللغة العربية بالمتطفلات، وهو نمط موجود في كل زمان ومكان، وكان في القديم صفة لنوع خاص من الرجال. وقد ذكر ابن منظور في لسان العرب: «طفيل الأعراس، وطُفيل العرائس: رجل من أهل الكوفة من بني عبدالله بن غطفان كان يأتي الولائم دون أن يُدعى إليها، وكان يقول: وَددتُ أنَ الكوفة كلَّها بركةٌ مُصَهرَجَةٌ فلا يخفى عليَّ منها شيء. ثم سُمِّيَ كل راشن طفيليا وصَرَّفوا منه فعلا فقالوا: طَفَّل. ورجل طفْليل: يدخل مع القوم فيأكل طعامهم من غير أن يُدعى». لسان العرب: مادة طفل.

ويبدو أن عدد الطفيليين قد كثر في المجتمع القديم مما دعا الخطيب البغدادي إلى تأليف كتاب أسماه: التطفيل وحكايات الطفيليين، ضَمَّنه الكثير من قصصهم ومسوغاتهم لهذا السلوك.

إن الطفيلي إنسان لايشعر بالإهانة والتحقير، وكلّ هَمِّه هو الحصول على لقمة هينة من دون تعب، ومن هنا نجد أنهم يدورون على الأحياء بحثًا عن بيت فيه عرس أو ختان أو وليمة؛ فيسمحون لأنفسهم باقتحامه غير آبهين بتذمر أهله وما يصبُّونه عليهم من شتيمة وإهانة، وقد عبَّر أحد الشعراء الطفيليين عن هذا السلوك المشين بهذه الأبيات:

كلَّ يوم أدورُ في عرصة البا
ب أشمُّ القُتَارَ شمَّ الذباب
فإذا ما رأيت آثارَ عُرْسٍ
أو ختانٍ أو دعوةٍ لصحاب
لم أعرِّجْ دون التقحُّم فيها
غيرَ مستأذنٍ ولا هيَّاب
مستخفًا بمن دخلتُ عليه
لست أخشى تجهُّمَ البوّاب
فتراني ألفُّ بالرغم منه
كلَّ ما قدَّموه لفَّ العُقاب
ذاك أهنا من التكلف والكدْ
د ونقد البقَّالِ والقصَّاب
قابلٌ إن جرى عليَّ امتهان
في سبيلِ الحَلْوَاءِ والجُوذَاب

وقد تصدَّى الشعراء لهؤلاء الطفيليين وسلقوهم بألسنتهم الحاد كاشفين عن سلوكهم المزري، فقال أحدهم في رجل طفيلي اسمه أبو المثنى:

أبو المثنَّى دائمًا في غرامْ
قد مات من حبِّ طعامِ الكرام
يعجبه من غيره دعوة
حتى يراها أبدًا في المنامْ
قد رسم التطفيل في وجهه:
هذا حبيس في سبيل الطعامْ

ويتغلغل ابن الرومي في نفسية الطفيلي ويصورها بهذه الأبيات:

يخالف إخوته في الطريق
إلى أن تضمَّهُمُ المائدهْ
يلين الطعام على ضرسه
ولو كان من صخرة جامده
ويأكل زاد الورى كله
ولكنها أكلة واحدة

إن الطفيلي الحديث لايطرق موائد الناس، ولكنه يطرق أبواب حياتهم الخاصة؛ فيهمه أن يعرف كل دقيق وجليل من أمور الخلق، ويزهو كلَّ الزهو حين يقع على معلومة خاصة لايعرفها سواه.. إنه مهتم بمشكلات الناس يتتبعها أكثر من أصحابها؛ لا رغبةً في حَلِّها ومشاركةً في الإحساس بها؛ بل من أجل أن تكون تلك المشكلات مادة دسمة لأحاديثه في مجالس الآخرين. إننا نأمل أن تختفيَ عبارة «ممنوع دخول المغاتير» من بطاقات الدعوة؛ لأنها تدل على تخلف المجتمع والفراغ الكبير الذي تعاني منه بعض السيدات والذي يمكن أن يُستثمر في أمور كثيرة نافعة تفوق الحصر.


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفراد الأسرة



قصة قصيدة

وظيفة الشعر الإعلامية

د. محمود جبر الربداوي

قال الأعشى يمدح المحلَّق بن حَنتم بن شداد بن ربيعة:

أرقتُ، وما هذا السهادُ المؤرِّق ... وما بي من سقمٍ وما بي معشقُ(1)

إذا حاجة ولَّتْكَ(2) لا تستطيعها ... فخذ طرفًا من غيرها حين تسبق

لعمري، لقد لاحت(3) عيون(4) كثيرةٌ ... إلى ضوءِ نارٍ في يَفَاعٍ(5) تَحرَّقُ

تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها(6) ... وبات على النار الندى(7) والمحلَّقُ

رضيعَيْ لبانٍ ثَدْيَ أمٍ تحالفا ... بأسحَم داجٍ(7) عَوْضُ(8) لا نتفرَّق

يداكَ يدا صدق، فكفٌّ مفيدة ... وأخرى إذا ما ضُنّ(9) بالزاد تُنفِق

ترى الجود يجري ظاهرًا فوق وجهه ... كما زان متنَ الهُندُوانيّ رونق(10)

نفى الذمَّ عن آل المحلَّق جفنةٌ(11) ... كجابية السيح العراقي تفهق(12)

يروح فتى صدق ويغدو عليهمُ ... بملء جفانٍ من سديفٍ(13) يُدفَّق

ترى القوم فيها شارعين(14)، ودونهمْ ... من القوم وِلدانٌ من النسل دردق(15)

طويل اليدين، رهطه غير ثِنيةٍ ... أشمُّ كريم جارُهُ لا يُرهَّق(16)

كذلك فافعل ما حييتَ إليهمُ ... وأقدِم إذا ما أعينُ الناس تبرُق(17)

ترددت في اختيار هذا العنوان؛ لأن العنوان الذي وجدته أكثر تعبيرًا هو «الشعر والدِّعاية»، نعم الشعر والدعاية أدق تعبيرًا عما أريد أن أكتبه، كما ترى حينما تستكمل قراءة هذا المقال، ولكنَّ لفظة «الدِّعاية» ـ على كثرة استعمالها وشدّة الحاجة إليها في هذا الزمان ـ لا يُقرّها الصرفيون ولا يرضى عنها اللغويون لخروجها عن قواعد الصرف، وإنْ التمس لها المجمعيّون وجهًا لتسويغ استعمالها؛ لذا أعرضتُ عن استخدامها؛ لأحافظ على استخدام اللغة ـ ما وسعني ذلك ـ بالشكل الذي تقره القواعد اللغوية والصرفية، ولكيلا أسهم في ترسيخ ما تعارف عليه الكتّاب، منذ مطلع هذا القرن، باسم «الأخطاء اللغوية الشائعة».

أما ما أحببتُ أن أتحدث عنه الآن فهو ما قصدته من الغاية الإعلاميّة، أو إن شئت فقل الهدف الإعلامي للشعر، وهو غرض فرعي من أغراض الشعر، وبتعبير كتّاب هذا الزمان غرض «هامشي». فأغراض الشعر الأساسية التي تعارف عليها الأدباء والدارسون هي الغزل والمدح والرثاء والوصف والعتاب والهجاء وغيرها، وفي هذه الأغراض أفرغ الشعراء طاقاتهم الشعرية، فملؤوا الدواوين وشغلوا الناس، وكان هناك غرض فرعي آخر تطرّق إليه الشعر لم يحظ باهتمام الأدباء، ولم يتابعه الدارسون هو الشعر الذي غرضه «الدعاية». و«الدعاية» فنٌّ استشرى في القرن العشرين كثيرًا، واستأثر بساعات طويلة في برامج الإذاعة والتلفزة والقنوات الفضائية، وتعارف الناس عليه باسم «الإعلانات التجارية» واتخذوا له لغة النثر والسجع تارة، والغناء وحركة الجسد والصور المتحركة تارة أخرى، ومن حُسن الحظ أنهم لم يستخدموا الشعر لهذا الغرض الدعائي الذي بات يغزو الناس في عقر دورهم مع ما يغزوهم من برامج

الإذاعات المسموعة والمرئية، بعضها صالح اجتماعيًا، وبعضها الآخر طالح، وبعض هذا الطالح فاسد يُفْسد الذوق والأخلاق والآداب العامة.

هذا وقد تنبّه القدماء إلى وظيفة الشعر الإعلامية وتأثيرها في نفوس الناس، في حقب مختلفة من تاريخ العرب كان الشعر وحده هو الوسيلة الإعلامية التي يلجؤون إليها لبث الأفكار، ونشر الأخبار، وإشاعة الأمجاد، وسيرورة المحامد، وكانوا يعبرون عن هذه السيرورة والانتشار بقولهم: «شعر سارت به الركبان»، و«قصيدة رحلت إلى أطراف الجزيرة»، و«شاعر صنّاجة العرب». وإذا استحسنوا أبياتًا علّقوها بذواكرهم أو علّقوها على أستار الكعبة في مواسم معينة ليصل مضمونها إلى القاصي والداني، ولهذا كانت ولادة شاعر أو نبوغه في الزمن القديم مدعاة للاحتفالات لايقل الاهتمام بها عن الاهتمام بافتتاح دار للإذاعة أو تدشين قناة فضائية في الزمن الحديث.

والمتتبع للشعر العربي يستطيع أن يرصد هذا المعنى الدعائي في كثير من القصائد الشعرية، حتى في ثنايا الأغراض الرئيسة كالمدح الذي يقوم على تمجيد المزايا الكريمة والتشهير بالخلال الفاضلة، أو الهجاء الذي يعمد فيه الشاعر إلى تضخيم الصفات الذميمة وتبغيضها للناس، أو الرثاء الذي يُشيع فيه الشاعر إعجابه بصفات مرثيّه الذي كان يتمتع بمزايا فردية جديرة بأن تشاع وتُحتذى.

والمتتبع لكتب التراث لا يعدم أن يجد قصائد غايتها الأولى والأخيرة الغرض الإعلاني التجاري، وأكتفي بذكر بعضها؛ إذ المقام لايسمح بأكثر من ذلك، لعل من أوضحها دلالة أبيات الدارمي المشهورة التي تعاورتها كتب الأدب. والتي لخص قصتها «يوسف النمري» في «بهجة المجالس» قال: «قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأخْمرة فباعها كلها إلا السود منها فلم تنفق، وكان صديقًا للدارمي الشاعر، فشكا ذلك إليه، وقد كان الدارمي تَنَسَّك، وترك الشعر والغناء، فقال له: لاتهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى، ثم قال:

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا صنعت بزاهد متعبّدِ؟
قد كان شمّر للصلاة ثيابه
حتى عرضت له بباب المسجد
رُدّي عليه صيامه وصلاته
لاتقتليه، بحق دين محمد

فشاع قول الدارمي هذا في الناس، وقالوا: رجع الدارمي عن نسكه، وعاد إلى فتكه، فلم يبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خمارًا أسود حتى نفد ما كان منها مع العراقي، فلما علم الدارمي ذلك رجع إلى نسكه ولزم المسجد»(1).

ومنها الأبيات القافيّة التي قالها الأعشى في المحلَّق الكلابي، وهي التي أثبتنا بعضها في مطلع هذا المقال، والتي لم يخلُ منها كتاب من الكتب القديمة التي ترجمت للأعشى. وعلى الرغم من أن المصادر تفاوتت في سرد صيغة الخبر، فبعضها يقول إن للمحلَّق ثمانيَ بنات عَنَسْنَ في بيته، فلما قال الأعشى هذه القصيدة، وأنشدها في سوق عكاظ توافد الناس على المحلَّق يخطبون بناته، حتى تزوجن كلهن، وبعضها تقول إن اللواتي عَنَسْنَ في بيته هن أخواته، وكان والده غنيًا ثم أملق، فأعرض الناس عن الزواج بأخوات المحلّق، فلما تحايلت امرأة المحلّق على زوجها، وحملته على إكرام الأعشى، فأكرمه، ونفحه بقصيدته السالفة الذكر، والتي يقول فيها:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نارٍ في يَفاع تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلّقُ
يداكَ يدا صدق، فكفٌّ مفيدةٌ
وأُخرى إذا ماضُن بالزاد تُنْفِقُ
ترى الجود يجري ظاهرًا فوق وجهه
كما زان متن الهُندواني رَوْنقُ
نفى الذم عن آل المحلّق جَفنةٌ
كجابية السيح العراقيّ تفهق

وتقول الرواية: إن الأعشى ما قام من مقامه ذلك إلا وقد توافد شباب القبائل يخطبون أخوات المحلّق، وقد زوّج كل واحدة منهن على مئة ناقة، فأيْسَر وشَرُف(2). قُل لي - بربك - أليس هذا المديح الذي ساقه الأعشى للمحلَّق الكلابي مبطنًا بالغرض «الدعائي» الذي أدركتْ قيمته امرأة المحلَّق، فدفعتْ زوجها إلى أن يُضحّي بناقة واحدة يُكرم بها الأعشى فيظفر بثلاثمئة ناقة؟! أليست هذه «دعاية تجارية» ناجحة - كما يقولون -؟! أو لم يعرف العرب منذ فترة مبكرة من تاريخ حضارتهم هذه الوظيفة «الدعائية» للشعر؟ اللهم إن هذه الأشعار وأمثالها تقول: نعم.

المصادر:

1- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تأليف يوسف النمري القرطبي، المجلد 1، ص 557 – 558.
2- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني 9 / 113.

الغريب:

1- المعشق: مصدر العشق.
2 - ولّتك: فاتتك وانصرفتْ عنك.
3- لاحت: بدت وظهرت.
4- عيون: يقصد عيون الناس.
5- يفاع: الأرض المرتفعة.
6- توقد النار لرجلين يرتجفان من البرد ليتدفآ عليها.
7- الندى: الكرم.
8- الاسحم الداجي: إما الليل أو ثدي الذي رضعا منه.
9- عوض: أبد الدهر.
10- ضن بالزاد: بخل به.
11- رونق الهندواني: طلاوة السيف وبريقه.
12- الجفنة: القصعة التي يقدم فيها الطعام.
13- كجابية السيح العراقي تفهق: كأنها حوض ماء يمده نهر العراق. وتروى: الشيخ العراقي.
14- السديف: شحم السنام.
15- شارعين: متناولين باليد أو الفم.
16- دردق: الصغار من كل شيء.
17- يُرهَق: يُتهم بشرٍّ.
18 – يرَق: تحيَّر ودهش حتى لا يطرف.

مدخل لدراسة الحركة النقدية في المملكة العربية السعودية



د. حسن بن فهد الهويمل



نقد القصة والرواية

الحلقة الأخيرة

نتابع في هذه الحلقة [الأخيرة] آراء د. هويمل في الاتجاهات النقدية في المملكة العربية السعودية، إذ تناول في الحلقات الثلاث الماضية بعض تأثيرات المناهج النقدية الحديثة في كتابات النقاد السعوديين، ويواصل في هذه الحلقة إلقاء مزيد من الضوء على الحركة النقدية السعودية، آخذا عليها الانشغال بالشعر من دون غيره من فنون القول.

أما الدراسات التطبيقية للموسيقى الشعرية فقد جاءت في دراسات الفلالي وبخاصة عند دراسته للنشيد الوطني للغزاوي على أنه لم يكن مدركًا لمطلبه الموسيقي، فهو يصف النشيد بأنه متقن للميزان، ثم يعود ليقول بأنه يفقد الموسيقى التي تهز النفس، ولم يوضح هذا اللون من الموسيقى التي يريدها.

والأستاذ عبدالفتاح أبو مدين أكثر دقة وعلمية من الفلالي في المآخذ الموسيقية، ثم هو أكثر ارتباطا بعروض الخليل. ويعد أبو مدين من أكثر النقاد اهتماما بالموسيقى الخارجية في الشعر وأكثرهم دقة في اكتشاف الخلل الموسيقي، والفلالي وأبو مدين ممن يؤكدون في نقدهم على العروض الخليلي.

وعلى خلاف ذلك محمد حسن عواد ومحمد عامر الرميح؛ فالعواد يسخر من عروض الخليل ولا يرى الوزن والقافية شرطين للشعر؛ في حين يدعو الرميح إلى الشعرالحر، بل يمارس النثرية في إبداعه ويقبلها من الشعراء عند الدراسة التطبيقية. ثم هو يناقض نفسه إذ يؤكدها تارة ويسخر منها تارة أخرى ويبدع على غير وزن تارة ثالثة، يكون مع الإيقاع وضده في مواقف متباينة يبتهج بها عند شاعر ولا يكترث بها عند شاعر آخر، ثم هو من شعراء النثروالغموض والرمزية.

والذين كتبوا في نقد الشعر عرضوا لهذا الشرط الشكلي ولاسيما عندما يكون العمل الشعري على الشكل التفعيلي ثم لايتقن الشاعر ذلك اللون الجديد، نجد ذلك عند أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، وعند الدكتور عبدالله الحامد، وإبراهيم الفوزان، وآمنة عقاد. ويأتي في سياق ذلك بناء القصيدة. على أن هناك خلطًا واضحًا لدى النقاد بين موسيقية القصيدة وبناء القصيدة، ونقصًا في فهم عمودية الشعر كما يراها المرزوقي في مقدمته. فعلى حين يراها المحدثون قائمة في الوزن والقافية وبناء القصيدة يراها المرزوقي متسعة لسبعة أشياء أو تزيد.

كما أن هناك خلطا بين وحدات القصيدة التي جمعها زكي مبارك تحت اسم: الوحدة الفنية. ولست أعرف ما العلاقة التبادلية بين الوزن والقافية وبناء النص الشعري وعمودية القصيدة. إن الوزن والقافية والبناء والعمود مصطلحات فنية لكل واحد دلالته ومقتضاه، فبعض الذين يتناولون هذه المصطلحات يتصورون أن بينها ترادفًا ولهذا يطلقون بعضها على بعض أو يمزجون بعضها ببعض. إننا لانستطيع أن نفرق بين القضايا النقدية والاتجاهات والمذاهب؛ فكل النقاد خلطوا بين تلك الظواهر وعالجوها على مختلف المستويات وصنفوا الشعراء في ضوء ذلك، ولعل رائدهم جميعا الأستاذ عبدالله عبدالجبار الذي أطلق كلمة «تيار» بدل كلمتي «اتجاه» أو «مذهب».

لقد تناولوا الاتباعية والابتداعية وسموهما في كثير من دراساتهم بالكلاسيكية، وتناولوا الرومانتيكية، ولم يفرقوا بين المحافظة والتقليد، ولا بينهما وبين التجديد في الشكل والمضمون، فالكلاسيكية مثلا قد تُطلق ويراد بها المحافظة على الوزن والقافية، وبناء القصيدة، ووحدة البيت دون وحدة القصيدة، وعمودية القصيدة العربية باستثناء البعد الموضوعي فيها. وقد يراد بها تناول الأغراض والمعاني القديمة وبخاصة شعر المناسبات. على أنهم لم يكونوا دقيقين في دراستهم لتيار الواقعية، وإن كان الأستاذ عبدالله عبدالجبار قد نظر إليه من خلال البعد الدلالي، وأدرج تحته الشعر الاجتماعي والثوري والوطني والقومي. على أن الواقعية لم

تكن وقفا على البعد الموضوعي، كما لم تكن وقفًا على تلك التيارات الأربعة؛ إذ هناك الواقعية الاشتراكية، وهناك قبل كل هذا واقعية التناول والواقعية اللغوية والشكلية، وقل مثل ذلك عن حديثهم عن الصورة الشعرية وتحولاتها. لقد ألحوا إلى ذلك إلحاحًا لا يرقى إلى التأصيل. ودراسة بلاغة النص، ولغة النص، وموسيقاه عند النقاد التطبيقيين تأتي عرضًا، ولكنها عند الأكاديميين تعتمد على المنهجية والمرجعية والتأصيل، ولهذا نجدهم أقدر على تحرير مسائلهم واستكمال قضاياهم لا أقول ذلك تعصبًا ولكنه الواقع.

لقد تناولوا ـ كما أشرت ـ لغة الشعر، وأسلوبه والوجوه البلاغية من خيال وصورة واستعارة وتشبيه وكناية، أو قل تناولوا ما تتسع له علوم البلاغة من بيان وبديع ومعان، وتناولوا العاطفة، والصدق الفني، والصدق الواقعي، والشكل، والبناء والموسيقى والإيقاع والأغراض والمعاني والاتجاهات والتيارات والمذاهب الدلالية والفنية واللغوية، وخلطوا بين هذه الأشياء وفرقوا، ولكنهم في كل ذلك لم يحرروا قضاياهم بشكل دقيق، ولم يطيلوا الوقوف بحيث يشكلون منهجا نقديا يميز بعضهم من بعض، وهم في كل ذلك يتفاوتون بقدر تفاوتهم في المستوى الثقافي بين الشمولية والعمق، لقد أوضحنا كل هذه الإشكاليات في الدراسات التي تناولنا أعمالهم فيها أو تناولناهم من خلال الظواهر والتيارات.

ومما يؤخذ على الحركة النقدية في المملكة انشغالها بالشعر من دون غيره من فنون القول، ولعل لذلك بعض ما يسوّغه؛ إذ لم يكن هناك إبداع قصصي أو روائي مضارع للشعر في كَمِّه وكيفه مما حدا بالنقاد أن يتجهوا صوب الشعر بحيث استأثر بالحركة النقدية. وليس الاستئثار على إطلاقه إذ نستطيع استثناء ما يمكن أن أسميه مناوشات نقدية فيها عنف وإسفاف قامت بين العواد ومن أسماهم «بالعبادقة» نسبة إلى عبدالقدوس الأنصاري، فحين كتب العواد مقالته النقدية «فن الرواية: قصة: مرهم التناسي»، وأحصى على الرواية الثانية للأنصاري عشر مخالفات لأصول الفن الروائي ومقوماته الفنية تصدى له أنصار عبدالقدوس، فعاد يفصل القول في تلك النقاط ويمعن في الاستخفاف والتجهيل في مقالة «عود على قصة: مرهم التناسي»، ثم كتب مقالة أخرى بعنوان «الرد على زوبعة مضحكة» تناول فيها روايتي الأنصاري.

والمقالات الثلاث تمثل أشد المعارك الأدبية عنفًا وإسفافا وتنابزًا بالألقاب، ثم هي لاتخلو من لمحات فنية وموضوعية ضئيلة تعد بداية جيدة لو خلت من هذه المهاترات، وإذ نتفق مع العواد في ضعف الروايتين وفقدهما لأبسط مقومات الفن الروائي فإننا لانذهب معه في تلك القسوة والتعدي الجائر. ومما هو محسوب على البدايات، ولايخلو من قسوة في الرد ما دار بين أحمد عبدالغفور عطار، ومحمد عالم الأفغاني حول «الزنابق الحمر».

تلك كانت مجمل المحاولات الأولى، نقول ذلك على مستوى البدايات، ونكاد نقول ذلك الآن لولا محاولات قليلة متميزة جاءت على يد الدكتور منصور بن إبراهيم الحازمي الذي رصد الفن الروائي تاريخيًا وفنيًا في كتابه «فن القصة في الأدب السعودي الحديث» وما كتبه الشامخ في كتابه «النثر الأدبي»، وما سبق ذلك أو واكبه من أعمال نقدية عبارة عن مقالات تتذبذب بين التنظير والتأريخ والوصف وشيء قليل من النقد الانطباعي، ومن ذلك، على سبيل المثال، ما كتبه محمد سعيد العامودي عن الأدب القصصي في الحجاز عام 1356هـ، وما كتبه محمد إبراهيم جدع عام 1381هـ(1)، وما كتبه محمد الخريجي عن شخصيات «ثمن التضحية». ومما هو في سبيل الدراسات التاريخية ما كتبه عباس فائق غزاوي وعبدالله آل مبارك، ثم ما كتبه الحازمي والشامخ والفوزان. ومن الأعمال الأكاديمية الدراسة التي كتبها الهاجري، وهي دراسة منهجية، وما كتبه مسعد العطوي عن الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة، إضافة إلى المقالات الاستعراضية التي كتبها الدكتور محمد بن سعد بن حسين ثم جمعها فيما بعد في كتاب «وقفات مع القاصين» وهي دراسات تاريخية استعراضية موضوعية وشيء قليل من الدراسة الفنية، وما كتبته فاطمة الوهيبي عن محمد علوان وعن مسرحة التراث، وعن الروائي المغربي عبداللطيف اللعبي. وكل هذه الأعمال النقدية لا تشكل معادلاً كميًا ولا فنيًا لنقد الشعر ولا تتيح حيزًا للعمل النقدي للفن القصصي يقترب من الأعمال النقدية للفن الشعري، والسبب ـ كما أشرت ـ طغيان الشعر وندرة الأعمال القصصية. والحازمي في سبيل الشكاية يشير إلى أن أول رواية سعودية صدرت عام 1930م، ولم تكن على شيء من الجودة ولم يصدر بعدها ما يستحق الوقوف عنده سوى روايتين للمغربي والسباعي حتى إذا جاء عام 1959م صدرت أفضل رواية سعودية على الإطلاق: «ثمن التضحية» للدمنهوري. وبعد ذلك تعاقبت الأعمال الجيدة وظهر الروائيون والقصاص، ونهضت الحركة النقدية. ولكنها لا تزال متواضعة إلى جانب ما يدور حول الشعر. ومع ما يشاع من أن الزمن زمن الرواية، وأن عصر الشعر وسلطانه قد وليا، فإن الشعر والشعراء ونقاد الشعر يستأثرون بالساحة النقدية؛ لا أقول هذا على مستوى المملكة بل يكاد يشمل الساحة العربية إن لم أقل الساحة العالمية.

لقد رصد الدكتور محمد الشامخ في كتابه «النثر الأدبي في المملكة» المحاولات الأولى لكتابة القصة القصيرة في المدة الواقعة بين عام 1900–1945م، وقد جعل البدايات على يد أبو بكر خوقير عام 1330م والأسكوبي، ثم ذكر الأنصاري بعد ذلك، وهو ما لم يفعله الحازمي في رصده التاريخي. والشامخ لم يكتف بالرصد التاريخي الخالص بل حاول أن يحلل بعض الأعمال القصصية مثل حديثه عن قصة «رامز» لسعيد العامودي، وأن يلتمس الهنات الفنية التي وقع فيها القاص. وتلك بدايات نقدية واعية لآليات النقد القصصي، وكذلك تحليلة لقصة محمد بن علي المغربي «ملابسه المسروقه». لقد مارس الموازنة بين قصتي العامودي والمغربي من حيث الزمان والمكان والحدث. وهكذا فعل مع مجموعة من الأعمال القصصية. وهذه المداخلات الفنية من الشامخ تدل على وعي مبكر بأصول النقد الروائي. ولكنه لم يواصل عمله بحيث يبلور مذهبه النقدي ويؤصل لهذا المذهب، لقد جاءت دراسة الشامخ للقصة في سياق دراسته لفن النثر عامة.

أما الحازمي فقد خَصَّ الفن القصصي بدراسة مستقلة؛ إذ تناول معالم التجديد بين الحربين، ثم تناول الرواية وقسمها بحسب بعدها الموضوعي، واكتفى بأربعة أبعاد دلالية، ثم تناول القصة القصيرة فتحدث عن النشأة وعن بعض الاتجاهات، ومارس التطبيق على بعض النصوص القصصية.

والحازمي متخصص أكاديميا في النقد القصصي والروائي إذ له، إلى جانب ذلك، دراسة عن «الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث»، وقد أعدها باللغة الإنجليزية. تناول فيها ظهور الرواية التاريخية العربية عند البستاني بوصفه رائدا لهذا الفن وجورجي زيدان، ورصد مرحلتي الانحدار والازدهار لهذا البعد الموضوعي للرواية،

كما خص محمد فريد أبو حديد بمؤلف يعد الرائد في مجاله على اعتبار أن أبا حديد علم من أعلام الرواية والقصة في العصر الحديث.

وفي كتابه «مواقف نقدية» كانت له دراسات نقدية مع القصاص؛ إضافة إلى بحوث ودراسات عن تطور الرواية التاريخية، وعلي أحمد باكثير والرواية التاريخية، وتطور القصة القصيرة في المملكة، وقد تناول جهوده النقدية حول الرواية عدد من الدارسين والنقاد الكبار أمثال سمير سرحان، ومحمود عارف، ومهدي شاكر العبيدي.

ويأتي سحمي ماجد الهاجري في دراسته الأكاديمية: «القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية» الذي رصد الإبداع القصصي وتقصاه من الدوريات والجرائد والأعمال المطبوعة، ووضع له كشافًا، وحدد التوجهات الفنية والدلالية وحاول تحقيل ذلك زمانيًا ليتمكن من رصد التحولات.

أما الدكتور مسعد العطوي في كتابه: «الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية» فقد اعتمد على مرحلة زمنية ثلاثية، ثم تناول البناء الفني للقصة القصيرة وتناول الاتجاهات الفنية ثم مارس التطبيق مع بعض القصص القصيرة.

ولأننا سنعقد فصلاً لظاهرة النقد الروائي والقصصي فسنؤجل تحديد مستويات هذه الأعمال إلى موقعها من هذه الدراسة.

تلك هي لمحة موجزة ومدخل للحركة النقدية في المملكة، وسوف يسبق الدراسة التطبيقية لرموز الحركة النقدية مداخل أخرى نتناول من خلالها ظواهر نقدية واهتمامات شخصية كادت تشكل بمجموعها تيارات نقدية، كالنقد اللغوي، والرصد التاريخي المنطوي على رؤية فنية، وكالنقد المهتم بالإيقاع الموسيقي، وكالجدل الصاخب حول العامية والفصحى والأدب الشعبي، وهي ظواهر وتيارات تميز بها النقد العربي في المملكة وقد لا يتأتى استكمال الحديث عنها حين نتحدث عن رموز النقد.

الهوامش:

1- راجع كتاب العوين: «المقالة»، وكتاب الشرود: «الحركة» مخطوط.



عبرات العربية

شعر: أكرم جميل قنبس

عتبتُ على أهلي الكرام عتابا — وأنفقت عمري ما أفدتُ جوابا
وعانيتُ من همٍّ يغلُّ بأضلعي — ويهدي إلى أمِّ العُلوم خرابا
لساني فصيحٌ ليسَ فيه رَطانةٌ — وحَرفي صَقيلٌ لايكلُّ ضرابا
وجاريتُ في جَمعِ الجواهر عَالمًا — ورَصَّعتُ جيدي فاستضاء شهابا
وأعليتُ عن كلِّ اللغاتِ مكانةً — وحُبِّبتُ في نور البيان كتابا
وأعليتُ شأن العرب في كل رقعةٍ — وأصفيت كالشهد الشهيِّ شرابا
وفتحت أبوابي إلى كُلِّ طارقٍ — وأسدلتُ في وجه الجهول حجابا
أنا النّورُ يامن تعشق النّورَ والعُلا — تَقَحَّمْ -إذا شئتَ البيانَ- عُبابا
حُروفي سفيراتي إلى كُلِّ مُهجةٍ — تكدُّ إلى وَهجِ العلاء طلابا
فما غاصَ في أعماق نُوري مُتيَّمٌ — وشاء إلى جَهلِ الحياة إيابا
وماشدَّ رَكبٌ رحلَهُ بين أحرُفي — وما ذللَ الحرفُ المضيءُ صعابا
تَمُدُّ له الألفاظُ جسرًا إلى العُلا — ليزحم في غيث النفوس سحابا
وتبدي له ثوبَ الأصالات والندى — وتسقيه من صافي البيان عذابا
هي الغادة الحسناءُ، حلوٌ شرابُها — لصبٍّ، يرى عذبَ الشّراب رغابا
فما لي أرى جيلاً يُمزِّقُ أضلعي — ويسقي حروفي المُرسلات عَذابا
ومالي أرى حَولي جَنائزَ للبِلى — تُوَجَّهُ للقلب الحنونِ حِرابا
ومالي أرى سَيفَ الرَّطانات مُصلَتًا — وفي مُقلتي مَجرى بريقهِ ذابا
فيا حَسرةً في القلب تسري سُمُومها — وتمتصُّ من جذري النديِّ رضابا
ألا بئسَ من أنضجتُ فيهم مواسمي — إذا لم يَهبُّوا للحفاظ غضابا
ألا ليتَ فيهم للأصالة نَخوةً — تُخَفِّفُ عن صدر الحُروف مُصابا
ففي كل سطرٍ في الكتابة غَصّةٌ — تُمزِّقُ روحي نهبةً وسلابا
فويلٌ لأهلي يُطفئون شموعهم — ويجنونَ من بَعد الهناء نكابا
ويستبدلون الجهلَ بالنّور والحجا — ويرمونَ فوق الباسقات نقابا
سقى اللّهُ سيبويه خلدًا منعَّمًا — به خُصِّب الحرفُ القويمُ خصابا
وقوَّمَ في الإعراب أمَّ لغاتنا — لنزحم في نُور الصّواب رِحابا
وأهنى الكسائيَّ الجليل وأحمدًا — ظلالَ نعيمٍ حظوةً وثوابا
نعيبُ على أمِّ اللُّغات جَفاءَها — ونحنُ منحناها جفًى ويبابا
فيامَنْ على حَمْلِ الأمانة عزمُكم — صِلوا أُمَّكم، تزددْ ندًى وعرابا
وقُوموا نَصُنْ أمَّ اللّغات لأنّها — حَصانٌ لنا، إن تأخُذوا الأسبابا
ومَنْ لم يذُدْ عن حَوضِها كُلَّ عابثٍ — وكُلَّ دسيسٍ راح يُشرعُ نابا
فأولى على الإسلام ألاّ يَحوطَهُ — إذا لم تُثرها غَيرةً وَغِلابا

معالم من الفكر التربوي عند ابن خلدون

د. أحمد محمد الخراط

في تراثنا الإسلامي معالم مضيئة من الفكر التربوي تدل على أن أصحاب هذا الفكر قد استوعبوا العملية التعليمية وما يحيط بها من بيانٍ لمناهجها وأركانها، وحققوا آفاقًا بعيدة في تناولها، وإرساء نظريات تربوية قد يدَّعي قصير النظر بتاريخ الفكر التربوي أنَّ مدارس الغرب هي التي استحدثَتْها. وابن خلدون - 732- 808هـ - أحد أعلام هذا التراث الذين شاركوا في تأصيل فلسفة التعليم وشرح أصول ما يسمى اليوم بعلم النفس التربوي.

ونستطيع أن نعرض لطرف من معالم الفكر التربوي عنده من خلال القواعد التالية:

- «قبول العلم والاستعدادات لفهمه ينشأ تدريجًا»(1)

يضع ابن خلدون أمام المعلمين والمربين القائمين على العملية التعليمية قاعدة جليلة تُعَدُّ أصلاً من أصول علم التربية، وهذه القاعدة تقوم على تصور العملية التعليمية فنًا من الفنون قائمًا برأسه ينبغي الإعداد له من قبل، وتهيئة وسائله. إنها عنده فن مركب من أصل كبير وتحته عناصر. أما الأصل الكبير الذي يدعو إليه فهو التدريج، وعنصره الأول: أن يبدأ المعلم بإلقاء «مسائل من كل باب من الفن هي أصولُ ذلك الباب، ويُقَرِّب له في شرحها على سبيل الإجمال»(2) فهو إذن يُقرّ بأهمية الانتقال من الكلي إلى الجزئي، ومن الإجمال إلى التفصيل. والغاية من ذلك كما يقول: «أن يَحْصُلَ للمتعلم مَلَكَةٌ في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله»(3)، فلا يجوز عنده أن تبدأ التفاصيل في بيئة غير مهيأة أو مُناخ غير مسبوق بالإعداد.

ويذكِّر ابن خلدون(4) المعلم بأن أمامه عقلاً واستعدادًا ينبغي أن يُراعيهما لقياس مدى استجابة جوانب التحصيل المنشود، فليست القضية حَشْوَ الذهن بالمعلومات وسرد التفاصيل الواسعة من غير التأكد من استيعابها لدى المتلقي واستقرارها في ذهنه، وكأنه يؤكد أن العملية التعليمية يلزمها فنٌّ وقياس بالسبر والتقويم، ولابد أن تعتمد على الصبر والمتابعة.

فإن اطمأنَّ المعلم إلى معالم السير الحثيث انتقل إلى العنصر الثاني. يقول «ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود مَلَكته»(5). وفي هذا العنصر يتمكَّن الاستيعاب، ويرسخ البناء، بعد أن استوى العود واشتد ساقه.

ويستمر المعلم في قياس الفهم قياسًا أفقيًا وعموديًا، قياس «كمّ المعلومات» وقياس «كيفها»، ليبدأ العنصر الثالث، وقد اصطلح علماء المناهج المعاصرون على تسميته بعنصر التطبيق، ويعبر عنه ابن خلدون بقوله: «ثم يرجع به وقد شدَّ فلا يترك عويصًا ولا مهمًا ولا مُغْلقًا إلا وضَّحه وفتح له مُقْفَله فيخلص من الفن، وقد استولى على مَلَكته»(6).

وبذلك يكون ابن خلدون قد أشار إلى ثلاثة عناصر تعليمية بارزة في أصل «التدريج» الذي نبَّه إليه، ويرى أنَّ من الخطأ التربوي أن تُلقى على المتعلم «الغايات في البداءات، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي، وبعيد عن الاستعداد له»(7). ثم يعرض بعد ذلك أخطاء بعض المعلمين الذين عاصرهم وقوَّم طريقتهم بأنها لاتراعي هذه القواعد التي شرحها، يقول: «وقد شاهدنا كثيرًا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفاداته، ويُحْضِرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حَلِّها، ويحسبون ذلك مرانًا على التعليم وصوابًا فيه، ويكلفونه رَعْيَ ذلك وتحصيله، ويَخْلطون عليه بما يُلْقون له من غايات الفنون في مبادئها قبل أن يستعدَّ لفهمها، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجًا»(8).

ويدافع ابن خلدون(9) عن وجهة نظره بأن المتعلم أول الأمر عاجز عن الفهم بالجملة، إلا في الأقل، فيمضي المعلم ليحشد له من التقريب والإجمال والأمثلة الحسية، وذلك لتنمية استعداد الاستيعاب والتفاعل مع المادة العلمية. ويطالب ابن خلدون(10) أن تُدْعَمَ عملية التدريج بعملية لاتقل عنها أهمية، وهي عملية التكرار، فهي ضرورية في فن التعليم، ويشرح النتائج المتوقعة من تعليم لايُتوَخّى فيه ذلك كلّه، فيذكر موقف المتعلّم الذي «كَلَّ ذهنه عن المعلومات التي يتلقاها، وَحَسبَ ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه، وانحرف عن قبوله، وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم» (11).

قيود التوسع في تلقين المادة العلمية:

يطمح المعلم عادة إلى إعطاء تلميذه أكبر قدر من المعلومات، فيضع ابن خلدون أمام هذا المعلم قواعد وقيوداً حين يعزم على التوسع في تلقين المادة العلمية؛ وذلك لأنَّ مسألة التعليم لاتعني حَشْوَ ذهن التلميذ بفيض من المعارف من غير التيقن من استيعابها وهضمها وتمثّلها.

يعتمد ابن خلدون مبدأ «الكتاب المقرر» وهو مبدأ سليم تعترف به كثير من مناهج التعليم المعاصرة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وحتى الجامعات تُقرّه في بعض موادّ خططها؛ وذلك لأن هذا المبدأ يجعل الطالب متوجّهًا لمادة علمية محددة، فلا يتشتت ذهنه ولاتتوزع طاقته، فيكون هذا الكتاب محوراً يستوعب المعارف التي عزم المربي على درسها مع تلميذه.

يقول: «ولاينبغي للمعلم أن يزيد متعلّمه على فَهْم كتابه الذي أكبَّ على التعليم منه بحسب طاقته، وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئًا كان أو منتهيًا، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يَعيه من أوله إلى آخره، ويُحَصِّل أغراضه ويستولي منه على مَلَكَة ينفُذُ في غيره» (12).

ويذهب ابن خلدون إلى ربط التوسع في المادة العلمية بمستوى التلميذ في الفكر والاستيعاب، ويُفرِّق بين تلميذ تَمَكَّن من هذه المادة التي تُشْرح له وهَضَمَها، وصار مهيَّأً للمزيد، وتلميذ لم ينهض بعدُ إلى ذلك، فإذا ألحَّ المعلم على تسويةِ الأول بالثاني، فتوسَّع مع الثاني في مسائل جديدة، أدركه كلال، ويئس من التحصيل، وهجر العلم. يقول: «المتعلِّم إذا حَصَّلَ مَلَكَةً ما في علم من العلوم استعدَّ بها لقبول مابقي، وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق، حتى يستولي على غايات العلم؛ وإذا خُلط عليه الأمر عَجَزَ عن الفهم وأدركه الكلال، وانطمس فكره، ويئس من التحصيل وهَجَرَ العلم والتعليم» (13).

ويجتهد ابن خلدون في سبيل ضمان فَهْم المادة العلمية وهَضْمها أن يكون البرنامج العلمي المقرر على الطالب مقصوراً على علم واحد، فلاتجتمع العلوم المختلفة عليه، ويعلل ذلك بأهمية تفرغ الفكر لتحصيل علم معين. يقول: «ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ألاَّ يُخْلَطَ على المتعلم علمان معًا، فإنه حينئذ قلَّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر، فيستغلقان معًا ويستصعبان، ويعود منهما بالخيبة. وإذا تفرَّغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصراً عليه، فربما كان ذلك أجدر لتحصيله» (14). وهذا الأسلوب في الحقيقة ينفع في مرحلة التخصص التالية لدراسة مجمل العلوم؛ لأن ذلك التفرغ لعلم واحد ضمان للتعمق فيه، والإحاطة بأسراره ومسائله. أمَّا في مراحل التعليم الأولى من الابتدائية إلى الثانوية فلا يناسب هذا الأسلوب. وإذا كان ابن خلدون يعني بتوجيهه ألا يُخْلَطَ على المتعلم علمان معاً في مجلس واحد، فالرأي سديد في أي مرحلة من المراحل التعليمية؛ وذلك لأن الذهن سوف يتشتت ويتوزع إذا تلقى المتعلم أكثر من علم في مجلس واحد.

ويوصي ابن خلدون المعلم بالعناية بعنصر «تتابع الفعل وتكراره» (15). فينبه على ضرر تفريق المجالس في دراسة العلم وتقطيع ما بينها؛ وذلك لأن هذه الدراسة تحتاج إلى متابعة في رصدها واستيعابها في الفكر، وأيّ إهمال لهذه المتابعة يقطع من أواصر تفاعلها ووشائج تمثلها.

يقول: «ينبغي ألا يُطَوَّل على المتعلِّم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسُر حصول المَلَكة بتفريقها. وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة، مجانبة للنسيان، كانت المَلَكَة أيسرَ حصولاً وأحكم ارتباطًا وأقرب صبغةً؛ لأن الملكات تَحْصُل بتتابع الفكر وتكراره» (16).

هذا الكلام العلمي الدقيق من ابن خلدون يُعَدُّ فهمًا ناضجًا لمبادئ علم النفس التربوي في الاستذكار والتحصيل.

ـ «فتق اللسان بالمحاورة في المسائل العلمية» (17):

يُنبِّه ابن خلدون على وسيلة ذات أثر بالغ في اكتساب العلوم والتمرين على أدائها وتحصيلها، وإثارة ملكات تنظيم الفكر والربط والاستنتاج وشحذ الذهن وقَدْحه بالإجابة المنظَّمة المستوعبة، إنها كما يقول: «فَتْقُ اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية» ويرى(18) أنها تُقَرِّب طرق اكتساب العلم وتُحَصِّل مَرامَها. وينتقد بعض طلبة العلم في عصره حيث يجدهم قد أذهبوا الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية، ولكنَّ دَيْدَنهم ألاَّ يشاركوا أصحاب هذه المجالس في محاوراتهم ومناظراتهم، فيفضِّلون السكوت ويلجؤون إلى طريقة الحفظ فيستظهرون المتون غيبًا. يقول: «فلا يُحَصِّلون على طائل مِنْ مَلَكة التصرف في العلم والتعليم» (19). فهؤلاء قد استعاضوا عن الحوار والمناظرة ومناقشة أهل العلم في المسائل المشكلة والقضايا البارزة، واقتنعوا بحفظ المتون والمنظومات، فكانت النتيجة أنْ فاتهم خير كثير في صقل شخصيتهم، وتدريب لسانهم، واستيعاب طائفة من المسائل التي لايتِّم تحصيلها إلا بالحوار والأخذ والردِّ.

والحقيقة أن ابن خلدون هنا لايعني الانحراف بهذه الوسيلة النافعة ـ وسيلة الحث على الحوار ـ إلى ضرب من الجدال العقيم غير الهادف، حيث لاتكون الحقيقة والمعرفة وكسب العلم أهدافًا مرجوة لأطراف الحوار، وإنما الثرثرة وشهوة الكلام الطاغية والتقعر اللفظي والتعالُم.

وإذا كان ابن خلدون في إشارته إلى أهمية الحوار والمناظرة مَعْنيًا ببيان ضرورتهما، فإنه يعتقد أنَّ كَسْبَ العلم وحذْقَه والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما ذلك من جملة الصنائع، ولايتمُّ هذا إلا «بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تَحْصُل

ابن خلدون ربط التوسع في المادة العلمية بمستوى التلميذ في الفكر والاستيعاب، وفرَّق بين تلميذ تمكن من المادة التي تُشرح له، وتلميذ لم يتهيأ له ذلك

من القواعد التربوية عند ابن خلدون أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم؛ لأن الإرهاب والتخويف والضرب أمور تجعل العملية التعليمية تتعثر، ولن يصل المتعلم بها إلى غرضه

هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً»(20). فكَسْبُ العلم عنده والإحاطة به يحتاج إلى معاناة وجهد واستعداد ومتابعة، وفي ذلك كله حثٌ للطلبة على إعطاء كلٍ ذي حق حقه والاجتهاد فيه لبلوغ ثمرته وأسراره(21).

ـ الشدّة على المتعلمين مُضرة بهم:

من القواعد الجليلة التي أشار إليها ابن خلدون أن الشدَّة على المتعلمين مضرة بهم، وذلك لأن اكتساب العلم له طرقه ووسائله، أما الإرهاب والتخويف والضرب والتعنيف فكل أولئك يجعل العملية التعليمية متعثرة تحفّ بها أجواء من التربية الخاطئة، ولن يصل المتعلم إلى غرضه وهو تحصيل العلم؛ بل سيجني أخلاقًا سيئة كانت ثمرة لتلك التربية غير السليمة.

وقد فصَّل ابن خلدون في بعض هذه الأخلاق السيئة التي تعد مظهرًا للشدة في غير موضعها فقال: «ومَنْ كانَ مَرْباه بالعَسف والقهر من المتعلمين سطا به القهر، وضَيَّقَ عن النَّفْس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحَمَل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلَّمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادةً وخلقًا»(22).

إن الأصل في العملية التعليمية أن يتربَّى الفرد فيها ـ بالإضافة إلى كَسْبه للعلم ـ على أخلاق عالية تُرَقِّي في نفسه وطموحه وتجعل منه أمثولة للفضائل الجمة، بيد أن نهج الطريق غير السوي في طرق تعليمه من طريق العسف والقهر والضرب سوف ينتج عنه كما يقول ابن خلدون: «أن فسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماعُ والتمرن وكَسِلَت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين»(23).

وفرق كبير بين حالتين: إحداهما سوية تقوم على حرص المربي على سير العملية التعليمية فيدعمها بالحوافز المشجعة ويحفُها باستشعار الجدِّيَّة في تناولها، ليروض مَنْ يلي تربيته وتعليمه على النشاط الفاعل ونبذ الكسل وتحقيق التنافس وقَدْح الفكر وإثارته. وقد يكون من وسائل تحقيق ذلك نوعٌ من العقوبة الهادفة إنْ لمسَ المربي من تلميذه خمولاً لا مسوّغ له، وليس المسؤول عنه خللاً في مناهج التعليم وطرقه، وإنما المسؤول عنه مَيْلٌ في التلميذ نفسه إلى التفلُّت والدَّعة والتقاعس، فتكون العقوبة خلال وقت وحجم محدودَيْن لتجاوز الصفات السلبية التي عَلَقَتْ بالتلميذ، فيمضي المربي ليضع العقوبة في مكانها المناسب لتكون بمنزلة تنبيه مؤثِّر. أمَّا الحالة الثانية الخاطئة فهي التي أشار إليها ابن خلدون، حيث تقوم على التلويح بالعصا واستخدامها من أول الطريق لتصبح غاية قهرٍ وعسف، فتبتعد العملية التعليمية من مسارها التربويّ وأهدافها إلى ضرب من الإذلال والجور فتتعثر النتائج المرجوة من كسب العلم ويتحصل عوضًا عنه خلق سيِّئ منحرف.

ـ موقفه من المختصرات والمتون التعليمية:

دأب الاتجاه العلمي في القرون المتأخرة على اختصار العلوم في متون أو منظومات تعليمية. ويرى أصحابه أن الغاية منها تسهيل حفظ هذا العلم على الطلبة، وجمع أشتاته في حيز محدود من الألفاظ، وقد شاع هذا الاتجاه في جميع العلوم حتى لايكاد علم يخلو منها. ويقف ابن خلدون من ذلك موقف المنكر الحريص على التلميذ الذي قد يُلقى عليه متن من هذه المتون التعليمية، ثم يُطالب بحفظه، ولمَّا يستوعبْ بعدُ أبعادَ هذا المتن وأسراره. ويزيد في صعوبة المسألة عند التلميذ أنَّ صاحب المتن قد اجتهد في جمع أكبر قدر ممكن من قضايا العلم في أقل العبارات، فتتزاحم المعاني على المبتدئ ويصعب استخراج الفوائد المهضومة من بينها. يقول ابن خلدون: «ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يُولَعون بها، ويُدَوِّنون منها برنامجًا مختصرًا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصارٍ في الألفاظ وحَشْوِ القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مُخلاً بالبلاغة وعَسرًا على الفهم، وهو فسادٌ في التعليم، وفيه إخلالٌ بالتحصيل؛ وذلك لأن فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم فيه وهو لم يستعدَّ لقبولها بعدُ، وهو من سوء التعليم، ثم فيه مع ذلك شُغْلٌ كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها»(24).

والحق أن هذه المختصرات والمتون والمنظومات وسيلة تعليمية تناسب مرحلة متأخرة بعد الإحاطة بمقدمات العلم وفهم مصطلحاته وإدراك مراميه، فلا يجوز هَدْرُها من ناحية، كما لايجوز التمسك بها في غير مكانها اللائق في مراحل طلب العلم، فهي كما قال: «ملكةٌ قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطوَّلة»(25)، وذلك إذا فُرِضَتْ على المبتدئ في أول الطريق فأُلزم بحفظها سردًا من غير فَهْم لها، وهَجَمَ المعلم على تلميذه بها من غير مقدمات مطوَّلة في تذليلها واستيعابها، فيكون أمام المبتدئ ألفاظ عويصة ومعانٍ متزاحمة من غير إحاطة بها، وإذا كان المختصر معروضًا على الطالب بعد فهم مسائل العلم ومصطلحاته، وكانت الغاية من عرضه استذكار المسائل التي تم شرحها وإدراك معانيها لكيلا يفلت واحد منها، وتقريب النظير من النظير بالاستدلال على أمّ المسألة في المتن، فإن المختصر بذلك يشارك في شحذ الذهن، ويكون وسيلة للإحاطة ودقة الفهم وربط مسائل العلم بعضها ببعض. ومن هنا ينبغي أن نفرق بين كون المتن واردًا في مرحلة تالية أو مرحلة متقدمة.

هذه أهم القواعد التي عُني بها ابن خلدون في مقدمته، وهي تدل على فكر تربوي ناضج يصدر عن عَلَم من أعلام التراث الإسلامي، وما أحرانا أن نستلهم من مجموع معالم هذا التراث ما يضيء لنا المزيد من فهم العملية التعليمية

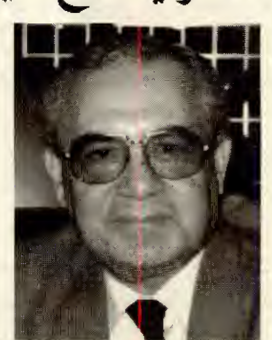
الهوامش:

1-5- مقدمة ابن خلدون 533، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، 1398هـ/1978م.
6، 7- المقدمة 534.
8- المقدمة 533.
9-16- المقدمة 534.
17، 18- المقدمة 431.
19- المقدمة 432.
20- المقدمة 430.
21-23- المقدمة 540.
24- المقدمة 532.
25- المقدمة 533.

حوار مع

الأدب والفكر ليسا حكرًا على أحد

د. بكري شيخ أمين



أجراه: صالح عبد الغفار

يطرح الناقد السوري أستاذ الأدب العربي بجامعة حلب الدكتور بكري شيخ أمين في هذا الحوار رؤاه وتصوراته حول قضايا حيوية عديدة في الساحة الأدبية. فبعد أن سلط الضوء على بواعث اهتمامه الخاص بالأدب السعودي، وناقش واقع ذلك الأدب وآفاقه المستقبلية، تناول تقنية الحداثة في الأدب العربي، ومستقبل «القصيدة النثرية»، وحدد موقفه من المساجلات الدائرة حول تشخيص الأزمة الحالية في الساحة الثقافية العربية: أهي أزمة ثقافة أم أزمة مثقفين؟ كما قدم - من خلال الحوار - تصوره للمؤهلات التي ينبغي أن تتوافر للناقد كي يكون مبدعًا.

- معروف عنكم اهتمامكم بالأدب السعودي. ما الدوافع إلى هذا الاهتمام؟ وما حصيلة جهودكم في هذا الجانب؟

* بدأ اهتمامي بالأدب السعودي منذ أن قررت في الستينيات الميلادية دراسة هذا الأدب، وتقديم الأطروحة الجامعية التي حصلت بها على درجة الدكتوراه من فرع جامعة ليون الفرنسية في بيروت عنه. وعندما وافقت الجامعة على فكرة الأطروحة شددت الرحال إلى الجزيرة العربية عام ١٩٦٥م، فاستقبلتني المملكة العربية السعودية بترحاب، ودخلت كليتيْ الشريعة واللغة العربية أستاذًا، وعاونني سمو الأمير خالد الفيصل، وفي بيته العامر ومنتداه الأدبي تعرفت عن قرب إلى الكثير من الأدباء السعوديين، وتوطدت الصلات بيننا، فرحبوا بي في دورهم ومكاتبهم، ووضعوا أعمالهم الأدبية في متناول يدي. ومن هذه اللقاءات مع الأدباء، والتنقل بين الصحف والمجلات تشكلت مصادر بحثي، وأدواته، وهكذا أعددت الأطروحة التي جاءت في عنوان «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية».

- أين موقع الأدب السعودي المعاصر من الأدب العربي خاصة، والأدب العالمي عامّة؟

* الأدب السعودي جزء من آداب الأمة العربية، فهو يعيش أحداث هذه الأمة بعواملها المختلفة، ولكنني أستطيع القول - بشيء من التجاوز - إن ثمة خصائص طبعت الأدب السعودي وميزته في السابق، وأرى أن هذه الخصائص تضاءلت قليلاً، أي إنها لم تعد بالتوهج نفسه الذي كانت عليه. ومن تلك الصفات التي كانت تميز الأدب السعودي، غلبة التعبيرات الدينية، وغلبة ألفاظ البيئة، والتعويل على الماضي، والإشادة بالقديم، فهذه العناصر لم تعد غالبة على الأدب السعودي حاليًا

- ما مدى تأثر الأدب السعودي بتيارات الحداثة؟

* التيار الغالب على الأدباء والشعراء السعوديين هو التيار نفسه السائد في العالم العربي - أقول ذلك تجاوزا أيضًا -، وهو الشعر التقليدي القائم على الوزن والقافية ونهج القصيدة الذي عرفناه ودرسناه وعهدناه في الأدب الجاهلي، وهذا اللون من الشعر مقبول لدى الناس، يفتحون له آذانهم وقلوبهم، وأحيانًا يستظهرونه من الوهلة الأولى.

وهنالك تيار ثان حديث نسبيًا في الأدب السعودي، ولكنه يستمد جذوره من الماضي ، ومن أدب التفعيلة، والموشحات، ومن أدب الدوبيت، وأدب الكان كان، والمقامات، كل ذلك شكل الأساس للمدرسة الأدبية المعاصرة في المملكة، وهي مدرسة شعر التفعيلة. وشعر التفعيلة عربي أصيل، يشتمل على الوزن والموسيقى معًا، إلى جانب الفكرة الهادفة الملتزمة. وهذا التوجه - أيضا - يلاقي قبولاً لدى الناس، لأنهم يرون فيه ظلالاً وإيحاءات من أدبهم المعهود، الذي تعودوه وعاشوه. وهناك شق آخر من هذا الشعر، هو المعروف بقصيدة النثر، وهو تيار آت من بلاد عربية، ولا أظن أن لدى أصحابه اتصالاً

بالثقافات الغربية وبالمدارس التي نشأت في فرنسا وبعض بلاد الغرب. وقد طرح أتباع هذا النوع من الشعر القافية والموسيقى جانبًا، وأرادوا أن ينشئوا اتجاهًا جديدًا، فأنت تقرأ القصيدة فإذا بها غريبة عنك، لا هي القصيدة التي تعرفها، ولا هي التفعيلة التي تعودتها، ولا هي - من حيث الفكرة - مستوفية الشروط التي عهدناها في الشعر. ولذلك يلقى هذا الاتجاه معارضة واسعة، ولكن مع ذلك له مؤيدوه، ومنظّروه، ونقاده، الذين يريدون أن يثبتوا هذا اللون كما هو ثابت في بلاد عربية أخرى، ومعروف أن عددًا من الصحف والمجلات في تلك البلاد تُروِّج لهذا الاتجاه، وتنافح عنه. وتحضرني - كمثال لذلك - تلك القصيدة التي كتبها شريف الشافعي في مجلة الشعر القاهرية عدد أكتوبر ١٩٩٢م، بعنوان «الأحذية» يقول فيها:

ارسمى نخلتين بحجم انطلاقته
ضد فيزياء عينك
قد رفضته القواقع
منتشرًا كشعاع
ومنطفئًا كالفنون المدبب
هل تسكن بصحراه
مثل صبارة من وداعكما
لم يزل دمه تؤام باغتصاب الحقيقة
في مطلع الفجر ومطلع النهدى
لي أن أصوغ له صوره
تتدحرج وفقًا لقانون جذبك
في أكرة الباب أسئلة
والجواب الخروج
أتحتملين قصيدته ارتوازية اللهب
انتظري فوق إصبعه
المتفكك حين تتسر إليه الأصابع
لا تسأليني فمه أن يمص
أما ماس قلبك
أو أن تطير البعوضة منه
لحبك لكنه أنه نه
تسحب الوردة سجادة غير منسوبة لملامحه
ثم تتتعلى موته

وأسأل القارئ، عم تتحدث هذه السطور؟

وتحت أي مسمى يندرج هذا الموضوع: أينسب إلى الغزل؟ أم إلى السياسة؟ أم هو موضوع في الأخلاق؟ حقيقة عجزت عن فهم مقاصد الشافعي. أعلم أنه حتى يكون الكلام مفيدًا، يجب أن توضع الكلمة إلى جانب غيرها من كلمات مناسبة، وشطر القصيدة إلى جانب الشطر الآخر، والتفعيلة إلى جوار نظيرتها.. وذلك مالا نجد له أثرًا في السطور السابقة.

- ما مستقبل هذا الاتجاه؟

* مثل هذه السطور التي تسمى «قصيدة نثرية» تعيد إلى الأذهان واقعة طريفة، ولكنها ذات مغزى عميق حدثت لأبي العلاء المعري مع بعض تلامذته. فذات مرة اتفق بعض تلامذة المعري على ممازحة شيخهم بطريقة خاصة، فقاموا إلى أحد معاجم اللغة وتخيروا منه كلمات، ثم تخيروا حروفًا من تلك الكلمات وركبوا من هذه الحروف مئة كلمة غريبة، ثم خلطوا هذه الكلمات «الجديدة» بكلمات أخرى مستقيمة. ولما دخل عليهم شيخهم بدؤوا بسؤاله عن معاني مجموعة كلمات، وشرع الأستاذ كعادته في الشرح وتقديم الشواهد على استخدام كل كلمة، وكلما سألوه عن معنى إحدى الكلمات المدسوسة قال لتلامذته السائلين: دعوا هذه الكلمة جانبًا، فلم أسمع بها. وهكذا إلى أن فرز جميع الكلمات الغريبة، ووضعها جانبا، ثم قال لتلامذته: أحسب أنكم قلتم لقد شاخ المعلم فلنختبره. وهنا أسقط في أيدي التلاميذ، وما كان منهم إلا أن اعترفوا بما دبروه لشيخهم.

ومع أنني أشبه اتجاه القصيدة النثرية بواقعة المعري وتلامذته، وما في هذه الواقعة من دلالات، إلا أنني لست من دعاة محاربة هذا النوع من الشعر، وتحضرني في هذا الشأن عبارة شاعر الهند طاغور: «أفتح النوافذ من الجهات الأربع، وأسمح للرياح بدخول بيتي ولكن بشرط ألا تقتلعني من جذوري»، فالزمن كفيل بأن يثبت هذا الاتجاه أو أن يزيحه من الطريق، والله تعالى يقول في محكم تنزيله: فأما الزَّبَدُ فيذهب جُفَاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.الرعد:17.

ونحن نترقب وننتظر ما سيُسْفر عنه المستقبل، فإذا كان في هذا الاتجاه صلاح وأثبت وجوده، فلا ضَيْرَ أن نأخذ منه، ونستفيد منه، ونتعلمه، فالأدب والفكر ليسا حكرًا على أحد.

- ما المؤهلات الأخلاقية والفكرية التي تجعل الناقد مبدعًا؟

* ثلاثة شروط بسيطة في مقدمتها الثقافة، فيجب أن يتسلح الناقد بثقافة عميقة، ثانيا: أن يكون مخلصًا في عمله: ثالثا: أن يبتغي بعمله وجه الله، وذلك يؤهله لبلوغ أسمى المراتب في دنياه وفي الآخرة.

- يتردد بين حين وآخر أن هناك أزمة ثقافة، ويذهب آخرون إلى تسميتها أزمة مثقفين، ما رؤيتكم الخاصة لهذه القضية؟

* نعم هناك أزمة ثقافية مرعبة، وحقيقة أن اضمحلال الثقافة سببه عوامل شتى تتصل بالبيت وبالمدرسة وبالشارع العربي وبوسائل الإعلام، وبالإدارات السياسية، أي بالمجتمع العربي ومكوناته المختلفة. هنالك مثال جزئي لهذه العلاقة المتشابكة، فالطلبة الذين يحصلون على درجات عالية في الشهادات المدرسية يسمح لهم المجتمع بالالتحاق بالكليات التطبيقية، ولكنه يفتح الكليات النظرية - غير التطبيقية - ومنها كليات الآداب، أمام الطلبة الحاصلين على درجات متدنية، وعند تخرج طالب الآداب، غالبًا ما يلتحق بمجالات التعليم، ويتولى تربية الأجيال الجديدة، وعادة يكون وضعه من حيث الراتب أقل من أوضاع زملائه المهندس والطبيب وغيرهما من خريجي الكليات التطبيقية. وهكذا فإن العناصر التي تؤثر تأثيرا مباشرًا في التكوين الثقافي للمجتمع لاتقوّم بطريقة مثلى، فعلى أهمية مساهمات خريجي التخصصات التطبيقية، يظل دور المعلم أكثر حيوية؛ لأن دوره يتصل بتأهيل الأمة، وبنائها فكريًا، والمعلم الذي يعاني ضيق ذات اليد، وتعوزه الاستزادة ثقافيًا، فتكون إسهاماته قاصرة عن إفادة طلبته، فالمطلوب أن يُبنى المعلم ليكون مؤهلاً لأن يعطي بصدق.

- أليس ثمة انفراج في أفق هذه القضية؟

* للأسف ينطوي المستقبل على شيء من السوداوية، وأرى أن الانفراج المأمول يتطلب إعادة تشكيل الواقع بإعادة النظر في برامج التربية والتعليم، وتنشئة أجيال قارئة من أجل المعرفة، وليس من أجل الاختبارات والحصول على شهادات فقط. المؤسف أن أبناءنا اليوم يحصرون أنفسهم في الكتب المدرسية، وفي الجامعات - على سعة المكتبات، وما فيها من ذخائر معرفية - لاتجد هذه الكنوز الاهتمام اللائق بها من قبل الطلاب؛ فالاهتمام منصب فقط على الكتب والمراجع ذات العلاقة بالمواد الدراسية وتلك التي يشير بها مدرس المادة، أما المراجع والمصادر الأخرى فيعلوها الغبار. وللأسف الشديد هذا وضع قائم في معظم الجامعات في الدول العربية، وإذا ما تَخَرَّجَ الطلاب بعد هذه القراءات المجتزأة لايستطيع كثير منهم قراءة نص بلغة عربية سليمة، وإذا استمر الوضع على هذا المنوال فإن المستقبل سيكون مجللاً بالسواد.

العنوان: التعليم العالي في المملكة العربية السعودية: بداياته وتطوره.
المؤلف: د. عبدالمحسن بن سعد الداود.
الناشر: دار أراكان، الرياض ج 1، 1416 هـ، 329ص.



غلاف الكتاب

تقاس درجة الكتابات التوثيقية والعلمية، وأي كتابات أخرى في أي موضوع، بمقدار قرب صاحبها، ودنو موقعه منها. فكلما كان قريبًا من موقعها، متلاحمًا مع مضامينها، ممارسًا ميدانها مدركًا أبعادها ورسالاتها؛ كانت كتاباته صادقة ومثيرة ومؤثرة، ومحققة غاية الغايات من كتاباته. ومن خلال هذه الإشارة نود الدخول لعالم كتاب: «التعليم في المملكة العربية السعودية.. بداياته وتطوره»، وصاحبه د. عبدالمحسن بن سعد الداود.

وإذا كان عنوان الكتاب أو الموضوع يشمل بدايات التعليم العالي في المملكة وتطوره، فإن المؤلف وقف فعلاً عند بداياته، وذلك من منظور تاريخي موغل في القدم، بدءًا بجذوره الإسلامية الأولى، وانتهاءً بمفهومه المعاصر.. الذي يتسع ليشمل مفاهيم عديدة من آفاق التعليم العالي؛ كالتوقعات والأهداف والتخطيط، ولتنحسر رؤى المؤلف وتضيق وتتسع في آن؛ لتقف عند كل جامعة من جامعات المملكة السبع، وتنداح وقفاته لسبر معالم تلك الجامعات، ثم تثبت عند مشكلات هذه المسيرة التعليمية الطويلة.

ومن مادة الكتاب المهمة التي وقف عندها المؤلف، وهو يستعرض تاريخ التعليم العالي، كلامه عن الجامعات الإسلامية في الحرمين الشريفين، والقيروان، والقرويين، والزيتونة، والأزهر، وعن نواة تأسيس الجامعات المتمثلة بمعاهد التعليم العالي والكليات.

كما توقف المؤلف عند أهداف التعليم العالي والجامعي، وما توقعه الأفراد والمجتمع منه. وقد حصر التوقعات المجتمعية من التعليم العالي في عدة نقاط، منها أنه وسيلة لنشر العلوم وحفظ التراث، ومواكب بمسؤوليته تطوير البحث العلمي، وقادر على تقديم خدمات التعليم المستمرة للمجتمع. أما الأهداف فقد استنبطها من الوثائق واللوائح الرسمية التي ركزت على ما هو معروف ومتداول في مثل تلك المناسبات وهذا المقام.

ومن الوقفات المهمة لمادة هذا الكتاب، وقفته عند «مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية» ولا سيما ما يقصد بهذا المبدأ، أو الهدف منه، وهو أن تتحقق من خلاله الديمقراطية والمساواة، بحيث يحق لكل فرد في المجتمع التعلم وفق قدراته، وبمختلف مراحل التعليم وخصوصًا العالي لدى الجنسين من ذكر وأنثى، وتسهيل أمر دراستهما وبأي وسيلة بديلة لكل راغب، كأن يتبع نظام الانتساب، أو بالمراسلة، أو بالجامعة المفتوحة على الهواء. وقد أرفق المؤلف بعض الجداول الإحصائية عن مثل هذا التعليم العالي، وإن مثل هذه الجداول ترافق كتاباته وعروضه واستنتاجه من حين لآخر، ولا سيما وهو يعرض علينا موضوع «التخطيط للتعليم العالي». وقد منح القارئ فكرة عن مفهوم هذا التخطيط، ليسترسل مع سائر مراحل التعليم: الابتدائي والمتوسط، فالثانوي والتجربة الشاملة والمطورة. وتتسع رؤاه - كعادته - عن التعليم العالي محور بحثه، من دون أن ينسى خطة التنمية الخمسية في المملكة.

أما وقفة المؤلف عند بدايات التعليم في المملكة، فقد عرضها حسب تسللها الزمني في المعهد العلمي السعودي، فمدرسة تحضير البعثات، فكلية الشريعة في مكة المكرمة، وكلية المعلمين فيها، وكلية الشريعة واللغة العربية بالرياض.. فاهتمام خادم الحرمين الشريفين بالتعليم العالي، ليتبلور لنا إنشاء الجامعات السبع المعروفة؛ فالنماذج الأخرى من التعليم العالي.. مثل كليات المعلمين، والتعليم العالي الفني، والصحي، والصناعي، والعسكري.. وغيره.

وكانت المشكلات التي يعاني منها التعليم العالي في المملكة - كما يقول المؤلف - تنحصر في المحاور السبعة التالية: القبول والتوسع في التعليم العالي، وتأهيل وتطوير عضو هيئة التدريس، والاهتمام بالبحث العلمي، والتنسيق بين الجامعات، وتطوير المنهج الدراسي، والمشاركة في صنع القرارات في المجتمع. كما أن المؤلف، من خلال خاتمته، يود أن يقدم بعض رؤاه المستمدة من الواقع التعليمي في المملكة؛ الذي استطاع، خلال أربعين عامًا، أن يرتقي بمستوى الطلبة، ويتوسع في التخصصات المختلفة. ولكنه يرى أن آمالاً وطموحات ما زال التعليم العالي بحاجة إلى تحقيقها، منها: الجامعة الأهلية، وزيادة كليات التعليم الفني المتخصص.

ومن خلال هذه الجولة السريعة في مادة الكتاب، وعرض أبرز موضوعاته، علينا أن نتساءل عن بعض الأمور، ومنها:

أين هم الخريجون بتلك النسب العالية في كل عام؟! أين ميدان عملهم؟! وماذا صنعوا؟ وماذا استفادوا من جامعاتهم؟! وما أثر تحصيلهم العلمي في مجتمعاتهم ونموها وتطورها؟!

هل كان سلاحهم العلمي ذا فعالية محسوسة في ميادين أعمالهم ووظائفهم في مختلف المواقع العامة والخاصة؟!

ثم تلك القرارات واللوائح والأنظمة والقوانين، ماذا تمّ لها من تنفيذ وتحقيق..؟!

وإنها لأسئلة تتطلب وقفات أخرى، ربما كانت موضوعًا لكتابات أخرى أيضًا، مع أننا لمسنا بعض الإشارات من المؤلف حولها، تؤكد ضرورة الدراسات القادمة من الباحثين حتى تُستكمل صورة هذا البحث، مثل قوله عن تقويم الدور الذي أدته الجامعات السعودية: «ولا زالت الدراسات التقويمية لهذا الدور دراسات مطلوبة والمجال لإجرائها مفتوح في البحوث الأكاديمية على مستوى الماجستير أو الدكتوراه.. بل ويمكن أن تتعاون فرق من هؤلاء الباحثين في إجراء أحد هذه البحوث، كما بات من الضروري إجراء دراسة تقويمية لأداء مؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية بصفة عامة، خاصة وأن نظام التعليم العالي الذي صدر في شهر شعبان من عام 1414هـ أشار في إحدى فقراته إلى أن من وظائف مجلس التعليم العالي مسؤوليته في تقويم الجامعات».

العنوان: الحلم المطعون (رواية).
المؤلف: عبدالله الجفري.
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1996م، 214 ص.


عبدالله الجفري

تعالج رواية «الحلم المطعون» لعبدالله الجفري تصادم الحلم الرومانسي المتوج بالنقاء والصدق والفطرة والمثل السامية مع الواقع المادي المشحون بالكذب والنفاق والشر من خلال الشخصية المحورية الأساسية في الرواية، وهي شخصية عادل الأديب الكاتب الناقد، الذي يعيش الحلم الرومانسي في تنقله ما بين القاهرة وجدة. ففي القاهرة كان يتابع طباعة بعض كتبه، ويحضر معرض الكتاب، ويختلط بالأدباء والنقاد والفنانين، أمثال: سيف، وأحمد، والدكتور غنام.. وغيرهم، فضلاً عن الأديبات، ولاسيما الأديبة السعودية سارة التي يلتقي بها وجهًا لوجه.

أما أصدقاؤه الآخرون في بلده جدة فكانوا كثيرين، وفي مقدمتهم: حسن أو «الشاطر حسن»، الذي كان معلمه، ومعلم غيره، في مدرسة الحياة، وملجأه ومستودع أسراره، وكان أكبر منه سنًا، وأوضح فكرًا وسلوكًا وبياض شيب. وآخرون من أولئك الأصدقاء الكثر الذين لم تتضح معالم شخصياتهم بغير المتابعة والمواساة، مثلما كان صديقاه: سيف وأحمد يتابعان تطور قصة حبه مع نوار موظفة الفندق في القاهرة، ويواسيانه من آلاعيبها؛ وما ألحقت به - هي وحسن - من غدر وكذب وآلام.

وكان ثمة شخصيات أخرى من كلا الجنسين لها دور في بلورة شخصية عادل وفكره ورؤاه ووجدانه وعلاقاته الاجتماعية والعاطفية، ولا سيما غالية التي كانت حبه الأول فيما يبدو.

وإذا كانت الأحداث، أو تطور قصة الحب، بين عادل ونوار، شائقة ومستدرجة القارئ على نحو ما؛ فإن الرؤى والأحلام والخواطر ولقاح الأفكار، من خلال الحوار، سدود مانعة تحول دون انسيابية تجاوبه وتأثره بأجواء الرواية؛ وبالأخص حين كان عادل في جدة مع أصدقائه يلهجون بمختلف القضايا. ولهذا فقد أُترعتْ الرواية بحوار النفس، وخواطر الذات، وحوار الآخرين ولقاح أفكارهم بعضها ببعض..

ربما كان الأديب الجفري يرمي من وراء ذلك كله إلى إبراز صورة الحلم المتألق بالمُثل والسمو، وما يعترضه من إحباط الواقع المتردي المسكون بالمادة والرياء والكذب. ولكن ذلك كله كان على حساب الفن الروائي وإيحائه وتأثيره. وإذا كان الجفري يرغب - في روايته - أن يعلّم قارئه فكرًا حضاريًا وأدبيًا، وفلسفة ثقافية.. فهذا مجاله فن المقالة، أو الفن النثري، لا الفن القصصي والروائي. وإن كان يحاول أن يجعل من تلك الرؤى الفكرية والحضارية والإنسانية والأخلاقية والرومانسية صدى لمجريات الأحداث القصصية، ومرآة لاحتدام وتصادم الحلم والواقع؛ فهذا أيضًا مجاله النقد الأدبي. فنقد رواية الأحداث وصراع الشخصيات ربما كان يستوجب من الناقد تحليلاً أدبيًا وتفسيرًا اجتماعيًا ونفسيًا، واستنتاجًا فكريًا يبرز فيها تلك الرؤى والثقافة والفلسفة. أما أن يرافق الأحداث الروائية والقصصية، وأجواءها الفنية تحليلٌ فكري وفلسفي وأدبي.. فهذا إقحام يسد مجرى الانسيابية، ويزرع في أرض الرواية شتلات جديدة من الفكر التقريري، والتحليلات المباشرة.. مما يعوق دون انسجام الفن الروائي وتلقائية تأثيره وفعاليته؛ وإن كان معظم أبطال الرواية مثقفين يلهجون بثقافتهم وهمومهم المعاصرة، ولكن على ألا تطغى على الفن والإيحاء، إلا إذا أردنا أن نعلّم القراء تلك الثقافة التي لهج بها البطل عادل وصحبه، ولا سيما في جدة، لأن ثقافة المتحاورين ظهرت في القاهرة من خلال أجواء المكان وما يثيره من دلالات فكرية وثقافية وتاريخية.. وهذا ما يمكن أن يُستساغ ويمر بأمان، حتى والبطل عادل - أو الروائي عبدالله الجفري - يتفاخر بأمجاد مصر وتاريخها، أو وهو يورد أسماء أعلام كثيرة لأدباء وفنانين عرب وأجانب وآثارهم، أو وهو يستشهد بنصوصهم النثرية والشعرية والغنائية مما يُستوحى من الأجواء الذاتية والشعورية للبطل عادل، وهو في خضم قلقه النفسي، ومعاناته الوجدانية والعاطفية.

و تلك الرومانسية التي حاول الجفري إضفاءها على معالم شخصية عادل بنقائها ومُثلها وطهارتها تتنافى مع بداية الأحداث، وتصويرها، وعادل غارق حتى أذنيه في رغباته الحسية، ومواقفه الغزلية والساخرة من الحسناوات. لقد بدا لنا وسط المجتمع القاهري معروفًا يُشارإليه بالبنان، وتتهافت عليه الحسان. فكيف انقلب رأسًا على عقب من «دون جوان» يُغري الحسان ويثيرهن بكلماته الغزلية المعسولة إلى رومانسي ضعيف، تعصف به الأهواء، ويقذف به الجمال هنا وهناك، ولا يقوى على رده؟! ثم ما هذا الحب الذي شغله وكانت بداياته حسية، ودوافعه رغبات يثيرها شكل خارجي، يتنافى أيضًا مع الرومانسية الحالمة؟! وهل يمكن أن يكون هذا البطل عمر بن أبي ربيعة بداية، وجميل بثينة نهاية..؟! لا يمكن ذلك؛ بل يمكن أن يكون على عكس ذلك، يبدأ رومانسيًا وينتهي واقعيًا.. أليس بطلنا عادل، ومع الكلمات الأولى لبداية الرواية، وحين رأى أمامه في الفندق «فتاة مليحة، شقراء الشعر، وقد أرسلته من فوق كتفيها ليغطي ظهرها.. ورسمت ابتسامة: لا تضحك بمقدار ما تهمس، كانت لابتسامتها صوتًا منغومًا» [كذا]. أليست هذه المليحة الحسناء، بحسنها الخارجي، سبب المعاناة، ومحور الفكر والخواطر والرغبات..؟! وقد بدأ مع هذا الجمال الحسي حسيًا، وانتهى معه رومانسيًا حالمًا.. وهذا ما يفسر حلمه المطعون، ويقلل من شأن الحلم أينما كان، ومهما علت منزلته لدى المبدعين والشعراء، فهو ليس إلا رغبة مكبوتة، وحرمانًا حبيسًا لا يطلق حبسه، ويفك قيده غير حلم بعيد، ربما تحققه أحلام أخرى، ولكنها في صراع مع الواقع الذي يغلب الحلم بوقع طعناته المُردية. أوَ لَمْ يفسر صديقه غنام واقع الحب بقوله: «الحب بين رجل وامرأة في أيامنا هذه: لا أكثر من ترف عاطفي مؤقت، مرهون بتفريغ الرغبة، ثم يمضي كل إلى سبيل.. أو ترهنه مصلحة مادية بحتة».

وإذا كان صديقه، وكاتم أسراره، الشاطر حسن، قد خانه، وخطف منه نواره بمعرفة حقيقة تلك العلاقة بين الرجل والمرأة، كما حللها صديقه غنام، فإننا لا نصدق كيف يلجأ عادل إلى صديقته سارة، وهي امرأة، ليبثها شكواه ومرارة الحب الذي أصابه من امرأة أخرى غيرها، ثم تتجاوب مع معاناته بكل موضوعية، وتحليل متجرد، بمنأى عن أحاسيسها الأنثوية، ورغباتها في الميل إلى الرجل؛ بل أحسسنا كأنها هي الرجل وهو المرأة الضعيفة. لذلك وجد عندها قوة الإرادة ووعي الإدراك، والخلاص من تلك التجربة العاطفية والتغلب عليها.

ومع أن لغة الرواية زاخرة بالموسيقى الشعرية، والصور الفنية؛ فإنها تصرخ باللهجة العامية، واللكنة الأجنبية، والأخطاء اللغوية.



الحاج أبو بكر موتو:

ستون عاماً في بيداء الشرك!

ستون عامًا من عمره قضاها في عبادة غير الخالق البارئ، وما كان لأحد أن يتوقع أن يهتدى هذا الشيخ الفاني - في سنِّه هذه - إلى الحقيقة الخالدة، وأن يجد طريقه إلى عبادة الله الحق بعد هذا العمر الطويل، الذي قضاه في بيداء الشرك وظلمات الجهل بالله عز وجل.

لكن الأمر حدث، وليس في هذا شذوذ عن القاعدة، فالفطرة السليمة متى استيقظت في داخل الإنسان، فإن عامل العمر يَّمحي، وكذلك الماضي، ولا يتبقى أمام المهتدي سوى صورة المستقبل، وهذا ما أحس به الحاج الياباني أبو بكر موري موتو، عندما أشهر إسلامه، وقد بلغ من العمر ستين عامًا بالتمام والكمال.

من البداية

ولكي تكون القصة متكاملة لنبدأ من أولها:

وُلد موتو عام 1905م، وتلقى تعليمه في الكلية التقنية في طوكيو، وتخصص في الطباعة والفنون، ونال شهادة أخرى من كلية الخطوط والفنون والطباعة في لايبزج في ألمانيا عام 1928م، حيث عمل بعدها في مجال الطباعة والاستشارات الفنية.

أتاح العمل الطباعي والفني للمهتدي الياباني أن يتنقل بين عدة بلدان، فعمل في فيتنام عامي 1963- 1964م، ثم في بنجلاديش - باكستان الشرقية آنذاك - 1964- 1965م، وفي بنجلاديش أتيح له - للمرة الأولى - أن يتعرف إلى الإسلام والمسلمين عن كثب؛ إذ شَدَّه في البداية ما رآه من تماسك المجتمع المسلم، وصدق تعامل المسلمين وبساطتهم، واحتفائهم بالغرباء وتكريمهم لهم بغض النظر عن جنسياتهم أو أعراقهم أو دياناتهم، مما دلَّه على مدى تحلّي الشريعة الإسلامية بروح التسامح والإنسانية، موازنة بغيرها من الشرائع. وكان كلما نودي للصلاة يستمع بخشوع إلى صوت المؤذن معانقًا أذنيه، ونداء التوحيد ينساب في مسمعيه «أشهد أن لا إله إلا الله»، فترتجف أوصاله وتسري في بدنه رعشة تلقائية، كأنما هناك سر يشده إلى الأذان.

مع المسلمين

أحس موتو وهو في بنجلاديش بشيء يدفعه إلى التعرف إلى الإسلام أكثر، ولم يتردد في المحاولة؛ لمعرفته أنه لم يعد في العمر ما يسمح له بأن يتردد، فأخذ يقرأ في الكتب الإسلامية، وتعرف إلى داعية باكستاني يدعى السيد جميل، كان له أبلغ الأثر في توجيهه إلى القراءات التي يحتاج إليها، وما لبث - وقد توطدت معارفه وقراءاته الإسلامية - أن اقتنع بأن الدين عند الله الإسلام، فأشهر إسلامه عام 1965م.

لم يكن إسلام أبي بكر موري موتو نهاية مطاف رحلته مع الإيمان، وإنما كانت هذه مجرد بداية، فالمسلم الجديد الذي أكسبه السن وقارًا وحكمة، رفض أن يُسَجَّلَ بوصفه مجرد مسلم بين ملايين المسلمين، وإنما اختار لنفسه أن يجاهد في سبيل الله بالحكمة والكلمة والموعظة الحسنة، لعل الله يكتب للآخرين على يديه الهداية.

عمل الحاج أبو بكر موتو بعد إسلامه في سيئول بكوريا عام 1968م، ثم في سيرلانكا عام 1970م، وزار الكثير من بلدان العالم الإسلامي، ومنها: ليبيا، ومصر، والسعودية، وماليزيا وأندونيسيا، وجزر المالديف، وإيران، وتركيا، إضافة إلى بعض البلدان الأخرى، مثل: الهند وتايلند وهونج كونج وبلدان وسط آسيا. ومَنَّ الله عليه عام 1978م بأداء فريضة الحج، فوقف أمام الكعبة المشرفة موقف الخشوع، وحرص على أن يؤدي النسك كاملاً من دون مساعدة من أحد، مع أن سنَّه كانت قد تجاوزت الثالثة والسبعين، إلا أن قوة إيمانه بالله منحته القدرة على أن يؤدي نسكه على الوجه المطلوب ودونما حاجة إلى إنسان.

صورة مثلى للداعية

إن الحاج أبا بكر موري موتو، قد أدى ما نذر روحه لأدائه حين أسلم، إذ حرص على أن يقدم صورة مثلى عن الإسلام لبني وطنه، ليعرفوا حقيقة هذا الدين القيِّم، فأسلم على يديه عشرات من مواطنيه، وترأس جمعية مسلمي اليابان بين عامي 1971- 1974م، كما أنشأ الجمعية الثقافية، وتولى رئاستها بين عامي 1974- 1982م، وأسس مجلة إسلامية حملت اسم «مجلة ميدان الثقافة الإسلامية» إضافة إلى تأسيسه معهد الدراسات الإسلامية بالتعاون مع د. هشام كردي، وأقيمت في داخل المعهد حلقة تعنى بدراسة الإسلام وتقديمه للآخرين عبر محاضرات ودروس في اللغة العربية، كي يسهل على الراغب في دراسة الإسلام قراءة القرآن الكريم والسنة الشريفة وأمهات الكتب الإسلامية بلغتها الأصلية

بدلاً من الاعتماد على المترجمات التي قد تحمل شيئًا من الأفكار المغرضة ضد الإسلام.

رؤى إيمانية

وللمهتدي الجديد رؤية خاصة تتعلق بكيفية الدعوة إلى الإسلام في اليابان، إذ يرى أن اليابانيين - بوصفهم شعبا متقدما - يتميزون بمستوى ثقافي راق، وإن تباينت الفروق الثقافية بين ياباني وآخر، طبقًا لمستواه الثقافي أو العلمي مثلما هو حاصل بين البشر في شعوب الأرض المختلفة بعامة، والمطلوب من الدعاة أن يكونوا في مستوى ثقافي وفكري لايقل بحال عن مستوى الذين يقابلونهم، لكي يكون نشاطهم مؤثرًا وفاعلاً، كما يرى أن الدعوة إلى الله من طريق المحاضرات والندوات واللقاءات لاتكفي لإقناع الياباني، الذي عاش قرونًا لايعرف عن الديانات السماوية الكثير أو القليل، فالأديان - جميعها - جديدة بالنسبة له، لذلك فإنه يؤكد ضرورة أن يهتم الدعاة المسلمون بإنشاء المساجد والمدارس، وغير ذلك من ألوان الخدمات الاجتماعية، مع الحرص على توفير ترجمات باللغة اليابانية للكتب التي تتحدث عن الإسلام، وتقدمه بأسلوب سهل سريع الفهم، حيث يعاني اليابانيون من قلة ترجمات الكتب الإسلامية إلى لغتهم، وتأخرها في هذا المجال موازنة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، مما يفتح الباب أمام غير المسلمين لتقديم ترجمات غير أمينة، ومن ذلك تلك الترجمة التي قام بها عام 1920م الأستاذ ساكا موتي الأستاذ بكلية الآداب جامعة طوكيو للقرآن الكريم. وقد كان الرجل غير مسلم، ولا يجيد اللغة العربية، واعتمد في ترجمته على ترجمة إنجليزية، مما جعلها عامرة بالأخطاء، حتى جاء الأستاذ أحمد أريجا - وهو مسلم - وقدم عام 1938م ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية، وحتى هذه الأخيرة تُعَدّ جهدًا فرديًا، لا يملك صاحبه إلا أن يقع في أخطاء من دون قصد، لأن عملية الترجمة، بالنسبة لمعاني القرآن الكريم خاصة، تحتاج إلى مجموعة عمل تضم علماء مسلمين ملمين باللغة اليابانية قادرين على تقديم ترجمة أمينة صادقة تحمل روح القرآن الكريم ومعانيه، لتسكبها في قلب القارئ أو المتلقي.

قصيدة

عانقتك رسمًا

«إلى أم الضّياء: مدينة الرّياض»

شعر:

محمد السيد محمد جاب الله

«أرياض» مالي في جَبينكِ أنْظُرُ ... قِمَمًا منَ العلياءِ كمْ هي تزْخَرُ؟

أمِنَ الجَمالِ إلىَ الكمالِ وقد شَدَا ... مجدٌ يتيهُ على الزّمانِ ويفخرُ

وحُماتُكِ الأخيارُ في ألقِ النُّهىَ ... وبكُلِّ أرديةِ الفخَارِ تدثّروا

عَبَقٌ من التاريخ قدْ دانت لهُ ... سِمَةُ الخلود بمجده تتأثّرُ

والرّوضُ أنتِ «يارياض» ومَا السَّنَا ... إلاّ حِمَاكِ يُستطابُ فيُأسرُ

والزّهر يُلقي بالتّحايا للنّدَى ... ويفوح عِطرُكِ للدُّنا تتعطرُ

واخضوضَرت منْكِ التّخوم وأيْنعَتْ ... فيك الرياض بما يفيءُ ويُثمرُ

تعلوُ الشهودُ لنهضةِ وحضارةِ ... تسمُو.. بناءً كم يُشيرُ ويُظهرُ؟

وتعانقَ الماضي المجيدُ مع الذُرا ... ومع الحداثةِ بالجديد يُبشّرُ

وبَلغْتِ شأوَ الشمسِ ياأمَّ الضّيا ... يامَنْ بِكُلِّ فَضِيلةٍ تَستأثِرُ

يرعاكِ رَبُّ العرْش ياتِبْر التُّقى ... ولِتُخبري «أمَّ القرى» ماأُخبرُ

ويظلِ «فهد العُرْب» دَوْمًا للعُلا ... راعٍ يَمسُّ الصَّخْرَ إذْ هُوَ مُزْهرُ

حَامي حِمىَ الحرمينِ.. مَنْ رَفع اللّوا ... واللّهُ أكبرُ مَنْ يُعينُ وينصُرُ

ولْتُقْرئي مِنيّ السلامَ أحِبَّتي ... ولأرضِ يَثْرب كمْ أتُوقُ فأصْهَرُ

فردَوْسُ أرضِكِ يارياض ومُقلتي ... ترنُو لطُهركِ والفؤادُ يُكبِّرُ

عانَقْتُكِ رَسْمًا يُوح لِناظري ... جَعَلَ النُّهي مِنْ سِحْرِه تَتحيَّرُ



فضيلة الشيخ:
د. صالح بن سعد اللحيدان

المداعبة والجماع الصحيح

مداعبة الزوجة ولمس الفرج من قبل كلا الزوجين هل به بأس؟

محمد خير، سورية.

الذي أعلمه في هذا من عامة ما ورد هو جواز تمتع الزوج بزوجته، وهي كذلك بجميع الحالات من لمس وتقبيل ونحوهما. وقد قال تعالى: *نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم*. **البقرة**:233. والمحظور هو إتيان المرأة من دبرها، ولهذا قال تعالى: *فأتوهنَّ من حيثُ أمَرَكم الله*. **البقرة**:222. والمداعبة الصحيحة السليمة أمر مهم في الحياة الزوجية بين الزوجين قبل الوقاع. آمل قراءة «الطب النبوي» لابن قيم الجوزية.

أهل السنة والفرق الأخرى

هل هناك فرقة ما تتفق مع أهل السنة؟

عبدالرحمن بن يتعيد، 4234 العلقة، تونس.

لعل أقرب الفرق إلى أهل السنة فرقة الأشاعرة، لكنها، مع هذا، تختلف عنها كثيراً نقلاً وعقلاً ولعلك تعود إلى ما يلي:

المِلَل والنِّحَل للشهرستاني، والفَرق بين الفرق لابن طاهر البغدادي، والطحاوية وشرحها لابن أبي العز، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والإبانة في أصول الديانة للأشعري أيضا.

أما الكتب والمجلة التي أشرت إليها يا أخ عبدالرحمن فيمكنك الكتابة للجهات المعنية بهذا، وترسل إلى المجلة لطلبها، وأحيي فيك حبك للعلم وحرصك عليه، وثق بالله تعالى، وداوم على قراءة القرآن بتفهم ووعي وهدوء وخشوع.

الزكاة الواجبة

ما هي الأموال التي تجب فيها الزكاة؟ وهل الضرائب تمنع الزكاة؟ وما حكم من يخرج من الزكاة أقل مما يجب؟

حميد منشي، حمص، سورية.

الأموال التي تجب فيها الزكاة هي:

مال عام، ويسمى الحلال كعروض التجارة. وبهيمة الأنعام والخارج من الأرض «الحبوب» وما شاكلها. فهذه زكاتها تكون كما يلي:

ـ عروض التجارة: تكون في القيمة ـ رُبع العُشْر ـ بعد تمام الحول من حين تملُّكها.

ـ بهيمة الأنعام: تكون حسب عددها في الإبل، والبقر كل خمس فيها شاة، أما الغنم ففي كل أربعين شاة.

ـ والخارج من الأرض كالحبوب تكون زكاته يوم حصاده بعد استوائه. ولا زكاة على ما يتموّله المسلم أو يستعمله كسيارته، وما يدخره لأكله أو نفقته أو سكناه ولو كثر مادام يدخل في دائرة الحاجة الحاصلة.

أما الضرائب فلا تدخل في الزكاة لأنها نظام عام يسري حسب القانون الوضعي على ما يعمل من قبل الناس في الدولة المعنية التي قننت هذا.

لكن الزكاة فقط تؤخذ من الأغنياء فترد على الفقراء المسلمين الثمانية كما هو منصوص عليه في قوله تعالى: *إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل*. **التوبة 60**

أما من يُخرج من الزكاة أقل مما يجب عليه فيها؛ فهذا نقص حق ركن عظيم فلا يحق له هذا إلا لضرورة نقص ضروري، فإنه هنا يؤديه بعد أن يتم له ما يكمل به نقص الزكاة. آمل قراءة كتاب «الحاشية» لابن عابدين و«الروض المربع» للبهوتي.

ردود خاصة

باسل العبسي، حلب، سورية:

«المرءُ على دين خليله» هذا جاء في مقدمة صحيح مسلم.

أما حديث: يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غُفِرَ لَهُ، واقرؤوها على موتاكم، فلم يصح.

ولا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة: لم يصح.

م.م. د، عمارة بناء الرشيد، سورية:

لا ضرر عليك منها، لكن يلزمك الزواج ما دمت هكذا، وتسلح بسلاح الإيمان الصحيح الواعي الفطن، واشغل الوقت بما يفيدك ويفيد أمتك معك، ولابد لك من الإرادة وتنميتها شيئًا فشيئًا، وليس هناك شيء صعب على رجل عاقل مثلك.

أبو صالح، حلب، سورية:

الضرورات تبيح المحظورات ليست قاعدة مطلقة؛ أي مطردة، لكن يجوز الزواج بالدَّين للضرورة، ولو كثر، وسوف يعينك الله تعالى على السداد.

م م علي، جدة:

هذا لدى الإمارة فراجعها.

عليان ب ب، حولي، الكويت:

صيامك صحيح ـ إن شاء الله ـ.

نهار بن بادي، إربد، الأردن:

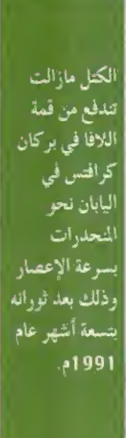
يصلك جواب خاص حول أنواع الدم وأحكامها بالنسبة للمرأة.

م.م.م.م ـ بريطانيا:

يصلك جواب خاص عما حصل لك ولزملائك حول: الطلاق، والظلمات الثلاث في قوله تعالى: *يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث*. **الزمر**:6.






الكتل مازالت تندفع من قمة اللافا في بركان كرافتس في اليابان نحو المنحدرات بسرعة الإعصار وذلك بعد ثورانه بتسعة أشهر عام 1991م.

إعداد: نجلاء حسن حامد

يبلغ عدد البراكين النشطة في العالم قرابة 550 بركانًا، تنتشر في مناطق يسكنها زهاء 500 مليون شخص، ولا يقتصر وجود البراكين على سطح الأرض، فهي توجد تحت البحار وفي المناطق القطبية الجليدية وفي كواكب المجموعة الشمسية..
وكلمة Volcan تعني البركان في اللغة الإنجليزية وهي مشتقة من كلمة Vulcan التي تعني اسمًا لمعبود النار الروماني.

ويرى فريق من العلماء أن الكلمة مشتقة من Vulcano وهي جزيرة في شمالي صقلية بالبحر المتوسط، وقد أطلق عليها الرومان هذا الاسم لتصاعد الدخان من براكينها، في حين يرى آخرون أن الكلمة حديثة نسبيًا تعود إلى القرن الخامس الميلادي وهي مشتقة من «بلكا» أو «بولكان» الإسبانية، التي تعني فرقعه أو ضوضاء.

ويتمثل التفسير العلمي للبراكين في كونها عبارة عن انبثاق المواد الصخرية السائلة الموجودة في باطن الأرض، وذلك من خلال شقوق أو كسور أو أي مناطق ضعيفة في القشرة الأرضية. وينبثق مع هذه المصهورات السائلة عادة كميات كبيرة من الغازات والأبخرة على هيئة سحب كثيفة حول البركان، وتكون سوداء غالبًا لكثرة ما بها من رماد بركاني، وفي أحيان كثيرة تظهر ألسنة من النيران وذلك لاحتكاك ذرات الرماد مع بعضها، وحينئذ تُسمى باسم «السحب البركانية المتوهجة».

تتراوح حرارة المصهورات النارية بين 1200و 1300 درجة مئوية، ويُقدر وزن كتلة المواد التي يقذفها البركان بنحو 2,4 مليون طن، أي ما يعادل 13 مليار متر مكعب، وتسيل

المصهورات بسرعة عشرة أمتار في الثانية.

ثلاث متلازمات

عندما ينفجر أي بركان تحدث ثلاثة أشياء:

1- يتصاعد من فوهة البركان لحظة انفجاره عامود كثيف من الدخان حاملاً معه غازات وجزئيات صلبة، وتكون الجزئيات الصلبة مشحونة بكهرباء استاتيكية، ويضاء عامود الدخان أحيانًا بفعل الحمم المتوهجة.

2- تنطلق كثير من الغازات البركانية التي تكون محبوسة داخل الأرض، وبفعل الضغط ودرجة الحرارة تندفع غازات هذه الحمم البركانية إلى خارج الأرض، ويشكل بخار الماء أكبر نسبة من الغازات؛ أي نحو 71٪ .

3- تُعدُّ الحمم البركانية (اللافا) أهم ما يميز الانفجار البركاني. والمعتاد أنه بمجرد أن يكف البركان عن هديره وأصواته وخروج غازاته مرتفعة الحرارة، تبدأ الحمم في التدفق من الفوهة البركانية على جانب البركان، وقد تنبثق من عدة فوهات بركانية معًا، وقد يكون لونها أبيض أو أحمر من شدة الحرارة. وفي بعض الأحيان تكون اللافا ذات لزوجة عالية مما يصعب معه تدفقها، وينتج ذلك من تركيبها الكيماوي ودرجة حرارتها.

الصهارة والحمم

اللافا Lava هي الحمم المنصهرة المندفعة من فتحات في الأرض، أما الماجما Magma فهي الصهير أو الصُّهارة، وهي المواد الصخرية المنصهرة في باطن الأرض. وتعود نشأة اللافا إلى ازدياد درجة الحرارة ازديادًا كبيرًا مع ازدياد البعد من سطح الأرض، وقد يعود هذا جزئيًا إلى تحلل العناصر المشعة مما يولد حرارة مستمرة داخل الأرض، وتسبب هذه الحرارة انصهار المكونات الداخلية.

وعندما تتحول هذه المكونات المختلفة من حالتها الصلبة إلى الحالة السائلة، فإن هذا يزيد من تصادم الذرات والأيونات مما يزيد من سرعة التفاعل الكيماوي المستمر، حيث تنطلق الأبخرة والغازات في هذا المكان المغلق العميق فيزداد الضغط وتتسع الشقوق وتتفتح الأقنية التي تخرج من خلالها اللافا إلى طبقات الأرض العليا لتستقر في مستودع اللافا، ونادراً ما تظهر على سطح الأرض مباشرة.

وعندما يزداد الضغط على الصهير الناري، فإن المواد المنصهرة تندفع إلى أعلى بقوة، وتخترق المناطق الضعيفة في القشرة الأرضية، وتندفع المواد البركانية إلى الخارج على شكل ثورة بركانية مصحوبة بالأبخرة والغازات، وهي تعطيه قوة انفجارية تختلف شدتها من بركان لآخر. وما إن يكف البركان عن هديره وأصواته وغازاته الحارة؛ فإن الحمم تبدأ في التدفق من الفوهة على جانب البركان.

أنواع البركين

تنقسم البراكين من حيث «الشكل» إلى ثلاثة أنواع:

1- **البراكين الهضبية أو الدرعية:** وتتألف من مقذوفات بازلتية عظيمة المرونة والسيولة، تتدفق عبر فوهة البركان بكميات هائلة وسرعة عظيمة وارتفاعات قليلة، لتغطي مساحات واسعة من الأرض، ويعد بركان جبل مونالوا في جزر هاواي مثالاً لهذا النوع.

2- **مخاريط الرماد البركاني:** تكون عادة ذات مساحات ضيقة وارتفاعات شاهقة تبعًا لسرعة تكون المواد الصخرية والحمم البركانية حول فوهة البركان، ويعد بركان جبل باريكيتين في المكسيك نموذجًا لهذه الفئة.

3- **المخاريط المركبة:** يتميز البركان هنا بتنوع المواد المنبثقة من فوهاته التي تجعله يجمع عدة خصائص أو ظواهر في الوقت نفسه. فقد



اللافا المنصهرة تنفجر صوب المحيط في هاواي. وقد أدت مثل هذه الانفجارات إلى تكوين قارات الأرض وأحواض المحيطات منذ بلايين السنين

يتكون المخروط البركاني المركب في بداية نشأته من مواد صخرية مختلطة بحمم منصهرة، ويظهر في شكل قباب بازلتية، وعندما يجدد البركان نشاطه مرة أخرى تنبثق منه كميات عظيمة من المقذوفات التي تعمل على تفتيت أجزاء المخروط الأصلي وبناء مخاريط هضبية أو درعية جديدة، ومن أمثلتها جبل فوجي في اليابان ومايون بالفلبين وسانت هيلين بأمريكا.

كذلك تنقسم البراكين من حيث «النشاط» إلى ثلاثة أنواع:

خامدة: إذا ظلت بلا انفجار أو انعدم ظهور الحمم والغازات فترة تبلغ مئة سنة أو أكثر.

ساكنة: وهي البراكين التي تظل من دون توازن مدة طويلة وتتصاعد منها أعمدة دخانية هادئة.

نشطة: أي التي انفجرت منذ وقت قريب، أو تكون عرضة للانفجار في أي وقت.

خطوط الانشطار الأرضي

لم تكن الأرض قبل مليوني سنة سوى قارة واحدة تحيط بها المياه من جميع الجهات، ولكن التغيرات الأرضية العنيفة شطرتها إلى خمس قارات، وأدى هذا الانشطار إلى نشوء البحرين المتوسط والأحمر وغرق قارة أتلانتس في مياه المحيط.

وبعد الانشطار برزت للوجود القارة الأمريكية بقسميها، وأصبح البحر المتوسط محصوراً بين أوروبا وإفريقيا، والبحر الأحمر محصوراً بين آسيا وإفريقيا، وظهرت قارة استراليا وبعض الجزر مثل اليابان وأندونيسيا والفلبين. وتمثل خطوط هذا الانشطار أكثر الأماكن تعرضًا للبراكين والزلازل، ومن أشهرها:

* **خط ديناريك:** ويمتد من أواسط تركيا إلى اليونان وجنوب يوغسلافيا وألبانيا، ويتجه نحو إيطاليا وكورسيكا وساحل فرنسا الجنوبي، وينتهي في جنوب إسبانيا.
* **خط أناتوليان:** ويتجه من جنوب تركيا إلى جزيرة كريت ثم إفريقيا ماراً بتونس والمغرب والجزائر.
* **خط الانشطار:** الذي يُعرف باسم الحزام الناري Belt of Fire ويضم ما يعادل 60٪ من البراكين النشطة في العالم، ويضم جبال روكي في أمريكا الشمالية ومرتفعات الأنديز في أمريكا الجنوبية ومرتفعات أمريكا الوسطى والمكسيك وسلاسل الجبال الآسيوية، وكذلك جزر اليابان والفلبين وشبه جزيرة كمشنكا.

كذلك توجد براكين نشطة في أماكن متفرقة من العالم مثل جزر هاواي والجلاباجوس وساموا في المحيط الهادي، وجزر تيمور وجاوة وبالي وسومطرة في المحيط الهندي، بالإضافة إلى نطاق براكين أيسلندا والبحر الكاريبي.

الزلازل والبراكين

الزلازل هي ما يعتري ألواح القشرة الأرضية من تصدع أو تحرك أو انزلاق في اتجاهات أفقية، ينتج منها تصادم أجزاء هذه الألواح أو انفصال أجزاء منها.

ويحدث هذا نتيجة تزايد الطاقة المحبوسة في باطن الأرض، والتي تسببها المعادن المنصهرة، التي تتراوح درجات حرارتها بين 2000، 4000 درجة مئوية، فإذا أفلحت هذه المواد في النفاذ من بعض شروخ القشرة الأرضية، نتج من ذلك البراكين، أما إذا عجزت لسماكة الطبقات الموجودة تحت هذه الشروخ، فإنها تحدث موجات واهتزازات في اتجاهات



مختلفة، هي ما نسميه بالزلازل.

ويقدم البركان إنذارًا أو أكثر قبل انفجاره بوقت قد يسمح للمحيطين به أن يغادروا المكان سالمين، فإذا انبعثت سحابة بيضاء كان ذلك إشارة بضرورة الرحيل، أما إذا انبعثت سحابة سوداء من الغازات والرماد، فيكون هذا نذيرًا بأن وقت النجاة قد فات.

ويكون الزلزال عادة مصاحبًا لثوران بركاني، فقد بلغ عدد الزلازل التي حدثت قبل انفجار أحد البراكين في اليابان قرابة 400 زلزال.

وهكذا يمكن القول بأن الزلازل والبراكين ظاهرتان مرتبطتان ببعضهما غالبًا، فإن كل بركان يصاحبه زلزالٌ، ولكن كل زلزال ليس بالضرورة أن يصاحبه بركان.

أجهزة للتنبؤ

هل يستطيع العلماء التنبؤ بحدوث البراكين؟ يوجد جهاز المحدار Tiltmeter، وهو أداة تستعمل لقياس مدى انحدار الأرض تبعًا لتمدد المنطقة المحيطة بالبركان وتأثرها بحرارته. كذلك توجد موازين للحرارة وأجهزة لقياس كميات الغازات ومعدلاتها، ومنها:

* استخدام أجهزة الليزر لرصد شكل الكتل المنصهرة في باطن الأرض.
* قياس الاختلافات في درجة حرارة الأرض، كالتي تظهر على فيلم الأشعة تحت الحمراء.
* قياس المغناطيسية فوق منطقة البركان المتوقع انفجاره مرة أخرى.
* استخدام تقنية الاستشعار من بُعد بوساطة الأقمار الصناعية.
* استخدام أجهزة كيماوية لاقطة لتسجيل زيادة كميات ثاني أكسيد الكربون فوق فوهات البراكين مع مراقبة أي انهيارات تحدث على سفوح البراكين.
* استخدام أجهزة قياس الزلازل لرصد الهزات الزلزالية المرتبطة بتصاعد الكتل المنصهرة إلى سطح الأرض.
* مراقبة بُؤر النشاط البركاني مراقبة متواصلة ومستمرة، وتتركز هذه المراقبة على حزام النار الذي يمتد من أستراليا إلى جنوب شرق آسيا والصين وأمريكا الجنوبية والشمالية.

ومع هذا يُؤكد العلماء أن أغلب البراكين يحدث فجأة ومن دون مقدمات، لذا لا يمكن التنبؤ باستخدام أي من المعدات السابقة.

نباتات للتنبؤ

أعلن العالم الفرنسي «كلود ساستر» - مؤخرا - أن النباتات تساعد على التنبؤ بالبراكين قبل حدوثها.

وأضاف أنه بعد دراسة دامت 15 سنة قام خلالها بمراقبة مئات الأنواع من النباتات المختلفة التي تنمو في السفوح الجبلية لجزر الأنتيل، توصل إلى أن النباتات تُصاب بالذبول قبل ثوران البركان بمدة طويلة، ويرجع هذا إلى تسرب الغازات السامة التي تنبعث من باطن الأرض قبل وقوع البركان، حيث يمتصها النبات فيصيبه الذبول.

ويرى ساستر أن ذبول النبات علامة جيدة يمكن من طريقها التكهن بقرب حدوث بركان الأمر الذي يسهم في إنقاذ آلاف الأرواح من



الرماد الساخن يرتفع فوق القلذ البركانية على شكل سحابة ذرية من بركان ريداوبت عام 1989م

طريق إخلاء المناطق المهددة من السكان.

في الكواكب والبحار

تنتشر البراكين في كواكب المجموعة الشمسية. وقد أكدت صور مركبة الفضاء مارينو 9 وجود براكين تحت سطح كوكب المريخ، وقد حدد العلماء ارتفاع براكين المريخ بنحو 24 كم، وتتخذ لها شكلاً مخروطيًا يبلغ قطر قاعدته نحو 500 كم، وتنتشر طفوحه داخل محيط دائرة لا يقل قطرها عن 80 كيلو مترًا، وترتفع القاعدة ارتفاعًا حادًا مكونةً جرفًا شاهقًا لا يقل ارتفاعه في بعض الأماكن عن 7 كيلو مترات.

ومن جانب آخر يؤكد العلماء أن أشد البراكين عنفًا، يكمن في أعماق المحيط، وقد شهد القرن الأخير كشفًا لكل البراكين خلال رحلات بحرية قامت بها غواصات مجهزة انطلقت إلى أعماق المحيط، حيث تكشفت مفاجآت مثيرة، منها وجود معادن ثمينة تحيط بفوهات تلك البراكين، وتصل سماكة تلك المعادن إلى 10 كيلومترات، وهي متراكمة على شكل شرائح تجمعت خلال فترات زمنية طويلة.

وحينما اخترقت الغواصة الفرنسية «كيانا» الأعماق عام 1978م، اكتشفت أن حجم البراكين المائية بلغ حدًا هائلاً من الضخامة، إذ يبلغ قطر بعضها خمسين مترًا، حيث يؤدي الارتفاع الهائل في درجة حرارة المياه إلى تكوين قوة ضغط مائية قادرة على قذف تلك الحمم، وقد تتقارب فوهات البراكين بارتفاع 100 متر، بينما يصل ارتفاع البراكين الرئيسة إلى ألف متر.

الحَرَّات

يُطلق على القسم الأوسط من جبال الحجاز الذي يقع في الجهة الشرقية بين الحجاز ونجد اسم «الحرة» أو «اللوبة» فما علاقتها بالبراكين؟

جاء في لسان العرب، مادة «حرر»: والحَرَّةُ: أرض ذات حجارة سود نَخِرات كأنها أُحرقت بالنار. والحرة من الأرضين: الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة كأنها مطرت، والجمع: حَرَّات وحرار.

وقد ثبت أن هذه الحِرَار جبال بركانية الأصل خمدت براكينها وبقيت حممها وموادها التي كانت تقذفها، فتراكمت على أساس رملي؛ فصارت أصلب من هذا الأساس الذي تراكمت عليه فأخفته، فقاومت هذه المواد الرملية من جراء ذلك الانحلال، وحفظت مساحتها على شكل ارتفاعات مسطحة، مظهرها الخارجي مقذوفات بركانية ولكنها في الداخل أحجار رملية.

وتدل الظواهر الجيولوجية على أن هذه البراكين قد خمدت وبردت في العصر الجبواسي؛ أي قبل ظهور الإسلام، إلا أن الدخان كان لا يزال يخرج من بعضها حتى بعد ظهوره، فقد ذكروا أن النيران كانت تخرج من «حرة النار» في جنوب شرقي المدينة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب.

وقد تحدث الناس عن نشاط بركاني ظهر



فجأة في «الحرة الكبرى» التي تقع على مقربة من المدينة سنة 1256م وقد دام ذلك مدة أسابيع، وذكروا أن حمم هذه الحرة أخذت تسيل وتزحف نحو المدينة المنورة التي لم تنج منها إلا بمعجزة.

في بلاد العرب

منذ عام 1253م لم نعد نسمع بحوادث بركانية مهمة في أكثر أنحاء شبه جزيرة العرب، ففي هذه السنة حدث انفجار بركاني عظيم في منطقة عدن، ثم خفت صوت البراكين منذ ذلك الحين، ومعنى هذا أن تطوراً جيولوجيًا حدث في هذه المنطقة.

وتقع أكثر مناطق هذه المقذوفات البركانية في الأجزاء العليا من شبه جزيرة العرب، وفي فجوات بين عدن في أقصى الجنوب وحوران في بلاد الشام، على خط يكاد يكون مستقيماً تبعًا للقاعدة الفنية في أن أكثر أقسام سطح الأرض تأثرًا بالبراكين، هو ما كان كثير التجمد وشديد الانحدار.

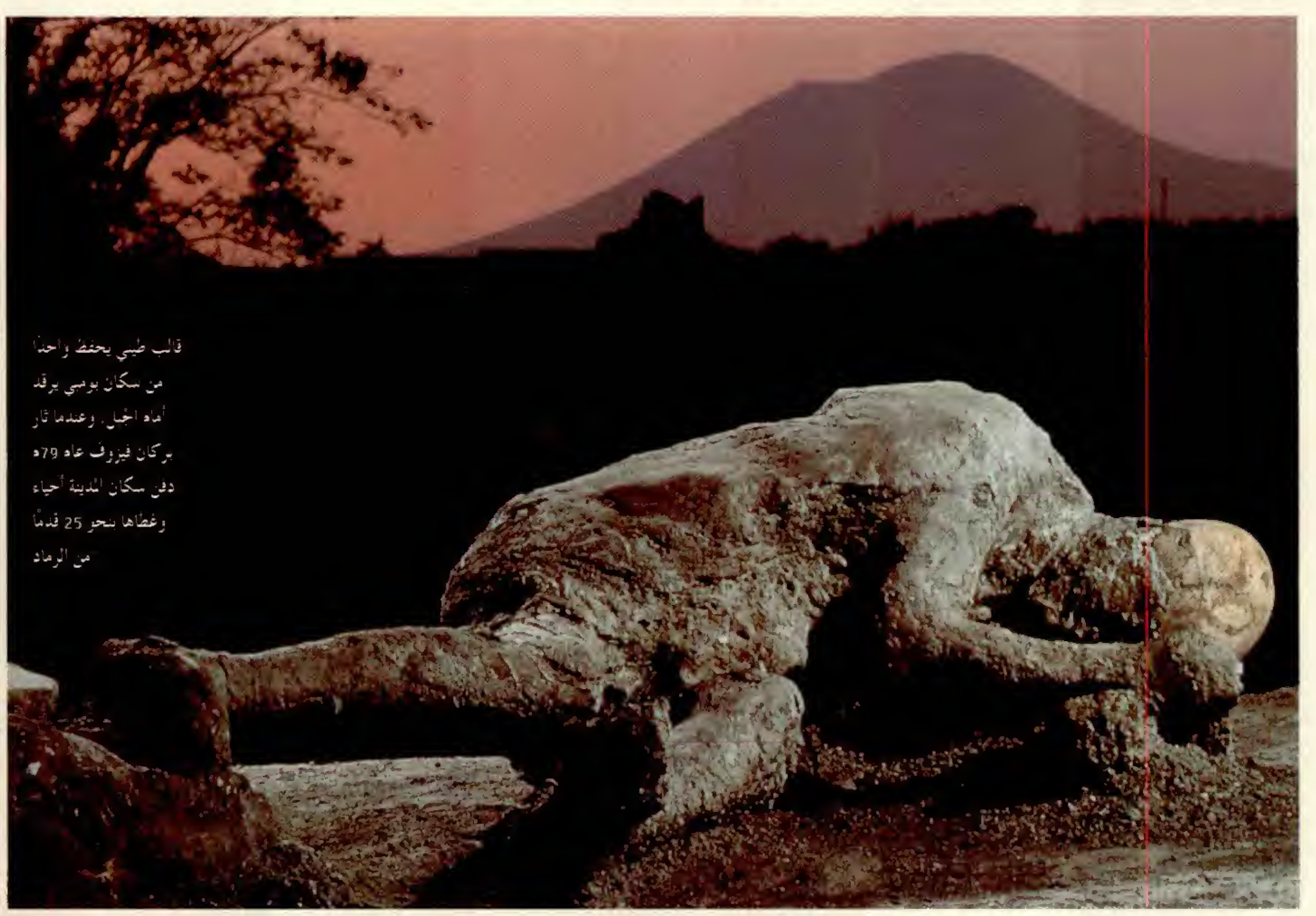
البراكين والتلوث

تسبب البراكين زيادة نسبة التلوث في أجواء البحر المتوسط ومياهه، ولاسيما في جنوب إيطاليا، فعندما تدفع العديد من البراكين النشطة كميات هائلة من الغازات والتراب البركاني في الجو، وكذلك كميات مماثلة من اللافا في مياه البحر، يتسبب هذا في زيادة عنصر الزئبق الذي يتسبب - بدوره - في القضاء على كميات كبيرة من الأسماك والكائنات البحرية.

كذلك لاحظ العلماء أن الغازات المنطلقة من البراكين، تحمل ضمن مكوناتها نسبًا عاليةً من الزئبق وثاني أكسيد الكربون، وهما يسببان، حين يختلطان بمياه الأمطار، تلفًا ودماراً شاملاً في الكثير من المناطق الزراعية.

كذلك تمثل سحب رماد البراكين الأكثر كثافة وانخفاضًا تهديدًا للطائرات النفاثة؛ لأن الكسرات الميكروسكوبية المنبعثة من الزجاج البركاني الذي يُمتص داخل محركات الطائرات النفاثة، تنصهر في الحرارة وتدمر نظام الدفع، مما سبب عشرات الكوارث للطائرات.

وعلى الرغم من كوارث البراكين على النسل والزرع، فإنها لا تخلو من جانب نفعي مشرق للأرض.



قالب طيني يحفظ واحدًا من سكان بومبي يرقد أمام الجبل. وعندما ثار بركان فيزوف عام 79م دفن سكان المدينة أحياء وغطاها بنحو 25 قدمًا من الرماد

فالصهارة أو الماجما تحتوي على العناصر الرئيسية اللازمة لنمو النباتات مثل الفسفور والبوتاسيوم والكالسيوم والكبريت والمغنسيوم، وهذه المواد عندما انبعثت على هيئة حمم وتجمدت في الصخور، استغرقت العملية المناخية عقودًا، أو حتى قرونًا في نقل المواد الغذائية إلى التربة، ولكن عندما تنفجر المواد البركانية على هيئة رماد تتحقق الخصوبة للتربة

خلال شهور. وهذا يفسر وجود أخصب مناطق العالم في جاوة وهي أكثر مناطق البراكين في العالم.

مجالات الاستفادة

مع الآثار المدمرة والخطيرة للبراكين إلا أن الإنسان حاول الاستفادة منها قدر المستطاع. فالمقذوفات البركانية مثل المواد الكبريتية تُستعمل في أغراض صناعية وكيماوية، كما أن الصخور الصلبة المتشكلة من الحمم البركانية، تُستخدم في بناء الطرق وإقامة المباني، كذلك تحتوي كثير من المقذوفات البركانية على كميات لا بأس بها من المعادن المهمة مثل الذهب والفضة والألماس والنحاس والقصدير.

وفي مناطق بركانية متعددة في إيطاليا والمكسيك ونيوزيلندا والولايات المتحدة، يستعمل السكان البخار المنبعث من جوف الأرض كمصدر للطاقة الحرارية.

وفي ريكيافيك عاصمة آيسلندا يزود السكان بيوتهم بما تحتاجه من طاقة حرارية من طريق مد أنابيب بين المنازل وحفر الحمم الملتهبة، حيث توضع بالحفرة أنابيب حلزونية يمر بها الماء ليسخن، وهكذا تصل المياه الساخنة إلى المنازل ودرجة حرارتها 65 مئوية.

الأغرب والأنشط

لا يخلو عالم البراكين من الغرائب المثيرة للدهشة.

فمثلاً بركان شيشرون في المكسيك ظل خامدًا طوال 1200 سنة قبل أن يثور من جديد، أما بركان آيسلندا فقد ظل خامدًا 6000 سنة ثم ثار فجأة في عام 1973م.

وقد ثار بركان فيزوف أولاً في عام 79م، ثم في أعوام 1822 - 1843 - 1872 - 1906 - 1922م. وفي عام 79 انقض على مدينة بومبي قبل أن يتمكن سكانها من مبارحتها، فدفنوا مع مدينتهم وهم على قيد الحياة في الرماد البركاني؛ الذي تحول بعد تماسكه بفعل الأمطار الغزيرة إلى قالب ضم هؤلاء البشر.

كذلك دفنت اللافا السائلة مدينة هيركولانيوم في الجانب الآخر من الجبل بعد يوم أو اثنين من ثورة بركان فيزوف، ولكن الوضع في المدينة كان أفضل؛ لأن السكان كان لديهم فسحة من الوقت للفرار منها.

سحب عالية من الرماد الساخن جدًا ترتفع فوق بركان بناتابو بالفلبين

ويعد بركان إتنا في صقلية بإيطاليا أغرب البراكين وأنشطها، فقد ثار أكثر من 150 مرة، وحدث أول ثوران له عام 1500ق. م، وعندما ثار عام 122 ميلادية تسبب في خراب مدينة قطانيا، وفي ثورته عام 1381م انطلقت أنهار اللافا البركانية إلى مسينا والمناطق المجاورة، وسدت الميناء تمامًا، وفي عام 1669م ثار البركان وخرب مدينة قطانيا جزئيًا، وغزت



اللافا البركانية اثنتي عشرة قرية.

أما الثورات الحديثة لبركان إتنا فقد سجلت في أعوام 1886- 1892- 1910- 1923- 1928 - 1950 - 1959 - 1964 - 1971 - 1974 - 1979- 1983- 1984م.

أكبر الانفجارات

* يمثل بركان بناتابو بالفلبين واحدًا من أكبر الانفجارات البركانية في القرن العشرين. ففي الخامس من يونية 1991م أصبح جبل بناتابو الذي يبلغ ارتفاعه 5770 قدمًا مثل مدفع جبار انطلقت منه قذيفة، أحس بها الناس حول العالم، حيث صعد غاز ثاني أكسيد الكربون إلى ارتفاع 25 ميلاً في الجو.

وحين اتحد الغاز مع الرطوبة تسبب في نشر سحاب غازي، أحاط بالكرة الأرضية مدة 21 يومًا، ولما قام العلماء بقياس عمق هذه السحب عبر القمر الصناعي، وجدوا أن نسبة 20٪ من شعاع الشمس الوافد إلى الأرض ينحرف عنها، مما يؤدي إلى درجات حرارة أقل بدرجة طفيفة في المتوسط حول الأرض.

كذلك نتج من بركان بناتابو نشر ميلين مكعبين من الرماد في الجو، وهي كمية تكفي لدفن مقاطعة كولومبيا بارتفاع 150 قدمًا تقريبًا، وتسبب البركان كذلك في وقوع زلزال، ذلك أن خروج اللافا من الجبل صنع مغارة عميقة تحت الأرض، وبدأت اللافا في ملئها مما تسبب في حدوث عدة هزات.

وقد تسبب بركان بناتابو في: مقتل 900 شخص، وتدمير 42,000 منزل، كما غطى الرماد مساحة 100,000 أكر من الأراضي المزروعة بالمحاصيل، وسبب خسائر تقدر ببلايين الدولارات.

التنبؤ في بناتابو

يعد بركان بناتابو مثالاً للتنبؤ بالبراكين قبل وقوعها.

وقبل ثوران البركان أمكن إجلاء 200,000 شخص من المنطقة، وبذلك أنقذت أرواحهم بناءً على مؤشرات تم حسابها بوساطة أجهزة علمية متطورة.

فقد لاحظ الفلاحون تصاعد بخار من فتحات صغيرة في الجبل، وعلى الفور وصل فريق أمريكي فلبيني من علماء البراكين، وتم تركيب أجهزة سيزموجراف لقياس الحركة تحت الجبل، وأجهزة محدار لملاحظة أي نتوء في جوانب الجبل، وقامت معدات منقولة جوًا بالطائرات بتسجيل تسرب غاز ثاني أكسيد الكبريت.

كذلك قام العلماء بتوصيل أجهزة متابعة متنوعة بوساطة القياس من بُعد إلى أجهزة حاسوب في قاعدة كلارك الجوية والجهات المختصة في الولايات المتحدة.

وكانت أجهزة الحاسوب تقوم بدمج المعلومات بسرعة كي تكوّن صورة ثلاثية الأبعاد واضحة على الشاشة.



قناة لافا نارية تندفع بالقرب من بركان إتنا بصقلية. وفي عام 1992م شقت قناة لتصريف اللافا المندفعة من البركان لإنقاذ سكان قرية زفيرانا

وعلى شاشة الحاسوب كانت تظهر نقاط دقيقة تمثل رجة أو صدمة، كل واحدة يتبعها صوت دقيق، وكانت النقاط في البداية صغيرة تتكون على حافة الجبل، ثم ظهرت نقاط أكثر تتمركز حول فتحة اللافا، ثم أصبح الصوت الضعيف صرخة طويلة حادة، وعندها ثار البركان.

ومع ذلك يعترف العلماء أن التنبؤ غير ممكن مع كل البراكين، وأن هناك براكين تحدث فجأة ومن دون سابق إنذار.

أسوأ الكوارث

* بركان تامبارا في أندونيسيا عام 1815م، ويعد الأسوأ في جميع العصور، إذ أودى بحياة 92,000 شخص توفي منهم 12,000 شخص في الانفجار، في حين أن الباقين أوصلهم هلاك محاصيلهم إلى الموت جوعًا، وتسببت السحب الغازية للبركان في خفض درجات الحرارة؛ حتى إن الثلج تساقط في أمريكا في يونيو ويوليو وأغسطس من العام التالي، وقد شاع القول بأنه «عام بلا صيف».

* بركان كراكاتو في مضيق سوندا ـ بين جاوة وسومطرة ـ عام 1883م، وقد تسبب في غرق 36.000 شخص، وكانت قوة الانفجار تُسمع على مبعدة 3000 ميل، ويعد أعظم انفجار في التاريخ، حيث بلغت قوته 30 ألف مليون طن.

* بركان بيلي في جزر المارتنيك عام 1902م، أرسل إعصاراً من الغازات الحارة في بلدة سانت بيير، وتسبب في مقتل 30,000 شخص، وقد بقي على قيد الحياة شخصان فقط، كان أحدهما سجينًا في زنزانة ذات جدران سميكة.

* بركان جبل سانت هيلين في أمريكا 1980م، قُدرت قوة الانفجار بأنها تعادل انفجار قنبلة هيدروجينية قوتها 50 مليون طن، وعندما وقع الانفجار اندفعت عدة كيلومترات مكعبة من الصخور والحطام، وتكونت غيوم كثيفة من الرماد الساخن بلغ ارتفاعها 19 كيلومتراً حجبت الشمس وأصاب المنطقة ظلام دامس، ونتيجة الحرارة انصهر الثلج الموجود على الجبل وشكل أنهاراً من الوحل البركاني الحار إلى درجة الغليان.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

الأَرج في الفَرَج

خصّ علماء العربية الفَرَجَ بعد الشِّدة واليُسر بعد العُسر والفَرَجَ بعد الضيق بمؤلفات متعددة، منها: كتاب «الفَرَج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا، وكتاب «في الفَرَج» لأبي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، و«الفرج بعد الشدة» للقاضي التنوخي، و«الفرَج بعد الشدة والضيق» لأبي الحسن علي بن محمد المدائني، و«الفرَج بعد الشدة» لأبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف القاضي، و«الفرَج القريب» للسيوطي. كما قام جلال الدين السيوطي - على طريقته في التأليف - بتلخيص كتاب ابن أبي الدنيا، وأضاف إليه إضافات حسنة وسماه «الأرج في الفَرَج». وكتاب ابن أبي الدنيا وصفه القاضي التنوخي بقوله: «في نحو عشرين ورقة، والغالب عليه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله، يدخل بعضها في معنى طلبته، ولا يخرج عن قصده وبغيته، وباقيها أخبار وأحاديث في الدعاء وفي الصبر وفي الأرزاق والتوكُّل والتعوّض عن الشدائد بذكر الموت، وما يجري مجرى التعازي، ويتسلّى به عن طوارق الهموم ونوازل الأحداث والعموم، بما يستحق فيها من الثواب في الأخرى مع التمسك بالحزم في الأولى».

وحقق كتاب السيوطي - المتوفى سنة **911**هـ - محمد السعيد بسيوني زغلول، ومما تضمنه كتاب «الأرج في الفرج» من الأخبار:

- أخرج أبو داود والنَّسائي وابن ماجة وابن أبي الدنيا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لايحتسب».

- وأخرج الترمذي والنَّسائي وابن أبي الدنيا والحاكم عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ربه ففرج عنه؟» قالوا: بلى، قال: «دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».

- وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلمات الفَرَج لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم».

- ولابن حبيب:

ولرب نازلة يضيق بها الفضا
ذرعًا وعند الله منها المخرج
عظمت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت وكان يظنها لا تُفرج
لا تيأسَنَّ فكل عسرٍ بعده
يُسْرٌ يُسَرُّ به الفؤاد المحرج
واصبر فإن الصبر في الدنيا إلى
نيل المنى والقصد نعم المنهج

- روى الحافظ أبو الحسن علي بن حمدان في مناقب الشافعي عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: بعث إليَّ هارون الرشيد ليلاً الربيع فهجم عليَّ من غير إذن، فقال لي: أجب، فقلت له: في مثل هذا الوقت وبغير إذن؟ قال: بذلك أُمرتُ، فخرجت معه، فلما صرت بباب الدار قال لي: اجلس، ودخل، فقال الرشيد، ما فعل محمد بن إدريس؟ فقال: أحضرته، قال: أدخله، فأدخلني فتأملني ثم قال: يا محمد أرعَبْناكَ فانصرفْ راشدًا، يا ربيع احمل معه بدرة دراهم. فلما خرجت قال لي الربيع: بالذي سَخَّرَ لك هذا الرجل ماذا قلت؟ فإني أحضرتك وأنا أرى موضع السيف من قفاك، فقلت: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب بهذا الدعاء فكُفي وهو: اللهم إني أعوذ بك وبنور قدسك وبركة طهارتك، وعظم جلالك من كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير، اللهم أنت غياثي فبك أغوث، وأنت عياذي فبك أعوذ، وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة أجرني من خرمك وعقوبتك، واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري، لا إله إلا أنت تعظيمًا لوجهك، وتكريمًا لسبحات عرشك، فاصرف عني شر عبادك، واجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات حفظك، وعد علي بخير يا أرحم الراحمين.

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ
وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكاره واطمأنت
وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا
ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غَوْثٌ
يجيء به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت
فموصول بها الفَرَجُ القريبُ

البلقاء وقصبتها في كتب

د.. ناصر الدين الأسد

تزخر كتب التراث بذكر «البلقاء» ومدنها وقراها وأوديتها وجبالها، ومنها «عمّان» التي ذهب بعض الجغرافيين إلى أنها «قصبة البلقاء»(1). ولن نطيل التطواف في كتب السيرة النبوية الشريفة وكتب التاريخ والأدب العام ودواوين الشعر، فذلك أمر يخرج عن العنوان الذي اخترناه لهذه الدراسة وحصرناه في كتب الجغرافيين العرب دون غيرها من كتب التراث، إلا نُتَفًا يقتضيها المقام.

وقد اختلف أولئك الجغرافيون في تحديد «البلقاء» مثلما اختلفوا في تحديد كثير غيرها من المواقع؛ فتفاوتَ تحديدها بين الضيق والاتساع: فهي حينًا لا تتجاوز «مدينةً بالشام» كما ذكر الحِمْيَري (ت: نحو 900هـ) في الروض المعطار(2)، وهي حينًا آخر تتسع قليلاً لتصبح كورةً محدودة، تُقتَطع منها مدن وقرى وجبال، ويُجعل بعض هذه المواقع المقتطعة كورًا مستقلة، فقد نقل ابن الفقيه (ت: 365هـ) عن المدائني قوله(3): «دمشق مدينتها الغوطة، وكورها... وظاهر البلقاء، وجِبْرين الغَوْر، وكورة مآب، وكورة جبال، وكورة الشَّرَاة... وعمّان...»، ولكنها حينًا ثالثًا تتسع لتشمل جميع ما يسمى الآن بالمملكة الأردنية الهاشمية، شرقي نهر الأردن من جنوبي دمشق إلى أيلة على بحر القُلْزم، قال ياقوت (ت: 626هـ)(4): «البلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القُرى، قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة، ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل... ومن البلقاء قرية الجبارين (يقصد: أريحاء) التي أراد الله تعالى بقوله: *إن فيها قومًا جبّارين* **المائدة**: 22. وقال قوم: وبالبلقاء مدينة الشَّراة، شراة الشام، أرض معروفة، وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم...». وذكر المقدسي (ت: نحو 380هـ) أن البلقاء رستاق، وجعل عمّان فيها، وقال: إنها على سيف البادية (أي شرقي نهر الأردن)، قال(5): «وعمّان على سيف البادية ذات قرى ومزارع رستاقها البلقاء...». وقد زاد المقدسي موقع عمان والبلقاء توضيحًا بقوله(6): «ووَضْعُ هذا الإقليم طريف (يقصد إقليم الشام) هو أربعة صفوف، فالصف الأول يلي بحر الروم (يقصد البحر المتوسط) وهو السهل، رمال منعقدة ممتزجة، يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل. والصف الثاني: الجبل، مشجر ذو قرى وعيون ومزارع يقع فيه من البلدان بيت جبريل وإيليا ونابلس واللجّون... والصف الثالث: الأغوار ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع... يقع فيه من البلدان وَيْلة (أيلة) وتبوك وصغر وأريحاء وبيسان وطبرية وبانياس. والصف الرابع: سيف البادية وهي جبال عالية باردة، معتدلة مع البادية، ذات قرى وأشجار، يقع فيه من البلدان: مآب وعمّان وأذرعات...». ويبدو أن

تُها عَمّان

لجغرافيين العرب

«البلقاء» تقع في هذا الصف إذْ ذكر المقدسي فيه عددًا من بلدانها. وربما يشير إلى ذلك أيضًا قوله(7) ـ وهو يذكر دخول بني إسرائيل أريحاء ـ: «... فلم يبق إلا دخولها من نحو الجبال وكذلك فعلوا لأنهم دخلوها من تحت البلقاء وعبروا الأردن إلى أريحاء...». فالبلقاء إذن هي تلك الجبال الواقعة في الصف الرابع. ويستأنف المقدسي كلامه بقوله(8): «مع أنه يلزم صاحبَ هذه المقالة (أي دخول أريحاء من تحت البلقاء) شيئان: إما أن يقول إنهم لم يؤمروا بدخول جبال القدس، وإما أن يقول إن جبال إيلياء والبلقاء ليست من الأرض المقدسة. ومن زعم شيئًا من هذين فتركُ الكلام معه أصوب...»، وقال المقدسي كذلك(9): «.... ومن أمثالهم: قيل للبرد أين نطلبك؟ قال: بالبلقاء».

ومما يزيد هذا الموقع الشرقيّ للبلقاء وضوحًا وتحديدًا أن نذكر عددًا من المواقع التي ذكر بعض الجغرافيين العرب أنها من البلقاء، أو من نواحيها. فمن ذلك ما ذكره الحميري من قوله(10): «مآب بالشام من أرض البلقاء...» وقوله(11): «بلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء...»، وكان ياقوت قد قال(12) عن مآب: «مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء». وقال عن مؤته(13): «قرية من قرى البلقاء في حدود الشام...». وقال عن مَشَارِف(14) «... بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف». وقال عن معان(15) «... معان البلقاء... وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء...». وقال عن الكرك(16): «اسم لقلعة حصينة جدًا في أطراف الشام من نواحي البلقاء في جبالها...». وقال الحميري عن الحُمَيْمة(17): «بلفظ التصغير، قرية من كور دمشق من أعمال البلقاء». وقال ياقوت عن «الشَّراة»(18): «وبالبلقاء مدينة الشَّراة، شراة الشام، أرض معروفة». وقال(19): «والشراة أيضًا: صُقْع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحُمَيْمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب في أيام بني مروان». وقال أبو عبيد البكري (ت:487هـ) عن أذْرُح(20): «مدينة تلقاء الشراة من أداني الشام...»، وقال ياقوت عنها(21) «...اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء. قال ابن الوضَّاح: هي من فلسطين. وهو غلط منه... وبأذْرُح إلى الجَرْباء كان أمر الحَكَمين...».

وهذه المواقع كلها في جنوبي المملكة الأردنية الهاشمية، وبعضها، مثل «الحميمة»، في أقصى الجنوب ليس بينها وبين خليج أيلة (العقبة) على بحر القلزم إلا أميال قليلة. وهي كلها كذلك تقع في «الصف الرابع» بحسب تعبير المقدسي إلى الشرق من الأغوار.

أما المواقع التي ذكر هؤلاء الجغرافيون أنها في البلقاء، وتقع الآن في منتصف المملكة الأردنية الهاشمية، فمنها: «الرَّقيم»، قال الإصطخري (ت: 346هـ)(22): «وأما رقيم فإنها مدينة بقرب (!) البلقاء، وهي صغيرة، منحوتة بيوتها كلها، وجدرانها من صخر كأنها حجر واحد». وقال ياقوت (23): «وبقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له: الرقيم. وقال غيرهم إن بالبلقاء بأرض العرب من نواحي دمشق موضعًا يزعمون أنه الكهف والرقيم قرب عمّان». وهذا الموضع هو بلدة معروفة الآن باسم «الرحيب» على عادة بعض العرب في قلب حروف معينة، وفيها آثار يتداول الناس أنها قبور أهل الكهف. وقال ياقوت عن «زَيْزاء»(24): «من قرى البلقاء وفيها بِرْكة عظيمة...». ولا تزال هذه القرية وبركتها قائمتين في جنوبيّ عمان ويسمّونها «زيزياء» وأحيانًا «الجيزة» وهو ما أصبح الاسم الرسمي لها. وقال ياقوت عن القسطل(25): «وقسطل موضع قرب (!) البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة، قال كُثَيِّر:

سقى الله حيًّا بالموقَّر دارُهمْ

إلى قسطل البلقاء ذات المحارب».

ومع أن الشاعرالأمويّ يضيفها إلى البلقاء ويجعلها منها، فإن ياقوتًا يضعها «قرب البلقاء»! وهي لا تزال قائمة إلى اليوم بين

عمّان ومطارها. و«الموقر» التي ذكرها كُثيِّر، معروفة مشهورة بهذا الاسم إلى اليوم، وقد قال عنها ياقوت(26): «... اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق...»، ثم يقول عن أحدهم إنه: «من أهل الموقّر: حصن بالبلقاء...».

وهذه المواقع ـ فضلاً عن أنها تقع في منتصف المملكة الأردنية الهاشمية بالقرب من مدينة عمّان التي ذكر ياقوت أنها «قصبة البلقاء» ـ فهي كلها أيضًا تقع في «الصف الرابع» إلى الشرق من الأغوار، بحسب تعبير المقدسي.

فإذا تركنا جنوبيّ البلقاء ووسَطها، واتجهنا إلى الشمال، وجدنا مدينة جَرش التي يقول عنها ياقوت(27): «... وهي في شرقي جبل السواد من أرض البلقاء...». وجرش الآن مدينة كبيرة يؤمها السياح لرؤية آثارها. ثم نوغل في الشمال حتى نشارف الحدود السورية فنجد «أذرعات» التي يقول عنها ياقوت(28): «بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمّان... قال أبو القاسم: أذرعات مدينة بالبلقاء...». وقال الحميري كذلك(29): «... أذرعات: مدينة بالبلقاء». وأذْرِعات تُعْرَف اليوم باسم درعا وهي بلدة الحدود السورية من ناحية المملكة الأردنية الهاشمية.

فعند هؤلاء الجغرافيين تمتد البلقاء من الحُمَيـمَة في أقصى الجنوب، وكانت مركز الدعوة العباسية السِّرِّيّة، وهي بعد عقبة أيلة المعروفة اليوم برأس النقب قرب خليج العقبة على البحر الأحمر. ثم تمتدّ إلى أذرعات في أقصى الشمال. وتقع البلقاء على سيف البادية، على المرتفعات شرقيّ الأغوار. وهذه هي المملكة الأردنية الهاشمية بحدودها التي نعرفها اليوم، إذا كانت «أذرعات» هي «درعا» أوّلَ الحدود السورية من جهة شمالي الأردن. ومع ذلك فإن البلقاء في يومنا هذا إحدى محافظات المملكة الأردنية الهاشمية، وعاصمتها السلط، وتقع إلى الغرب من عمّان وتشمل جزءًا من الأغوار.

ومما يحسن التنبه له في هذا المجال أن لفلسطين والأردن نوعين من التقسيمات: تقسيمات عسكرية سياسية هي التي سُمِّيتْ الأجناد. وهي تقسيمات خاصة بحركة الجيش الإسلامي في زحفه من الحجاز إلى الشمال. فكان الجُندُ الأول هو جندَ فلسطين، وكان الجند الثاني جندَ الأردن(30). وكان امتداد كل من هذين الجندين امتدادًا أفقيًا عَرْضيًا غربًا وشرقًا، فعمان(31) ومعان مثلاً من جند فلسطين، وطبرية وصور مثلاً من جند الأردن. وكنت قد استخرجت كل ذلك من كتب الجغرافيين العرب في عام 1956م، أي قبل أربعين سنة، ووصفت هذه التقسيمات الأفقية العَرْضية، ونشرته في كتابي «الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن».

والنوع الثاني: تقسيمات جغرافية طبيعية، لها امتداد طولي عمودي من الشمال إلى الجنوب. كذلك هي البلقاء على ما وصفنا. وكذلك هي الأغوار التي تُسمّى عند الجغرافيين العرب «الأردن» في التقسيم الجغرافي الطبيعي. وكذلك هي فلسطين التي تمتد من رفح في الجنوب إلى اللجُّون في الشمال. قال ياقوت(32): «... أولها رفح من ناحية مصر وآخرها اللجُّون من ناحية الغور...». وكان المقدسي قد قال(33): «اللجُّون مدينة على رأس حدّ فلسطين في الجبال...».

فهل أنا مصيبٌ في فهمي لما ذكره هؤلاء الجغرافيون إذا ذهبت إلى أن «جند الأردن» هو غير «الأردن» فالأول تقسيم عسكري سياسي إداري وهو تقسيم أفقي عَرْضي، ويقع شماليّ جند فلسطين. أما «الأردن»، فتقسيم جغرافيّ طبيعي يُقْصَد به جزء من الغور وهو الجزء المتمشّي مع نهر الأردن نفسه ويمتد امتدادًا طوليًا من الشمال إلى الجنوب. و«جند فلسطين» تقسيم عسكري سياسي إداري أيضًا، وهو أول أجناد الشام من ناحية الحجاز. أما «فلسطين» وحدها فتقسيم جغرافي طبيعي يمتدّ طوليًا من الشمال إلى الجنوب. وعلى هذا نفهم تقسيمات المقدسي الأربعة التي سمّاها «صفوفًا»، وعلى هذا نفهم أيضًا قوله(34): «ويلي كورة فلسطين من جهة المشرق كورة الأردن». وإلا لو كان يقصد «جند» الأردن لكان يلي «جند» فلسطين من جهة الشمال وليس المشرق. ولكن ياقوتًا يجمع ـ في الموضع الواحد ـ بين «كورة» و«جند» فيقول عن فلسطين(35): «وهي آخر كُوَر الشام من ناحية مصر ...»، وبعد ثلاثة أسطر يقول: «وقيل في تحديدها: إنها أول أجناد الشام من ناحية الغرب(!!)... وزُغر ديار قوم لوط وجبال الشراة إلى أيلة كله مضموم إلى جند فلسطين...». فهل «كورة» و«جند» بمعنى واحد؟ وكيف يكون «جند» فلسطين أولَ أجناد الشام من ناحية الغرب؟ وليس من ناحية الشمال (شمالي الحجاز)! وقد ذكر ياقوت نفسه أن «عمّان» من مشهور مدن فلسطين، وعمّان تقع إلى الشرق على «سيف البادية»(36) في «الصف الرابع».

ولم أستطع تفسير هذا التداخل في التسميات وفي المواقع إلا على أساس واضح من التمييز بين التقسيم العسكري السياسي أو الإداري والتقسيم الجغرافي الطبيعي، وكذلك التفرقة بين «كورة» و«جند»(37). ومع ذلك فالموضوع لا يزال محتاجًا إلى مزيد من البحث والتدقيق، لتأكيد ما ذهبتُ إليه، أو لتغييره وتفسير هذا التداخل تفسيرًا آخر يوضّح الصورة ويجلو اختلاف التسميات والمواقع.

وعمّان، قصبة البلقاء، وعاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، وصفها المقدسي بأنها(38): «على سيف البادية ذات قرى ومزارع، رستاقها البلقاء، معدن الحبوب والأغنام، بها عدة أنهار وأرحية يديرها الماء، ولها جامع ظريف بطرف السوق، مفسفس الصحن، وقد قلنا إنه شبه مكة(39). وقصر جالوت على جبل يُطل

البلقاء وقصبتها عمّان

في كتب الجغرافيين العرب

عليها. وبها قبر أوريّا عليه مسجد، وملعب سليمان، رخيصة الأسعار، كثيرة الفواكه، غير أن أهلها جُهَّال، وإليها الطرق صعبة(40) !». وقد كرر وصفه لأهل عمّان في الفصل الذي عقده بعنوان «ذكر الخصائص في الأقاليم» تتبّع فيه صفات أقاليم العالم المعروف عنده، وذلك قوله(41): «... وليس أكثر ولا أرذل من مذكِّري نيسابور، ولا أطمعَ من أهل مكّة، ولا أفقر من أهل يثرب، ولا أعفّ من أهل بيت المقدس... ولا أجهل من أهل عمّان...».

ثم يصفهم وصفًا آخر بقوله(42): «... وأهل طبرية ونصف نابلس وقَدَس وأكثر عمّان شيعة ولا ماء فيه لمعتزلي إنما هم في خفية...». ثم يقول عن أنواع التجارة والبلاد التي تُجلب منها(43): «ومن عمّان: الحبوب والخرفان والعسل...». ويصف مكاييلهم بقوله(44): «ومُدْيُ(45) عمّان ستّ كيالج(46). ويتحدث عن موقع عمّان في طريق الحج فيقول(47): «... وأما طريق تبوك فتأخذ من عمّان إلى معان مَنْهَلَين ثم إلى تبوك مثلهما... وأما طريق وُبَير فتأخذ من عمّان إلى وُبَيْر ثلاثة مناهل... وهذه المحجّات الثلاث طرق العرب إلى مكة، وفيها كان بريد ملوك بني أمية وقت كونهم بدمشق، وإياها سلكت جيوش العُمَرَين وقت فتح الشام. وهنّ قريبات آمنات، أصحابها بنو كلاب، ويصحبهم كثير من أهل الشام يجتمعون في عمّان. وقد سلكتُها غير مرّة...».

ونقل ياقوت وصف المقدسي لعمّان ورستاقها البلقاء، ولأنهارها وجامعها وقصر جالوت (48)، مع تغيير يسير في بعض الألفاظ، وأضاف - بعد الوصف - ستة أبيات للأحوص عبد الله بن محمد الأنصاري (ت: 105هـ) مطلعها:

أقول بعمّان وهل طربي به
إلى أهل سَلْعٍ، إنْ تَشوّقتُ، نافعُ

وثلاثة أبيات للخَطيم العُكْلي اللص، مطلعها:

أعوذ بربّي أن أرى الشام بعدها
وعمّان ما غنّى الحَمامُ وغرَّدا

ولم يذكر أبو عبيد البكري (ت: 478هـ) شيئًا ذا غَناء عن عمّان؛ إلا أنه أورد بيت الفرزدق (ت:110هـ)(49):

فحبُّكَ أغشاني بلادًا بغيضةً
إليَّ، ورومِيًا بعمّانَ أقشرا(50).

سامح الله الفرزدق.

ونقل ياقوت «عن بعض اليهود أنه قرأ في بعض كتب الله» ...تفسيرًا إسرائيليًا لاسم عمّان. وهو تفسير بعيد من الحقيقة، وقد عقّب على ذلك بقوله: «وهذا كما تراه، ونقلته كما وجدته، والله أعلم بحقّه من باطله!». واسم عمان مأخوذ من اسم قبيلة عربية سكنتها منذ عصور قديمة هم العمونيون.

وقد تعرضت عمّان للدّمار مرارًا في تاريخها الطويل(51)، وكان يعاد بناؤها في كل مرة. فقد خضعت لحكم «بطليموس المصري خلال جزء من القرن الثالث ق.م... وأعيد بناؤها وسمّيت فيلادلفيا على اسم بطليموس فيلادلفوس الثاني (383- 346ق.م)... وبعد الفتح الروماني (نحو سنة 30 ق. م) أعيد تخطيط المدينة وبناؤها على مقياس واسع...»(52).

وفي الإسلام أعيد بناؤها مرارًا أيضًا. فقد ذكر ابن قاضي شهبة (ت: 851هـ) في حوادث سنة 757هـ (53) أن الأمير سيف الدين صَرْغَتْمش اشترى «عمان من البلقاء، اشتراها من بيت المال، ورسم بعمارتها، فعُمِّر منها جانب ونُقل إليها الولاية والقضاءُ من حُسبان. وهي بلد قديم لها ذكر في الأشعار».

وفي حوادث سنة 761هـ أن كُجْكُنَّ بن الأقوش الجُوكنداري «وُلِّيَ نيابة الأمير صَرْغَتْمش وعَمَّر له مدينة عمّان»(54).

وفي حوادث رجب من سنة 797 هـ قال(55): «وفيه اشترى نائب الشام مدينة عمّان بالبلقاء من وكيل/ورثة بلوط. وكانت انتقلت إليه من صَرْغَتْمِش، وكان انتقل لنائب مصر الأمير سُودُون منها جزء من التراب فباع أيضًا وكيله، وغرم النائب على عمارتها وإعادتها على ما كانت عليه أيام صَرْغَتْمش. وكان قد اشتراها من بيت المال وبناها له نائب كُجْكُنّي في سنة سبع وخمسين ولم تكمُل عِمارتها، لكن سُكِنت ونقل إليها القاضي والوالي وأهل سوق حُسبان وجماعة منهم ومن تلك البلاد، وصارت أمَّ البلاد كما كانت قديمًا».

ونعود إلى نصّ المقدسي الذي نقله عنه ياقوت، ونقف عند بعض ما ورد فيه لنجد عمّان في أيامنا الحديثة هذه قد تغيَّرت عمّا وصفها به المقدسي، عن عِيانٍ ومشاهدة في زمانه، حتى إن المرء حين ينظر إلى حاضر عمّان يظن أن المقدسيّ وصف بلدة أخرى، أو أنه أخطأ في الوصف. ولكننا إذا رجعنا إلى ما يزيد قليلاً على ستين سنة، إلى سنة 1933م، وهي السنة التي جئت فيها مع أسرتي من معان إلى عمّان، لوجدنا أنّ المقدسي كان في الغاية من الدقّة والضبط في وصفه عمّان. فقد كانت حقًا ذات قرى ومزارع ملاصقة لها، ومحيطة بها، وقد تبتعد منها قليلاً ولكنها تظل متصلة بها. ومنذ تلك السنة حتى الآن أخذ العمران يزحف على تلك المزارع حتى طغى عليها، فاندثرتْ أو كادت. ولا يزال الذين تجاوزوا الخمسين من أعمارهم يذكرون تلك المزارع وأنها حقًا كانت «معدن الحبوب والأغنام»!

أما أنهار عمّان - التي ذكرها المقدسي - فيبدو أنها كانت معروفة منذ العصور القديمة، فقد كانت توصف في زمن النبي (الملك) داود بأنها «مدينة المياه» لكثرة الينابيع الغزيرة التي تتفجر حولها(56)، والتي استمرت تسقي أهلها إلى ما يقرب من منتصف القرن الحالي. وقد شهدت في طفولتي - حين سكنّا عمّان - سيلين كبيرين يتدفقان معظم شهور الشتاء من غربي عمّان (في

البلقاء وقصبتها عمَّان
في كتب الجغرافيين العرب

وادي عبدون) ومن شماليها الغربي (في وادي صقرة) ويجرفان في طريقهما كثيرًا من البيوت والمتاجر، ويصبّان مع ما ينضمّ إليهما من سيل «رأس العين» في مجرى السيل الرئيس في وسط المدينة؛ فتتدفق مياهه ويفيض على حِفَافَيْهِ، فيغرق كثيرًا من البيوت والمزارع حوله، ويستمر تدفقه صيفًا وشتاءً، طوال السنة، مع تقارب في غزارة مياهه، مارًا ببلدة «الرصيفة» ثم ببلدة «الزرقاء». وكنا ونحن أطفال نصيد فيه السمك ونشاهد البطّ يسبح فيه.

وقد حُفِر نفق في الشوارع الرئيسة في عمّان ليستوعب مياه السيل القادم من وادي صقرة، ثم سُقِفَ هذا السيل، فأمن الناس شرّ تدميره لما على جانبيه من منازل ومتاجر. وكانت هذه المتاجر تنصب ألواحًا خشبية مستعرضة لتمتص جزءًا من ماء السيل وتحول دون اقتحامه تلك المتاجر، ثم سقف مجرى السيل الرئيس في وسط المدينة.

ومثلما تقلصت مزارع عمان وقراها وطغى عليها العمران، أراد الله، سبحانه وتعالى، لهذه السيول أن تجفّ ولمياهها أن تشحّ. حتى تغيّرت صورة عمان الحالية عما وصفها به المقدسي ونقله عنه ياقوت. وأصبحت عمان اليوم تعاني أزمة خانقة من قلّة الماء الذي يُمَدّ إليها من أماكن بعيدة.

أما ذلك الجامع الذي وصفه المقدسي بأنه «جامع ظريف بطرف السوق مفسفس الصحن... وقد قلنا إنه شبه مكّة... في شعب واد...» فلا يزال قائمًا، وقد أحاطت به الأسواق، في شعب الوادي، في طرف سوق عمان القديمة، وقد تهدم مرارًا وأعيد بناؤه، ولا يزال له بهاؤه وأصالته بصحنه الجميل. وكان يسمّى في طفولتنا بالجامع العمري، ويعرف الآن بالجامع الحسيني.

وأما ما ذكره المقدسي من «قصر جالوت على جبل يطل عليها» فهو قلعة عمان التي بنيت منذ عصور قديمة، وكشفت الحفريات الأثرية الحديثة عن عدة طبقات أهمها: الطبقات الرومانية والبيزنطية والأموية. وأما ملعب سليمان فهو المدرج الروماني الكبير الذي لا يزال قائمًا وقد رُمِّمَ ترميمًا أصبح معه مكانًا لأنواع من النشاط الثقافي.

وأما الطرق إليها فقد أصبحت معبدة ميسرة للسالكين، وأما «أن أهلها جهال»؛ فيبدو أن المقدسي لم يجد فيها حين زارها مرارًا - كما ذكر - أحدًا من علماء الحديث أو الفقه أو التفسير أو الفلك أو غير ذلك من علوم عصره في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

وبعد؛

فقد اختصرت الكلام اختصارًا وقصرته على «عمّان» من مدن «البلقاء» وقراها التي ذكرها الجغرافيون العرب. وعسى أن يعين الله سبحانه وتعالى على استكمال ما لم أستكمله في هذه الدراسة، له الحمد وبه التوفيق.

الهوامش:

(1) ياقوت، معجم البلدان (عمّان).
(2) ص 96، وانظر كذلك ص 164.
(3) كتاب البلدان: 105.
(4) معجم البلدان (البلقاء).
(5 – 7) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: 175، 186، 187.
(8) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: 187 – 188.
(9) المصدر السابق: 189.
(10) الروض المعطار: 517.
(11) المصدر السابق: 565.
(12 – 16) معجم البلدان: (مآب، مؤتة، مشارف، معان، كرك)
(17) الروض المعطار: 199 – 200.
(18) معجم البلدان (البلقاء).
(19) المصدر السابق (الشراة).
(20) معجم ما استعجم (أذرح).
(21) معجم البلدان (أذرح).
(22) المسالك والممالك: 47.
(23 – 28) معجم البلدان (الرقيم، زيزاء، القسطل، الموقر، جرش، أذرعات).
(29) الروض المعطار (أذرعات).
(30) وأجناد الشام خمسة، بقيتها: جند دمشق وجند حمص وجند قنّسرين.
(31) أحسن التقاسيم: 154، 155 ومعجم البلدان (فلسطين).
(32) معجم البلدان (فلسطين).
(33) أحسن التقاسيم: 162.
(34) المصدر السابق : 377.
(35) معجم البلدان (فلسطين).
(36) معجم البلدان (عمان).
(37) حدّد ياقوت في مقدمة معجم البلدان (1: 36- 39) هذين المصطلحين مع غيرهما من المصطلحات الجغرافية للمواقع، فقال: «الكورة كل صُقْع يشتمل على عدة قرى، ولابدّ لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمُها ذلك اسم الكورة...»، وقال: «... سَمّى المسلمون كل واحد من أجناد الشام جندًا؛ لأنه جمع كُوَرًا، والتجنُّد على هذا: التجمع. وقيل سمّى المسلمون لكل صقع جندًا يجند عُيِّنوا له يقبضون أعطياتهم فيه منه...»، وقال: «... ولم يبلغني أنهم استعملوا ذلك في غير أرض الشام». فالجند أكبر من الكورة وأوسع.
(38) أحسن التقاسيم: 175.
(39) وذلك قوله: «مكة... خُطّتْ حول الكعبة في شعب واد، رأيت لها ثلاث نظائر: عمّان بالشام واصطخر بفارس وقرية الحمراء بخراسان» (ص: 71).
(40) في الأصل «الصعبة» واخترنا ما في ياقوت نقلا عن المقدسي.
(41 – 44) أحسن التقاسيم: 34، 179، 180، 181.
(45) «المُدْيُ (بالضم): مكيال للشام ومصر، وهو غير المُدّ، ج: أمداء» القاموس المحيط.
(46) جمع كيلجة، وتقديرها صاع ونصف (أحسن التقاسيم: 181). والصاع النبوي وزن ما فيه من القمح بموازين اليوم كيلوان ونصف الكيلو.
(47) أحسن التقاسيم: 249 – 250.
(48) معجم البلدان (عمّان).
(49) معجم ما استعجم (عمّان).
(50) يمدح الفرزدق سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة، وقبل هذا البيت:

فما كنتُ عن نفسي لأرحل طائعًا ... إلى الشام حتى كنتَ أنتَ المؤمّرا
فلما أتاني أنها ثبتت له ... بأوتاد قَرْمٍ من أمية أزهرا
نهضتُ بأكناف الجناحين نهضةً ... إلى خير أهل الأرض فرعًا وعُنصرًا
فحبُكَ... (البيت)

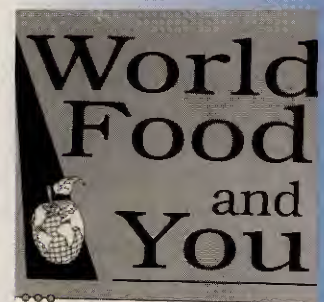
والأقشر: الأحمر.
(51) انظر: لانكستر هاردنج، آثار الأردن، تعريب سليمان موسى: 68 – 73، منشورات وزارة السياحة والآثار، عمان، الأردن 1971م.
(52) لانكستر هاردنج، المرجع السابق: 72.
(53) تاريخ ابن قاضي شهبة 2/3: 99، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق 1994م، وقد دلني على هذا النص والنص الذي برقم (55) في هذه الحاشية الصديق الأستاذ إبراهيم شبوح.
(54) المصدر السابق 174.
(55) المصدر السابق 3 : 550، دمشق 1977م.
(56) لانكستر هاردغ: 70.

المصادر والمراجع:

1- الإصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (346هـ)، المسالك والممالك، دار القلم، القاهرة، 1961م.
2- البكري الأندلسي، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد (487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، نشر المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1945م.
3- الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري (نحو: 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط: 2، 1980م.
4- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (365هـ)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ/1885م.
5- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد الأسدي (851هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبة، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1994م.
6- لانكستر هاردنج، آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، منشورات وزارة السياحة والآثار، عمان، الأردن 1971م.
7- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي البشاري (نحو 380هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1909م.
8- ياقوت، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (626هـ). معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1954م – 1955م.

نحن والعالم والغذاء

المشكلة الغذائية، وما يتفرع منها من قضايا تتعلق بالسكان والزراعة والمياه والطاقة والتصحر، هي من أهم ما يشغل العالم اليوم.
وقد تمت معالجة هذه المشكلة، بتوسع واستفاضة في كتاب صدر عام 1994م في الولايات المتحدة باللغة الإنجليزية تحت عنوان «الغذاء العالمي وأنت». وتتطلّع نان انكلسباي، مؤلفة هذا الكتاب، إلى تطوير منهج عالمي لفهم المبادئ والأسس العلمية والتقانية والبيئية والتفاعلات النشطة ـ الديناميةـ التي تنطوي عليها ظاهرة الغذاء، بما في ذلك إنتاجه وصناعته وتسويقه.



تأليف:
نان انكلسباي
عرض وتحليل:
ياسر الفهد

يقع الكتاب في أربعة أقسام تضم 444 صفحة، تتناول بالدراسة قضايا جمة، تتعلق بالغذاء والسكان والإنتاج الزراعي والمساعدات الغذائية والتأثيرات البيئية ومستقبل البشرية وغير ذلك. وترى المؤلفة أن الغذاء الذي يتضمن العناصر الأساسية اللازمة لاستمرار حياة الأجناس البشرية والحيوانية والنباتية، هو ظاهرة معقدة متعددة الجوانب ذات خصائصَ ومعانٍ مختلفة. وهي تؤثر في حياة كل إنسان ومستقبلهُ من عدة وجوه، ناهيك عن كونها ظاهرة اقتصادية، ومن أكبر الصناعات الأساسية في الكثير من الدول. وقد غدت الآن عنصراً لإثارة الخلاف بين الدول، مما يضفي عليها أبعاداً وصبغة سياسية أيضاً. وتبيِّن انكلسباي أن العادات الغذائية، عند شعوب العالم، قد مرت خلال العقد السابق بتغيرات مفاجئة مثيرة ـ دراماتيكية ـ؛ ففي الدول المتطورة ارتبط التغير في النماذج الغذائية بازدياد تنوع الأغذية المتوافرة وارتفاع كميات المستوردات الغذائية.

أما في الدول النامية، فقد أدى هذا التغير إلى إحداث تأثيرات معاكسة في نوعية الغذاء اليومي لسكان هذه الدول، باستثناء النخبة منهم. وأظهرت إحدى الإحصاءات أن زهاء ٢٥٪ من السكان في الدول الغنية، يستهلكون قرابة 80٪ من الموارد الغذائية العالمية.

تكاثر السكان

وترى المؤلفة أن أكبر خطر يهدد الموارد الغذائية استمرار تكاثر سكان العالم. فهناك قرابة 90 مليون نسمة من السكان الجدد كل عام. وتشير التقديرات إلى أن كل عشر ثوان تحمل معها ميلاد أكثر من 30 طفلا. وتبين تكهنات أخرى أن سكان الدول النامية، سيبلغون في مطلع القرن القادم، 4,6 بلايين نسمة مقابل 1,3 بليون نسمة للدول الصناعية، مع الأخذ بعين الحسبان، أن أعداداً متزايدة من الناس يتركون الدول النامية، ويحاولون الاستقرار في الدول الصناعية، للعمل أو للجوء.

ويرافق التفجرَ السكّاني انخفاض احتياطي

الأراضي الصالحة للزراعة في العالم، بمقدار هكتار واحد كل 14 ثانية. وهذا الوضع لا يمكن أن يستمر، إذ لا بد من لجم تكاثر السكان بشتى الطرق، ولا سيما من خلال تعميم المعلومات والإرشادات حول ضبط النسل والتخطيط العائلي، وإلا فإن مزيداً من المعاناة الغذائية سوف تلحق بالبشرية. ويطلق المختصون على هذه المعاناة اسم الجوع. وهم يختلفون في شأن تحديد هوية الجائعين، ومناطق تجمعاتهم، وأحسن الطرق لمساعدتهم. وفي رأيهم، أن المشكلة الغذائية تتجلى في الناحية الكمية أكثر من النوعية، لأن معظم الأغذية يحتوي على المستلزمات البروتينية التي يحتاج إليها الجسم لتوليد الطاقة، وأحد أسباب سوء التغذية هو الفقر، الذي يهيمن على المناطق الريفية أكثر من المراكز المدنية؛ ولكن حتى في المدن، فإن الناس يعانون من آثار التضخم والبطالة والنكسات الاقتصادية واعتماد الكثيرين منهم على الدخل المحدود، ناهيك عن سوء أوضاعهم الصحية، بالموازنة مع أوضاع أهالي الريف، نتيجة للاكتظاظ السكاني والحاجة إلى الهواء النقي. وتصل حالة الجوع إلى أوجها في المجاعات التي تحدث نتيجة للكوارث الطبيعية التي لا يمكن التنبؤ بها أو السيطرة عليها. وهناك أسباب أخرى، اجتماعية وسياسية للمجاعات. وهي اليوم، كما تبين الإحصاءات، أكثر مما كانت عليه في بداية التسعينيات.

الإنتاج الزراعي والمياه

ويولي الكتاب الزراعة اهتمامًا بالغًا نظراً لدورها الأساسي في إنتاج الغذاء. وأهم عامل في هذا المجال توافر المياه. وقد تضاعف استهلاك الماء فيما بين 1940م و1980م. ومن المتوقع أن يتضاعف مرة أخرى حتى عام 2000م. وتعاني زهاء ثمانين دولة، اليوم، من شح المياه. وفي أقطار مثل إثيوبيا وموزمبيق، لا يحصل سوى قرابة 15٪ فقط من السكان، على ماء الشرب النقي.

وتلخص انكلسباي مشكلات الإنتاج الزراعي، بالإضافة إلى نقص المياه بملوحة التربة التي تفضي إلى تراكم الأيونات السامة، وإلى الحد من الإفادة من المياه، وبنقص الطاقة الذي يؤدي إلى عرقلة إنتاج الأسمدة ومبيدات الحشرات التي تدخل في صناعتها مواد نفطية.

أما العوامل التي تسهم إيجابيًا في تحسين الإنتاج الزراعي، فتذكر المؤلفة منها: توافر الماء والتربة والمعادن والكربون، والحماية من الحشرات. وهي تعلق أهمية خاصة على الأبحاث الزراعية والعلوم والتقانة الغذائية، مبينة أنه، من دونها، لا يمكن تحقيق المطامح الغذائية العالمية، وعلى رأسها مضاعفة المحصول الزراعي حتى عام 2035م. وتنفق الدول الصناعية، اليوم، من 2 إلى 3 بالمئة من دخلها القومي الصافي على الأبحاث الخاصة بالزراعة والغذاء.

أما الدول النامية فإنها تنفق في هذا المجال، أقل من ذلك بست مرات. وقد أدت الأبحاث الغذائية في الولايات المتحدة إلى:

- ارتفاع معدل سني الحياة.
- انخفاض نسبة وفيات أمراض القلب بمقدار 20٪.
- هبوط معدل الوفيات الناجمة عن مرض السرطان.
- تراجع عدد وفيات الأطفال.
- زوال أمراض الطفولة المُعدية.

ويعود بعض الفضل في ذلك إلى إنتاج الأغذية المصنعة التي لا تحتوي إلا على كميات ضئيلة من الدسم. وبصورة عامة، فإن تطور الثقافة الغذائية في العالم، قد أسفر عن تحسن نوعية المواد الغذائية وعن تخفيض أسعارها، وكذلك عن القضاء على الكثير من أمراض سوء التغذية. كما أن تطور التقانة قاد إلى تقدم أساليب تعليب الأغذية المصنعة وحفظها وتوزيعها وسلامتها وملاءمتها الشروط الصحية.

المساعدات الغذائية

من المسائل التي تعرضت لها المؤلفة بإسهاب، موضوع المساعدات الغذائية الخارجية. وهي تبدأ بتحليل أوجه المشكلة الغذائية التي تتجلى في:

- المجاعات الواسعة النطاق.
- التفاوت الأساسي في مستويات استهلاك الغذاء، بين الدول، وداخل كل دولة.
- وجود نقص غذائي كبير في بعض الدول، وفائض منه في دول أخرى.
- التباين في مستويات الإنتاج الزراعي.
- التذبذبات الواسعة في أسعار الغذاء في الأسواق العالمية.
- النضوب العالمي التدريجي لبعض الموارد الزراعية، مثل الأراضي الصالحة للزراعة والماء النقي والتربة الفوقية.

وترى انكلسباي أن المساعدات الغذائية الخارجية تسهم إلى حد كبير في مواجهة هذه المشكلات. ويعد القانون الأمريكي رقم 480 المسمى بقانون: الغذاء من أجل السلام حجر الزاوية في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الدول النامية. وفي الوقت الحاضر، لا ترمي مثل هذه المساعدات إلى سد العوز الغذائي والتعويض عنه،



بقدر ما ترمي إلى تحقيق النمو الاقتصادي والأمن الغذائي، وتحسين الإنتاجية، والتشجيع على الاستثمار في القطاع الريفي، وسدّ العجز في موازين المدفوعات، وتحويل الدخل لصالح سكان مختارين مستهدفين، في الدول المتلقية للمساعدة. ويمكن تقديم المساعدات الغذائية في شكل قروض، أو هبات، أو مبيعات بأسعار منخفضة، من قبل حكومات أو مؤسسات دولية، أو وكالات خيرية أو أشخاص. ويستحسن ألا تتخذ شكل مساعدات مالية لئلا تستخدم في مجالات أخرى كشراء السلاح. ولابد من تنسيق المساعدات الغذائية مع المساعدات الصحية والفنية.

ويذكر الكتاب من الدول الواهبة للمواد الغذائية: الولايات المتحدة والسوق الأوروبية وكندا وأستراليا واليابان، ومن الدول المتلقية: دول آسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وإفريقية. أما أهم المواد الغذائية التي تدخل ضمن المساعدات، فهي القمح والرز والحليب والزبد والجبن والسكر والأسماك والفواكه المجففة والذرة والزيوت النباتية.

وعلى الرغم من الفوائد الكبيرة التي تنطوي عليها المساعدات الغذائية، فإن انكلسباي تحذر من بعض مخاطرها التي تذكر منها:

- أن المساعدات تؤدي إلى إضعاف الضغط الموجه نحو الدول المتلقية من أجل إحداث إصلاح في سياسة التغذية.
- أنها تفضي إلى تخفيض الأسعار الغذائية المحلية، مما يقود إلى تثبيط الإنتاج الزراعي الأهلي، والحد من إدخال تقانات زراعية جديدة.
- لا يمكن الركون إليها بصورة دائمة؛ لأنها تعتمد على الفائض الغذائي لدى الدول الواهبة، وعندما يختفي الفائض، تتوقف المساعدة.
- أنها في كثير من الأحيان، لا تصل إلى أفقر الناس.
- نظرًا لكونها تدار بوساطة مؤسسات حكومية، فهي تعزز سيطرة الدولة على المواطنين.
- أنها تقود إلى تغيير في نماذج الاستهلاك، باتجاه الحنطة والمعجنات، بعيدًا من التنوع.

التأثيرات المناخية

يسلط الكتاب الأضواء على مشكلة مهمة ذات تأثير بعيد المدى في مستقبل الأرض والإنتاج الزراعي؛ والمقصود بذلك التسخن التدريجي في المناخ. وقد ازداد المعدل الوسطي لحرارة الأرض، منذ العصر الجليدي الأخير، بمقدار 5 درجات. وهذه تعد نسبة ضئيلة، إذا وازنّاها بالارتفاع الذي حدث خلال أمد قصير. بدءًا من عام 1899م وحتى عام 1992م وهو بمقدار درجتين. ويتنبأ العلماء بحدوث ارتفاع جديد، بمقدار ثلاث درجات حتى عام 2030م، وبمقدار ست درجات حتى عام 2056م. وهذه الحسابات غير دقيقة. وهناك تقديرات أخرى تختلف عنها، زيادة أو نقصانًا. ومن المتوقع أن يؤدي الارتفاع البطيء في حرارة الأرض إلى ذوبان القبعتين الجليديتين القطبيتين، مما سيفضي، بدوره، إلى ارتفاع مستوى مياه البحار والمحيطات بشكل يهدد المناطق المنخفضة الصالحة للزراعة بالانغمار. ويقدر أن هذا الارتفاع سيكون بمقدار متر واحد تقريبًا في القرن القادم. وتبين المؤلفة أن أكثر من ربع سكان العالم يعيشون ضمن مجال متر واحد من سطح البحر. وهذا معناه أن هؤلاء سيتأثرون جميعًا بهذا الارتفاع المفترض؛ الذي من شأنه أن يسفر عن إغراق مناطق عديدة من بينها ساحل الولايات المتحدة وبنجلاديش وجزر المالديف، ناهيك عن المناطق الأكثر انخفاضًا، ومعظمها صالحة للزراعة. ويقترح العلماء من أجل مواجهة هذه المشكلة بناء سدود ضخمة قادرة على منع مياه البحار والمحيطات من اكتساح الأراضي الزراعية المحيطة بها. ويعود السبب في تسخن مناخ الأرض إلى ازدياد تلوث الجو بالملوثات المختلفة، ولا سيما منها أكسيد الكربون الذي ينطلق نتيجة لحرق الوقود الحفري. وتتحمل الدول الصناعية الكبرى المسؤولية الأساسية في هذا الوضع، ولا سيما الولايات المتحدة التي يقدر أن سياراتها ومعاملها تنفث وحدها ربع أكسيد الكربون الموجود في جو العالم. ويتوقع الكتاب، بالإضافة إلى قلة الأمطار، مزيدًا من المجاعات والكوارث الطبيعية كالأعاصير، في المستقبل، إذا لم تتم مواجهة المشكلة، مشيرًا إلى أن العلماء يدرسون أيضًا الآن مشكلة الدفيئات الزجاجية وتأثيراتها الخطيرة في الجو.

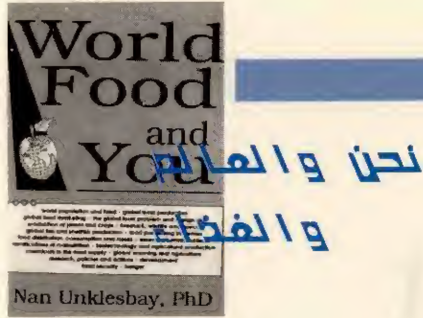
نظرة إلى المستقبل

وتنظر المؤلفة إلى المستقبل نظرة مزدوجة، مشوبة بالقلق والتشاؤم من ناحية، ومترعة بالتفاؤل والأمل، من ناحية ثانية. ومن أجل تغليب الكفة الإيجابية على الكفة السلبية، في مستقبلنا الغذائي، تدعو انكلسباي إلى التوسع في الأبحاث الزراعية والغذائية في مجالات الإنتاج والتوزيع والتسويق والاستهلاك، وتطوير برامج للتنمية تعتمد على تبني سياسات غذائية قائمة على تحليل المعلومات والبيانات تحليلاً علميًا سليمًا. وتستطيع المؤسسات ذات الصبغة الدولية القيام بدور نشط في المجال الغذائي والدراسات المتعلقة به.

ومن هذه المؤسسات: منظمة الغذاء الدولية التي تعنى بقضايا إنتاج الغذاء وأبحاثه، ومنظمة الصحة العالمية التي تهتم بشكل خاص بالنواحي الصحية المتعلقة بالأغذية، والبنك الدولي الذي يساعد في تمويل النشاطات الإنتاجية والغذائية. وتؤكد المؤلفة دور التقانات المتقدمة، ولا سيما تقانة الحاسوب، في الأبحاث الغذائية. ويستخدم الباحثون اليوم، في عدة جامعات متقدمة الروبوتات الآلية لقطف المحصول وحلب البقر وغير ذلك.

أما في مجال التنمية، فالمؤلفة تحث الدول الصناعية والغنية على تأسيس برامج تعاونية للتنمية والتطوير، لصالح الدول النامية، مبينة أن الولايات المتحدة وروسيا، إذا عمدتا إلى تخفيض 10٪ فقط من نفقاتهما العسكرية، تستطيعان أن تنقذا ملايين الناس من الجوع.

إن انكلسباي تتطلع إلى مستقبل تتحول فيه معظم النفقات العسكرية التي تبلغ مئات البلايين من الدولارات نحو إصلاح البيئة وتنظيف الجو والمحيطات ودعم النظم الزراعية، وذلك حتى يختفي الفقر والجوع ويحل محلهما أمن غذائي لجميع الأمم. ويحتاج تحقيق ذلك إلى تعاون وبصيرة نافذة وإعادة توزيع للثروة واتخاذ قرارات شجاعة وحكيمة. وقد بدأت المحافل السياسية في العالم، لحسن الحظ تعي هذه الأمور وتدرك أبعادها الحقيقية.



نحن والعالم والغذاء

البناء الفني والمعادل الموضوعي

في قصص أحمد الشيخ
دراسة في مجموعة: النبش في الدماغ

د. محمد أبو بكر حميد

هناك نوع من الفنانين لاتقدر أن تقرأ لهم بسهولة، ولاتستطيع أن تستمتع بأعمالهم الفنية وأنت في حالة استرخاء، ولاتستطيع أخذها من قبيل التسلية كذلك؛ لأنك تشعر منذ اللحظة الأولى أنك أمام عمل لاتقدر على فهمه إلا بتركيز وبشيء من بذل الجهد وإمعان الفكر، وهو اتجاه قليل الحدوث في الأعمال الأدبية العربية المعاصرة.

الجيل المقهور

هذا ما أحسست به وأنا أقرأ للأستاذ أحمد الشيخ لأول مرة قصصه القصيرة ورواياته، فأنت تحس أن الرجل قد حدد موقعه وضبط اتجاهه وعرف ما يريد منذ البداية. فهو ينتمي إلى جيل بدأ ينشر نتاجه بعد هزيمة ١٩٦٧م المنكرة معايشًا كل حقب الانكسار في تاريخنا العربي. وهو جيل ضاع حقه بين احتفالية النقد بالكبار الذين تملأ أضواؤهم كل المكان، فلا يشعرون بمن يقف إلى جوارهم، والصغار - صغار النفوس - من الواهمين بأحلام المجد والشهرة الذين يثيرون حول أنفسهم الغبار فيؤذون عيون الناس ويحجبون عنها رؤية الفنان الحقيقي في حياتنا الفنية والأدبية المعاصرة.

والأستاذ أحمد الشيخ وثلةٌ من جيله - الذين لايعرفون التطفل على موائد الكبار، ويأنفون من مزاحمة الصغار - هم ضحية مأساة الأدب في عصرنا، ولا يخلو كل عصر من ضحايا. ومع ذلك فإن الظهور الحقيقي لهؤلاء الضحايا لايتم إلا عندما تهدأ الأضواء الكبيرة وتتجاوز الناس معها مرحلة الانبهار، ويتلاشى الغبار وتتضح الرؤية فيظهر الكبير الحقيقي لأنه لايصح إلا الصحيح.

نكهة الحب

كانت هذه الظروف كلها، ظروف العصر وأحوال الجيل التي صنعت «أحمد الشيخ» وبعض أبناء جيله؛ فهم، بحقٍّ، الجيل المقهور، وهم الأدباء الذين يغمسون أقلامهم في مداد المعاناة ليسطروا كلمات تقطر عرقًا وأسى، ولو بحثت عن نكهة الحب في قصصه فلن تجدها إلا منكسرة بائسه، وستجد السعادة مقهورة ومُغتصبة، وستجد أن الناس في قصصه يتحركون ويهمهمون في صمت، فتنطق أفعالهم بمآسيهم، وهم إذا تكلموا تسمع لهم بهدوء ولكنك تشعر أنهم ساخطون على الحياة من حولهم، متذمرون، ولكنهم لايقدرون على عمل شيء في عالم أشبه بعالم مسرحيات تشيكوف مع الفارق.

وقد جعل هذا كله قصاصنا - بالجبر والاختيار معًا - يبتعد من كتابة قصص الحب التي تدغدغ العواطف الرخيصة، أو تلك التي تكون إسقاطًا لتجارب أصحابها أو ما يُراد به تسلية الناس وإضاعة أوقاتهم. إن معظم قصص أحمد الشيخ تصور جوانب معاناة الإنسان المصري في هذا العصر، تشعر بهذا منذ أول سطر فتتنبّه، وبتقدمك في القراءة واستحواذ الموقف على مشاعرك وعقلك تبدأ في الإحساس بالمعاناة تسيل من بين السطور، ويتدفق بها كل حرف، وتصرخ بها كل كلمة. ولهذا اختار الفنان الشكل الفني المناسب لهذه «المعاناة»؛ فمعظم قصصه لا تصف بقدر ما تُصوِّر، والحدث عنده ليس «حوارًا» ولكنه «موقف». وقد كان موفقًا في هذا، لأن «معاناة» الإنسان في بعض الأحيان تفوق الوصف ولا تفي بحقها كلمة؛ فاستعاض أحمد الشيخ بالموقف أو الحدث الناطق بدلاً من الحوار الذي يصف الحدث أو يُوصي به. وقد تعجب عندما تقرأ له قصة لا تسمع فيها إلا بضع كلمات فقط

أو همهمات تتبادلها الشخصيات عبر عدة صفحات. أما كل القصة فتجدها تزدحم بالحدث وبالموقف الذي يفصح عن نفسه دونما حاجة إلى تعليق من الكاتب أو كلام من الشخصية. فالتجسيد الدقيق لتفاصيل الحدث وحيثيات الموقف تجعل أجواء القصة تزدحم بالمشاعر الغنية عن الترجمة، وترى أن الحدث والشخصية في جو التوتر العام من القصة قد تم تعبئته بدقة وحرص للتعبير عن «موقف» محدد، وهو ما سنحاول تعرُّفه من خلال دراسة بعض قصص الأديب الذي حصل - مؤخراً - على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب.

وحدة الموقف النفسي

إن قصة «النبش في الدماغ» التي تتصدر المجموعة القصصية التي تحمل العنوان نفسه تُعدّ أفضل أنموذج لتعرف تقنية البناء القصصي عند أحمد الشيخ، وتُجسِّد - في الوقت نفسه - الرؤية التي ينطلق منها، وهو ما أسميناه «المعاناة» و«الموقف». فهو في مجموعة قصص «النبش في الدماغ» عموماً ينتقل إلى مرحلة جديدة في كتابة القصة القصيرة تختلف عن قصصه التي عرفناها في مجموعاته الأولى مثل «كشف المستور» و «كفر عسكر»، والتي نستطيع أن نسميها قصص المرحلة الأولى، وهي قصص بسيطة التركيب، ينطق كثير منها بضمير المتكلم، ومن ثم يتم النظر للحدث والموقف من زاوية واحدة فقط، هي وجهة نظر بطل القصة الذي يسرد لنا كل شيء.

أما مجموعة «النبش في الدماغ» التي تمثل المرحلة الثانية الأكثر تطوراً، فمن الصعب إخضاعها للتقنية التقليدية للقصة القصيرة، فقصة «النبش في الدماغ» ليس لها بطل محدد، فبطلها هو «الإنسان المقهور»، وليس فيها أحداث متسلسلة نتجت من مسببات بعينها، ربما لأن عالمنا قد ازدحم بالأحداث التي لم يعد لها منطق معقول وشخصية الكاتب الراوية تختفي تماماً لتحل محلها آلة تصوير متنقلة تُصوِّر الأحداث في حالة احتدام، والأشخاص في حالة انفعال. وبناء القصة كلها يقوم على أربع لوحات أو لقطات منفصلة لا تجمعها شخصيات أو أحداث بقدر ما تجمعها وحدة الموقف النفسي، والمعاناة التي تشترك فيها كل الشخصيات؛ وهو ما يمكن تسميته بالقصة المركبة.

ففي اللقطة الأولى «اقتتل رجلان متشابهان في ميدان العباسية استخدم أولهما مدية، في حين استخدم الثاني شفرة حلاقة».

معظم قصص أحمد الشيخ لا تصف الموقف بقدر ما تصوّره، والحدث عنده ليس حواراً ولكنه موقف، وهو شكل اختاره كي يعبِّر به عن معاناة أبطاله التي فاقت الوصف

ويسجل الكاتب كل تفاصيل الحدث من خلال الحركة لا الحوار، ومن دون تدخل منه يترك الموقف يتطور كأننا في فلم صامت؛ إذ ينتهي الحدث إلى لاشيء، فلا أحد يستطيع تعرف الشخصيتين ولا هويتهما تُعرف، ولايبدى الناس أكثر من الفضول. والفضول غير الاهتمام كما هو معروف.

وفي اللقطة الثانية نرى الحدث يبدأ «في الثامنة والنصف إلا خمس دقائق صباحاً وفي ميدان التحرير» نرى رجلاً يحاول أن يشق الزحام ليصل إلى مكتبه في الثامنة والنصف تماماً، وهو يفكر في دفتر الحضور والانصراف. وفجأة يجد نفسه مقبوضاً عليه من رجل آخر، وفي الثامنة والنصف تماماً امتدت يد مدير الشؤون المالية والإدارية في مكتب عمله لتضع بالقلم الأحمر «غ» أمام اسمه.

واللقطة الثالثة «في السابعة مساءً وفي الشارع الخلفي بمستشفى القصر العيني المطل على النيل، والذي يطيب للمراهقين تسميته من باب التباهي وإظهار المعرفة بـ«شارع الحب» تحدث حالة اغتصاب من رجلين كبيرين لبنت كانت تسير مطمئنة مع ولد تحبه.

واللقطة الرابعة تحدث في «أمريكين عماد الدين» حيث جلس شاب في مقتبل العمر يحتسي فنجان شاي وينظر في ساعته، ويتطور الموقف بحضور صديقه، فنان تشكيلي مثله، ونكتشف حالتهما المادية السيئة من خلال ما يدور في ذهن كل منهما، وتشاركهما امرأة عجوز الأول منهما يعرفها، وبمجرد وصولها يغيب ولايعود ليتركها مع زميله. ويتصاعد الموقف إلى مفارقة درامية؛ إذ نرى العجوز تساومه على نفسه وتدفع عنه الحساب، وعند لحظة الانكسار نراه يهرب منها محتقراً نفسه وكل ما حوله.

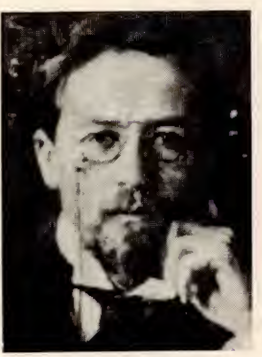
البطل الحقيقي

وهكذا نجد أن «القصة المركبة» عند أحمد الشيخ لاتقوم على تسلسل منطقي للأحداث له بداية ووسط ونهاية؛ وإنما تقوم على مشاهد لا تربط الشخصيات بينها بقدر ما يربطها «الموقف النفسي». فاللقطات الأربع كلٌّ منها يشكل بناءً مستقلاً بذاته، لكن بعد الفراغ من قراءتها جميعاً ندرك الأثر النفسي الذي تتركه في القارئ، وهو أن هذه المشاهد جميعاً تصور معاناة الإنسان مع نفسه ومع المجتمع ومع الحياة.

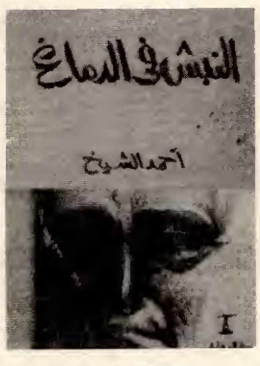
وهنا نجد أن البطل الحقيقي في المشاهد الأربعة هو «الموقف» و«المعاناة» و«التوتر» إذ لاتوجد شخصية محددة الملامح؛ بل هو «الإنسان» ووضعه في لقطات أحمد الشيخ أنه «ضحية». فالإنسان في المشاهد الأربعة لا حول له ولاقوة في كل ما يحدث له. فشخصيات كل مشهد على اختلافها تتعرض للقهر وللاغتصاب والاعتداء من مجهول يستطيع القارئ الحصيف



أحمد الشيخ



تشيكوف



مجموعة «النبش في الدماغ»

البناء الفني والمعادل الموضوعي

في المحصلة النهائية تعرّفه. ومع أن كل لقطة تنتهي بلا نتيجة مريحة، وتترك في النفس فضولاً، فإن هذا الفضول لايكون فقط عنصر تشويق يستخدمه المؤلف، بل يتحول إلى هدف فكري يثير في النفس التساؤل: لماذا يعاني هؤلاء؟!

رصد الواقع

وإذا كانت «المعاناة» هي البطل الحقيقي لقصة «النبش في الدماغ» و«التوتر» جوها النفسي، فإن «الاغتصاب» و«القهر» هما المعادل الموضوعي للوحدة الفنية في هذه القصة. فكل لقطة من لقطات القصة الأربع تُعبِّر بالحركة والإحساس، وليس بالكلمة، عن معاني القهر الذي تعانية الشخصيات ظالمةً ومظلومة. إن اللقطات الأربع ما هي إلا أربع حالات للاغتصاب الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي الذي يعاني منه أبطال القصة. فكل لقطة تُعبِّر عن موقف يُقهر فيه الإنسان ويُغتصب. فاللقطة الأولى تعبير صادق للحدث في حالة احتدام بين رجلين مجهولين، معركة انتهت بلا غالب ولا مغلوب، ومشهد دموي تم أمام الملأ اغتُصب فيه الأمن والحق العام، ولايتدخل أحد من الناس «لم يبق من الرجلين غير جسدين منهارين عاجزين عن متابعة الضربات.. كان الدم ينزف من كلا الجسدين و.. كانت الجموع المحتشدة قد تجرأت الآن وزالت مخاوفها فكونت ما يشبه الدائرة حول الرجلين، وبدون أن يجسر أيهم على الاقتراب من أحد الخصمين كانت الوجوه حذرة ومتوجسة في نظراتها إلى الرجلين، بان في العيون خوف مريب...». وبهذا التصوير الواقعي للمشهد يُحوِّل أحمد الشيخ إدانة الرجلين إلى إدانة المشهد نفسه، إنه يُوجِّه إتهامًا عامًا للناس الذين وقفوا يتفرجون بلا مبالاة. ولو كتب أحمد الشيخ هذه القصة بعد «حادث العتبة» الشهير الذي حاول فيه شاب اغتصاب فتاة في وضح النهار لقلنا إنها من أثر ما حدث، ولكنه حس الفنان ورصده الصادق الأمين للواقع الذي يشعر بمرارته في قلبه، ربما قبل أي انسان آخر. لقد وقفت عواطفنا موقفًا محايدًا من الرجلين، وقد صوّر الكاتب مسوّغات ذلك حين ترك النهاية مفتوحة من دون معرفة أسباب العراك، ولو جعل للموقف نهاية لما أصبح المشهد جزئية من قصة، فضرورات البناء الفني هنا تتضافر لخدمة الموقف الفكري الذي يسجله الحدث.

الاغتصاب المعنوي

واللقطة الثانية تجسيد بالحركة والفعل لاغتصاب حق الإنسان في الأمان والحرية، فالرجل الذي يشق الزحام بغية الوصول إلى مقر عمله ليس حبًا في هذا العمل أو حرصا عليه، وإنما خوفًا من الجزاءات الإدارية التي لا ترحم، ومن وجه السيد مدير الشؤون المالية والإدارية المتجهم دومًا. وكان من الممكن أن يصل إلى عمله في موعده لولا أن رجلاً ـ بلا مقدمات ـ ألقى القبض عليه، وتملكه خوف رهيب صوَّره الكاتب بهذا الموقف.. «... لحظتها بال الكائن الحي والمسمى حمزه عبدالعليم حمزه عاجزًا عن التحكم في روحه أو السيطرة على جهازه التحتي الذي إنساب!» وينتهي الموقف من غير أن نعرف مشكلة حمزة عبدالعليم حمزه أو تهمته أو المكان الذي اقتيد إليه.

ويُختم المشهد بمفارقة درامية ساخرة حين نرى مدير الشؤون الإدارية يسجل بالقلم الأحمر «غياب» أمام اسم السيد حمزة «راضيًا عن نفسه كل الرضا لأنه يقوم بواجبه القومي في مراقبة الحضور والانصراف كما تقضي اللوائح والقوانين، وإلا أصبح الأمر ـ كما يؤكد دائمًا ـ فوضى بين الموظفين، وهم نوع من الناس يخاف بعينه ولا يستحي!!».

وفي اللقطة الثالثة نرى حالة الاغتصاب الجسدي تحدث لبنت تسير بأمان مع ولد تحبه ولاتستطيع فهم هذا الاغتصاب الجسدي إلا في إطار الاغتصاب المعنوي الذي عبَّرت عنه أحداث اللقطة الأولى والثانية، الإنسان الذي يُقهر من مجهول وتُغتصب حقوقه فيأتي انتهاك العرض من مجهول نتيجة طبيعية للاغتصاب المعنوي. وكانت الخاتمة المفتوحة خسارة جسيمة لخَّصها الكاتب بقوله: «... شعر كل منهما أنه لم يعد قادرًا على الاستمرار في السير جنبًا إلى جنب فابتعدا...».

مواقف بلا هوية

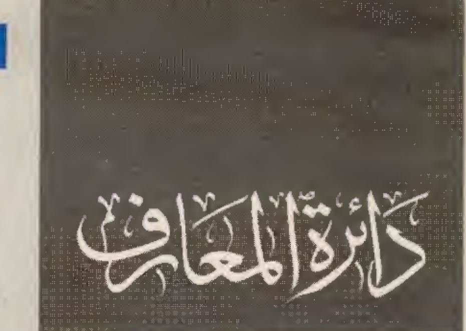
وفي اللقطة الرابعة نواجه حالة اغتصاب عكسية: امرأة عجوز تحاول اغتصاب فنان محتاج، وهي ليست محاولة اغتصاب قهري ولكنه اغتصاب بالرضا.. رضا المغلوب والمحتاج. وهنا يجسِّد أحمد الشيخ عصب المأساة بسخرية لاذعه، فالاغتصاب بالتراضي أسوأ أنواع الاغتصاب، إنه تمامًا يساوي مغازلة المحتاجة التي قد تمنعها حاجتها من قول «لا» إذا لم تكن تعتصم بدين، وبقدر ما يثير المشهد التقزز على مستوى الغريزة فإنه يثير التساؤل ونحن نقرأ «... حسبها في أول الأمر سائلة وها هي تدفع الحساب والبقشيش وتتلقى إطراء الساقي وتهانيه أيضًا في كرم مع هيئتها الرثة.. تخرج به مزهوة وتدع له الخجل وحده.. تتقدمه إلى «التاكسي» بجسارة من يملك.. يهبط متجنبًا الاقتراب من عداد التاكسي تاركًا لها حق الدفع للسائق الذي شيعه بنظرة ساخرة..». صحيح أنه في النهاية يهرب من الاغتصاب الجسدي؛ لكنه كان يعاني مقهورًا من وطء الاغتصاب الروحي والمعنوي الذي وضعه على حافة الاغتصاب الجسدي.

وهكذا نجد الموقف في كل لقطة من لقطات القصة الأربع يبدأ بلا هوية وينتهي مفتوحًا يتضافر ويحتشد لخدمة الموقف الفكري الذي يسجله الحدث في القصة على العموم.

فالأحداث الأربعة لا تنتهي بحكم ولا تُشبع فضول القارئ بنتيجة محددة، فتنتهي المواقف وتنتهي القصة كلها وتظل القضية مستمرة تقول: وبعد؟! وإلى أين؟! ثم ماذا؟!

إنها تجبر القارئ على التأمل والتفكير والتساؤل: لماذا يحدث هذا؟! وهو جواب ليس من شأن المؤلف، وحسب أحمد الشيخ أن أبدع في تصوير: «كيف يحدث هذا؟!»، وقد اقتضته الإجابة عن هذا السؤال النبش طويلاً وكثيرًا في الدماغ بشكل يثير الغضب والعجب!

القصة عند أحمد الشيخ مركبة تقوم على مشاهد، لكنها لا تربط الشخصيات فيما بينها بقدر ما يربطها الموقف النفسي، وهي تصور معاناة الإنسان مع نفسه ومجتمعه



المربون المسلمون 2

إعداد: الزبير مهداد



الطرنباطي

أبو عبدالله مسعود بن أحمد الطرنباطي. فقيه ولغوي مغربي، تولى القضاء بسجلماسة والصويرة، وتوفي بفاس عام 1214هجرية.

له مؤلفات في اللغة، وصنَّفَ في التربية كتاب «بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من أحكام» من مباحث الكتاب: آداب المعلمين وآداب المتعلمين ومراحل التعليم الابتدائية والعليا، والمناهج التعليمية وطرائق التعليم وغيرها.

ابن طفيل

أبو بكر محمد بن عبدالملك. فيلسوف وطبيب عربي أندلسي، ولد في وادي آش عام 494هـ قرب غرناطة بالأندلس، اشتغل حاجبًا لدى حاكم غرناطة ثم استقدمه السلطان أبو يعقوب يوسف الموحدي إلى مراكش وعينه وزيرًا وطبيبًا. بقي بمراكش حتى توفي بها عام 581 هـ. خلف كتبًا كثيرة. وأهم مؤلفاته التربوية قصة «حي بن يقظان»؛ حيث عرض فلسفته عرضًا قصصيًا، فوصف حال صبي نشأ متوحدًا بجزيرة نائية، وظل يتدرج بنفسه في مدارج المعرفة من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن البسيط إلى المركب، ومن العرض إلى الجوهر، ومن المعلول إلى العلة حتى عرف الحقائق كلها.

جعل ابن طفيل من بطل قصته الذي نشأ في أحضان الطبيعة النموذج الفلسفي لآرائه مثبتًا قدرة الإنسان بفطرته على الوصول إلى الحقيقة الإلهية التي يدركها بهذه الفطرة.

وتؤكد القصة منطلقين اثنين، هما:

1- أن الفرد هو نواة المجتمع، وبإمكانه أن يربي ذاته ليصل إلى الحقائق بفطرته لأنه مجبول على حب الحقيقة.

2 - تأكيد المنحى الفلسفي الذي يتوصل إليه الفرد من طريق طبيعته ومشاهداته بصورة كاملة.

إن غاية القصة هي وصف تطور العقل الإنساني من غير معلم سوى تفكير الإنسان عن طريق تربيته وتجريد الإحساس.



ابن عبد البر

أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الإمام المحدث حافظ المغرب والأندلس. ولد عام 368هـ بقرطبة مستقر العلماء، ونشأ في أحضان أسرة اهتم أفرادها بالعلم والعبادة، وكان أبوه من فقهاء قرطبة. رحل رحلات طويلة وولي قضاء لشبونة وشنترين. توفي بشاطبة عام 463 هـ.

كتب ابن عبدالبر في الحديث والفقه والتاريخ، وفي التربية ألف كتابه القيم «جامع بيان العلم وفضله»؛ الذي ألفه رغبة في تصحيح الوضع العلمي والتربوي في الأندلس بعدما عاين العيوب والمشكلات التي كان يعانيها التعليم عامة وتعليم الفقه والحديث بالخصوص. سلك فيه مسلك المحدثين، وقسمه إلى فصول، واعتمد في أحكامه على ما جاء في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح. ومن مباحثه: فضل العلم والحث على نشره وتعلمه، وآداب طالب العلم، وقواعد التعلم، وتصنيف العلوم، وارتباط العلم بالعمل، وطرق تعليم الفقه، وأهمية الكتاب التعليمي وكيفية التعامل معه، وأهمية الرحلة في سبيل العلم.

عرض هذه المواد ملخصة في أبواب وفصول متداخلة متشابكة، فنجده يتحدث عن آداب طالب العلم في أبواب تتوزع على الجزأين، وقد يضمن فصلاً آخر حديثًا عن طالب العلم أو فضل العلم أو آداب العالم.

ابن العربي

أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري الشهير بابن العربي، الإمام القاضي المحدث. ولد عام

468 هـ بإشبيلية في بيت علم، وتلقى تعليمه في مجالس والده وخاله، ثم رحل إلى المشرق فاتصل بشيوخ الشام والحجاز ومصر وأخذ عنهم، وعاد إلى بلاده بعلم غزير وعقلية متجددة ومعرفة موسوعية شاملة وإصرار على الإصلاح والتجديد. توفي بقرب فاس ودفن بها عام 543 مخلفًا وراءه عددًا من الكتب المهمة في علوم شتى.

ومما ألفه كتاب «آداب المعلمين» الذي يُعدُّ في حكم المفقود و«كتاب رحلة» و«مراقي الزلف» و«العواصم من القواصم» وغيرها. وفي هذه الكتب عبر عن آرائه في تربية الصبيان وتعليمهم مسجلاً ما شاهده خلال رحلته من تقاليد تربوية في المشرق، موازنا إياها بما يمارس في البلاد المغربية والأندلس، وهي موازنات مهمة أوردها ابن خلدون في مقدمته.

ابن عَرْضُون

أحمد بن الحسن بن يوسف الغماري الزجلي الشفشاوني، فقيه موسوعي الثقافة، ولد في أسرة تشتهر بالعلم والمعرفة، لها مكانة في ميدان الفقه والوثائق والأدب والتاريخ. تعلم على أبيه الحسن بن يوسف وعمه أبي حفص عمر بن يوسف. توفي عام 992 هـ.

من مؤلفاته كتاب «مقنع المحتاج إلى آداب الزواج» في جزأين، ولخصه الكاتب نفسه في كتاب ثان عنوانه «الدرر الحسان في آداب الزواج وتربية الولدان». والكتاب ـ كما يشير إلى ذلك عنوانه ـ يتعرض للزواج وآدابه وعلاقات الزوجين وتربية الصبيان والعلاقة مع المعلمين.

العلموي

عبدالباسط بن موسى بن محمد العلموي، مدرس وواعظ بالجامع الأموي بدمشق.

اختصر كتاب «الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد» الذي ألفه البدر الغزي (ت:984هـ)، وسمَّى مختصره «المُعيد في أدب المفيد والمستفيد» أو «العقد التليد في اختصار الدر النضيد»، ولايختلف هذا الكتاب عن المؤلفات التي خلفها السلف كابن عبدالبر وغيره.

ينقسم الكتاب إلى ستة أبواب، وتندرج تحت كل باب عدة فصول. من مباحثه: فضيلة الاشتغال بالعلم، وأقسام العلم ومراتبه، وآداب العالم والمتعلم، وآداب المفتي والمستفتي، وشروط المناظرة، والأدب مع الكتب. يستشهد الكاتب في المتن بآراء المربين السابقين ويورد الكثير منها.



الغزالي

الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، فقيه ومتكلم ومصلح ديني واجتماعي، وصاحب رسالة كان لها أثرها في البلاد الإسلامية. ولد بطوس في خراسان عام 450 هـ، وتنقل بين خراسان ونيسابور وبغداد ودمشق والقدس حتى توفي عام 505 هـ.

بث آراءه التربوية في كتبه: «إحياء علوم الدين» و«أيها الولد» و«فاتحة العلوم» و«ميزان العمل» و«الرسالة اللدنية» وغيرها. وأحدثت هذه الآراء التربوية أثرًا عميقًا في اتجاه التربية والتعليم عند المسلمين، فبعد ضعف الاهتمام بالعلوم الطبيعية والعقلية وجمود الحركة الفكرية وتأخر العلوم الدينية؛ دعا الغزالي في كتبه إلى إحياء علوم الدين، والانتفاع بها في تهذيب الأخلاق، وتنظيم شؤون الحياة والعناية بسائر العلوم. واتصفت آراؤه في تهذيب الأخلاق وتربية الصبيان وآداب المعلمين بعمق النظر وسمو الهدف، وإن كان يغلب عليها الأثر الصوفي. كما نبه على اختلاف طبائع الناشئة وأمزجتهم ونشأتهم، ونادى بضرورة مراعاة هذه الأمور في تهذيبهم، ودعا إلى العناية بالطفل منذ نشأته، وتعويده الاخشيشان في المطعم والملبس. كما كانت له آراؤه في برامج التعليم ومناهجه وطرق تعليم القرآن واللغة. ورسالة «أيها الولد» تحوي جملة إرشادات قمينة بتشييد نسق تربوي، شاق التطبيق.

الغزي

بدر الدين محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي أبو البركات. فقيه شافعي خلف مصنفات عديدة في اللغة والتفسير والحديث والأخلاق. مولده ووفاته في دمشق «904 – 984هـ». أهم مؤلفاته التربوية «الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد»، ولعله من أوعب المؤلفات التربوية في التراث. اختصره عبدالباسط بن موسى العلموي.



الفارابي

محمد بن محمد بن طَرْخان بن أوزلغ أبو النصر الفارابي. تركي الأصل مستعرب. أكبر فلاسفة المسلمين، ويعرف بالمعلم الثاني. ولد في فاراب عام 260 هـ، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها وألف بها أكثر كتبه. رحل إلى مصر والشام وتوفي بدمشق عام 339هـ. له نحو مئة كتاب، منها «إحصاء العلوم» الذي يعود به الفضل إليه في ريادة تصنيف العلوم، وكان لهذا الكتاب أثر بالغ بين العلماء وطلاب العلم؛ إذ صحح نظرتهم إلى العلوم وبَيَّن تعاريفها وحدودها والغرض من تعلمها.

وله أيضا كتاب «تحصيل السعادة» الذي حدد فيه الغرض من التربية والتعليم، وحصره في تحقيق كمال النفس البشرية وقيادتها نحو بلوغ سعادتها، مبينا الفرق بين التعليم والتربية باعتبار الأخيرة أشمل وأعم وأكثر أهمية وخطورة؛ لأنها توجه الأمم وتحدد مساراتها. كما نجد في كتبه الأخرى آراء تربوية وتعليمية مختلفة.

الفاسي

عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي، أبو زيد. فقيه مغربي لُقِّب بسيوطيّ زمانه لكثرة تآليفه وتنوعها. توفي عام 1096هـ.

له «الأقنوم في مبادئ العلوم» وهي أرجوزة في نحو سبعة عشر ألف بيت. قال عنها القادري إنها اشتملت على مئة وخمسين علمًا أو أزيد. وفي الصفوة للأفراني اشتملت الأرجوزة على أزيد من ثلاثمئة علم لكن ناظمها لم يكملها.

اهتمت هذه المنظومة بالمناهج التعليمية بحسب الموضوعات التالية: علم التدريس، وعلم القراءات، وعلم التأليف.



القابسي

أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني الشهير بابن القابسي. فقيه حافظ للحديث ومرب. ولد عام 324 هـ، وعاش بالقيروان وحج عام 353هـ، واغتنم فرصة حجه لطلب العلم؛ فمكث في سبيل ذلك مغتربًا أربع سنوات، وعاد إلى بلده القيروان، وتوفي بها عام 403هـ.

خلف في التربية كتاب «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين». ويعد هذا المصنف من أوسع وأشمل ما أُلف في موضوع التربية بالمغرب؛ لتصدي المؤلف للنواحي المختلفة في تعليم الصبيان والمشكلات التي يمكن أن تثيرها هذه العملية.

اجتهد المؤلف وجاء بآراء لاتخلو ـ في زمانه ـ من جرأة كإلزامية التعليم ومجانيته، وتعليم البنات، ومسؤولية الوالي في تحمل نفقات التعليم. وكان في كتابه متأثرًا بسلفه ابن سحنون ونقل من كتابه آداب المعلمين آراء كثيرة، ولم يقتصر عليه بل توسع وأضاف أمورا كثيرة لم ترد في نص ابن سحنون، فرضها التطور الحضاري والاجتماعي الذي عاشه القابسي في عصره.

ابن قيم الجوزية

أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي شمس الدين. فقيه موسوعي عالم بالأصول والحديث والطب وعلم الكلام. ولد وتوفي بدمشق 691 - 751هـ. تتلمذ لابن تيمية، وسُجِنَ معه، وكان لايخرج عن آرائه.

كتب كتبا كثيرة، منها في التربية «تحفة المودود بأحكام المولود»، وفي هذا الكتاب برهن ابن القيم على معرفته بعلوم الطب والحديث والفقه والفلسفة من خلال النصوص والشواهد التي أوردها وحللها وعلق عليها.

يصور في كتابه المذكور الحالة التربوية السيئة والنتائج المتردية المترتبة عليها؛ مرشدًا الآباء والمربين إلى سبل الوقاية من هذه الآثار، وكيفية إصلاح الوضع التربوي وتصحيحه على أساس من الشريعة الإسلامية، مستمدًا أصول هذا الفكر التربوي من القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثار الصحابة والفقهاء من أهل العلم النابهين. والموضوعات التي تطرق إليها هي: حقوق الأطفال على الآباء، ووجوب تعليم الأطفال وتأديبهم، ووجوب العدل بينهم، وضرورة قيام التنشئة على العقيدة، وغرس محبة الله وتوحيده، وأهمية التمسك بالأخلاق الحسنة، وتعليم الصبي ما ينفعه من علم أو صناعة على حسب استعداده وقدراته. ويتضمن الكتاب أيضًا نصائح في العناية بصحة الصبي البدنية والنفسية خلال مختلف مراحل نموه وتطوره.



الماوردي

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. قاض فقيه سياسي بصري. ولد عام 364 هـ بالبصرة، وبها نشأ وتوفي عام 450 هـ، لقب بالماوردي نسبةً إلى بيع ماء الورد. ولي القضاء فأصبح قاضيًا للقضاة، وكان مشهورًا بالمرونة والاجتهاد.

من مؤلفاته القيمة كتاب «البغية العليا في أدب الدين والدنيا» وموضوعه الأخلاق والفضائل الدينية والآداب الاجتماعية. قسمه المؤلف خمسة أقسام وهي: آداب العقل وذم الهوى. أدب العلم. أدب الدين. أدب الدنيا. أدب النفس.

ويقسم الماوردي أدب التنشئة الاجتماعية إلى نوعين:

- أدب المواضعة والاصطلاح، ويقصد به مجموع القواعد التي اصطلح عليها الأدباء والعقلاء فيما يتعلق بموضوعات الخطاب والأزياء وغير ذلك.

- أدب الرياضة والاستصلاح، ويعني مراقبة الإنسان نفسه ومحاسبتها لتستديم له السعادة.

ويتضمن الكتاب مباحث أخرى مهمة تتعلق بمشكلات التنشئة والتربية والتعليم.

المساري

أبو حامد العربي بن عبدالله بن أبي يحيى المساري. فقيه مغربي توفي في حدود عام 1240هـ.

ألف أرجوزة «سراج طلاب العلوم» التي تقع في 214 بيتًا، مقسمة إلى مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة. مباحثها هي كالتالي: ما يُبتَدأ به من العلوم. إعارة الكتب والنسخ. آداب يوم الخميس. آداب المدرسة ونظامها. آداب الرتبة «ما يرتب للتلاميذ من الطعام». كيفية القراءة. كيفية الإقراء. آداب التلميذ مع شيخه. وخص الخاتمة لآداب الشيخ.

مِسْكَوَيْه

أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه. فيلسوف أديب ومؤرخ بحاث، كان بارعًا في الأدب والفلسفة والتاريخ والتربية. ولد نحو عام 330 هـ بالري وتوفي في أصفهان عام 421 هـ. واشتغل خلال حياته خازنا لمكتبة ابن العميد، ثم لكتب عضد الدولة

بن بُويْه، ثم اختص ببهاء الدين البويهي.

خلف كتبًا كثيرة أهمها «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» وهو في فلسفة الأخلاق، ويحوي آراء ثمينة في التربية وتعليم الصبيان وتهذيب أخلاقهم. ومن آثاره: «ترتيب السعادات» في الأخلاق.

المغراوي

أحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي. فقيه حافظ محدث توفي عام 929 هـ. قدم فاس ودَرَّسَ بها وأصبح من علمائها الأعيان.

ألف كتاب «جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان» تكلم فيه على أحكام المعلمين والمتعلمين وآبائهم وحقوق بعضهم على بعض.

ابن مكي

زين الدين بن علي بن مكي الشامي العاملي. كتب رسالة «منية المريد في آداب المفيد والمستفيد» ذكر فيها الشروط التي ينبغي أن تتوافر في كل من يريد أن يتصدى لمهنة التعليم، وشروط التفرغ واكتسابه، إلى جانب الحديث عن قواعد الكتابة وأصولها، وشروط المناظرة وآداب المفتي والمستفتي.



النووي

أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُري بن حسن محيي الدين الحزامي النووي الشافعي. فقيه، ولد في نوى من قرى حوران بالشام سنة 631 هـ، وتوفي فيها عام 676هـ.

دَرَّسَ في دمشق حيث تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية. ألف كتبا كثيرة في الفقه والحديث والطبقات. نشر آراءه التربوية في كتابه «التبيان في آداب حملة القرآن» وفي مقدمة كتابه «المجموع». تناول ـ كسائر الفقهاء ـ مباحث تتعلق بالغاية من العلم، وآداب المعلم وعلاقته بالمتعلم، وحقوق الصبيان في التعلم والتربية وأهمية القدوة الصالحة.



الهيتمي

أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري. فقيه مصري لقب بشيخ الإسلام في مصر. ولد عام 909 هجرية في محلة أبي الهيتم في غربي مصر وإليها نسبته. رحل إلى مكة المكرمة، ودرس في الأزهر. وتوفي بمكة عام 974 هـ.

له كتب عديدة في الفقه والأصول وعلم الكلام والحديث. وفي التربية ألف كتابا عنوانه «تحرير المقال في تربية الأطفال» أو «تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدّبو الأطفال» تحدث فيه عن شرف أهل القرآن وفضل معلمه ومتعلميه، وجواز أخذ الأجرة في ذلك، كما أورد الأحاديث التي تنهى عن أخذ الأجرة، وبَيَّنَ اختلاف العلماء في هذا الموضوع. كما ينفرد الكتاب بفصل تحدث فيه عن عدم جواز تعليم المعلم للصبي الأمرد. فضلا عن ذلك يبحث الكتاب في العدل بين الصبيان، ومنع المعلم من استخدامهم، وإجبار المتعلم على الحضور، والتصرف في معلوم المتغيبين.



اليوسي

أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي. فقيه أديب علامة. ولد عام 1040هـ في قبيلة آيت يوسي جنوبي مدينة فاس. رحل جنوبا لتلقي العلم على شيوخ سجلماسة ودرعة وسوسة، واستقر بزاوية الدلاء عشرين سنة طالبا وشيخا مدرسا. تردد إلى فاس ومراكش بعد نكبة الدلائيين وهدم زاويتهم، ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فالتقى بعلماء الأزهر واستجازوه.

توفي عقب رجوعه من الحج في 15 ذي الحجة 1102هـ، ودفن في موطنه قرب فاس.

خلف كتبًا كثيرة في مختلف الفنون الشرعية واللغوية والأدبية. من مؤلفاته التربوية «إني أوصي أولادي».

المراجع:

أحمد أحدوثن، مجلة الرسالة التربوية، الرباط، عدد 25، 1412هـ، ص 118.

عبدالأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل، بيروت، دار اقرأ، 1406هـ.

ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م.

سعيد أعراب، مع القاضي ابن العربي في رحلته، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987م.

سعيد الديوه جي، مجلة اللسان العربي، الرباط، عدد 4، 1966م، ص 83 - 86.

مصطفى المهماه، مجلة العربي، الكويت، عدد 349، 8 – 1979م، ص 108.

نذير حمدان، مجلة الفيصل، الرياض، عدد 70 ص 120.

عبدالله عبدالدايم، التربية عبر التاريخ، بيروت، دار العلم، 1973م، ص 260.

الغزالي، بداية النهاية، تحقيق: محمود سعود المعيني، بغداد، جامعة بغداد، 1988م.

الغزالي، أيها الولد، تحقيق: علي محي الدين علي القره داغي، القاهرة: دار الاعتصام، 1983م.

الغزالي، المنقذ من الضلال ورسائل أخرى، تحقيق: محمد محمد جابر، بيروت، المكتبة الثقافية، د.ت.

الغزالي، منهاج المتعلم، نشره هشام نشابة في التراث التربوي الإسلامي، بيروت، دار العلم للملايين، 1988م.

عبداللطيف السعداني، مجلة المناهل، الرباط، عدد 20، 1981م، ص 175.

أبو النصر الفارابي، كتاب الملة ونصوص أخرى، بيروت، دار المشرق، 1986م.

محمد بنعبد القادر، مجلة دعوة الحق، الرباط، عدد 271 ص 61.

فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، 1968م.

عبدالناصر عيسوي، مجلة منار الإسلام، الإمارات العربية المتحدة، 11/ 1402هـ، ص 68.

علي خليل مصطفى، قراءة تربوية في فكر أبي الحسن، جدة، دار المجتمع، 1411هـ.

سعيد أعراب، مجلة دعوة الحق، الرباط، عدد 5، 1979م، ص 46.

أبو علي مسكوية، تهذيب الأخلاق، بيروت، 1966م.

محمد جلوب فرحان، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، عدد مزدوج 14و 15، 1981م، ص 135.

عبدالهادي التازي، المغراوي وفكره التربوي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1407هـ.

مهدي فضل الله، مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد 21، 1981م، ص 122.

سيد ربيع صالح صباح، مجلة منار الإسلام، الإمارات العربية المتحدة، عدد 6، 1411هـ، ص 104..

حسن إبراهيم عبدالعال، أصول البحث العلمي عند الإمام النووي، مجلة رسالة الخليج العربي، الرياض، عدد 24/1408هـ، ص 35.

هشام نشابة، التراث التربوي الإسلامي، بيروت، دار العلم، 1988م.

عبداللطيف السعداني، مجلة المناهل، الرباط، عدد 15 «عدد خاص باليوسي» ص 326.



الملك فيصل في مؤتمر عالمي: نهج إسلامي ومكانة متميزة في العالم أجمع

الأمير سلطان بن عبدالعزيز يرعى احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية، والمؤسسة تتشرف بتقديم درعها لسموه اعتزازا بدوره في دعم مسيرتها

علماء من ثلاثين دولة يبحثون تقنيات خدمة المخطوطات

الأكاديمية الألمانية تعلن أسماء الفائزين بجوائزها

وضع حجر أساس مكتبة جدة العامة

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة، احتفل - مؤخرًا - بوضع حجر الأساس لمكتبة جدة العامة، التي تشرف عليها الغرفة التجارية الصناعية في جدة.

تقام المكتبة في إطار احتفالات الغرفة بالذكرى الخمسين لإنشائها.

اكتشاف ضبع متحجر عمره 400 مليون عام

اكتُشف حيوان متحجر من فصيلة الضباع يعود إلى العصر الديغوني، أو ماقبل أربعمئة مليون عام، قرب جبل قبال في شمال غربي مدينة سكاكا شمال شرقي المملكة.

وقد عُثر على الضبع متحجرًا تمامًا ومجوفًا من الداخل، فيما وجدت بأقدامه بقايا مخالب.

المعرض العام للفنون التشكيلية

شارك أكثر من خمسين فنانًا وفنانة من مختلف مناطق المملكة في المعرض العام الثالث عشر للفنون التشكيلية، الذي افتتح في مطلع شهر محرم الماضي، في صالة الفنون التشكيلية بمعهد العاصمة النموذجي في الرياض.

ضم المعرض أكثر من مئة عمل فني في الرسم والتصوير الزيتي والمائي والحفر. وعبَّرت هذه المشاركات عن عمق استلهام الفنانين لتراثهم ومزاوجتهم بين الأصالة والمعاصرة.

مسابقة نادي الشرقية الأدبي

أعلن نادي الشرقية الأدبي عن مسابقته الأدبية السنوية لأبناء المملكة والمقيمين فيها.

تضمنت المسابقة في عامها السادس مجالات الشعر والقصة والبحث، واشترط النادي أن تتناول موضوعات أدبية أو تربوية أو تاريخية، ويفضل أن تكون متعلقة بالمنطقة الشرقية، وألا يقل عمر المشارك عن 18 عامًا ولايزيد عن 30 عامًا، وأن تكون المشاركة مكتوبة باللغة العربية الفصحى، ولم يسبق نشرها أو فوزها في مسابقة أخرى، وأن تصل المشاركات في موعد غايته شهر ربيع الآخر المقبل.

مسابقة نادي الطائف الأدبي تشجع الطلاب والطالبات

أعلن نادي الطائف الأدبي عن مسابقته السنوية التاسعة عشرة لهذا العام، وتشمل أربعة فروع هي: الشعر والقصة والبحث والمقالة. وقرر النادي قصر المشاركة هذا العام على الطلبة والطالبات من أبناء المملكة والمقيمين فيها، وتم تقسيمها بحسب المرحلة الدراسية، وتحددت نهاية شهر شعبان المقبل آخر موعد لاستقبال المشاركات.

وموضوع مسابقة البحوث والدراسات للمرحلة الجامعية عن «دراسة ظاهرة فنية من ظواهر الأدب السعودي أو موضوع من الموضوعات التي تتعلق به»، ويحق لجميع طلاب وطالبات الجامعات والكليات والمعاهد العليا المشاركة في هذه المسابقة، مع ضرورة وجود مشرف على البحث من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة أو الكلية. والجائزة الأولى لهذه المسابقة مقدارها ثلاثة آلاف ريال، والثانية مقدارها ألفا ريال، أما الثالثة فمقدارها ألف ريال، وسيحصل المشرفون على البحوث الفائزة على شهادات تقدير.

وهناك مسابقة للبحوث والدراسات للمرحلة الثانوية، وموضوعها «دراسة عن أحد أعلام الأدب السعودي»، ويشترط - كذلك - وجود مشرف على البحث من أحد المدرسين أو المدرسات بالمدرسة، ولا اختلاف في الجوائز المالية المقدمة بالنسبة

لكل المسابقات، إلا أن هناك درعًا سيقدم للمدرسة التي يفوز أحد طلابها بإحدى الجوائز في هذه المسابقة. ويجوز في مسابقة القصة القصيرة لطلاب المرحلة المتوسطة التقدم بأكثر من قصة، مع معلومات عن المتسابق تتضمن الاسم والعمر والمرحلة التعليمية والمدرسة واسم ولي الأمر واسم المعلم المشرف. وفي حال الفوز سيحصل ولي الأمر والمعلم أو المعلمة على شهادة تقدير، بينما تحصل المدرسة على درع، كما أن هناك جائزة مقدارها 500 ريال للأعمال التي لم تفز، وتختارها اللجنة ليتم طبعها في كتاب يصدره النادي بعد انتهاء المسابقة.

أما مسابقة الشعر فتشترط أن تكون القصيدة المقدمة باللغة العربية الفصحى، ويترك اختيار موضوعها وشكلها الفني للمتسابق، على أن تلتزم المعايير الدينية والأخلاقية.

ترسل الأعمال من ثلاث نسخ إلى نادي الطائف الأدبي، ص.ب 1202، ويكتب على المظروف عنوان المسابقة.

كتب سعودية لدعم مكتبة الدراسات بسرايفو

دعمت الهيئة العليا لجمع التبرعات للبوسنة والهرسك مكتبة كلية الدراسات في سراييفو بمجموعة من إصدارات الأدباء السعوديين.

وقد تم إرسال الدفعة الأولى من هذه الكتب، وتوالى الهيئة اتخاذ اللازم نحو إرسال بقية الدفعات بغية دعم المكتبة وتعريف البوسنيين بالنتاج الفكري والأدبي السعوديين.

كتب جديدة

قراءة في علم اللغة التطبيقي، حرره وعرّبه د. علي أحمد شعبان، صدر عن معهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

خصوصية الإبداع في الشعر الإسلامي المعاصر، دراسة نقدية تحليلية للدكتور محمد بن سعد الدبل، صدرت عن الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

رباعيات، مجموعة شعرية ليحيى السماوي، صدرت عن دار البلاد للطباعة والنشر في جدة.

مدينة رمان، تأليف عبدالرحمن زيد السويداء.

مدينة الربيعية، تأليف عبدالعزيز راشد السنيدي.

مدينة الخرمة، تأليف عبدالله بن سعد الحضبي.

مدينة تنومة، تأليف صالح أبو عراد الشهري

مدينة الوجه، تأليف د. محمد أحمد الرويثي.

مدينة سبت العلايا، تأليف عبدالله محمد القرني.

صدرت الكتب الستة السابقة ضمن سلسلة « هذه بلادنا» عن الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب.

مفترق الطرق بين الاستقامة والانحراف، تأليف د. إبراهيم حمود المشيقح، صدر عن نادي القصيم الأدبي في بريدة.

وردة في فم الحزن، مجموعة شعرية لحسن حجاب الحازمي، صدرت عن نادي جازان الأدبي.

الجميل ونظريات الفنون: دراسات في علم الجمال ، تأليف د. رمضان بسطاويسي محمد، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض.

الفيزياء للأدباء، تأليف د. خضر محمد عبدالرحمن الشيباني، صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع في جدة.

محمد هاشم رشيد: شعره وشاعريته، تأليف د. رزق محمد سيد أحمد داود، صدر عن نادي القصيم الأدبي.

المسلمون في لاوس وكمبوديا، تأليف محمد بن ناصر العبودي، صدر عن قطاع الإعلام والثقافة برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

الإمارات

أول مقهى يقدم خدمة الانترنت

افتتح في دبي ـ مؤخرًا ـ مقهى يقدم لرواده، إلى جانب الطعام والشراب، منفذًا إلى شبكة الإنترنت المعلوماتية.

يعد هذا المقهى الأول بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط، إذ ينفرد بتقديم هذه الخدمة لرواده، ويتيح لهم ـ على اختلاف أعمارهم وتخصصاتهم ـ الاستفادة من المعلومات التي توفرها الشبكة بدءا من ممارسة الرياضة والهوايات، وانتهاء بالاقتصاد والتجارة والتسويق والأزياء.

الترشيح لجائزة العويس

أعلنت الأمانة العامة لجائزة سلطان بن علي العويس الثقافية عن فتح باب الترشيح للجائزة في دورتها الخامسة 1996- 1997م في مجالات: الشعر، والقصة، والرواية، والمسرحية، والدراسات الأدبية والنقد، والدراسات الإنسانية والمستقبلية.

وتقرر أن يستمر قبول الترشيحات في فروع الجائزة حتى نهاية فبراير المقبل 1997م.

يذكر أن الجائزة التي تبلغ قيمتها في كل فرع مئة ألف دولار قد فاز بها ـ حتى الآن ـ 25 شاعرًا وأديبًا ومفكرًا.

سمو النائب الثاني يرعى احتفال
مـؤسسة الملك فيـصل الخيـرية
بمناسبة مرور عشرين عاما على إنشائها



نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام، الحفل الختامي لفعاليات احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عامًا على تأسيسها، والذي تواصل خلال المدة من مساء الاثنين 26 ذي الحجة 1416هـ إلى الأربعاء 29 ذي الحجة.

كلمة الأمير سلطان بن عبدالعزيز

وقد ألقى سموه كلمة أكد فيها أن الفيصل - يرحمه الله - استحوذ على ثقة المواطن وثقة العالم في آن واحد. وقال: إن التاريخ سيسجل كل ما تضمنه برنامج احتفال المؤسسة من محاضرات لمن قالها، ولمن قيلت فيه. واستشهد سموه على المكانة المرموقة للفيصل بواقعتين: إحداهما عالمية والأخرى محلية يكشف عنهما للمرة الأولى. ففي عام 1960م - إبان توليه وزارة المواصلات - كان في زيارة للهند بدعوة من رئيس وزرائها جواهر لال نهرو، وخلال اللقاء الذي جمع بينهما - ومعهما يوسف الفوزان السفير السعودي لدى الهند، آنذاك، الذي كان يتكلم اللغة الأوردية بطلاقة - قال الرئيس نهرو للأمير سلطان: هناك شيئان عندكم في المملكة العربية السعودية، إن تمسكتم بهما، واحتضنتموهما بإيمان وعقيدة فلاتخافوا لومة لائم. فقال الأمير سلطان: ما هما يا فخامة الرئيس، قال نهرو: الكعبة المشرفة.. ويقصد بها جوهر الدين الإسلامي.

وأضاف الأمير سلطان: سكت نهرو برهة، وظننت أنه سيقول إن الشيء الآخر هو البترول عصب الحياة، ولكنه قال: وفيصل. وأضاف نهرو: لقد عرفت فيصلاً في كل ميدان رجل كلمة، ورجل إنصاف، ورجل إخلاص. ومادمتم محتضنين الكعبة المشرفة بكل وسائلها وأهدافها، ومادمتم متفقين حول فيصل، فلا تخافوا من أي إنسان كان.

وفي واقعة أخرى داخلية تنم عن حب المواطن للفيصل وثقته فيه قال الأمير سلطان: إنه قابل مرة رجلاً كفيفًا يقود ناقة جميلة في الصحراء، فأوقفه ودعاه إلى العشاء فاستجاب الرجل من دون أن يعرفه، وعندما علمت من أحد المرافقين أنه يملك أربعمئة ناقة، سألته كيف يرعاها من غير أن يكون له ولد أو أخ يساعده، فقال الرجل إن له ابنة، تزوجها رجلٌ صالحٌ من أبناء عمومته، وهو يأتي ليأخذه وإبله وسيارته ليقضي الربيع (أربعة أشهر) عنده، وعندما ينتهي الربيع يذهب إلى عمله في شركة أرامكو وزوجته معه، أما هو فيسلم إبله لفيصل يقودها ويرعاها.

وقال الأمير سلطان إنه قص ما سمعه على الملك فيصل، فذرفت عيناه الدموع، ثم التفت إلى الجميع، وكان فيهم الملك خالد - رحمه الله -، والأمير فيصل بن سعد، والأمير فهد بن سعد، وقال: اشكروا الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به على هذه البلاد من أمن وسلام، واحفظوا الله يحفظكم.

ومن جانب آخر أكد سمو الأمير سلطان، في تصريحات للصحافيين عقب حفل الخيرية، أن نتائج فعاليات الاحتفال وبرامجه والحضور المكثف يعد أكبر تقويم لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، وقال إن إنجازات المؤسسة في السنوات العشرين الماضية تؤكد دورها المستقبلي.

كلمة الأمير خالد الفيصل

وكان صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية قد ألقى كلمة في مستهل الحفل، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

سيدي صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام.. أصحاب السمو، أصحاب المعالي والفضيلة.. إخواني الحضور.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في البدء اسمحوا لي أن أهنئ صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على إقامة هذا اللقاء المبارك، وما صاحبه من تنظيم رائع.

سيدي، عشرون عامًا مضت على فكرة نمت لتكون عملاً فاعلاً في خدمة الإنسانية، وإشعاعًا ثقافيًا لفكر البشرية، انطلق من خير بقعة، يحمل اسم الشهيد الذي نذر نفسه لخدمة الإسلام وإسعاد الأنام.

سيدي، بدأت مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمبلغ ثمانية ملايين ريال كأول دفعة

متحف علمي

يرعى الشيخ د. سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للإمارات حاكم الشارقة افتتاح متحف الشارقة العلمي.

يرمي المتحف إلى إتاحة الفرصة أمام رواده، كبارًا وصغارًا، لاكتشاف العلوم عبر وسيلة تضمن المتعة والتسلية مع الفائدة العلمية.

ويشتمل المتحف على ناد علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة وقاعة للتجارب وأخرى للمحاضرات، وصالة للعروض السينمائية والإلكترونية.

كتب جديدة

القصيدة الذهبية (معلقة لبيد بن ربيعة)، صدرت باللغتين العربية والإنجليزية، بترجمة وليم بولك عن المجمع الثقافي في أبو ظبي.



من تبرعات ورثة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ، ثم ازداد مالها ونمى حتى بلغ الآن 1300مليون ريال، وإذا كان هذا مهما، فإن ما هو أهم منه، أن المصروفات الخيرية بلغت سبعمئة وعشرة ملايين ريال، وهذا لم يأت إلا بفضل من الله، ثم بصواب فكرة استثمار رأس المال، والصرف من ريعه على الأعمال الخيرية، وهي الفكرة التي تبناها مجلس أمناء المؤسسة، ونفذتها الإدارة بكل نجاح، ولله الحمد.

فشكرًا لكل من ساهم في هذا البناء، شكرًا لزملائي العاملين في المؤسسة، الحاضرين منهم، والسابقين، وأخص بالتقدير الجهد المميز لأخي وزميلي الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام للمؤسسة، وشكرًا لمن ساهم بماله ودعائه، وخصوصاً أولئك الذين جادوا بما وجدوا، مثل المؤمنة بالله التي بعثت بورقة من فئة الخمسين ريالاً يوم إنشاء المؤسسة، والموظف بوزارة الإعلام محمد العماري الذي تبرع بخمسة في المئة من راتبه الشهري يحول رأسًا من الإدارة المالية في الوزارة إلى المؤسسة منذ إنشائها حتى الآن. هذا وتلك وأمثالهما جعلونا نشعر أن أبناء الشهيد فيصل بن عبدالعزيز وبناته أكثر من أن يعدوا على الأصابع.

سيدي، ماذا لو قُدِّرَ للشهيد أن ينظر إلينا اليوم؟ ماذا يرى؟ يرى أمته وقد وقفت تحيه بقلبها وفكرها، يرى إخوانه أبناء عبدالعزيز، وقد أقاموا له صرحًا سعوديًا عربيًا إسلاميًا عالميًا خيريًا يحمل اسمه. فذلك الملك الصالح خالد بن عبد العزيز يأمر بإنشاء مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ويحتضن أهدافها، وهذا الملك الشهم خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبدالعزيز يتبناها ويرعاها، وهي تكبر وتزدهر تحت عنايته، وهذا الأمير الجليل ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز يتابع خطواتها ويوجه مسيرتها، فما عساي أن أقول لأعمامي سوى أنه كبر الحب فاستعصى على المعاني، وزاد الوفاء حتى عجز عنه الشكر، فبحر بركم لا سواحل له، ومحيط عطفكم لا حدود له، وأفق رعايتكم لا مدرك له، والذي في قلوبنا لا واصف له. وتظل أنت يا سلطان، وفاء يمشي على الأرض، وحبًا يسكن كل قلب، وفارسًا يمتطي صهوة مكارم الأخلاق، محلقًا في سماء المجد:

أعظم الحب في اتفاق السجايا
وأبر الوفاء ما هو مذهب
كلما لاح فيصل في خيالي
شامخًا.. وانتخيت بالك من أب
لاح سلطان في صميم حياتي
وأراني أبي وجاء بأعجب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأمير تركي الفيصل

عقب ذلك، خاطب صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية جموع الحاضرين، حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خير الأنام وخاتم المرسلين سيدنا محمد.

سيدي صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.. أصحاب السمو الملكي الأمراء.. أصحاب الفضيلة .. أصحاب المعالي .. أيها الإخوة الكرام ...

قال الله تعالى جلت قدرته: الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور.

هكذا أيها الإخوة.. كان الملك فيصل ـ رحمه الله ـ في حياته، وهكذا بقيت ذكراه بعد مماته.. وإذ تحتفل مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمرور عشرين عاماً على تأسيسها، فإنها تحتفل أيضاً بما تركه لها الملك الشهيد من أثر وعبر..

أيها الإخوة..

سيدي..

إن ما استمعتم إليه من محاضرات عن الملك الشهيد رحمه الله، يعطي لمحة عن حياته الحافلة بالعطاء، ولن أضيف شيئا إلى ذلك، ويكفيني القول، بأن مستوى حضور هذه الليلة أثبت أن الملك الشهيد رحمه الله، يجذب إليه الناس في مماته.. كما جذبهم في حياته.. وليس ذلك بغريب على إنسان حباه الله بهيبة الوقار.. وتعامل هو بالتواضع مع كل من لقيه.. وكان دائمًا يردد إنه بدوي، ولم يكن ذلك منه تشبثاً بالبداوة أو رفضًا للحضارة؛ بل كان تذكيراً لنفسه ولسامعيه، أن البساطة والزهد هما ركيزتا حياته.

ومن فضل الله عليه ـ رحمه الله ـ أن جعل منه رمزاً للأمة الإسلامية، يطلب وده العدو قبل الصديق، ومن ثم استشهد لينعم بالجنة...

وكما أن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ تأسى بوالده المغفور له الملك عبدالعزيز، باني هذه البلاد ومؤسسها، فكذلك تأسى به كل من جلالة الملك خالد ـ رحمه الله ـ، وخادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ، وذلك لايستغرب منهما؛ فهما من طينته وبيئته، ووالدهما أصّل فيهما الأخلاق الإسلامية والشهامة العربية، وأدعو الله أنه كما كان لنا الفيصل ملكًا رحيمًا، أن يبقي لنا الفهد حاميًا مكينًا ودرعًا حصينًا، وأن يؤيده الله بولي عهده عبدالله، وبسموكم، وإخوتكم الأفذاذ.

وختامًا، ونيابة عن زملائي في مؤسسة الملك فيصل الخيرية بكامل فروعها لابد من إعطاء صاحب الحق حقه، وأن نتقدم كُلنا بالشكر والتقدير لما نلقاه من توجيه وعمل ومُثل عُليا نتسم بها، وذلك في شخص المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية صاحب السمو الملكي أخي الأمير خالد الفيصل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البحرين

التعليم في منطقة الخليج

اختتمت في المنامة ـ مؤخرًا ـ أعمال ندوة «نحو استراتيجية مقترحة لتمهين التعليم في الدول الأعضاء» التي نظمها مكتب التربية العربي لدول الخليج.

ناقشت الندوة تجارب الدول الأعضاء في المكتب لدعم مهنة التعليم، ورمت إلى تحديد الأسس النظرية التي من شأنها الإسهام في وضع استراتيجية محددة تسرع بخطى التعليم من طريق التمهين، وتعرُّف أهمية توحيد مستويات إعداد المعلم في إطار الجامعات وكليات إعداد المعلمين، والسياسات التي يمكن تبنيها لتمهين التعليم وتحسين مستواه، والارتقاء بمهنة التعليم.



تكريم سمو النائب الثاني في احتفال مؤسسة الملك فيصل الخيرية

تقديراً من مؤسسة الملك فيصل الخيرية لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام، وتعبيراً عن الاعتزاز بجهود سموه في رعاية مسيرة المؤسسة ودعم جهودها، تشرف صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بتقديم درع تذكاري من المؤسسة تكريمًا لسموه.

كما كرمت المؤسسة عدداً من المتبرعين، تقديراً لدعمهم المتواصل، وهم: صاحب السمو الملكي الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز، وسعادة الأستاذ خالد بن سالم بن محفوظ، وسعادة الأستاذ بكر بن محمد بن لادن، وسعادة الأستاذ صالح بن عبدالله كامل، وسعادة الأستاذ ناصر بن إبراهيم الرشيد، وسعادة الأستاذ محمد بن ناصر العماري، والسادة مكتب الدار لتدقيق الحسابات (عبدالله البصري وشركاه)، والسادة شركة أحمد محمد صالح باعشن، وسعادة الأستاذ محمد بن ناصر بن جار الله، وسعادة الأستاذ محمد بن جرمي العويمر الدوسري، وسعادة الأستاذ بهيج بن جميل وهبي قرملي.

كما كرمت الأمناء العامين السابقين والحاليين وهم: معالي الدكتور أحمد بن محمد الضبيب الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية (سابقا)، وسعادة الأستاذ محمد بن عبدالله الوابل الأمين العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية (سابقا)، وصاحب السمو الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، وسعادة الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية، وسعادة الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

كما تم تكريم عدد من الموظفين الذين أمضوا عشرين عامًا في المؤسسة وهم: الأستاذ يوسف عقيل الحمدان الأمين العام المساعد للمؤسسة ونائب الأمين العام للجائزة، والأستاذ سامي الصباح من الإدارة المالية، والأستاذ قاسم إبراهيم أبو سمحان من شؤون الموظفين.

الكويت

جمعية للتاريخ والآثار بدول مجلس التعاون

ينتظر أن يتم الإعلان قريبًا عن تأسيس جمعية للتاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، بعد أن وافقت سبع جامعات خليجية على المشاركة فيها.

وكانت ندوة الدراسات التاريخية في الجامعات الخليجية التي عُقدت بالكويت في شهر مارس من العام الماضي قد أوصت بتأسيس اللجنة، وعُقد الاجتماع الأول للجنة التأسيسية في الإمارات، حيث تم خلال انتخاب د. عبدالله التميمي أستاذ التاريخ بجامعة الكويت رئيسًا مؤقتًا لها، كما جرى

محاضرات وندوات

«**الصورة الشعرية**» موضوع محاضرة ألقاها في نادي المنطقة الشرقيةالأدبي، د. إبراهيم الحاوي.

«المواقف الإنسانية والالتزام في الشعر الجاهلي»، عنوان محاضرة ألقاها في أحدية المبارك في الأحساء، د. حسني عبدالجليل اليوسف.

«**المدرسة الفرنسية للتحليل النفسي وموقفها من الظاهرة الإنسانية**»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية التربية بجامعة عين شمس، د. فرج أحمد فرج.

«نظم النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية أمسية شعرية للشاعر د. إبراهيم العواجي.

«**د. سيد حامد النساج وإبداعاته النقدية**»، عنوان ندوة نظمتها في نادي القصة بالقاهرة وزارة الثقافة المصرية، وشارك فيها النقاد: عبدالعال الحمامصي، د. عبدالمنعم تليمة، ومحمد جبريل.

نظم نادي المنطقة الشرقية الأدبي أمسية قصصية شارك فيها القاصون: محمد الصويغ، فالح الصغير، وفهد المصبح.

«**التحزب والتيارات الفاسدة**»، موضوع محاضرة ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

«وسائل المحافظة على نعمة الإيمان»، موضوع محاضرة ألقاها في جامع الإمام تركي بن عبدالله بمدينة الرياض، الشيخ محمد بن حسن الدريعي.

«**قضايا البيئة والتعليم**»، موضوع ندوة نظمتها رابطة التربية الحديثة في القاهرة، شارك فيها كل من الدكاترة: أسامة الخولي، وعادل ياسين، ومحمود أبو زيد.

«تنمية الحس الجمالي والتذوق الفني للطفل»، عنوان ندوة نظمها المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، تحدث فيها الدكاترة: حمدي عبدالله، وعبلة إبراهيم، وعبدالرحيم إبراهيم، وعدلي رزق الله، وأدارتها سرية صدقي.

«**محصلة التغييرات المصاحبة للنفط في دول مجلس التعاون الخليجي**»، عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة في لندن، د. علي خليفة الكواري.

«مستقبل السلام في الشرق الأوسط»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر المكتب الثقافي المصري في لندن، د. مفيد شهاب.

إعداد مشروع اللائحة الأساسية للجمعية.

المعرض الثاني للتشكيليات الكويتيات

أقيم في قاعة الفنون بالكويت ـ مؤخرًا ـ المعرض الثاني للفنانات الكويتيات.

عبرت محتويات المعرض عن تأثر المشاركات بالبيئة المحلية وأساليب المرحلة التي ظهرن فيها، ونضج تجاربهن، ووضوح اتجاهاتهن الفنية.



مصر

ثوب جديد لمهرجان القراءة للجميع

في منتصف شهر محرم الماضي افتتحت السيدة سوزان مبارك، قرينة الرئيس المصري، مهرجان القراءة للجميع في دورته الجديدة التي تستمر ثلاثة أشهر.

شهد المهرجان هذا العام أشياء جديدة لم تكن موجودة به قبلاً، إذ تم تزويد مواقعه بلجان طبية متخصصة تمر على المكتبات وتجرى الكشف الطبي على الرواد كبارًا وصغارًا، وتحويل من يحتاج منهم إلى المستشفيات المتخصصة مع صرف الدواء مجانًا.

وفتحت قرابة ستمئة مكتبة عامة في القاهرة والأقاليم أبوابها للأطفال، وتم الإعداد لإقامة مسابقة مسرحية لعروض الطفل، ولقاءات مع كبار الأدباء والمفكرين يشارك فيها الأطفال، فضلاً عن افتتاح عدد جديد من المواقع الثقافية للطفل.

وقدمت الهيئة العامة للكتاب، عبر مشروع مكتبة الأسرة، مساهمة في المهرجان تمثلت في إعادة طبع 21 عملاً من سلسلة «روائع الأدب العربي» و«روائع التراث»، وقررت إضافة 90 كتابًا جديدًا إلى مكتبة الأسرة بأقلام كبار المبدعين والمفكرين.

أما هيئة قصور الثقافة، فأعلنت عن مسابقتين: الأولى للكبار جوائزها 150 ألف جنيه، والثانية للأطفال، بحيث يحصل الطفل على جائزة فورية بمجرد تمكنه من الإجابة عن السؤال المطروح عليه. وتم رصد 150 ألف جنيه لشراء مجموعة «مكتبة الأسرة».

الاحتفاء بالعقاد وهيكل

نظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة احتفالية بمناسبة الذكرى السابعة بعد المائة لميلاد الكاتب الموسوعي المفكر عباس محمود العقاد.

تناولت الندوة جوانب من أعماله ومواقفه، ودراساته في اللغة والعقيدة والتاريخ والفلسفة والتراجم، وغير ذلك من جوانب فكره.

ويعتزم المجلس إقامة احتفالية مماثلة خلال شهر رجب المقبل بمناسبة مرور أربعين عامًا على وفاة الأديب والمفكر د. محمد حسين هيكل يُنتظر أن تشارك فيها شخصيات علمية وعربية، وتدور محاورها في الإنجاز الفكري والإبداعي والأدبي والتراثي الإسلامي لدى هيكل، إضافة إلى دراساته النقدية وكتاباته السياسية.

ندوة عالمية للمخطوطات بحضور علماء 30 دولة

شارك علماء من ثلاثين دولة في أعمال الندوة العالمية للمخطوطات التي نظمتها في القاهرة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) بالتعاون مع دار الكتب المصرية خلال الفترة من 10 إلى 12 محرم الماضي (28- 30 مايو 1996م).

«التراث بين الواقع والتطلع»، عنوان ندوة نظمها النادي الأدبي بحائل، تحدث فيها د. عبدالمحسن القحطاني ود. نايف الدعيس.

«قيم التنشئة الاجتماعية والتغير الاجتماعي»، موضوع محاضرة ألقتها في المنتدى الأسبوعي لرابطة الأدباء بالكويت، د. دلال الزبن.

«د. خالد الدرة: حياته ومواقفه»، موضوع ندوة أقيمت في ديوان الكوفة في لندن، شارك فيها كل من: مير بصري، ونجدة فتحي صفوة، وجليل العطية، وبلند الحيدري.

«نحو مفهومات عامة لتحليل الخطاب الشعري»، موضوع محاضرة ألقاها في رابطة الأدباء بالكويت، د. محمد مفتاح.

«التعددية والديموقراطية في الإسلام»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الصقر بلندن، بدعوة من مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فهمي هويدي.

«تطور الأدب الروسي في القرن الثامن عشر»، موضوع محاضرة ألقاها في منتدى أصحاب القلم بالكويت، فيكتور ليبدريف.

«التقاء الأصيل بالحديث»، عنوان أمسية شعرية نظمها النادي الأدبي في حائل، شارك فيها الشاعران عبدالله الخميسي وسعد الهمزاني، وقدمها كريم النويميس.

«عمر أبو ريشة ومعبد كاجوراو»، موضوع محاضرة ألقاها في مقر اتحاد الكتّاب العرب في حلب، د. أحمد زياد محبك

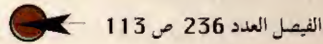
نظم قسم اللغة العربية في جامعة ليدن الهولندية أمسية شعرية للشاعر أمجد ناصر.

«النهج الفلسفي التصميمي»، عنوان محاضرة نظمتها الجمعية السعودية لعلوم العمران، وألقاها في قصر طويق بحي السفارات في الرياض، المعماري زهير فائز.

«بعض الاشكاليات المتعلقة باللغة العربية»، عنوان محاضرة ألقاها في المعهد الأهلي لأصول الدين التابع للجامعة الزيتونية التونسية، الشاذلي القليبي.

«الموسيقى في الحضارة الإسلامية»، عنوان محاضرة ألقاها في رويال فيستفال هول في لندن، د. محمد صالح المهدي.

«الدور الأوروبي في القضية الفلسطينية»و عنوان محاضرة ألقاها في مقر مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية في القاهرة، سفير فلسطين سعيد كمال.



رمت الندوة إلى الاطلاع على أوضاع مراكز المخطوطات وخططها، وتعرُّف احتياجاتها ومشكلاتها، وتنمية التعاون والتنسيق بينها، عبر مناقشة 4 محاور رئيسة هي: الخلفية التاريخية لوجود المخطوطات في بلدان العالم وأهم موضوعاتها، واحتياجات مراكز المخطوطات والمشكلات التي تعاني منها، وحركة نشر كتب التراث المحقق، وبحث آخر تقنيات خدمة المخطوطات

مؤتمر دولي للحفاظ على التراث الثقافي

استضاف المركز الثقافي الإيطالي في القاهرة مؤتمرًا دوليًا للحفاظ على التراث

الفيصل: نهج إسلامي ومكانة متميزة في العالم أجمع



تضمن الاحتفال بمرور عشرين عاما على تأسيس مؤسسة الملك فيصل الخيرية محاضرات ألقيت خلال أيام الاحتفال الثلاثة، وتناولت شخصية الملك فيصل - رحمه الله - من خلال خمسة محاور.

النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية

جاء المحور الأول بعنوان «النهج الفيصلي في معالجة القضايا الإسلامية»، حيث أكد المحاضر معالي الدكتور ناصرالدين الأسد أهمية تواصل الدراسات التي تتناول عظماء الأمة وأعمالهم من دون السقوط في مزالق المبالغة، ودعا شهود العصر إلى «توثيق الأحداث وضبطها وتسمية الأسماء بأسمائها ووصف الأشخاص بصفاتهم».

واستقرأ د. الأسد منهج الفيصل واستخلص منه المعالم التي تؤطره، والتي تتسلسل في نسق وتماسك. ومن تلك المعالم: أن الفيصل كان يرى في قوة العرب قوة للمسلمين وفي قوة المسلمين قوة للعرب، وأن العرب جميعًا يجب أن يكونوا في خدمة الإسلام، وأن الدعوة لتضامن المسلمين ليست وقفًا على شخص بعينه، وليست دعوة أملتها سياسة عابرة أو مؤقتة، ولكنها فريضة وواجب لن تتحقق بغيرها للمسلمين أسباب القوة والنهضة. وكان الفيصل شديد الإيمان والثقة بأن الشريعة الإسلامية فيها ما يكفي لتنظيم شؤون المسلمين، وما يغنيهم عن استجلاب أفكار الآخرين وأنظمتهم، ولكنه في الوقت نفسه كان يرى ضرورة فهم الشريعة فهمًا صحيحًا، بعقول متفتحة ليواجه المسلمون المستجدات. وكان الفيصل يعوّل على العمل الإيجابي الجاد، ومطابقة القول للفعل، وكان حريصًا على أن يعتمد المسلمون على أنفسهم، ويحذر من الاعتماد على الأجنبي والركون إليه، كما كان موقفه ثابتًا وواضحًا من القضية الفلسطينية، والقدس خاصة.

وأشار د. الأسد أن منافحة الفيصل عن القضايا العربية الإسلامية، وآراءه الصريحة الواضحة حولها، أثبت أن الفيصل كان على معرفة بحقائق الأمور، فما كان الفيصل يصرح به ويحذر منه أصبح الآن ظاهرًا للعيان.

واتخذ معالي الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، في تعليقه على محاضرة د. الأسد، بيان الفيصل في مناسبة بيعته ملكًا مدخلاً، ووصف البيان بأنه جاء متميزًا، ولم تكن الكلمات التي حواها مجاملة واسترضاء، وقد أرجع ذلك التميز إلى حسن نشأة الفيصل وخبرته الواسعة. وأن الفيصل حدد أدواء الأمة ومسبباتها وتصدى لها بالدعوة إلى التضامن الإسلامي والأخوة العربية.

وتناول سعادة الأستاذ زين العابدين الركابي في تعليقه الصلة بين الوطنية والعقيدة، وتلازمهما، وأكد أهمية توافرهما لدى الأمة.

وقال الركابي إن الفيصل قد تصدى لإشكالات الوطنية بحنكة وذكاء ومثابرة، وعمد إلى ترسيخ مفاهيم العقيدة السليمة لدى أبناء الأمة. وقال إن الفيصل احتفظ بما أسماه «الهدوء الفاعل» أمام التيارات المتضاربة والقوية. وقال إن هذا المنطلق الهادئ هو الذي حدد المكانة التي تتخذها المملكة في معالجة القضايا والصراعات والاضطرابات. وقد أدار هذه المحاضرة معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب.

الدور القيادي للملك فيصل

وتناول المحور الثاني «الدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي». وأدار هذه المحاضرة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وقد رصد المحاضر معالي الأستاذ جميل إبراهيم الحجيلان، الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي، موارد الفكر والتنشئة والتكوين العربية التي نهل منها فيصل بن عبد العزيز طفلاً وحدثًا وشابًا، والتي جعلت من إحساسه بالعروبة وخدمة قضاياها قناعة لا تهتز وتصميمًا لا يبارى.

وقال الحجيلان : إن شخصية فيصل جاءت مزيجًا لا يجارى من الإيمان بالله والتمسك بمبادئ الدين العظيم وبفضائل الخلق العربي، ولذلك كان موقف الفيصل من العرب وقضاياهم موقف الحامل لهمومهم، المدافع عنهم بتعقل ومرونة وواقعية، اقتداء بالسياسة التي شرعها والده العظيم، والتزمها من بعده ملوك آل سعود، فأعطت المملكة كل أسباب الاحترام والتقدير والأمان والنمو والازدهار، في منطقة ظلت نهبًا للقلاقل والمغامرات السياسية.

وقد حصر الحجيلان تناوله في ستة محاور، هي موقف الفيصل من القضايا التالية: الخلاف السعودي المصري حول اليمن، والقضية الفلسطينية، واستقلال كل من سورية ولبنان، وثورة الجزائر، والحروب العربية الإسرائيلية، والخليج العربي.

ومن خلال هذه المحاور عرض الحجيلان أخلاقيات الفيصل في الممارسة السياسية، وحكمته في معالجة الأمور بالتؤدة والبصر النافذ. وتناول الحجيلان مضامين السياسة الإعلامية الحكيمة التي انتهجها الفيصل، «بينما كانت المملكة تتعرض لحملات إعلامية فقدت كل ضوابط التعقل والحياء». وأكد أن الفيصل كان مقتنعًا بأن الإعلام أمانة في يد المسؤول يجب أن يخشى الله فيها ويضعها في خدمة الصدق والخير والحق.

وأشار الحجيلان إلى مرتكزات التضامن الإسلامي عند الملك فيصل، والقناعة الراسخة التي انطلق منها لتوحيد حقوق المسلمين وجمع كلمتهم على سواء، إذ «لم تكن دعوة الفيصل للتضامن الإسلامي وليدة حدث سياسي مباغت أيقن معه فجأة أنه عاهل البلد الإسلامي الكبير، بل كان التضامن بالنسبة إليه قناعة ومسؤولية وقدرًا».

وقد ركزمعالي الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في تعليقه على موقف الملك فيصل من الجزائر في مرحلة الثورة وما بعدها، فقال إن الفيصل أول من طالب بتسجيل القضية الجزائرية في



الثقافي شارك فيه علماء من تسع دول أوروبية فضلاً عن مصر، وافتتحه الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار د. عبدالحليم نور الدين في غرة شهر محرم الماضي.

ناقش المؤتمر، على مدار يومين، التعاون في مجال حماية الأثر من التلوث، كما استعرض المؤتمرون التجارب المختلفة في مجالات ترميم الآثار.

مجلس الأمن بعد شهرين من اندلاع الثورة في أواخر عام 1954م، إضافة إلى ما قدمته المملكة من دعم مادي ومعنوي، كان يقف وراءه الأمير فيصل.

وذكر الإبراهيمي أن الفيصل نصح بومدين في زيارة له للجزائر عام 1970م بأن لا يعتمد على مُمَوِّل واحد للسلاح، كما وضح في تلك الزيارة اهتمام الفيصل بما تمّ في سياسة التعريب التي اتبعتها الجزائر.

وذكر الإبراهيمي أن الفيصل كان مدرسة قائمة على أسس ثابتة، فقد كان يتطلع إلى النهوض بالمملكة العربية السعودية حتى تنطلق نحو دورها القيادي في عالمها العربي والإسلامي، وكان منظوره العربي يقوم على ضرورة التنسيق والتعاون بين شعوب الأمة العربية.

وقال سعادة الدكتور عبد الحليم عويس إن الملك فيصل نصح للرئيس المصري الراحل أنور السادات - رحمهما الله - بأن يقاتل، إذا كان يريد للوضع القائم يومذاك أن يتغير.

ودلل د. عويس بذلك على أن دور الملك فيصل في حرب أكتوبر 1973م لم يكن دور المساعد، وإنما كان دور المشارك الفعال الذي يملك اتخاذ القرار، ثم أوضح أن عروبة فيصل مولد ونشأه وتربية ووعي واقتناع والتزام وتكوين.

وفي مداخلة للدكتور عبد الله العثيمين، عَقَّبَ بها على تناول الأستاذ الحجيلان لتأثيرات البيئة في الإنسان، أشار إلى أثر الصفات الخاصة للإنسان في تكوين شخصيته، ثم استفسر من الدكتور الإبراهيمي عن حقيقة منح المملكة العربية السعودية في عهد الفيصل جوازات سفر سعودية للمجاهدين الجزائريين.

وقد أجاب الأستاذ جميل الحجيلان بأنه لا يختلف مع الدكتور العثيمين فيما ذهب إليه، وإن كان يرى أن البيئة ذات أثر كبير في تكوين الإنسان. وأوضح الدكتور الإبراهيمي أن المملكة العربية السعودية منحت - بالفعل - جوازات سفر سعودية لبعض الجزائريين ممن كانوا في الخارج للقيام بمهام دبلوماسية، مما يَسَّرَ عليهم القيام بمسؤولياتهم في تلك الفترة المهمة.

إنجازات الملك فيصل

ودار المحور الثالث حول «إنجازات الملك فيصل»، إذ افتتح المحاضرة مديرها سعادة الدكتور فايز إبراهيم الحبيب مشيراً إلى أن تاريخ الملك عبد العزيز هو تاريخ حي يتمثل في الكيان الكبير: المملكة العربية السعودية، والمسيرة التي تمضي قدمًا، وأن الملك فيصل أسهم في وضع لبنات النهضة خلال مراحل حياته الثرة، وتتابعت المسيرة على أيدي إخوانه، وهي المسيرة التي بوأت المملكة مكانة عالمية مرموقة في فترة قياسية.

وأوضح المحاضر سعادة الدكتور عبد الرحمن الصالح الشبيلي عضو مجلس الشورى، وعضو المجلس الأعلى للإعلام أن استعراض إنجازات الفيصل لا يعني إغفال دور الآخرين؛ فقد سارت الأمور منذ أيام عبدالعزيز إلى الآن، على أساس المشاركة في المسؤوليات والعمل، وكان الأخوة والأبناء والأحفاد سندًا حميمًا بعضهم لبعض، كل في موقعه ومسؤوليته، فلقد كتب عبدالعزيز ملحمة من الانتصارات العسكرية والجغرافية والسياسية والاجتماعية. وجاء أبناؤه من بعده وأكملوا تلك الانتصارات بمعارك أخرى ضد الأمية والفقر والمرض، مع انفتاح وحضور على الصعيد الدولي، وهيبة ذات وزن في العالم كله.

وعرض د. الشبيلي ما عدّه أهم مفاتيح شخصية الفيصل، وتطرق إلى أسلوب الفيصل في الحكم، وقال: لقد كانت لديه فلسفة معينة في أسلوب الحكم، وهي رده على كل من يعتقد أن العدل والمساواة لا يتوافران إلا مع نموذج معين للحكم، فهو - أي - الفيصل - يقول: المهم في الحكم ليس الاسم، وإنما التطبيق. ومن هذه القناعة جاءت الإنجازات التي اقترنت باسم الفيصل.

وأورد د. الشبيلي بعض الإنجازات التي اقترنت باسم الفيصل قبل أن يصبح ملكًا، مثل افتتاح الإذاعة في مكة المكرمة، وإنشاء وزارة الإعلام، وتحويل صحافة الأفراد إلى صحافة مؤسسات أهلية، وإنشاء التلفاز. كما أشار إلى نهجه في التطوير المتمثل في التدرج بما يتناسب مع الظروف الاجتماعية في المملكة، إلا في بعض القرارات المهمة التي اتخذها مثل قرار تعليم المرأة، إذ قال إن الدولة ستفتح مدارس للبنات ولن تجبر أحدًا على الذهاب إليها.

وتوقف د. الشبيلي عند برنامج الإصلاح الداخلي الذي طرحه الفيصل إبان ولايته العهد وتوليه رئاسة مجلس الوزراء، الذي قدمه عام 1382هـ/1962م في شكل بيان وزاري تضمن خطة الحكم ومنهج الإصلاح، وذلك بمناسبة تشكيل وزارة جديدة برئاسته، أسماها البعض وزارة الإصلاح.

ثم طلب د. الحبيب مدير الجلسة من معالي الأستاذ هشام محيي الدين ناظر أن يعرض مشاركته، وألا يقتصر على التعليق على ورقة د. الشبيلي بوصفه قد تولى مسؤوليات متعددة في عهد الفيصل.

في البداية تطرق الناظر إلى قضية كتابة التاريخ، وأكد أهمية كتابته بمنهج تحليلي، ودعا إلى إعادة كتابة تاريخ المملكة بمنظور واقعي، وأن تتضافر الجهود لإنجازه قبل أن يغيب كثيرون ممن شاركوا في الأحداث أو تغيب ذاكراتهم.

وركز الناظر على أهمية تفسير الأحداث في إطار الظروف التي أحاطت بها، كما أحصى عددًا من الإنجازات التي اقترنت باسم الفيصل، مبينًا وثوق الصلة بينها وبين فكر الفيصل، وفلسفته، ورؤيته للأحداث المحلية والعالمية من حوله، وخاصة خلال حقبة الستينيات التي اتسمت بالصراعات والاستقطاب الدولي، «والعالم العربي الذي راح يهدم نفسه بمعول ذاته».

ويرى الأستاذ ناظر أن الفيصل قد جابه بالمنهج القويم المد الثوري الانفعالي في المنطقة العربية، فكان إرساء المنطلقات التي ترتكز عليها البلاد اقتصاديًا. وفي إشارته إلى الأزمة الاقتصادية قال: «إن الفيصل وصف الدواء وطبق العلاج بحزم حتى تماثل المريض للشفاء».

وتطرق الأستاذ هشام ناظر إلى بعض صفات الفيصل وقناعاته، وأسلوبه في الإدارة، فقال: «كان على إيمان تام بأن لا تناقض بين الدين واللحاق بركب العصر والتطور»، وكان يثق في رجاله، وكان يطلب منهم أن يقتنعوا بما يقدموه، وكان يعلم أن البترول ثروة ناضبة، فكان يوجه بوجوب عدم الاعتماد على النفط مصدرًا وحيدا للدخل.

وفي إشارة إلى عمق قناعة الفيصل بإعلاء المصلحة العربية والإسلامية، سجَّل الناظر بعض أسرار القمة العربية التي عقدت في الخرطوم على إثر النكسة، والدور المحوري الذي اضطلع به الفيصل بالرغم مما شاب العلاقات العربية من خلافات حادة قبل تلك القمة.

بعد ذلك، عرض معالي الدكتور حمود بن عبدالعزيز البدر، الأمين العام لمجلس الشورى ورقته معلقًا على ما جاء في ورقتي الشبيلي وناظر. وبدأ د. البدر مداخلته قائلاً: «إن تناول سيرة الفيصل يشبه الخوض في المحيط الهادئ الذي يغريك هدوءه، وإذا استعرضته وجدته عالمًا آخر، فالرجل كان ذخيرة من الخبرات». وسلط د. البدر الضوء على أربع زوايا في تاريخ الفيصل: الزاوية الشخصية، والزاوية التنظيمية، والزاوية الاقتصادية، والزاوية السياسية.

وتحدث البدر عن تفاصيل في حياة الفيصل الشخصية التي نظم من خلالها أمور البلاد، وانعكست على علاقاته بالرؤساء وبالمواطنين وقضايا العالم العربي والإسلامي.

الملك الإنسان

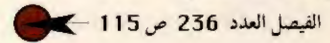
وكان عنوان المحور الرابع: «الفيصل.. الملك الإنسان»، وقد تناوله صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل في محاضرة يطالع القارئ الكريم نصها في الكتيب الذي تقدمه الفيصل هدية لقرائها مع هذا العدد. وقد أدار الحوار سعادة الدكتور هاشم عبده هاشم.

ندوة كتابة تاريخ الفيصل

وتم تناول المحور الخامس في ندوة مغلقة بعنوان «كتابة تاريخ الملك فيصل» تألفت من ثلاث جلسات وجلسة ختامية، شارك فيه عدد من الباحثين العرب والأجانب، هم فضيلة الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، وسعادة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، وسعادة الدكتور يحيى محمود ساعاتي، وسعادة الدكتور محمد زيان عمر الشرقي، وسعادة الدكتور فهد عبدالله السماري، ومن الباحثين الأجانب الدكتور رفينسنز ستراسكا، والدكتور هيلموت منجر، والدكتور جين بيري، والدكتور ديفيد لونج، والأستاذ كرستيان لوشون.

معرض المخطوطات الإسلامية

وقد أُقيم ضمن فعاليات الاحتفال معرض للمخطوطات الإسلامية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، افتتحه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل.



وافتُتح على هامش المؤتمر معرض لترميم الآثار تضمن أفلامًا وثائقية عن موضوعات الترميم المختلفة إلى جانب ندوة علمية عن الترميم الأثري.

نفض الغبار عن كنوز الآثار المخزونة

قررت وزارة الثقافة المصرية إخراج كنوز مصر الأثرية إلى النور بعد أن ظلت لسنوات طويلة محبوسة في مخازن للآثار بعضها لم يتم جرده منذ نصف قرن!

ينتظر أن تستغرق عملية الآثار المخزونة وقتًا غير قليل، إذ سوف تصاحبها عملية توثيق وتسجيل كل قطعة على الحاسب الآلي، ووصفها وصفًا دقيقًا، وتصويرها، وإعداد بطاقة تضم بياناتها كاملة، ويواكب ذلك تنفيذ مشروع لبناء عشرة مخازن حديثة للآثار، تتكلف في مرحلتها الأولى قرابة خمسين مليون جنيه.

دعوة للبحث عن نظرية نقدية عربية

أوصى مؤتمر المنيا الأدبي الرابع النقاد والباحثين العرب بمتابعة تقويم الإبداعات والبحث عن نظرية نقدية عربية جديدة تتواءم مع روح الإبداع العربي وجوهره.

ودعا المؤتمر إلى استلهام الأشكال الشعبية والتاريخية المعبرة عن وجدان الأمة العربية، وإيجاد مصطلحات من واقع مسيرة الأدب العربي، ودعم المؤسسات الثقافية التي تقوم بدور فاعل في مواجهة الانحراف الفكري.

خارطة للآثار الغارقة تحت قلعة قايتباي

يجرى حاليًا إعداد خارطة تفصيلية للعناصر المعمارية والتماثيل الغارقة أسفل قلعة قايتباي في الإسكندرية، والبالغ عددها قرابة ألفي قطعة تنتمي إلى عصور مختلفة.

وكانت اللجنة الدائمة للآثار المصرية اليونانية والرومانية قد وافقت على إبعاد الكتل الخرسانية التي كانت أُسقطت قبل نحو خمسة أعوام حول منطقة القلعة لحمايتها.

يذكر أن هناك 32 قطعة تم انتشالها حتى الآن، وهي معروضة حاليًا في منطقة كوم الدكة.

متحف للعلوم والتقنية

تعتزم وزارة البحث العلمي إنشاء مركز قومي للعلوم والتقنية، على مساحة 15 فدانًا بالقرب من أهرامات الجيزة، على غرار معهد سميسونيان الأمريكي والمجلس القومي الهندي يحكي حضارة مصر القديمة من الناحية التقنية.

يعد المركز أول متحف من نوعه في مصر والشرق الأوسط، إذ يرمي إلى تبسيط العلوم والتقنية ونشرها بين المواطنين وخاصة الشباب، إيمانًا بحق الأجيال الناشئة في معرفة التقنية والعلوم الحديثة، حيث سيتم توجيه الاهتمام للمرحلة العمرية تحت سن 12عامًا عبر أقسام متخصصة تضم: تقنية الفضاء والعلوم الجيولوجية وفروعها، والنقل والاتصالات والعلوم البحرية، والعلوم الفيزيائية وفروعها، والخلية الحالية وعالمها المتكامل، والتاريخ الطبيعي والحاسب الآلي وعلوم المستقبل وتقنياتها.

مركز للفنون ومتحف للخزف الإسلامي

تقرر تحويل قصر الأمير عمرو إبراهيم بالزمالك إلى مركز للفنون باسم «مركز الجزيرة للفنون» يضم متحفًا للخزف الإسلامي.

يحوي المتحف نحو ثلاثمئة قطعة خزف من مصر وتركيا وإيران، تنتمي إلى عصور الأمويين والفاطميين والأيوبيين والمماليك.

كما يضم المركز خمس قاعات للفنون التشكيلية أُطلق على كل واحدة منها اسم أحد

رسائل جامعية

«الزي المدرسي بين الكفاءة والتطوير للمرحلة الثانوية بمدارس البنات في مكة المكرمة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد المنزلي بمكة المكرمة، تقدمت بها خديجة سعيد مسفر.

«تخطيط مقترح لإنشاء مركز معلومات وطني لدراسات الطفولة في المملكة العربية السعودية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم المكتبات بكلية الآداب في جامعة الملك عبدالعزيز، تقدمت بها هدى محمد باطويل.

«تحقيق الجزء الثاني من كتاب المستجمع في شرح المجمع من أول كتاب البيوع إلى نهاية كتاب الرضاع»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها محمد بن عبدالله البشر.

«التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي.. دراسة في بناء النظرية الاجتماعية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدمت بها نورة خالد السعد.

«المنشآت الرياضية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الهندسة بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد حسام الدين مصطفى.

«أبنية الالحاق في الصحاح»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها مهدي بن علي القرني.

«أشعة جاما وتأثيرها على طائر السمان»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم بجامعة عين شمس، تقدمت بها ماجدة محمد مصطفى وكوك.

«تفسير أبي الليث السمرقندي من أول سورة الأحزاب إلى آخر القرآن الكريم»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها صالح بن يحيى صواب.

«السلطة والتدخل البريطاني في الجزيرة العربية 1914- 1924م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، تقدمت بها هيفاء العنقري.

«العقائد الباطنية في ماليزيا»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها جوهري بن مت شاه.

«السياسة الخارجية للعراق على المستوى الإقليمي بين عامي 1979- 1990م»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية



رواد الفن التشكيلي المصري، وتحتوي على أجنحة للمنمنمات، والأعمال التشكيلية.

بحث توحيد نظم عمل المتاحف العربية

شارك خبراء من 12 دولة عربية في أول مؤتمر تنظمه المنظمة العربية للمتاحف (الإيكوم) لبحث إمكان توحيد نظم عمل المتاحف العربية وتطويرها.

استضافت القاهرة جلسات المؤتمر التي استمرت ثلاثة أيام خلال النصف الأول من شهر محرم الماضي، وناقش المشاركون تحديث الإدارة في المتاحف العربية ومجالات التنسيق بينها.

تغريم دار نشر لتحريف رواية لعبد القدوس

ربح ورثة الكاتب الراحل إحسان عبدالقدوس الدعوى التي رفعوها ضد أمير وسعيد جودة السحار، أصحاب مكتبة مصر التي كانت تتولى طبع أعمال عبدالقدوس.

وكان الورثة قد اتهموا الدار بتحريف رواية «أبدًا لن أستطيع» التي كتبها إحسان عبدالقدوس، حيث عمدت إلى تنقيتها من عبارات رآها أصحاب الدار غير مناسبة، وقاموا بتعديلها من دون إذن الورثة. فقضت المحكمة بغرامة خمسة آلاف جنيه إضافة إلى تعويض مدني مؤقت للورثة تطبيقًا لقانون حق المؤلف.

كتب جديدة

قصائد، مجموعة شعرية للدكتور عبدالعزيز شرف، صدرت ـ مع ترجمة إنجليزية قامت بها د. سهير جاد وأحمد آدم ـ عن مكتبة مصر.

الشاعر مفكرًا، تأليف د. عبدالله التطاوي، صدر عن دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، تأليف د. علي علي صبح، صدر عن المكتبة الأزهرية للتراث.

أمتنا وجوائز نوبل، تأليف محمد حسين أبوالعلا، صدر عن الفتح للإعلام العربي.

عندي كلام، تأليف أنيس منصور، صدر عن دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق د. عبدالمنعم أحمد صالح، صدر ضمن سلسلة «الذخائر».

طغيان سطوة الطوايا، الديوان الأول للقاص، الذي صار شاعرًا، إدوار الخراط، صدر ضمن سلسلة «أصوات أدبية».

مرآة الحبر، مختارات من أعمال بورخيس، ترجمها إلى العربية محمد عيد إبراهيم، وصدرت ضمن سلسلة «آفاق الترجمة».

رامبو وزمن القتلى، تأليف هنري ميللر، ترجمه إلى العربية سعدي يوسف، وصدر ضمن سلسلة «آفاق الترجمة».

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن هيئة قصور الثقافة

الأطفال في الشرق الأوسط الإسلامي، تأليف د. اليزابيث فيرني، صدر عن قسم النشر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

التراث المسروق: الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة، تأليف جورج. جي.إم، جيمس، ترجمه إلى العربية جلال شوقي، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة.

صور من قريب، تأليف حسن فؤاد، صدر ضمن سلسلة «إقرأ» عن دار المعارف.

بجامعة القاهرة، تقدمت بها علا سيد إسماعيل.

«الثقافة الإدارية وتأثرها بالتركيبة الاجتماعية وقيم المجتمع السعودي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة تمبل بولاية بنسلفانيا، تقدم بها عبدالله عبدالكريم أحمد السالم.

«توفيق الحكيم ناقدًا»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بالمنوفية في مصر، تقدم بها شعبان عبدالحميد.

«اتجاهات الشعر في مملكة غرناطة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها أيمن ميمان.

«الحياة الاجتماعية في نجد قبل النفط»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العليا في الرياض، تقدمت بها بدرية البشر.

«التحضر في مدينة الطائف 1947- 1987م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة كنسنجتون بولاية كاليفورنيا الأمريكية، تقدم بها حمد الزيد.

«تفسير الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.. جمع وتحقيق»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، تقدم بها محمد حسن سبتان.

«فاعلية اللجان الفرعية بجمعية التنمية الريفية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الخدمة الاجتماعية في الفيوم بمصر، تقدم بها محمد أمين محمد.

«محمد النويهي ناقدًا»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد محمد عليوة.

«نظرية التشابك في البوليمرات الناتجة بسبب التفاعلات الكيميائية الضوئية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة ويلز في بريطانيا، تقدم بها حمد بن بكر العليان.

«أسلوب التفضيل في اللغة العربية واستعمالاته في القرآن الكريم والحديث الشريف»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب للبنات بالرياض، تقدمت بها منيرة عبدالله بن ناصر الفريحي.

«نحو نماذج مقترح لممارسة طريقة العمل مع الجماعات في تنمية المهارات الابتكارية لطالبات المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب للبنات بالرياض، تقدمت بها عائدة بنت خليل بن إبراهيم الحجيل.

«دراسة الخواص الحرارية وظاهرة الانتقال الحراري لبعض محاليل البوليمرات»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم للبنات في الدمام، تقدمت بها ابتسام بنت عبدالرحمن سليمان النعيم.

«قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها عبدالرحمن بسيسو.

فلسطين

رحيل صاحب «المتشائل»

ودعت الأوساط الثقافية الكاتب الروائي إميل حبيبي، الذي توفي عن عمر ناهز73 عامًا إثر مرض عضال.

وحبيبي، المولود في حيفا عام 1923م، أحد أبرز أدباء الأرض المحتلة، وأكثرهم إثارة للجدل حوله؛ إذ أسهم عام 1945م في تأسيس عصبة التحرر الوطني الفلسطيني، وبعد قيام الكيان الصهيوني عام 1948م رفض أن يترك وطنه، وعمد إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ومثَّله في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) من عام 1952م إلى 1972م، ثم استقال ليتفرغ للعمل الصحافي والأدبي. ولم يحل عام 1989م حتى كان قد ترك العمل بالسياسة، ثم ما لبث أن ترك عضوية الحزب الشيوعي عام 1991م.

أسس حبيبي مجلة «مشارف»، وأصدر خمس روايات: «سداسية الأيام الستة»، «يوميات سعيد أبي النحس المتشائل»، «لكع بن لكع»، «أخطية»، «خرافية سرايا بنت غول»، ومسرحية «أم الروبابيكا»، وكتابي: «نحو عالم بلا أقفاص» و«رسائل ومقالات فكرية».

وقد تُرجمت روايته «المتشائل» إلى 15لغة عالمية، ومُنح جائزة الدولة الإسرائيلية العليا في الأدب لعام 1992م التي سببت له هجومًا شديدًا سواء من العرب أو من الصهاينة المتعصبين، وصل من الجانب العربي إلى المطالبة بسحب «جائزة القدس» التي منحته إياها الدائرة الثقافية الفلسطينية.

ولم تشغله أعماله الأدبية عن المشاركة في النضال السلمي، إذ أولى اهتمامًا بلجنة المبدعين الإسرائيليين والفلسطينيين ضد الاحتلال ومن أجل السلام وحرية الإبداع، واشترك في رئاسة هذه اللجنة.

الأردن

التفاعل الثقافي في القرن الجديد

شارك 47 مفكرًا وكاتبًا أكاديميًا في أعمال المؤتمر العلمي الثاني حول التفاعل الثقافي على أعتاب القرن الحادي والعشرين، الذي نظمته خلال شهر محرم الماضي جامعة فلادلفيا في عمان.

اشتمل المؤتمر على أربعة محاور رئيسة تناولت مفاهيم الانغلاق والتفاعل، وقضايا المركزية والنسبية والتعددية الثقافية، والثقافات الإنسانية، والتفاعل والانغلاق بين الذات والآخر، والمرتكزات الثقافية للنظام العالمي الجديد.

جائزة الملك عبدالله بن حسين

أعلن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في عمان بالتعاون مع جامعة درم البريطانية عن فتح باب المشاركة لنيل جائزة الملك عبدالله بن الحسين العالمية لعام 1997م في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وتقرر أن يكون موضوع الجائزة: «التنوع والتعدد في إطار الوحدة في الثقافة العربية والحضارة الإسلامية»، واشترط المجمع أن يكون المشارك من مواطني العالم العربي ومقيمًا بأحد بلدانه منذ عام 1990م على الأقل، وأن يكون البحث باللغة العربية، وإذا كان قد نُشر فيجب أن يكون النشر في عام 1990م أو بعده، وألا يكون البحث قد نال جائزة دولية. وتحدد يوم الثاني والعشرين من شهر شعبان 1417-(الأول من يناير 1997م) موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

ندوة إقليمية لصحافيي الشرق الأوسط

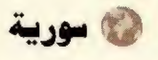
استضافت عمان ـ مؤخرًا ـ ندوة إقليمية لصحافيي الشرق الأوسط، قامت بتنظيمها منظمة الصحافيين العالميين بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الأردن، وبمشاركة صحافيين من: الأردن ومصر وسورية ولبنان وفلسطين والعراق إضافة إلى ممثلين لوسائل الإعلام العربية والعالمية.

تركزت أبحاث الندوة حول العمل الإنساني والإعلام، والتغطية الإعلامية للحالات الإنسانية.

المؤتمر السادس للنقد الأدبي

تنظم كلية الآداب بجامعة اليرموك مؤتمر النقد الأدبي السادس خلال المدة من 29 صفر الجاري إلى غرة ربيع الأول المقبل (15-17يوليو 1996م).

يشارك في المؤتمر مجموعة من النقاد والأكاديميين العرب، حيث يناقشون موضوعًا رئيسًا هو «النص ومشكلاته وقراءاته»، ويتمحور الموضوع حول: مفهوم النص، ولغته، وتأويله، وعلاقة المتلقي بالنص، وتقنيات النص، وكيفية إعادة قراءة النص الشعري القديم، وموضوعات أخرى.



سورية

التراث الحضاري للجزيرة السورية

نظمت وزارة الثقافة بالتعاون مع جامعة برلين الحرة ومعهد الآثار الألماني ندوة دولية في دير الزور بعنوان « الجزيرة السورية: التراث الحضاري والصلات المتبادلة».

عنت الندوة بمناقشة تراث وصلات الجزيرة السورية، ويقصد بها الهضبة المنبسطة بين الفرات ودجلة، في مختلف العصور، وخاصة القديمة.

كتب جديدة

رهان على الإنسان: التفاؤل كتحد، تأليف روبير بانك، ترجمته إلى العربية نادرة اليازجي، وصدر ضمن سلسلة «دراسات فلسفية وفكرية» عن وزارة الثقافة.

إيماءات، قصص قصيرة جدًا لضياء قصبجي، صدرت عن دار أشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع بدمشق.



الحمراء: أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الأندلس وإسبانيا، تأليف واشنطن إيرفنج، ترجمه إلى العربية عبدالكريم ناصيف، ود. هاني يحيى نصري، وصدر عن مركز الإنماء الحضاري في حلب.

أحلام الفيديو، مجموعة قصصية للؤي عبد الإله، صدرت عن دار الجندي.

مدينة إيزيس: التاريخ الحقيقي للعرب، تأليف بيير روسي، ترجمة فريد جحا، صدر عن دار البشائر

وقائع سنوات الصبا، رواية لمحمود قاسم

الغابة النائمة، مجموعة قصصية لنادر السباعي.

صدر الكتابان السابقان عن مركز الإنماء الحضاري في حلب.

لبنان

الاستشراق الألماني تاريخًا وواقعًا

نظمت كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية (الفرع الثالث) بالتعاون مع المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت - مؤخرًا - مؤتمرًا تحت عنوان «الاستشراق الألماني: تاريخًا وواقعًا»، بمشاركة مستشرقين وأكاديميين من ألمانيا والأردن ولبنان.

جاء عقد المؤتمر الذي استمر يومين بمناسبة مرور قرن ونصف القرن على تأسيس جمعية المستشرقين الألمان، وركزت جلساته على تجربة الاستشراق الألماني تاريخًا وتطورًا، ومناهج المستشرقين الألمان في الدراسات التاريخية واللغوية، وأساليبهم في الترجمة، والدور الذي قام به المعهد الألماني للدراسات الشرقية في بيروت.

الثقافة وبناء الإنسان

نظم المجمع الثقافي العربي بالتعاون مع الجامعة الأمريكية في بيروت ندوة بعنوان «الثقافة في خدمة القيم».

ناقشت الندوة عدة ورقات بحث من أهمها: الثقافة وبناء الإنسان، الثقافة وبناء القيم، الثقافة وتعليم القيم.

«اتجاه»

هذا هو اسم أحدث مجلة صدر عددها الأول - مؤخرًا - في العاصمة اللبنانية بيروت.

و«اتجاه» مجلة ثقافية فكرية أسبوعية تصدر - حاليًا - شهرية بصفة مؤقتة.

كتب جديدة

سبك المقال لفك العقال، تأليف الشيخ عبدالواحد محمد بن الطواح، تحقيق محمد مسعود جبران.

صنعة الشعر، لأبي سعيد السيرافي، تحقيق وتعليق د. جعفر ماجد.

صدر الكتابان السابقان عن دار الغرب الإسلامي في بيروت.

خطاب الهوية (سيرة فكرية)، تأليف علي حرب، صدر عن دار الكنوز الأدبية.

لبنان في القرن الثامن عشر، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن الجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية ودار المنتخب العربي.

تاريخ الدولة الأموية، تأليف محمد سهيل طقوش، صدر عن دار النفائس.

ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني، ومراجعة ناهد جعفر، صدر عن دار صادر.

ملحمة السراب، مسرحية لسعدالله ونوس، صدرت عن دار الآداب.

تونس

مناقشة منهجية البحث العلمي الغربي

استضافت تونس - مؤخرًا - أعمال ندوة «البحث العلمي الغربي في العلوم الإنسانية والاجتماعية عن البلاد العربية وتركيا» بمشاركة أربعين باحثًا من جامعات عربية وتركية وأوربية.

استمرت الندوة ثلاثة أيام عُقدت خلالها إحدى عشرة جلسة علمية تناولت محاور شتى تتصل بموضوع الندوة، منها منهجية البحث العلمي للدراسات العربية في شبه الجزيرة الأيبرية، والتثاقف العربي التركي بين التواصل والانقطاع، ودور البحث العلمي المعاصر في فهم التحولات الاجتماعية وتحديث المجتمعات العربية، وموضوعات أخرى.

كتب جديدة

من النافذة إلى الأفق.. قراءات ومواقف، تأليف عبدالرحمن مجيد الربيعي.

البحر والموت والجرذ، رواية لفرج الحوار.

صدر الكتابان السابقان عن دار سعيدان للطباعة والنشر.

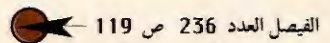
مجموعة الأشكال تفقد هويتها، تأليف الناصر التومي، صدرت عن دار سحر للنشر في تونس.

عصافير الجنة، مجموعة قصصية للدكتور محمود بلعيد، صدرت عن الدار العربية للكتاب.

المغرب

ملتقى روائي مصري - مغربي

تحت عنوان «الرواية في مصر والمغرب: قراءات وأسئلة» أقيم ملتقى في الدار البيضاء ضم أكثر من أربعين كاتبًا وأديبًا مصريًا ومغربيًا، قدموا قراءات وإضاءات لأبرز النصوص التي نشرت في مصر والمغرب خلال العقد الأخير.



ناقش الملتقى عبر خمس جلسات نحو 12 عملاً روائيًا مغربيًا ومصريًا، إضافة إلى أوراق عمل قدمها في الجلسة الافتتاحية عدد من النقاد والأدباء.

جريدة للأميين

صدرت ـ مؤخرًا ـ أول صحيفة نصف شهرية موجهة للأميين الذين لا يكادون يعرفون القراءة.

الجريدة تحمل اسم «الجواز» وتتكون من ثماني صفحات بحجم التابلويد، ومطبوعة بخطوط كبيرة، وحروفها مشكلة لمساعدة قرائها على تنمية قدراتهم الذهنية.

تصدر الجريدة جمعية التربية من أجل الجميع، وترأس تحريرها أمينة أشركوك، ويعني اسمها «الجواز» جواز المرور من الأمية إلى العلم.

المشكلة التي تواجهها الجريدة تكمن في رفض الموزعين لها لعدم جدواها الاقتصادية، حيث لاتبحث عن الربح.

كتب جديدة

حفريات المدى، تأليف بشير القمري، صدر عن منشورات البوكيلي في القنيطرة.

لسان آدم، تأليف عبدالفتاح كليطو.

قراءة وتحليل لرواية بداية ونهاية، تأليف سعيد الحنصالي، صدر ضمن سلسلة «دفاتر أدبية».

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر توبقال.

تطوان في القرن 19: مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، تأليف عبدالعزيز السعود، صدر عن منشورات جمعية أسمير.

الجزائر

ملتقى المصطلح العلمي في التراث الإسلامي

أقيم في مدينة وهران ـ مؤخرًا ـ المؤتمر الدولي حول المصطلح العلمي في التراث الإسلامي بمشاركة أكاديميين من مصر وسورية والمغرب وتركيا إضافة إلى الجزائر.

ناقش المؤتمرون عدة موضوعات تمحورت حول نشأة المصطلح العلمي في التراث الإسلامي، وواقعه الحالي، ودور الجامعات العربية في هذا المجال، وأقيم على هامشه معرض للكتاب ومحاضرات حول التراث الإسلامي.



فرنسا

قمة للطفولة

عقدت في ديزني لاند في باريس قمة الطفولة الثالثة، بمشاركة 600 طفل من مختلف أنحاء العالم، وإشراف وتنظيم منظمة اليونسكو العالمية بالتعاون مع شركة ديزني لاند تحت شعار «الإعلام والعام 2000م».

رمى المؤتمر إلى إتاحة الفرصة لأطفال العالم للالتقاء بنظرائهم من مختلف البلدان، وتبادل الأفكار حول المظاهر الحضارية المتعددة في بلدانهم، وخاصة ما يتعلق منها بالإعلام.

يُذكر أن قمة الطفولة هي منتدى دولي يقام سنويًا، وهذه المرة الثالثة التي تعقد فيها.

معجم دولي عن التعليم

صدر عن منظمة اليونسكو العالمية، معجم فريد في نوعه عن التعليم، يضم مجموعة من الدراسات التحليلية في هذا المجال في مختلف بلدان العالم، وأسماء 150 فيلمًا من 58 دولة حول التعليم في العالم.

يحوي المعجم أيضا أحدث التطورات العالمية وأهمها في مجال التعليم، وأبرز إسهامات الهيئات والمنظمات الدولية في تطويره.

جائزة روسو لجوليان وألبير كامو لأندرية شديد

مُنح الفيلسوف فرانيو جوليان جائزة جان جاك روسو للعام الحالي عن كتابه «أسس الأخلاق»، والكاتبة أندرية شديد جائزة ألبير كامو الأدبية لكتابها «مواسم العبور» ولمجمل أعمالها. يعد جوليان من أبرز المتخصصين في مجال الحضارة الصينية، وقد أثنت لجنة الجائزة على الطريقة التي اتبعها في شرح مشكلة كيفية تشريع الأخلاق.

أما أندريه شديد، فهي كاتبة فرنسية من أصل مصري ـ لبناني، وتعد ثانية العرب من حيث الحصول على هذه الجائزة، إذ سبقها إليها عام 1992م الكاتب الجزائري الراحل رشيد ميموني.

أحدث الكتب

وردة في الشتاء، رواية للأديبة لوسيل لافجي، صدرت عن دار نشر جاليمار.

أساكل المشرق، رواية لأمين معلوف، صدرت عن دار نشر جراسي.

كُتّاب عرب من الماضي والحاضر، إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف فاروق مردم، صدر عن دار سندباد بالتعاون مع معهد العالم العربي في باريس.

الحب القادم، رواية لإيف سيمون، صدرت عن دار نشر جراسيه.

دعوات إمبراطورية: التدخل والمقاومة في عصر العولمة، تأليف د. غسان سلامة، صدر عن دار نشر فايار.

بريطانيا

سِيَر النساء العربيات

استضاف معهد الفنون المعاصرة في لندن ـ مؤخرًا ـ مؤتمرًا بعنوان «سير النساء العربيات» نظمه مشروع الدراسات الخاصة بالنساء العربيات في جامعة درم والمركز البريطاني للترجمة الأدبية، وأقيم المؤتمر برعاية المجلس البريطاني.

شارك في المؤتمر مجموعة من أبرز الناقدات والكاتبات والأديبات من أقطار عربية مختلفة.



الجالية الليبية تصدر «جيل ورسالة»

أصدرت جمعية العمل الثقافي الليبي العدد التجريبي من نشرة «جيل ورسالة» التي تعد أول مطبوعة تصدرها الجالية الليبية في بريطانيا.

ترمي النشرة إلى التقريب بين أبناء الجالية ووطنهم الأم، وخاصة أن الكثير من أبناء الجيل الجديد ولد في بريطانيا وتربى فيها، إلى جانب إيجاد نافذة لإبداعات شباب الجالية الليبية.

وفاة رائدة أدب الأطفال

توفيت - مؤخراً - الكاتبة باميلا ليودن ترافوس، رائدة أدب الأطفال، عن عمر ناهز 96 عامًا.

وترافوس أسترالية المولد بريطانية الجنسية، وقد أثرت أدب الطفل على مدى نصف قرن من الزمان بالعديد من الروايات التي اهتمت من خلالها بتقديم المفاهيم الإنسانية.

وهي إلى جانب ذلك شاعرة وصحافية وناقدة مسرحية ومهتمة بالفولكلور، وقد بدأت مشوارها الأدبي عام 1934م، وظلت تكتب حتى بلغت الثمانين عامًا، وكانت توقع بالأحرف الأولى لاسم مستعار هو ماري بونيز.

أحدث الكتب

مناحة على بلاد الرافدين، قصيدة طويلة للشاعر العراقي نبيل ياسين، صدرت عن منشورات ستديو الشعر في لندن.

الغرباء في خطاب لبنانيين عن الحرب الأهلية، تأليف مارلين نصر، صدر ضمن سلسلة «بحوث اجتماعية» عن دار الساقي.

الأدب الحديث في لبنان: نظرة مغايرة، تأليف جهاد فاضل، صدر عن دار الريس.

ألبانيا

جائزة لروائي أرجنتيني

مُنح الكاتب الأرجنتيني إرنستو ساباتو جائزة إسماعيل قدري الأدبية لهذا العام.

يعد ساباتو المولود عام 1911م من علماء الطبيعة؛ إلا أنه له أعمالاً أدبية متميزة، إذ تجمع رواياته بين الاتجاه البوليسي والتأمل الفلسفي، ومن أشهرها روايته «ملاك الظلام».

الصين



وفاة الشاعر آي كينج

توفي الشاعر آي كينج عن عمر ناهز 86 عامًا.

ويعد آي كينج من أبرز شعراء الصين، إذ ترجمت قصائده إلى لغات عالمية مختلفة، وعُرف بتأثره بشعراء الواقعية الفرنسية، والشاعر الأمريكي وايتمان.

وقد كتب كينج أروع قصائده خلال المدة التي أمضاها معتقلاً (16عامًا) لمعارضته السلطة الشيوعية.

إيطاليا

ملتقى للشبكات الثقافية الأوربية

التقى 350 مسؤولاً ينتمون إلى نحو خمسين شبكة ثقافية من 35 دولة أوربية في ملتقى للشبكات الثقافية الأوربية استضافته - مؤخراً - مدينة تورينو.

أقيم الملتقى بالتعاون بين المنتدى الأوربي للثقافة، والمنتدى الأوربي للفنون والتراث الثقافي، وشاركت في أعماله هيئات دولية ومؤسسات ثقافية عامة وحرة.

إسبانيا

مؤتمر دولي للناشرين

شارك نحو ألف ناشر ينتمون إلى سبعين دولة في أعمال المؤتمر الدولي الخامس والعشرين لاتحاد الناشرين، الذي استضافته - مؤخراً - مدينة برشلونة.

بحث المؤتمر دور وسائل الإعلام في المجتمع، وتقدم فعاليتها على حساب الكتاب، ومشكلة سرقة الكتب بنسخها من دون إذن مؤلفيها أو ناشريها، ومشكلات الترجمة وحرية الرأي والنشر، وأسعار الكتب.

بلجيكا

مهرجان دولي للفنون

اختتمت - مؤخراً - أعمال المهرجان الدولي للفنون الذي استضافته مدينة بروكسل في دورته الخامسة.

شارك في المهرجان فنانون من مختلف قارات العالم، وتميز بمشاركة عربية ملحوظة، وتنوع عروضه بلغات غير الفرنسية والفلامنكية.

ألمانيا

جوائز الأكاديمية

مُنح الأكاديمي بيتر فابينسكي جائزة فرويد، والمؤرخ والناقد أولريش فاينسترل جائزة هاينرخ ميرك.

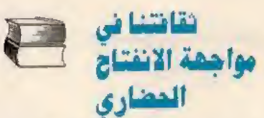
والبروفسير فابنيسكي المولود عام 1922م، هو أستاذ بارز للأدب الألماني الوسيط والفيولوجيا الألمانية، من أبرز كتبه «مقالات في أدب القرن العشرين» و«كتابات عن فاجنر». أما المؤرخ والناقد الأدبي فاينسترل فمن المتخصصين في مجال البيوجرافيا.

وينتظر أن تقوم الأكاديمية الألمانية بتسليم الفائزين جوائزهم ضمن مؤتمرها الدوري في نهاية جمادى الأولى المقبل (أكتوبر 1996م).


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

كتب وردت

ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري



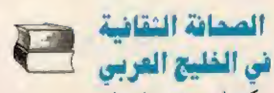
كتاب يناقش أبعاد الواقع الثقافي والاجتماعي للحضارة العربية الإسلامية في ضوء الانفتاح على الحضارة الأوربية. وتحاول المؤلفة هيام الملقي تلمس مظاهر الوهن في ثقافتنا، وإيجاد السبل والحلول الكفيلة بتجاوزها، وذلك بعرض اقتراحات ترمي إلى تحقيق ذات قوية تساعدها في معركتها مع تحدي الثقافات، وتساعد على نقلها من مرحلتي التكديس والاستيعاب إلى مرحلة الإبداع.. وأوردت المؤلفة آراء عدد من الكتاب والمفكرين الذين أولوا اهتمامهم الخاص بدراسة واقع ثقافتنا، والبحث عن أسباب معالجة جوانبه المختلفة.

ينقسم الكتاب إلى جزأين رئيسين، يتناول الجزء الأول منهما في فصوله الستة: تأصيل مفهوم الثقافة ومحاولة ربطه مع مفهوم الحضارة عند ابن خلدون. وبعد عرض جوانب الضعف في ثقافتنا، وطرح محددات الانطلاق نحو بناء ثقافة جديدة تتلاءم مع التاريخ العربي الإسلامي المشرق، أوضحت المؤلفة أهمية بعض المؤسسات التي لها تأثيراتها المهمة في صنع الثقافة. وتناول هذا الجزء أيضًا تجربة بعض الدول الأوربية وغيرها في طريقة صنع ذاتها الثقافية، وذلك بوصف الحضارة الإنسانية حلقات مترابطة، تقوم الجماعات البشرية بترك بصماتها عليها، أثناء محاولة تحقيق ذاتها، من طريق الإضافات التي تتم في مسيرة تداول الدور في صنع الثقافة، ومن ثم صنع التاريخ.

أما الجزء الثاني بفصليه الأول والثاني، فيلقي الضوء على محاولات الأمة العربية الإسلامية في سبيل وعي الذات، وبلوغ مرحلة الإبداع الحضاري، كما يوجه الاهتمام إلى بعض العلوم الإنسانية وأهميتها لكونها وسيلة لصنع الذات، وناقش القسم - بشيء من التركيز - موضوعات مثل «الثقافة الإسلامية»، و«تجديد الفكر الإسلامي» و«مسؤولية الإعلام ودوره في بنائنا الثقافي».

الكتاب يقع في 432 صفحة من القطع الكبير، وصدر عن دار الشواف في الرياض.

الصحافة الثقافية في الخليج العربي



كتاب يشتمل على دراسات توثيقية وتحليلية لبعض الصحف والمجلات التي تصدر في منطقة الخليج العربي. عرض فيه المؤلف ياسر الفهد جوانب من تجربته مع الصحافة العربية بعامة، ومن خلال هذه التجربة ناقش «العلامات المشرقة والقاتمة» في مسيرة الصحافة العربية، وعدداً السلبيات التي تعوق هذه المسيرة وإمكانات تجاوزها لتضطلع الصحافة العربية بدورها المتكامل المفترض.

عالج المؤلف موضوع الكتاب في أربعة فصول، ورصد جملة من المطبوعات التي تصدر في أقطار عربية متعددة، وأفرد الفصلين الثاني والثالث للصحافة الخليجية بادئًا بعرض خلفية تاريخية والسمات المميزة لكل دورية وتوجهاتها. وخصص لمجلة الفيصل خمس صفحات من العرض التوثيقي، بعنوان «الفيصل والالتزام العربي والإسلامي»، وفي الفصل الثالث رصد الزوايا والأعمدة التي تحفل بها الصحافة العربية الخليجية، والموضوعات التي يعالجها كُتاب هذه الزوايا، وقد اتسم هذا التناول بالانطباعية أكثر من العمق والتحليل في الرصد والمعالجة.

أما الفصلان الأول والرابع، فقد ناقش فيهما المؤلف قضية الصحافة بصفة عامة. ففي الفصل الأول بعنوان «صحافتنا والصحافة المتقدمة» وازن بين رسالة الصحافة في الوطن العربي والعالم الغربي، والتباينات في أسلوب التغطية والمصادر التي تعتمد عليها كل منهما. وفي الفصل الرابع بعنوان «فن الصحافة في الكتب» قدم المؤلف جوانب من تاريخ نشأة الصحافة في الخليج والمملكة العربية السعودية بخاصة، وعرض مقتطفات مما أورده بعض الكتاب عن الكتابة الصحفية، وطبيعة كل فن من الفنون الصحفية، والاستعداد المهني المطلوب فيمن يتصدى لهذا الفن أو ذاك.

وفي خاتمة الإصدار أرفق المؤلف فهرسًا بالأعلام والدوريات والوزارات التي ورد ذكرها في موضوعات الكتاب.

يقع الكتاب في 176 صفحة من القطع المتوسط.

طنجة: الصورة الشاعرة

كتاب يناقش ارتباط الشعراء بالمدينة أو المكان بعامة، وأثر هذه العلاقة في التجربة الشعرية، وقد اتخذ المؤلف أحمد الطريق من مدينة طنجة المغربية نموذجًا، وعرض رؤى مختلفة عن توظيف (المكان) في المعالجة الشعرية، فهو يقول: «إن طنجة في فضاء التخييل الشعري موضوع له علاقة بمحورين أساسيين للحداثة الشعرية، وكان لهما اتجاه جديد في الشعر العربي المعاصر، هذان الموضوعان هما: إشكالية المكان، وظاهرة المدينة».

ومن خلال عرض 31 نصًا لشعراء مغاربة وشعراء عرب آخرين، قدم المؤلف صوراً مختلفة لتماثل الرؤية وتغايرها، من انفعالات مع المكان كظاهرة يتعامل معها الإبداع الفني بشتى صوره وأجناسه، وتعبيراً عن بُعد موقعي إزاء العالم المحيط، لأن رؤية الفنان للعالم تنطلق من حيز المكان من خلال المنظورات والمسموعات والمجردات.

مشروع هذه الدراسة - كما يشير المؤلف في مقدمته - حفزته «ندوة طنجة في الآداب والفنون» التي نظمتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بالمغرب في عام 1991م، فجعل مداخلته التي شارك بها في الندوة بعنوان «طنجة في التحليل الشعري المعاصر: الرمز والذاكرة مدخلاً لموضوع الدراسة» وأضاف إليها نصوصاً أخرى. وهو لا يعد الكتاب من المختارات، لأن النصوص لا تعكس منظوره الشخصي تصوراً ونقداً ورؤية وموقفًا؛ إذ اكتفى بالتنسيق وبالتعليق التوضيحي على الأبعاد العامة في النصوص التي أوردها. وأثبت المؤلف في خاتمة الدراسة معجمًا بأسماء الشعراء حسب ورودهم في المتن.

الدراسة تقع في 246 صفحة من القطع الكبير، وقد صدرت عن مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة.

معالم العروض والقافية

دراسة ميسرة لعلمَي العروض والقافية، مما يحتاج إليه الدارسون في مرحلة التعليم الجامعي، وقد استعرض المؤلف د. عمر الأسعد تعريف هذا العلم، ومصطلحاته، وطريقة تقطيعه، ورموز التقطيع، ثم أعقب ذلك بذكر بحور الشعر العربي، وأوزانها، وأضربها، وأعاريضها، واستعمالاتها، وعزز ذلك بالأمثلة والشواهد الشعرية، وخلص بعد ذلك إلى ذكر ما يتعلق بالبحر من ملاحظات تحدد معالمه، وتميزه من غيره من البحور، ثم ينتقل إلى تحديد علم القافية، وذكر أنواعها، وحروفها، وعيوبها، مشفعًا ذلك بأنموذجات شعرية للتطبيق والتدريب.

الدراسة حصيلة خبرة المؤلف في تدريس هذه المادة، ومعالجة مشكلاتها لدى الطلاب، ضمنها كتابه على هيئة شذرات وخلاصات، فجاءت الطبعة الثالثة من الكتاب محتوية على جملة من المنتخبات الشعرية التي تعين على فهم قواعد هذا العلم وأصوله.

وركز المؤلف على الناحية التطبيقية في عرض التدريبات وتنويعها.

اتصفت الدراسة بالتبسيط والتدرج وتسهيل المصطلحات العروضية، من طريق الأخذ بمدلولات هذه المصطلحات في هوامش الكتاب للمهتمين والمتخصصين، كما تدرجت في التدريبات والتطبيقات من الأسهل إلى الأصعب بحيث يوافق مستوى كل دارس.

الكتاب يقع في 234 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في طبعته الثالثة عن مكتبة العبيكان في الرياض.

مسابقة مجلة الفيصل

١- جوائز المسابقة :

جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 233

ج 1 : حرص الإسلام على الرقي بالعلاقات الاجتماعية بين الناس والخروج بها مما كانت تعرفه من تباغض وحقد إلي مراتب نبيلة يميزها الصفاء والنقاء. وقد ذكرت علاقة القرابة في عدد من الآيات القرآنية التي توصي بالتواد والتراحم بين الأهل وذوي القربة وتنهى عن قطع الأرحام. ومن هذه الآيات:

قول الله تعالى: *والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يُوصَل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار.* **الرعد**:24.

وقال الله تعالى: *فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمَّهم وأعمى أبصارهم.* **محمد**:22،23.

ج 2 : أوصى الاسلام للمرأة بعدة حقوق، منها ماهو مادي مثل المهر والنفقة، ومنها ماهو معنوي، مثل:

- حسن معاشرتها ومعاملتها بالمعروف، وتحمُّل ما يصدر عنها والصبر عليها. قال تعالي: *وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.* **النساء**:19.

وروى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «استوصوا بالنساء خيرا؛ المرأة خُلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج».

- صيانتها: ويجب على الزوج أن يصون زوجته، ويحفظها من كل ما يخدش شرفها، ويثلم عرضها، ويمتهن كرامتها، ويعرِّض سمعتها لقالة السوء، وهذا من الغيرة التي يحبها الله

نتائج مسابقة العدد 233

أ - فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، وائل محمود صالح، الخبر - المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعودياً، راوية عبدالعزيز فؤاد عفيفي، القاهرة - مصر.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعودياً، الصافية عنوش، ولاية ميلة - الجزائر.

ب - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (24 عدداً)، كل من:

1- فتحي يوسف محمد حسن الحساني، الأقصر - مصر.

2- عائشة عبدالعظيم عمران، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

3- مريم وفاء آمنة، المسيلة - الجزائر.

4- طاهر صديق محمد علي، كسلا - السودان.

5- بسام ياسر سعيد أبوشقرة، أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة.

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (12 عدداً)، كل من:

1- رياض إدريس حسن، حلب - سورية.

2- وليد قاسم، المسيلة - الجزائر.

تعالى كما جاء في أحاديث كثيرة.

- إتيان الرجل زوجته: قال ابن حزم: وفرض على الرجل أن يجامع امرأته؛ التي هي زوجته، وأدنى ذلك مرة في كل طهر، إن قدر على ذلك، وإلا فهو عاص لله تعالى. برهان ذلك قوله عز وجل: *فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله*. **البقرة**:222. وذهب جمهور العلماء إلى ما ذهب إليه ابن حزم من الوجوب على الرجل إذا لم يكن له عذر. وقد ثبت في السنة أن جماع الرجل زوجته من الصدقات التي يثيب الله عليها.

ج 3 : هو عيهلة بن كعب الملقب بالأسود العنسي، من اليمن، مشعوذ متنبئ. كان جبارا أسلم ثم ارتد أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فكان أول مرتد في الإسلام. ادَّعى النبوة 10هـ، وتبعته قبائل، واستولى على نجران وصنعاء حتى غلب على ما بين صحراء حضرموت إلى الطائف والبحرين والأحساء وعدن. اغتاله رجل ممن ثبتوا على إسلامهم قبل وفاة الرسول بشهر. لم تطل مدته أكثر من أربعة أشهر. يُذكر كثيرا في الشعر مثلا للكذب والارتداد.

ج 4 : اكتملت صورة فن الموشح في الأندلس من طريق عبادة القزاز، وشاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته؛ فنسجت العامة على منواله ونظموا فيه بلغتهم دون التزام إعراب أو وزن، فتضمَّن الموشح الفاظًا غريبة عن اللغة العربية. ويعدُّ أبو بكر بن قزمان صاحب هذه الطريقة. لكن المبتكر الحقيقي لما يعرف بـ«الموشح المضمن» هو الشاعر صفي الدين عبدالعزيز بن سرايا الحِلِّي الطائي (1278-1349م). وهناك من ينسب ذلك للوزير الشاعر لسان الدين ابن الخطيب (1313-1374م).

ج 5 : هو الموسيقار الألماني البارع: ريتشارد فاجنر (1813-1883م).

3- ساسي خرشوفي بن محمد، مدنين - تونس

4- جمال محمد زيان، أصيلة - المغرب.

5- بدوي زين العابدين بدوي، الخرطوم - السودان.

6- حميد محمد صالح المؤدي، صنعاء - اليمن.

7- محمد شحاته مرسي، الطائف - المملكة العربية السعودية.

8- حاتم أحمد حسن مصلح، عمان - الأردن.

9- الجودي عبدالقادر، بوسعادة - الجزائر.

10- محمد عبدالغفار علي سلامة، الدقهلية - مصر.

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- عمر بن سلطانة بن محمد الميلودي، رشيد - المغرب.

2- حاتم محمود صالح أحمد أدهم، القاهرة - مصر.

3- كريمة محمد نور ناصر، دمشق - سورية.

4- عمادالدين رشاد إسماعيل محمد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

5- أم كلثوم عمر جيَّاب، المسيلة - الجزائر.

أسئلة مسابقة العدد 236

السؤال الأول:

حرَّم الإسلام اللواط، وعَدَّه من أكبر الفواحش المفسدة للخلق وللفطرة وللدين. اذكر آيتين من كتاب الله في عقاب قوم لوط.

السؤال الثاني:

أحل الله عز وجل غنائم الحرب للأمة المسلمة من دون غيرها من الأمم السابقة عليها. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

السؤال الثالث:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم من يتولى القضاء بين الناس أن يعدل بين الخصوم. اذكر حديثًا شريفًا في ذلك.

السؤال الرابع:

صحابي جليل، كان يُعدُّ من دهاة العرب وشجعانهم وذوي الرأي فيهم. أُطلق عليه لقب «أرطبون العرب». فمن هو؟

السؤال الخامس:

أديب مؤرخ، ولد بأصفهان. من أعظم مؤلفاته وأشهرها: «خريدة القصر وجريدة العصر»، و «الفتح القسي في الفتح القدسي». فمن هو؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 236
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

نِعْمَ مُعَلَّقُ الشَّرْبَة هذا

يُضرب لِمَنْ يكتفي في الأمور برأيه، ولا يحتاج إلى رأي غيره.

قال الأصمعيّ: المُعَلّق قَدَحٌ يُعَلّقه الراكب، وقوله «هذا» إشارة إلى القَدَح، أي يكتفي الشارب به إلى منزله الذي يريده بشربة واحدة لايحتاج معها إلى غيرها.

كثر القائلون وقلَّ الفاعلون

وعظ أحدهم الخليفة العباسي المأمون، فأصغى إليه الأخير منصتًا، حتى إذا فرغ الرجل قال المأمون: قد سمعت موعظتك، فأسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا بها، وبما عندنا، وما علمنا، غير أننا أحوج إلى المعاونة بالفعل، إلى المعاونة بالقول، فقد كثر القائلون وقلَّ الفاعلون.

أعجب القيود

سئل شاعر الهند رابندرانات طاغور يومًا عن القيود التي تربط الإنسان بالدنيا فقال: إنها قيود كثيرة يصعب حصرها، لكن أعجبها جميعًا قيد واحد فقط هو الأمل.

تجارب الإنسان

قيل للكاتب الأديب ستيفان زفايج يومًا: أعطنا تعريفًا عن تجارب الانسان في الحياة. فقال: إن من سمات الرجل المهذب قدرته على أن يتعظ بتجارب غيره لا بتجاربه وحده.

العلم وفضله

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه مَنْ لا يحسنه، ويفرح إذا نُسب إليه مَنْ ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نُسب إليه.

الحياة

قال حكيم: الحياة حصان، إما أن تنطلق به، وإما أن ينطلق بك.

علاج القلق

وصف حكيم علاجًا للقلق الذي يعصف بحياة الإنسان فقال: إن أمواج المحيط الصاخبة المتقلبة لا تعكر قط هدوء قاع المحيط العميق، ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمّق إيمانه بالله سبحانه وتعالى، إذ يظل محتفظًا دائمًا باتزانه، ويكون مستعدًا لمواجهة ما عسى أن يواجه من مصاعب.

هكذا كانوا

يُروى أن الربيع بن زياد وفد على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فشكا عمر طعامًا غليظًا أكله، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين إن أحق الناس بمطعم طيب، ولباس لين، ومركب وطيء، لأنت. فقال عمر: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتي، وإن كنت لأحسب أن فيك خيرًا، ألا أخبرك يا ربيع بمثلي ومثل هؤلاء؟! إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، وقالوا: أنفقها علينا، فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟!

أرجوحة الشرف

مما يُروى من قصص الكفاح العربي أن الشهيد توفيق البساط حين وقف لينتظر إعدامه لمقاومته المستعمر ورأى بعينيه جثث إخوانه معلقة على المشنقة تتأرجح في الفضاء، قال بثبات أزعج قاتليه:

مرحبًا يا أرجوحة الشرف، مرحبًا يا أرجوحة الأبطال، مرحبًا بالعمد التي تستند إليها الأمم في استقلالها، مرحبًا بالموت في سبيل الوطن الحر.

الحكيم

قيل: الحكيم هو الذي لايسمع ما يعيب به الآخرون غيرهم، وهو الأعمى عن نقائص غيره، وهو الأبكم الذي لايشترك في الحكم على غيره مهما كانت الدواعي والأسباب.

من عجائب الخلق

يبلغ وزن مخ الحوت الكبير ذي الأسنان نحو 9,2 كيلو جراما، والحوت الأزرق 6,9 كيلو جراما، أما أثقل مخ لفيل فيبلغ نحو 7,5 كيلو جراما.

ذكاء صبي

ذهب الخليفة المعتصم يومًا لزيارة أحد العاملين في قصره لمرضه، فالتقى ابن الرجل، وكان صبيًا ذكي الفؤاد، سريع الخاطر، حاضر الجواب، فأعجب به الخليفة، وأراد أن يختبر ذكاءه، فقال له وهو يريه خاتمًا في أصبعه:

- هل رأيت يا غلام أحسن من هذا الخاتم؟

فقال الصبي: نعم يا مولاي، اليد التي هو فيها.

فسرَّ المعتصم لذكائه وحاضر إجابته، وخلع الخاتم من أصبعه وأهداه له.

إذا تركه فهو أخي

مر أبو الدرداء رضي الله عنه يومًا على رجل قد أصاب ذنبًا، والناس يسبُّونه، فنهاهم وقال: أرأيتم لو وجدتموه في حفرة ألم تكونوا مخرجيه منها؟! قالوا: بلى. قال فلا تسبوه واحمدوا الله الذي عافاكم.

استراحة العدد

قالوا: أفلا تبغضه؟! قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

أحمق الناس وأعقلهم

قال عامر بن مروة الزهوي: أحمق الناس مَنْ ظن أنه أعقل الناس، وأعقل الناس مَنْ لم يتجاوز فضيلة الصمت في عقوبة الجهل.

أحسن

قال رجاء بن حَيْوة: ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان تزينه التقوى، وما أحسن التقوى يزينها العلم، وما أحسن العلم يزينه الحلم، وما أحسن الحلم يزينه الرفق.

اعتذار

يروى أن جريدة فرنسية في عهد الرئيس الأسبق شارل ديجول شنت حملة على مجلس باريس البلدي، فكان مما قالته: إن نصف أعضاء المجلس لصوص!

فلما اعتزم المجلس مقاضاة الصحيفة، توسط بعض كبار القوم في الصلح بينهما، على أن تكتب الجريدة اعتذارًا عما نشرته، وقبلت الصحيفة، ونشرت الاعتذار التالي: «قلنا بالأمس إن نصف أعضاء مجلس باريس لصوص، والحقيقة أن نصف أعضاء المجلس ليسوا لصوصًا»!!

قالوا

الحب كشجرة الورد، كلما ذبلت زهرة انبثق برعم. أحمد رامي

ليتني طفل لايكبر أبدًا، فلا أنافق، ولا أهادن، ولا أكره. جبران خليل جبران

كل ما حققه الإنسان اليوم لم يكن بالأمس أكثر من مجرد خيال. وليم بليك

أسعد أيام البشر، هي تلك الصفحات البيضاء في كتب التاريخ! ليوبولد فون رانك

احذر الذين يضحكون على لا شيء، وعلى كل شيء. أرنولد جلاسو

الكتاب الجيد هو دم الحياة الثمين المتقطر من رقع كبيرة، محنط ومحفوظ لحياة بعد حياة. جون ملتون

يتسلق جبلاً بكرسي متحرك

استطاع يان تومسون أن يتسلق في عام 1986م، جبلاً ارتفاعه يصل إلى 1500 متر، وقد فعل ذلك بكرسي متحرك!!

كلاهما مغفل

هناك صنفان من المغفلين، فالأول يقول: هذا شيء قديم، لذلك فهو جميل، والثاني يقول: هذا شيء جديد، لذلك فهو أجمل.

الفضيلة

قيل لزينون الرواقي: إلى أي مدى يتمسك الإنسان بالفضيلة؟ فقال: إلى مدى الحياة، فكل إنسان ينبغي أن يتمسك بالفضيلة لذاتها، لا لما يترتب عليها من ثواب، فهي كافية بذاتها لراحة النفس، ولو أحاط بها التعب الشديد.

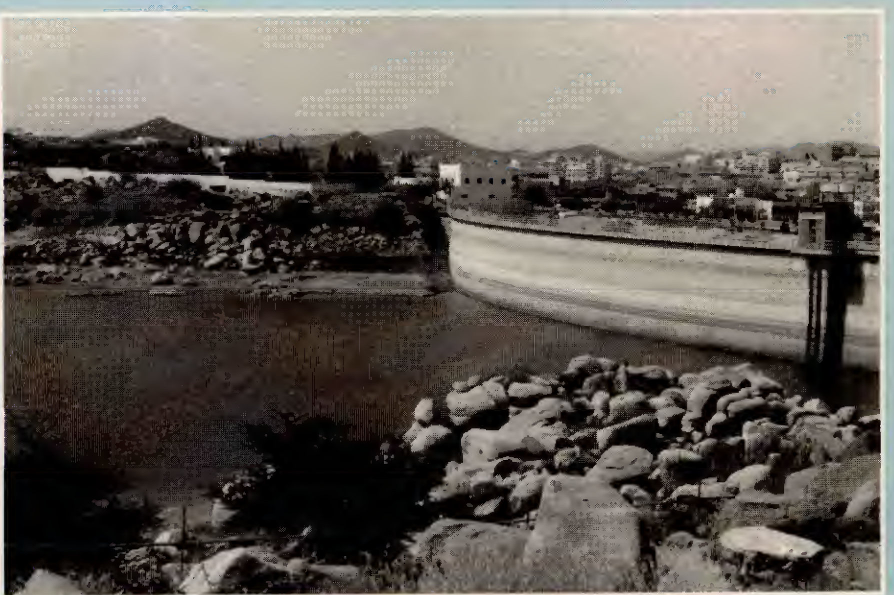
المال

سئل الفيلسوف والكاتب لونجفليد: متى يكون المال حسنًا؟ قال: هذه مشكلة، فإن مَنْ لا يملك المال يتعب في السعي إليه، ومَنْ يملك المال يتعب في المحافظة عليه، ومَنْ فقد المال يتعب في استرداده، ومَنْ استرد المال يتعب في تخزينه وحراسته.

قرأ شعرًا

قدم أحد مدَّعى الأدب قصيدة إلى الشاعر الراحل كامل الشناوي، وانتظر حتى قرأها ثم سأله: ما رأيك يا أستاذ كامل أأكتب شعرًا أم قصة، فقال كامل الشناوي: اكتب قصة؟؟

قال مُدَّعي الأدب: لا ريب أنك قرأت لي قصصًا، فقال كامل: بل قرأت لك شعرًا.



سد أبها.. أحد السدود الحديثة في المملكة



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

العيد

عبدالله محمد عمر
بورسودان ـ السودان

أقبل العيد في دلالٍ وسحر
قادم ضمخ الجِواء بعطرِ
تلك أيامه تهادت تباعًا
مثلما تُتبَع الصّلاتُ بشُكر
منذ هبت صوادح الأيك فجرًا
رددت في الحقول ألحان سحر
واكبتها في الروض أنغام ماءٍ
ماس تحت الورود في الحقل يسري
وترى الدوح في النسيم يناغي
بعضه البعضَ بين همسٍ وجهر

التعليق:

في القصيدة ما يبشر بموهبة شعرية تفتقر إلى كثرة القراءة ومخالطة دواوين أصحاب المواهب العظيمة من الشعراء في القديم والحديث.

يتكئ الشاعر الشاب على الأوزان الخليلية، وينظم قصيدته على البحر الخفيف، فيسلس له البحر قياده، وتنساب أفكاره فيه تحمل فرحة العيد، وعرس الدنيا بقدومه.

في القصيدة خيال مجنّح، وصور كثيرة حية تسري فيها الحياة والحركة والصوت، غير أن موهبة هذا الشاعر الواعد ما تزال غضة، وتجربته طرية العود، لذا فهو يجرب في حلبة من سبقة، وسيأتي يوم قريب ـ بإذن الله ـ نقرأ فيه لعبدالله عمر محمد إبداعًا شعريًا متميزًا، فيه الصورة المبتكرة، والمعنى الجديد، واللغة الثرية الغنية السليمة..

اقرأ وفكّر، واقرأ وتدبّر، واقرأ وحلّل إلى أن يستوي الأمر لك على ما تحب.

عاصم البيطار



بلا قناع

مشتاق حسين
بريدة - القصيم

بدأتُ أفكر في المُنتهى
حياتي عذابٌ خفيٌ وما
أنا هائمٌ يستحث الهُدى
أنا يائسٌ آملٌ لغزُه
جسورٌ مَنيّتُهُ خلفَهُ
يعيشُ على الأرضِ في ذلّة
بئيسٌ به مِنْ أمانيِّه
رأى اليأسُ شمعةَ آمالِه
يموجُ به البحرُ في فتنة
يرى الكون يوغلُ في جهلِه
تُداسُ الورودُ لكي يحتفي
هو الشيّحُ مُرٌّ إذا ذُقتَه
يراهُ الجَهولُ فيحسدُه
ولو سُئلتْ نَفْسُه لبكتْ
يُغنّي بأشجانِه ما درى
وفي قلبه نارُ حزنٍ إذا
تخافُ المنى صاحبي نفسُه
هوى حينما شامَ حلمًا هوى
وصاحَ: انتهينا فعادَ الصّدَى
بكى القلب من ذكرِ جُرحٍ وقدْ

وما أدركتْ نفسيَ المُشْتهى
سُروري إلا قناعٌ لها
وكُلُّ النجوم أبى هديها
يَحارُ بمعناه أهلُ النهى
ويَبْحَثُ عنها إذا ما وَهى
وتلقى أمانيه فوقَ السُها
قنوطٌ وكلُّ العنادِ بها
بليلِ عَصُوفٍ فأطْفِئَها
تُدعُّ بأدهى وتَدْفَعُها
ودنياه تَسْدُرُ في غَيِّها
بأشواكِها أو بمن دَاسَها
وأشذاؤه مُمتعٌ شَمُّها
إذا ما تَرَنَّمَ أو قهْقَهَا
فَشرُّ البَليّةِ أضْحَكها
عن الحبِّ أو عن عيون المها
خَبَتْ باتَ آخرُ قدْ شَبَّها
كأنّ المُنى ليسَ مِنْ حَقِّها
ومازالَ يُسْألُ ماذا دَهَى؟!
يُرَدِّدُه الصّمتُ: لا ما انتهى
تطيبُ الجراحُ إذا ما سهى

التعليق: قصيدة «بلا قناع» بدأت في بحر المتقارب وقافية المتواتر وسار فيها مُقَنّعًا وجهه بقناع سرور. وَصوّر عيشه في ذلّة، والأماني تُحلّق بعيدة فوق نجم السُّها. وما السُّها إلاّ نجم خفيّ صغيرٌ كانت العرب تقيسُ به قوة النظر، وهو يتبعُ بنات نعش، وما صغره إلا لبعدِه من الأرض.

وليل الشاعر عاصفٌ، واليأس طوّقَ الآمال وأطفأ شمعة آماله، وديست وروده وبقيت الأشواكُ، وصَارَ شيحًا مُرَّ المذاق وشذاه ممتع الشم، وإذا رمقه الجاهل حسده.

وقد لوّح مشتاق أنّ الحسد قديم في الناس.

قال شاعرهم:

وقديما كان في الناس الحسد

ومضى في خطِّه إلى أن ختم أبياته ببكاء القلب من ذكرى الجراح.

ولعلّي آخذ عليه الخطأ الذي جاء في البيت:

يعيشُ على الأرض في ذلّة
وتلقى أمانيه فوق السّها

لأن خللاً يأتي في البيت إذا قُرئ من وجه آخر للياء التي في «أمانيه» وما تحتمل من ظهور الحركات عليها.

لذا يمكن أن يكون شطر البيت في عجزه: أمانٍ تُحلّقُ فوق السّها.

د. محمد أحمد إدريس





الأخت هاجر عيسى ضو البيت، كنانة، السودان:

نشكر لك حسن ظنك بالمجلة، ولكن، للأسف، فإن مضمون رسالتك خارج عن اختصاص المجلة وأهدافها، ويمكنك مراسلة الجهات المعنية، وإن شاء الله ستجدين منها استجابة.

الأخوين محمد قاسم حمود، النشابية، دمشق، سورية؛ أحمد علي الوريث، صنعاء، اليمن:

أحيلت رسالتكما إلى الدكتور حسن ظاظا الذي سيتولى الرد على استفساراتكما وهو يسره كثيرًا أن تجد مقالاته هذا التجاوب من الإخوة القراء، كما أنه على استعداد للإجابة عن أي سؤال في مجال تخصصه.

الأخ علاء سالم مهران سالم، أسيوط، جمهورية مصر العربية:

أفيدك بأنه قد تم بالفعل جمع الأعداد الأولى من الفيصل في مجلدات، يضم كل مجلد ثلاثة أعداد، وهي من العدد الأول حتى العدد 180، أي إنها ستون مجلدًا، وتباع المجلدات كاملة بمبلغ ثلاثة آلاف ريال سعودي.

الأخ عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود، الدقهلية، مصر:

نشاركك الرأي في قسوة الصورة التي نشرت ضمن موضوعات باب «العالم قريتي»، وذلك في العدد 232، ونعتقد أن هذه الصورة تجسيد لما يعانيه الإنسان من قسوة أخيه الإنسان وطغيانه في كثير من بقاع الأرض، ويصعب علينا نشرها مرة أخرى كما تطلب، ويكفي العالم المآسي التي يعيشها، والتي يراها القراء رأي العين كل يوم، بل كل لحظة من خلال وسائل الإعلام المرئية.

الأخ محمد علي مشوط الأحمري، كلية التربية، جامعة الملك سعود، أبها:

ما كتبته عن موضوع جنون البقر يعدّ انطباعات أولية لا تقدم شيئًا جديدًا للقراء، وأسلوب معالجة مجلة ثقافية عامة كالفيصل يختلف عن أساليب المعالجة في الصحافة اليومية، ونأمل أن نتلقى منكم مشاركات أخرى تحظى بالنشر.

الأخ السيد بو لحال كريم، قسنطينة، الجزائر، الأختان الزهرة وفاطيمة، ولاية سطيف، الجزائر:

اهتمام المجلة بالأزياء العربية يكون في إطار الموضوعات التراثية التي تقدمها لقرائها، ولا يعني ذلك وجود باب أو زاوية للعناية بهذا الجانب، ولا نعتقد ضرورة وجود مجلة خاصة به كما يطرح الأخ بو لحال، مع ترحيب المجلة بأية مقالات يمكن أن تضيف جديدًا لما نشر عن هذا الموضوع في أعداد سابقة.

الأخ زهير حسين الهواري، دمشق، سورية:

نشكر لك إطراءك، وحرصك على تقديم الرأي حول ما ينشر في المجلة، وفيما يتعلق بصورة غلاف العدد الخاص بملف القدس؛ فقد ضم هذا الملف صورًا كثيرة متنوعة للمسجد الأقصى المبارك، ورأينا أن يكون الغلاف مختلفا ومبتكرًا للفت الانتباه إلى وجود آثار إسلامية أخرى متعددة في القدس تحتاج إلى اهتمامنا، وإن كان المسجد الأقصى يظل أبدا أهمها.

الأخ محمد قاسم زيد، صعدة، اليمن:

سننظر في شكواك عدم وصول المجلة إلى صعدة من خلال القسم المختص، ونفيدك بأن المجلة لا تهمل رسائل قرائها، بدليل ما تضمه من أبواب وزوايا مختلفة تعنى بآراء القراء وطروحاتهم. وسوف تصل إليك أعداد من المجلة، علمًا بأن رسالتك لم يكن مرفقًا معها أي مبلغ كما أشرت.

ونأمل من الإخوة القراء عدم وضع أي مبالغ نقدية في رسائلهم، وأن تكون طلبات الاشتراك بشيك مصرفي.

الأخ عسيلي هشام، الإدريسية، الدار البيضاء، المغرب:

سعر مجلدات الفيصل موضح في رسالة سابقة في هذا الباب، وستصل إليك قريبا إن شاء الله الأعداد التي طلبتها، أما فيما يتعلق باقتراحك تخصيص صفحات للتعريف ببعض الدول، فنفيدك أن هذا التعريف يتم في الاستطلاعات التي تعدها المجلة عن البلدان المختلفة.

الإخوة: الديلعي عبدالرحمن بن أحمد، الجزائر، يوسف حسام الدين، مركز الثقافة الإسلامية، كوماسي، غانا:

نأسف من عدم استطاعتنا إجابة مطلبكم الحصول على بعض الإصدارات، ويمكنكم مراسلة الجهات والمؤسسات الخيرية التي تعنى بنشر مثل هذه الإصدارات، وما نستطيعه هو إرسال بعض الأعداد السابقة من المجلة، فنأمل أن تتقبلوها لعلكم تجدون فيها ما يفيد.

الأخ الدكتور بكر برامة، حمص، سورية:

كتاب الدكتور علي شلش «الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية» يباع بسعر 15 ريالاً.

الإخوة: غضبان رياض، المسيلة، زاش عثمان، وهران، مزوز كريمة، تازولت، باتنة، الجزائر:

تعتذر المجلة من عدم تقديم اشتراكات مجانية، وهذا موضح في هذا الباب تحت عنوان «إيضاحات»، أما عن المعلومات التي تطلبونها عن مجلة «الفيصل»، وتاريخ بدء صدورها، فنفيدكم أن العدد الأول من «الفيصل» صدر في شهر رجب 1397هـ الموافق حزيران/يونيو 1977م، وقد صدر منها حتى هذا العدد الذي بين أيديكم 236 عددًا، وفي رجب القادم، بإذن الله، تكمل المجلة عامها العشرين.

بين القارئ والقارئ

لديّ أعداد كثيرة من مجلات: «العربي»، و«المجلة العربية»، و«منار الإسلام»، و«الأمة»، أود مبادلتها بأعداد من «عالم المعرفة» و«عالم الرياضة».

خليل بو جنان
ص.ب 3087 السواني
طنجة مح 9000، المملكة المغربية

أرغب في الحصول على الكتب التالية:
«المقرب» لابن عصفور، و«نافذة على العالم» صادر عن المركز الأردني للجغرافية عام 1984م.

يوسف الشعيري الخويم
ثلاثة تغرامت الفنيدق ، ولاية تطوان، المغرب

أرغب في الحصول على العدد الأول من مجلة «فن وثقافة» الحديثة الصدور بمدينة الرباط المغربية.

لطفي كنن
8 نهج راجح إبراهيم
4011 حمام سوسه، تونس

أرغب في الحصول على كتاب يشرح علم العروض بطريقة مبسطة

زين محمد
SCHEME NO I
KARACHI - 8, 136 - D - K - D - A
NEAR ROYAL APARTMENTS
PAKISTAN

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

شفيق البشير غربال، صفاقس، تونس:
نشرنا من قبل عنوان مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أما عنوان مجمع اللغة العربية في سورية فهو: شارع المالكي، دمشق، ص.ب 327.
وعنوان مجمع اللغة العربية في الأردن: الأردن، عمان، ص.ب 13268.

الأخ سعيد خلفان الحارثي، الدوحة، قطر:
المركز الثقافي في سلطنة عمان ص.ب 18643، صلالة

الأخ ماهر عبدالسيد، شبرا، القاهرة، مصر:
مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، المملكة المغربية، الرباط، ص.ب 290

الأخ أحمد ماهر علي، الرياض، السعودية:
عنوان اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
الجمهورية اليمنية، تعز، ص.ب 6436

الأخ حمدي عبدالرحمن، الرياض، السعودية:
عنوان مكتبة أم درمان المركزية السودان، أم درمان، ص.ب 1221

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً عن عدم تقديم اشتراكات مجانية، وعن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

حول القدس الشريف

قرأت ببالغ السعادة هدية «الفيصل» مع العدد 232، التي تضمنت كتيبًا ضمّ بين دفتيه بحثًا بالغ الأهمية عن القدس الشريف، عرض فيه الكاتب تاريخ القدس عبر العصور مفندًا مزاعم اليهود الصهاينة - حتى في بداية تاريخ المدينة المقدسة - في أن تكون لهم حقوق تُذكر في هذا الجزء من أرض الإسلام والسلام.

ومع قناعتي الشخصية بأهمية مثل هذه الإصدارات التي تقدم مجلة الفيصل على تزويد القارئ العربي بها بين الحين والآخر، والفائدة الكبرى التي يحصل عليها القارئ من قراءته مثل هذه الموضوعات التي تحاول الصحافة المناوئة طمسها وتغييبها عن الفكر العربي؛ فإن هذا لا ينكر حقيقة تضمن البحث المقدم بعض الهنات التي لو التفت إليها الباحث لأتى البحث في مستوى البحوث التي ينشرها الصهاينة في الصحافة العالمية لدعم ما يزعمونه حقوقًا في عموم فلسطين والأقاليم الإسلامية المتاخمة لها:

- يستخدم الباحث لفظة العبريين واللغة العبرية، علمًا بأنه جرى اتفاق بين الكتاب العرب على استخدام لفظة «عبراني» للإشارة إلى الأمة، و«عبري» للإشار إلى اللغة. انظر ص 12وما بعدها.

- يستخدم الباحث كلمة أثري للتعريف بأحد علماء الآثار وهو بن لبوري، علمًا بأن علماء التاريخ يستخدمون لفظة «آثاري» للرجل وأثري للشيء. انظر ص 13 وما بعدها.

- يستخدم الباحث تعبير «حوالي سنة كذا..» والأصح «نحو سنة». انظر ص 13 وما بعدها.

- يستخدم الباحث تسميات وألقابًا غير معتمدة أو مألوفة في كتب التاريخ، فيطلق مثلاً على الحبر اليهودي «سيمون» أو «شمعون» المكابي لقب «أمير» (ص 19)، ويطلق على أنطيوخس الرابع لقب الملك اليوناني (ص 18) في حين أنه لم يكن يونانيًا بل مقدونيًا، وفي الصفحة نفسها يطلق على الملك نفسه لقب «ابيفانوس» ولقبه الفعلي «ابيفانس» Epi-phanes. ومرة ثالثة يسحب منه اللقب الملكي ويطلق عليه لقب الحاكم السوري، وكأن الأول هو غير الثاني.

- يستخدم الباحث لفظ «المؤرخ اللاتيني تاسيت»، والأصح «المؤرخ الروماني تاكيتوس»؛ لأن لفظة اللاتينية تطلق على الحضارة واللغة في حين تُطلق لفظة روماني على الأشخاص والمنظمات (ص 20).

- يستخدم الباحث لقبًا للملك أنطيوخس السابع هو سيديتاس، والأصح سيديتيس Si-detes وتعني الصيداوي نسبة إلى مدينة صيدا على الساحل السوري (ص 29).

- بومبي كان قائدًا رومانيًا ولم يكن قيصرًا (ص30). كما أنه احتل فلسطين سنة 64 ق.م ولي سنة 66 ق.م كما ورد في البحث.

- لم يقم أغسطس بتعيين هيرودس على فلسطين (ص 30)، وإنما قام بتثبيته، وكان الذي عينه هو ماركوس أنطونيوس (82-30 ق. م) قبل انتحاره.

- إن تسمية «أنطونيو صاحب كليوباترا» (ص31) تسمية غير معروفة إلا في قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، في حين لا يعرفه المؤرخون إلا بأحد الاسمين: أنطوني Antony أو ماركوس أنطونيوس.

- لا يجوز لمؤرخ أن يخلط بين الأتراك والعثمانيين ويستخدم واحدة للدلالة على الأخرى (ص37). فالسلطان سليم الأول لم يقد جيشًا تركيًا، بل جيشًا عثمانيًا نسبة إلى الملوك، أو جيشًا إسلاميًا نسبة إلى الدين. إذ إن القومية التركية لم تكن تسمية مُعتمدة في تلك الفترة الباكرة من حياة الدولة العثمانية المسلمة.

د. مفيد رائف العابد
أستاذ بقسم التاريخ جامعة الملك سعود

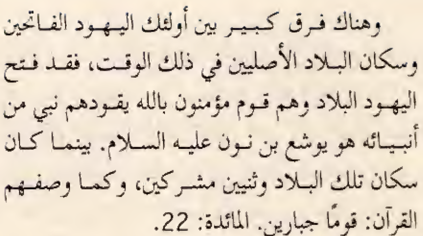
مزيدًا من الإنصاف

حول ملف العدد 232 والملحق

في البداية أحب أن أوجه شكري إلى أسرة الفيصل عمومًا، وإلى الأستاذ العلامة د. حسن ظاظا خصوصًا على الملف الجميل والملحق الرائع حول مدينة القدس الإسلامية، فقد استفدت كثيرًا من دراستهما، وليت كل مجلاتنا العربية الثقافية تهتم بهذه القضايا التي تعد مصيرية لأمتنا، إلا أن لي بعض الملاحظات والتعليقات على ما ورد فيهما - أعني الملف والملحق:

1- عبّرَ د. حسن ظاظا في الملحق ص 16 عن محاولات اليهود فتح فلسطين في عهد يوشع بن نون عليه السلام، بـ «التسلل العبري والمطامع اليهودية»، كما عبَّر قسم الدراسات والاستطلاعات ص 18 من الملف بعبارة «الغزو العبري»، وفي هذه التعبيرات نظر، حيث إن الحقيقة التي عرضها القرآن الكريم توضح أن دخول بني إسرائيل فلسطين ليس عبارة عن مطامع توسعية أو غزو مادي طائش أو حرب عرقية. بل في الحقيقة كان أمرًا إلهيًا بلغهم من طريق نبي الله موسى عليه السلام. وقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين. المائدة:21. وكون اليهود لم ينفذوا هذا الأمر كسلاً وعنادًا إلا بعد أربعين سنة لا يغير من الأمر شيئًا.





وهناك فرق كبير بين أولئك اليهود الفاتحين وسكان البلاد الأصليين في ذلك الوقت، فقد فتح اليهود البلاد وهم قوم مؤمنون بالله يقودهم نبي من أنبيائه هو يوشع بن نون عليه السلام. بينما كان سكان تلك البلاد وثنيين مشركين، وكما وصفهم القرآن: قومًا جبارين. المائدة: 22.

كذلك فإن الحرب التي دارت رحاها بين بني إسرائيل وسكان البلاد، والتي برز فيها نبي الله داود عليه السلام لم تكن إلا حربًا دينية فرضها الله على لسان أحد أنبيائه، وبعث لبني إسرائيل ملكًا يقودهم، اختاره الله لهم، وقتل قائد الكفر - أي قائد سكان البلاد الأصليين - على يد نبي من أنبيائه هو داود عليه السلام، وكانت تلك العصبة القليلة من اليهود التي ثبتت في القتال من أخلص الناس عبودية لله في ذلك الوقت، وأشدهم تعلقًا به كما عرضت ذلك الآيات الكريمات من سورة البقرة «246-251».

2- قال د. حسن ظاظا في الملحق ص 22: «وكان داود على طريقة أمراء بني إسرائيل ورؤسائهم في العصور القديمة، وعلى طريقة كثير من الحكام القدماء يستمدون سلطتهم من الله». وأقول: إن هذا التعبير غير مناسب إطلاقًا، فإن كثيرًا من أمراء بني إسرائيل - عدا الأنبياء والملوك الصالحين - كانوا قومًا مفسدين في الأرض، وكثير من الحكام القدماء كان استنادهم إلى الله في سلطانهم استنادًا كاذبًا، بل هو إمعان منهم في التجبر والتسلط.

أما داود عليه السلام؛ فهو بخلاف ذلك تمامًا؛ فهو نبي كريم من أنبياء الله؛ اصطفاه وهداه وجعله له خليفة، فقد قال سبحانه: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى. سورة ص:26، فكان فتحه وحكمه كل ذلك بوحي من الله وإرشاد، فلا يصح متابعة الإسرائيليين في تشويه صورة أنبياء الله تعالى.

ومثل ذلك يقال عند كلمة د. ظاظا ص41: «مما يدعونا إلى التساؤل: هل كانت كل مواد البناء التي أعدها داود، وهذا العدد الضخم من العمال والفنيين مخصصة للهيكل وحده، أم أن الأمر على ما يذكر لويس براون من أن الهيكل لم يظفر من ذلك ألا بالقدر الأقل، على حين كان الجانب الأكبر قد خُصّص لمبان أخرى أقل اتصالاً بتمجيد الرب، منها القصر الملكي لسليمان، وقصر زوجته ابنة فرعون، والصروح البديعة والفيلات الأنيقة، التي أعدها لنسائه الكثيرات، والأبنية الحكومية المختلفة، وحتى المعابد الوثنية التي أقيمت خصوصًا لمن رفض التهود من النساء الأجنبيات اللاتي أحبهن سليمان - الملوك الأول 11.» وهذا كلام لا تصح حكايته بغير تعليق، فلا يصح متابعة بني إسرائيل في مبالغاتهم التي ينسبونها إلى الأنبياء، فضلاً عن الشطحات والترهات الكاذبة مثل كون سليمان يبني معبدًا وثنيًا لمن رفض التهود من نسائه، فما كان لنبي معصوم أن يشيد بيتًا يُعبد فيه غير الله فضلاً عن بيوت ومعابد.

3 - ورد في ملف الفيصل صـ 24: «ودعوى اليهود أن حائط المسلمين هو حائطهم لم تظهر إلا في عهد الانتداب البريطاني»، وهذا كلام غريب، فبكاء اليهود عند هذا الحائط معروف وقديم جدًا، وقد ذكر ذلك العلامة الدكتور حسن ظاظا في الملحق ص 32، حيث قال وهو يتحدث عن إجراءات الإمبراطور الروماني هيدريان: «ثم سمح لهم - أي اليهود - بالمجيء إليها يومًا واحدًا في السنة، والوقوف على جدار بقي قائمًا من السور في الجزء الغربي من المدينة وهو الذي يسمى حائط المبكي ويسميه اليهود الجدار الغربي». وكان هذا سنة 136م.

4 - أختم تعليقاتي هذه بتعليق على كلمة سعادة مدير دار الفيصل الثقافية في تقديمه لبحث د. حسن ظاظا حيث قال: «فالمسلمون حين دخلوا القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكونوا إلا موجة من الموجات العربية التي حررت إخوانهم العرب أصحاب البلاد الأصليين من حكم الغزاة الرومانيين». ومع بالغ حبي واحترامي وتقديري لهذا الرجل، وكثرة استفادتي من افتتاحياته الرائعة؛ إلا أن هذه الكلمة أثارتني جدًا. فلا أدري من أي مصدر أو من أي أثر استوحى سعادة الأستاذ هذه النتيجة: أن الفتح الإسلامي غرضه تحرير العرب من حكم الرومان؟! إن هذه في الحقيقة نظرة قومية قاصرة جدًا. فالفتوح في عهد عمر - رضي الله عنه - وقبل عهده ليس لها إلا غرض واحد: هو إزالة الحواجز والعوائق التي تقف في طريق نشر دعوة الإسلام، سواء كانت هذه الحواجز حكامًا متسلطين أو كهنة دجالين. يدل على ذلك أنه ما سقطت دولة الرومان في الشام حتى سقطت قبلها دولة الغساسنة العربية شمال الجزيرة.

ولم يكن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولا غيره من الخلفاء الفاتحين ينظرون هذه النظرة، بل كان شعارهم هو ما عبر عنه عمر رضي الله عنه بقوله: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله).

ثم ما هي الموجات الأخرى؟ وهل كان سكان البلاد في ذلك الوقت يسمون عربًا؟ في كل ذلك نظر.

حسام عبدالوهاب زمان
ص.ب 4711 المدينة المنورة

الهيكل ... وهم في ذاكرة اليهود!!

لقد شعرت بسعادة غامرة وأنا أقرأ ملف مجلة الفيصل الغراء حول «مدينة القدس» في عددها 232، وزادت سعادتي بما ألفيته فيه من دقة تاريخية وإحاطة علمية بكل ما يتصل بهذه المدينة العربية الإسلامية العريقة، وبينما كنت أقرأ موضوعات هذا الملف استدعت ذاكرتي مقالاً قرأته منذ زمن بعيد بعنوان: «إسرائيل تعيش خيبة الأمل: قصر أموي تحت الأقصى ولا وجود لآثار هيكل سليمان» بقلم الأستاذ عماد تكريتي، وكان منشورًا في مجلة «الأسبوع العربي» في عددها الصادر بتاريخ 8 نيسان/أبريل 1974م الموافق 9 ربيع الأول 1394هـ، واستعان كاتب هذا المقال بتحقيق كانت قد نشرته مجلة «ديلي تلجراف» بتاريخ 22 شباط/ فبراير 1972م، ورأيت في هذا المقال ما يضيء ما أكدته مجلة الفيصل في أكثر من موضع من ملفها حول

مدينة القدس فقالت ص19: «فقام القائد تيتوس باحتلال أورشليم في سنة 70م، وحرق الهيكل وفتك باليهود» وقالت أيضًا ص 27: «إن الترويج لمزاعم العثور على حجارة تشابه حجارة الهيكل هو محاولة للتشبث بالأباطيل بعد أن عجزت الحفريات التي استمرت ما يزيد على ربع قرن حول المسجد الأقصى وتحته عن الكشف عن أية آثار للهيكل المزعوم»، فرأيت أن أقتنص من مقالة مجلة «الأسبوع العربي» ما يؤكد هذه الحقيقة أو يضيف إليها ما فات الملف إثباته وما يبرهن على صدق المقولة الآتية:

«قصر أموي تحت المسجد الأقصى ولا وجود لهيكل سليمان»

يقول عماد تكريتي في مقالته:

«كتب ديفيد بريس جونز مراسل «الديلي تلجراف»: «ثمة أنفاق تحت المسجد «الأقصى» للبحث عن هيكل سليمان في بقعة يقدسها المسلمون، والبحث في هذا المكان له طابع سياسي إذ لم يتجرأ أحد على مس الأماكن المقدسة رغم سماح الأتراك في القرن التاسع عشر بالتنقيب بشكل محدود جدًا، وكذلك سماح السلطات البريطانية أثناء الانتداب بالتنقيب بشكل جزئي وكانت النتيجة حمامات دم اجتاحت فلسطين..

إن «بنيامين مازار» المسؤول عن التنقيب والأستاذ في الجامعة العبرية في القدس، الذي وضع خطة لإجراء الحفريات في منطقة الحرم الشريف ـ وبالضبط خارج وتحت الحرم الشريف ـ بعد موافقة تيدي كوليك محافظ القدس رغم احتجاجات العالم ورغم احتجاجات كبار رجال الدين المسلمين في القدس الذين أكدوا أن الحفريات الإسرائيلية تهدف إلى التوسع الإسرائيلي السياسي».

وقال الصحفي ديفيد بريس جونز بعد أن وصف ببساطة جولة قصيرة له مع أستاذ الآثار مازار حول منطقة الحفريات تحت المسجد الأقصى بحثًا عن الهيكل:

«عدنا بالضبط إلى مكان تحت الحرم الشريف حيث أطلعني مازار على أساسات «قصر أموي» وكان هذا أروع الأشياء المثيرة التي تركتني أشاهدها، ثم أشار إلى آثار بيزنطية وفارسية أيضًا وضريح قال إن تاريخه يعود إلى سبعمائة سنة قبل الميلاد وهو تاريخ المعبد الأول».

«ببساطة يمكن الاستنتاج من كل هذا عدم وجود أي أثر للهيكل».

ثم اتجه الصحفي نحو المسجد الأقصى وقابل المهندس إبراهيم دقاق، وهو المهندس المقيم المشرف على إصلاحات الحرم الشريف وينتمي إلى عائلة من القدس، وقال المراسل إثر هذه المقابلة: « يعتقد إبراهيم دقاق بأن السلطات الإسرائيلية أصيبت بخيبة أمل كبيرة لعدم اكتشافهم بقايا هيكلهم حسب توقعاتهم».

وأضاف: «إن التنقيب يجري بحرية، ولكن الإسرائيليين يستخدمون بعض الطرق غير العلمية كاستخدام الجرافات، إنهم في عجلة من أمرهم، ولاشك في أن هذه العجلة وهذا التكتم يخفيان دوافع سياسية هامة. ويعتقد المهندس إبراهيم دقاق بأن مازار عالم، وأن اكتشافه للقصر الأموي عمل ممتاز يجب أن ينسب إلى مازار وأن هذا الاكتشاف من أجمل الاكتشافات في التاريخ».

«وقد وجه الماسوني الأمريكي «حريدي تري» رسالة في 1968/5/30م إلى مسجد سيدنا عمر ـ قدمتها لجنة إنقاذ القدس لمجلس الجامعة العربية ـ جاء فيها: إن هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الأصلي وإن جماعته تجمع مائة مليون دولار لإعادة بناء الهيكل، وإن محاولة استيلاء اليهود على الجامع قديمة. وقد جاء في الموسوعة البريطانية ـ طبعة عام 1926م المجلد 27 الصفحة 986، 987، تحت كلمة الصهيونية ما يلي: «إن اليهود يتطلعون إلى احتلال فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية وإعادة بناء هيكل سليمان وإقامة عرش داود في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود».

«وذكر الحاج أمين الحسيني مفتي القدس سابقًا، ورئيس المؤتمر الإسلامي ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين أنه استلم في 1930/6/30م كتابًا من كبير حاخامي اليهود في رومانيا «أبراهام روزنباخ» يلحّ فيه على ضرورة إباحة المسجد الأقصى لليهود ليقيموا شعائرهم الدينية، وصرّح «السير الفريد موند» الزعيم اليهودي والوزير البريطاني السابق ـ أصبح فيما بعد اللورد ملتشت ـ أثناء الانتداب البريطاني: «أن اليوم الذي سيعاد فيه بناء هيكل سليمان أصبح قريبًا جدًا، لذا فإنني أكرس ما بقي من أيام حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى».انتهى ما جاء في المقال.

يقول سبحانه: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ. الإسراء:1. نسأل الله أن يخيب آمال اليهود ويمحق مخططاتهم ويمكّن المسلمين من رقابهم.. آمين.

د. بهاء الدين سليم عايش
مركز اللغات، جامعة صنعاء، اليمن

القدس عربية إسلامية

سعدنا كثيرًا بصدور العدد 232 من مجلتنا الفيصل. ولدى مطالعة ملف العدد المذكور «القدس عربية إسلامية» لفت نظري وجود بعض الأخطاء، ومن باب حرصنا الشديد، على التوضيح والتصحيح نقول:

جاء في الصفحة 17: «أول اسم ثابت لمدينة القدس هو أورسالم أو أورشالم، وقد ورد هذا الاسم في النصوص المصرية القديمة المعروفة باسم «نصوص تل العمارنة» التي ترجع إلى القرن 19ق.م». وجاء ضمن محتويات الهدية الملحقة بالعدد المذكور، في الصفحة 13: «وهذه النقوش تسمى «لوحات تل العمارنة».. ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث «من 1411 إلى 1375 ق.م» وابنه إخناتون «1375- 1350 ق.م». إن هذا التناقض في التاريخين، يوقع أغلب القراء في بعض البلبلة والحيرة، حول صحة أحد الرأيين. والرأي الوارد في الملحق هو الأصح، أي إن تلك اللوحات تعود إلى عهد أمنوفيس الرابع «إخناتون»، ذلك أنه فرض عبادة الإله آتون «قرص الشمس» إلهًا واحدًا، في مصر ولاحق كهنة

الديانة القديمة، وأغلق معابدهم، ونقل العاصمة من «طيبة» إلى «أخيت - آتون» وهي تل العمارنة. ومن الجدير بالذكر أن نورد ما زعمه عالم النفس «سيجموند فرويد» من أن موسى عليه السلام، كان من أتباع «إخناتون»، وكذلك ما زعمه «فرويد» من أن الديانتين اليهودية والمسيحية اشتقتا من عبادة إخناتون، نقول إن هذه الآراء تناقض الحقيقة تمامًا.

ونعتقد بأن إخناتون قد أخذ توحيد الآلهة عن «بني إسرائيل» فإن لفظ «آتون» مأخوذ من «أدون وأدوناي» بالعبرية أي سيد، السيد، الإله غير المنظور. وقد سمّى نفسه إخناتون، أي «انعكاس الشمس» تيمنًا به، وترك طيبة وعبادة «أمون»، وبنى معبدًا لـ «آتون» في تل العمارنة، ووضع بعض الأناشيد للشمس منها:

«أي آتون الحي، مبدأ الحياة، أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه، ألا ما أعظم تدبيرك يارب الأبدية».

ولم يذكر أي إنسان أن بني إسرائيل قد عبدوا قرص الشمس في أي عصر من العصور. قال الله تعالى: لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. يونس: 90.

وقد ورد خطأ في ملحق المجلة ص 35: «وفي سنة 705م تولى سليمان بن عبدالملك بن مروان» والصحيح أن سليمان تولى الخلافة بين 96 - 99هـ/ 715-718م.

وورد في الصفحة نفسها «تولى الخليفة عمر بن عبدالعزيز «717 - 720م». والصحيح أنه تولى الخلافة بين 99-101هـ/ 718-720م. وفي الصفحة نفسها ورد خطأ مطبعي: «وفي سنة 696 م سقطت سورية وفلسطين تحت حكم الخلافة الفاطمية بالقاهرة» الصحيح هو 969 م. وورد في الصفحة 19من المجلة أن وفاة خالد بن الوليد رضي الله عنه: ت:14هـ. والصحيح هو 21 هـ، توفي ودفن في مدينة حمص من بلاد الشام. وجاء في الصفحة 23: «وضع السلاجقة حدًا لحكم الفاطميين 643 هـ - 1070م» والصحيح هو 462هـ - 1070م. وفي الصفحة نفسها جاء: «وفي سنة 849 هـ - 1096م استولى الخليفة الفاطمي المستعلي بالله على القدس لثلاث سنوات فقط»، والصحيح هو 489 هـ - 1096م. وجاء في الصفحة نفسها «دخلت مدينة القدس في حوزة المماليك سنة 561 هـ - 1253م»، والصحيح هو 651 هـ - 1253م.

وللفائدة نقدم الطريقة الرياضية لمعرفة التاريخ الميلادي وما يقابله من الهجري

$$\text{الهجري} = (\text{الميلادي} - 622) \times \frac{33}{32}$$

$$\text{الميلادي} = 622 + (\text{الهجري} \times \frac{32}{33})$$

وجاء في الصفحة 19: «سمح الملك قورش سنة 538 ق.م لمن أراد من الأسرى اليهود بالرجوع إلى أورشليم وأمر بإعادة بناء الهيكل». حول ما جاء في هذه الفقرة نقول: إن قورش - 558 - 529 ق.م - هو الذي أسس الدولة الفارسية الأولى، بعد أن تمكن في سنة 555 ق.م أن يجمع الفرس والميديين في دولة موحدة، وقد وجد قورش في معتنقي اليهودية في بابل خير معين له في التجسس ونشر الرذيلة في الدولة البابلية تمهيدًا لاحتلالها، وقد تم له ذلك سنة 539 ق.م، بالاستيلاء على بابل عاصمة الكلدانيين. ثم سمح لمن أراد من أسرى السبي البابلي بالرجوع إلى أورشليم، لكي يستطيع تحقيق حلمه باحتلال مصر، ولجعلهم وسيلة وطريق وصول لذلك، والهيمنة عسكريًا على الشرق الأوسط. ولم يهاجم قورش مصر بل ترك هذه المهمة لابنه قمبيز - 529 -522 ق.م - الذي استطاع أن يحقق حلم أبيه باحتلال مصر سنة 525 ق.م. وأما بناء الهيكل الثاني، الذي أُعيد من قبل قورش، فما كان ذلك إلا وسيلة هدفها التغطية على الهدف الأساسي الذي رجع من أجله اليهود، وهو كونهم طلائع وجواسيس لقورش وقمبيز، من أجل اجتياح الشرق الأوسط، وهذا ما حصل بالفعل. وبعد أن تعرض الملك الفارسي دارا الأول - 521-485 ق.م - للهزيمة أمام الجيوش اليونانية، في معركة «ماراتون» الشهيرة 490 ق.م، تعرض ابنه الملك سرخس - 485-465 ق.م - للهزيمة في حروبه مع اليونان، مما أضعف هيبة الملكية في نفوس الجيش والشعب. أما البقية الباقية من اليهود تحت الحكم الفارسي فأخذت تفعل فعلها المنظم لتخريب البنيان الداخلي للإمبراطورية الفارسية، مما سهل السبيل أمام الإسكندر المكدوني - ولد عام 356 - توفي 323 ق.م - للقضاء على الإمبراطورية الفارسية واحتلال أملاكها منذ عام 331 ق.م. فمنذ عام 358- 338 ق.م، عندما تسلّم الحكم الإمبراطور «أوخوس»، كان لليهود كلمة مسموعة عند هذا الملك، عندما استطاعت الفتاة اليهودية «هاداسا» التي سميت فيما بعد «أستير»، أن تجعل من هذا الملك سيفًا مسلطًا فوق رقاب شعبه، واستطاعت هي وخالها «مردخاي» أن توغر صدره على رئيس وزرائه «همايون»، لأن همايون كان من المخلصين لشعبه، فحبك أتباع يهوه (رب الجنود) مؤامرة دنيئة لقتل همايون، فقتلوه هو وأولاده العشرة، وخمسمئة رجل من أعيان الفرس، إلى جانب خمسة وسبعين ألف شخص بريء من الفرس.

ولدى قراءة أسفار التوراة المتداولة اليوم، وما تضمنته من قصص خرافية، هي من تحرير أحبار اليهود، فإننا نجد أن مبدأ تسخير المرأة شركًا لإغواء الآخرين «الجوييم»، بمثابة ناموس خلقي يسير عليه أتباع تلك العقيدة. وهذا يتوافق مع تعاليم أسفار التوراة الحالية، وشروحاتها التلمودية، التي تروي السلوك غير السوي لأنبيائهم وملوكهم وأحبارهم، وتصفهم بأنهم لم يقيموا وزنًا للقيم الإنسانية والمثل والأخلاق والفضائل.

ومن الملاحظ التشابه بين استخدام «قورش» لليهود وسيلةً للوصول إلى أهداف معينة، وهذا الكيان الغريب الذي زرع منذ عام 1948م في جسم الأمة العربية والإسلامية.

ومما يدعو للعجب، أن بعض حملة الأقلام، ينعتون أتباع الدين اليهودي، بتسمية قوم، إنهم جماعات بشرية غير متجانسة، وكلمة قوم في المفهوم السكاني «الأنثروبولوجي» تعني مجموعة من الناس تمتلك مقومات خاصة بها، وأهم تلك المقومات الأرض المشتركة. ولا يصح أن نطلق عليهم اصطلاح الشعب، لا بالمفهوم القومي، ولا بالمفهوم السياسي، فالشعب مجموعة بشرية توجد على أرض معينة تخضع لسلطة سياسية واحدة معترف بها دوليًا. كما أن اليهود لايشكلون مجموعة سلالية واحدة، مثل قولنا: الشعب العربي. إنهم أصحاب عقيدة دينية مشوهة ولا رابطة قومية بينهم، تلك العقيدة التي تعمل على تدمير الأخلاق ونشر الرذيلة والفتن.

جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: «يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار، والاستعاضة عنها بحكومة ملكية استبدادية يهودية». أما كتابنا الذين يطلقون على اليهود لفظ أمة، فهم بذلك يقعون في خطأ فادح.

أحمد حسين الجهماني

درعا، سورية



عرفوا الحق وانصرفوا عنه

الحمدلله القائل: ***ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. الأنفال***:30، وأصلي وأسلم على رسوله القائل: «لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»، وبعد.

قرأت بإعجاب شديد العدد رقم 232 الذي فيه ملف «القدس عربية إسلامية»، وكذا الهدية المجانية التي أُرفقت مع العدد، وبصراحة إنه عمل كبير، فجزاكم الله خيرا.

فاليهود ـ كما يعلم الجميع ـ أهل مكر وخديعة، فهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار، اختارهم الله لسيادة العالم، واختصهم بالحكمة والذكاء، بينما تقوم شعوب الأرض بخدمتهم وإطاعة أوامرهم، ولكن الأميين ـ غير اليهود ـ سلبوهم هذه المنحة الربانية، ومن أجل هذه الجريمة الكبرى أباح الله لهم أن يسلكوا كل السبل لاستعادة امتيازهم المسلوب. فسرقة اليهودي وزنا اليهودية والخداع والفتنة، إلى غير ذلك من المنكرات، مباح مبارك مادام يخدم اليهود ويساعدهم على الوصول إلى أغراضهم.

لهذه العقيدة المنحرفة التي اخترعها أحبارهم زيفًا وتحريفًا تلبَّسوا بخصائص نفسية شاذة كالحقد على البشرية وحب الفتنة ونشر الفساد للتوصل إلى أغراضهم من طريق جمعياتهم السرية والعلنية، ولم تتبدل هذه النفسية الشاذة منذ أن خلق الله اليهود حتى يومنا هذا، فقد كانوا مصدر شر وفساد في آسيا وأفريقيا وأوربا. وتركز عداؤهم للمسلمين منذ أن صدع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته، فقد تظاهروا بالدخول في الإسلام نفاقا، ليعملوا على تخريبه من الداخل، ومنهم من دخل في الإسلام ثم ارتد عنه لفتنة المسلمين، بل إنهم كانوا يحرجون الرسول صلى الله عليه وسلم بسيل من الأسئلة التي يتعنتون فيها والتي يلبسون فيها الحق بالباطل، ليوهموا العرب أنهم أعلم من الرسول وأنه غير صادق في رسالته. وأيضا الغدر ونقض العهود والمواثيق التي يبرمونها بينهم وبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه، كلما اشتدت الأزمة على المسلمين، وظن يهود أن نقض عهودهم والغدر بالمسلمين قد يوقع بالرسول والمسلمين نكاية بالغة.

فهم قد عرفوا الحق وانصرفوا عنه، وعرفوا باطل قريش وناصروه، واشتركوا في اغتيال عمر بن الخطاب، وأثاروا الفتنة على عثمان، وأذكوا أوارها بين علي ومعاوية، واندسوا في صفوف الشيعة والشعوبية وحركات الزندقة وقادوها في المسالك التي رسموها لمحاربة الفكر الإسلامي، واستمروا يكيدون للمسلمين حتى أيامنا الحاضرة. وفي أوربا أثاروا الفتن ونشروا الانحلال. غير أنهم في القرن التاسع عشر قرروا الخروج من العمل الإقليمي والانضواء تحت قيادة عالمية واحدة تركز وتنسق جهود الجمعيات اليهودية في العالم لحبك مؤامرة عالمية هدفها تخريب العالم جميعه بادئين بأوربا ثم الدولة العثمانية، ثم فلسطين.. فالوطن العربي.. الخ. وما قضية فلسطين إلا حلقة في سلسلة هذه المؤامرة الكبرى.

إلى غير ذلك من مكائد عُرف بها اليهود في تاريخهم الطويل، ومازالت تجر عليهم ويلات كثيرة، وبلاء عظيما، ولكنهم لايستطيعون إلا أن يمارسوها مهما جرّت عليهم من مصائب، فهي خصائصهم الخُلُقيّة التي لا يستطيعون التنازل عنها؛ لأنها هي كل مظاهر كيانهم المتميز في العالم. ومعظم ما سجله التاريخ لهم يعود إلى هذه المنطلقات من قواعد المكر والكيد والفتنة، التي يكفي بعضها لأن يعطي الصورة القبيحة لشياطين الجن، لكن شياطين الإنس أدهى وأمر، وأخبث وأمكر، وأفعل وأقدر..

تركي عبدالله محمد المحيا
ص.ب 15468، صنعاء، الجمهورية اليمنية

من هو الذبيح ؟

وأنا أقرأ كتاب «القدس» المقدم هدية مع العدد 232 من مجلة الفيصل لاحظت في الصفحة 18- 19 عبارة «وأكثر المسلمين يعتقدون أنه إسماعيل» في موضوع تحت عنوان: جبل موريا. والنص هو:

« جبل موريا : أو جبل المقدس، أو بالاختصار «الحرم»



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.



حيث المسجد الأقصى، وقد ورد اسم «موريا» في التوراة (التكوين 2/22) في قصة الذبيح الذي أمر الله إبراهيم أن يقدمه قربانًا، وحدد له هذا الموضع ليذبح فيه ابنه إسحق. والموضع ما يزال حتى الآن محل خلاف كبير في هذه القضية بين الباحثين واليهود أنفسهم، فاليهود السامرة يرون أن الحادثة كانت على جبل جرزيم القريب من نابلس، حيث قام أقدم هيكل لبني إسرائيل، وهو الذي جاء داود فأبطله وعطله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس، أما طوائف اليهود الأخرى فتزعم أن وقفة إبراهيم بابنه كانت على هذا الجبل بالقدس، وعلى الصخرة الشريفة بالذات. وأكثر المسلمين يعتقدون أنه إسماعيل»ا.هـ.

مع العلم أنه يوجد هناك اختلاف في من هو الذبيح، وقد قرأت ذلك في عدة كتب منها على سبيل المثال:

- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي تحقيق مكتب تحقيق التراث، من مؤسسة التاريخ العربي، الجزء الأول: من صفحة 181 إلى 185 في قصة الذبيح ودل ذلك على «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام». ومن الصفحة 220 إلى 222 في سرد قصة إسماعيل عليه السلام أثبت «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ولم يذكر للكاتب رقم طبعة، مطبعة الأنوار المحمدية، الجزء الرابع من الصفحة 14 إلى 19 أثبت «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

- الكامل في التاريخ لابن الأثير، الطبعة السادسة 1406هـ - 1986م، الجزء الأول من الصفحة 62 إلى 64 أورد فيها «أن الذبيح هو إسحق عليه السلام».

- في ظلال القرآن، تأليف سيد قطب، الطبعة الخامسة عام 1386هـ - 1967م، الجزء السابع من صفحة 62 إلى 66 أثبت «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

- فتح القدير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الطبعة الثانية عام 1383هـ - 1964م، في الجزء الرابع في صفحة 401 إلى 405 أورد فيه: أنه يوجد هناك اختلاف في من هو الذبيح.

- تاريخ الطبري، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة 1407هـ - 1987م، في صفحة 135 إلى 142، أورد: أنه يوجد هناك اختلاف في من هو الذبيح.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية «دراسة تحليلية» تأليف د. مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، من الصفحة 47 إلى 51 أورد فيها «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق، الطبعة الثانية 1412هـ، الجزء الرابع «التفسير» في الفتوى رقم 4797 في الصفحة 234 إلى 236 جاء فيها «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

- قصص القرآن، تأليف محمد أحمد جاد المولى، ولم يذكر للكتاب رقم طبعة، من منشورات المكتبة الأموية، من صفحة 52 إلى 54 أورد فيها «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

- قصص الأنبياء، تأليف عبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، من صفحة 101 إلى 103، أورد فيها «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام» مع ذكر مرجع في الهوامش قال فيه «وتحريف أهل التوراة لتوراتهم أمر معلوم كثير الوقوع، ومن شاء شيئًا عن ذلك فليراجع «إظهار الحق» لرحمة الله الهندي. راجع صفحات 126 إلى 196 من الجزء الأول من كتاب إظهار الحق».

- تفصيل آيات القرآن الحكيم والمستدرك: تأليف جول لابوم، نقله إلى العربية محمد فؤاد عبدالباقي، في صفحة 479 وضع الآية تحت اسم إسماعيل عليه السلام.

- صفوة التفاسير، تأليف محمد على الصابوني، القسم الرابع عشر في تفسير سورة الصافات وص والزمر وغافر، الطبعة الأولى عام 1401هـ - 1981م في صفحة 17 إلى 19 في تفسير الآية 113 من سورة الصافات «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

العقد الفريد، تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى عام 328هـ الطبعة الثالثة 1407هـ - 1987م، من دار الكتب العلمية:

الجزء الثاني من الصفحة 275 إلى 276 أورد فيها «أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام».

الجزء الثامن من الصفحة 140 إلى 141 أورد فيها «أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام».

- العبقريات الإسلامية، تأليف عباس محمود العقاد، الطبعة الثانية، في صفحة 110 أورد فيها «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تأليف الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ولم يذكر للكتاب رقم طبعة، من دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، من صفحة 84 إلى 86 أورد فيها «أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام».

عبدالعزيز محمد الماجد
ص.ب 36055 الرياض 11419

العنوان
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ -
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:
السعودية ٨ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧دراهم - قطر ٧ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠بيسة - الأردن ٥٠٠فلس - اليمن ٤٠ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيه - المغرب ٨دراهم - تونس ٦٠٠مليم - الجزائر ١٠دنانير - العراق ٤٠٠فلس - سورية ٣٠ليرة - ليبيا ٨٠٠درهم - موريتانيا ١٠٠أوقية - الصومال ٢٠٠٠شلن - جيبوتي ١٥٠فرنك - لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات:
يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

جنون البقر: احتجاج على جنون البشر

د. خير الدين عبد الرحمن

خرجت أنباء الفضيحة أول مرة قبل سبع سنوات، لكن جهود أطراف نافذة تُحكم هيمنتها على مسارات الحياة الاقتصادية والسياسية والإعلامية في بريطانيا، بعضها معروف وبعضها خفي، نجحت في تطويق المسألة وكتم أصوات الاحتجاج والاعتراض. ثم تضخمت الفضيحة بعد نجاح مؤقت لمحاولة دفنها، واستحالت كارثة، فما عاد الالتفاف السهل عليها ممكنًا. ذلك هو ملخص ما كان من شأن جنون الأبقار في بريطانيا.

كانت البداية قبل سبع سنوات في تواتر أنباء عن وفيات أثارت الشكوك، فالضحايا في ريعان الشباب إذ قارب معدل العمر بينهم سبعةً وعشرين عامًا، والمرض واحد هو التناذر الدماغي الذي يسبب للمصابين انهيارًا عصبيًا ووهنًا يتدرج سريعًا إلى اضمحلال القوى العضلية، بما يشبه تلك الأعراض التي تظهر على الأبقار المصابة بمرض «بوفين سبونجيفورم انسيفالوباثي» الذي اصطلح على تسميته بـ«جنون البقر». سارعت الحكومة البريطانية والجهات صاحبة المصلحة في خنق الضجة التي أثارها كثير من الناس آنذاك، فاستنفرت أجهزتها لدحض آراء الأطباء الذين ذهبوا إلى القول بأن المرض قد انتقل إلى المصابين من البشر نتيجة لتناولهم لحوم أبقار مصابة بجنون البقر، وشددت تلك الأجهزة على الادعاء بأن العوارض التي سبقت وفاة المصابين كانت لمرض آخر اسمه «كروتز فيلد جيكوب» لا علاقة له بالأبقار ولا بجنونها. وفي حركة مسرحية محسوبة، سارع وزير الزراعة البريطاني في ذلك الحين إلى افتعال مشهد جرى ترتيبه، بحيث تناقله القنوات التلفازية المستنفرة، قام خلاله بإطعام ابنته الصغيرة شريحة من لحم البقر، لإقناع ملايين المشاهدين بأنه ما كان ليجازف بتعريض حياة ابنته للخطر لو كان ذلك اللحم ينقل المرض إليها. كان ذلك المشهد المسرحي كفيلاً بتلاشي الالتفات إلى تأكيدات عدد من الأطباء بأن المرض الذي أشارت إليه أصابع الاتهام ذات النفوذ والهيمنة يصيب المسنين عادة ولا يصيب الشباب، خلافًا للحالات التي أثارت الجدل والهلع حينذاك، والتي كانت جميعًا وفيات شبان في العشرينيات. لكن النجاح في دفن الفضيحة لم يمنع تصاعد احتجاجات عديدة اتهمت الدافنين آنذاك بممارسة معالجة مجنونة يفوق خطرها ذاك الذي ينجم عن جنون الأبقار.

أما بعد ما تضخمت الفضيحة المكتومة في بداية العام الميلادي 1996م، فبلغت حدود الكارثة، إذ صارت أعداد المصابين تتزايد، وصارت حالات الإصابة تنتشر، فإن لجوء الحكومة البريطانية والجهات صاحبة المصالح إلى تكرار أسلوب المعالجة السابق نفسه، على أمل تكرار نجاحه من جديد كما جرى قبل سنوات، كان ضربًا من العبث. لقد انتشر الذعر في بريطانيا على نطاق واسع هذه المرة، وانتقل منها إلى باقي أوربا التي جعلت وحدتها الاقتصادية مفتوحة فيما بين دولها، كما انتشر إلى ما وراء القارة الأوربية بما يهدد بمقاطعة جمعية طوعية للحوم الأبقار البريطانية وسائر منتجاتها من ألبان وزبد، الأمر الذي ينذر باتساع نطاق هذه المقاطعة ليشمل المنتجات المشابهة لدول بريطانيا عبرها إلى تطويق المسألة بالالتفاف عليها، حفاظًا على المليارات الأربعة من الجنيهات الاسترلينية التي يسهم لحم البقر بها في الناتج الإجمالي السنوي البريطاني. لقد تحركت الحكومات الأوربية جميعًا، واتخذت عدة إجراءات بدأت بمقاطعة مؤقتة للحوم الأبقار البريطانية وحظر لانتقالها، وبيعها، ثم جرت مساومات بشأن إعدام الأبقار المصابة في بريطانيا وتقاسم الخسائر الناجمة عن هذا بين الدول الأوربية تأكيدًا لتضامن هذه الدول ووحدتها. لكن التفاعلات مستمرة، والمسألة تزداد تعقيدًا وتشابكًا، فمن ظهور إصابات في إيطاليا بحيث أنذر الوضع بصعوبة التعامل مع حالة محصورة في الجزر البريطانية المعزولة من دون باقي القارة الأوروبية، إلى تصاعد الهمس بأن المسألة تحمل قدرًا من الافتعال المقصود الذي أرادت المصالح الأمريكية من خلاله عرقلة استكمال الإجراءات التنفيذية للوحدة الأوروبية.

بعيدًا من هذه التفاعلات المتشابكة، تهمنا الإشارة هنا إلى أن الأبحاث التي تقصت جذور إصابة الأبقار بالجنون أصلاً قد قادت إلى نتائج شددت على أن السبب الأكثر جوهرية وشمولاً في حدوث ذلك المرض يكمن في استخدام جيف المواشي النافقة في صنع الأعلاف التي تأكلها الأبقار، إذ يتم فرم الجيف وتجفيفها ومزج مسحوقها بباقي العناصر التي تشكل العلف. إن استخدام جيف المواشي النافقة في تغذية الأبقار الحية ابتغاء تسريع تسمينها وتقليص الدورة الطبيعية لزمن نموها من ناحية، وعدم التفريط بجثث المواشي النافقة من ناحية ثانية، هو واحد من آلاف الأساليب التي فرضها الجموح الطاغي نحو إدراك ركام الربح بأي ثمن، في سياق القيم الاستهلاكية المادية المستشرية. لقد تكاثر عبيد العجل الذهبي المعاصر ذي الأشكال والأردية المتعددة، وتعاظم عدد السائرين في ركابهم تقليدًا أو انقيادًا أو غفلة، حتى لا يكاد يظهر سواهم. هذا ما جعل طغيان الحرص على تراكم الثروات دونما اكتراث بوازع أو رادع يرتد نكبات على سائر البشر آخر الأمر، بما يضاعف من شقاء أكثر المجتمعات ويقود إلى تفسخها. إن قشور الرفاهية والازدهار التي تغلف الحياة المعاصرة مزيّنة لسيادة التغريب العالمية، ومروّجة لحتمية ترسيخ نمط الحضارة الصليبية المتهوّدة المادية قدرًا لا يُردّ للبشرية بأسرها، إن هذه القشور غير قادرة على تغطية البؤس المتفاقم الناجم من استشراء أنماط من السلوك تتطلع في غاياتها إلى توليد مزيد من الكسب الذاتي على كل صعيد، وبأي ثمن، بشراهة تجتاح اعتبارات التعقل والسلامة وتدبّر العقابيل. هنا بالضبط تتجلى الحكمة الإلهية في الآية الكريمة التي تحمل النهيَ الحازمَ الواضح: *يا أيها الذين آمنوا لا تأكُلوا أموالكُمْ بينكم بالباطل*... النساء: 29، سبيل خلاص للبشرية جمعاء.

ويذكرنا استخدام جيف الحيوانات النافقة في تركيب أعلاف الأبقار البريطانية، وغير البريطانية أيضًا، بقوله تعالى: *حُرِّمت عليكم الميتةُ والدَّمُ ولحمُ الخنزير وما أُهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردِّية والنطيحة وما أكلَ السَّبع إلا ما ذكَّيتُم وما ذُبحَ على النُّصُب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا فمن اضطُرَّ في مخمصة غيرَ متجانف لإثم فإن الله غفورٌ رحيمٌ*. المائدة: 3. إذ تعددُ هذه الآية الكريمة المحرّمات من الأطعمة: الميت من الحيوان والدم المسفوح ولحم الخنزير وما بوشر ذبحه من دون ذكر اسم الله عز وجل، والحيوان الميت خنقًا والمقتول ضربًا، والميت نتيجة سقوطه من علو إلى الأسفل والمقتول نتيجة نطح حيوان آخر له، وما افترس وحش بعضه والمذبوح على الأنصاب مع استثناء ضيّق عند الاضطرار إلى دفع غائلة الهلاك جوعًا في حالة المجاعة الشديدة دونما تعمد الميل إلى المعصية بقصد - حيث يغفر الله للمضطر في هذه الحالة رحمة منه - فإن تناول هذه المحرمات بشكل غير مباشر، عبر تناول لحوم المواشي التي تتغذى بتلك المحرمات، لا يقترن بالغفلة عن ضرورة اجتناب مواضع شبهة المعصية فحسب، وإنما يحمل انتقال الأذى المادي الذي تتضمنه تلك المحرمات، والذي يمثل جوهر الحكمة الإلهية بتحريمها.

لا نستطيع أن نتحاشى رؤية حقيقة الوضع: بقر يعلن الاحتجاج جنونًا على إطعامه جيف حيوانات نافقة قد يضيع طعم مذاقها فيما اختلط معها من باقي مكونات الأعلاف المصنعة، لكن جوهرها لا يتغير، وأذاها لا يضمحل. وعندما يعلن البقر احتجاجه على اضطراره؛ لأن «يأكل لحم أخيه ميتًا» جنونًا، فإن إعلانه إدانة لاحتيال أصحابه وخديعتهم ولما سوّله الطمعُ والجشع لهم. وفي هذا عبرة للبشر تستحق الكثير من التأمل والتدبر.